جامعة عين شمس

كلية التربية

قسم أصول التربية

الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية

اعداد

علاء الدين أمير محمد

رسالة دكتوراه

اشراف

أ. د. سعيد اسماعيل علي

استاذ ورئيس قسم أصول التربية

بجامعة عين شمس

أ. د. مصلح سيد بيومي

عميد كلية أصول الدين والدعوة

بجامعة الأزهر

جامعة عين شمس 1984

شكر وتقدير

وان كنت لم أترك جهدا أستطيعه الا وأخضعته لهذا البحث، ليخرج بهذه الصورة ،الا أن وراء هذا الجهد ،الذى عاشه الباحث طيلة سنتين ،توجيها نيرا وارشادا سليما ،وراء هذا كله ،أستاذى الكريم، الاستاذ الدكتور سعيد اسماعيل على ، الذى لم يبخل بوقت ولا بمتابعة على الباحث والبحث ، فقد انطبعت توجيهاته الغنية ،وتشجيعه الصادق المتواصل على جميع مراحل البحث، مما جعل الباحث يحتفظ له بذكرى الامتنان والتقدير ، فجزاه الله خيرا لخدمة العلم ، اذ لولاه لما ظهر هذا البحث .

كما يتوجه الباحث بالشكر والتقدير للاستاذ الدكتور مصلح سيد بيومى ، عميد كلية أصول الدين والدعوة فى جامعة الازهر - المنوفية - على قبوله الاشراف على هذا البحث ، ومراجعته له ،مما أغناه بملاحظاته وتوجيهاته .

كما أنوه بالشكر العميق والامتنان البالغ الى العم السيد أمير على القزوينى ، بما أتاحه لى من مصادر علمية ،حيث فتح لى أبواب مكتبته العامرة ، فجزاه الله خيرا لنصرة العلم .

وأقدم خالص شكرى للاساتذة والاخوة أعضاء قسم أصول التربية - جامعة عين شمس .

وأخيرا أتوجه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع ، راجيا منه التسديد والتوفيق لما فيه رضاه ، فهو ولى المؤمنين ، فعليه نتوكل وبه نستعين والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وأصحابه المخلصين .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة
الفصل الاول : الاطار العام للدراسة	١ - ٣٦
المقدمة	١
نشأة التشيع	٢
الشيعة لغة واصطلاحا	٢
البذرة الاولى للتشيع	٣
نشأة التشيع والقول بالنص والوصية	٨
أهمية بحث الجانب التربوى للشيعة	١٠
التركيب العقائدى للتربية عند الشيعة	١٢
مشكلة البحث	١٧
أهمية البحث	١٧
حدود البحث	١٨
منهج البحث	١٨
القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة	٢٠
الاجتهاد العقلى	٢٥
الاجتهاد الشرعى	٢٦
الدراسات السابقة	٢٧
خطوات الدراسة	٣٤
الفصل الثانى : الاصول الاجتماعية والفلسفية	٣٧ - ١٠٦
الاصول الاجتماعية	٣٧
الظروف التى صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعى	٣٨
العصر الاول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه ...	٣٨
العصر الثانى : العصر الاموى	٤٦
سياسة الامويين تجاه الشيعة وأثرها فى انتشار التشيع ...	٤٦
العصر الثالث : العصر العباسى	٥٥
فرق خارجة عن التشيع	٦٤
الاصول الفلسفيـــــة	٧٤
الاصل الاول : التوحيد	٧٥

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة
وحدة الذات الالهية	٧٧
الاصل الثانى : النبوة	٨١
حاجة الناس الى النبى	٨١
عقيدة الشيعة فى نبوة محمد (ص)	٨٤
القول فى عصمة الانبياء	٨٦
الاصل الثالث : العدل	٩٠
فى حرية الارادة الانسانية ،أو القضاء والقدر وموقف التربية منها	٩٠
الحسن والقبح أو الخير والشر	٩٨
الاصل الرابع : الامامة	١٠١
الاصل الخامس: المعاد	١٠٥
الفصل الثالث: فلسفة التربية من منظور الشيعة	١٠٧ - ١٥٠
المقدمة	١٠٧
أولا : الطبيعة الانسانية	١٠٨
ثانيا : العلم والعلمـــاء	١١٣
موقف الشيعة من العلم والعلماء	١١٣
الحث على طلب العلم	١١٧
العلاقة بين العلم والعمل من منظور الشيعة	١١٩
ثالثا : المعرفة الانسانية	١٢٢
مصادر المعرفة	١٢٤
رابعا: النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة	١٣١
خامسا: تكافوء الفرص فى التعليم	١٣٥
سادسا: التربية الخلقية من منظور الشيعة	١٣٧
سابعا : الاسرة ودورها فى تربية الطفل	١٤٢
ثامنـــا : التعليم المهنى	١٤٧
الفصل الرابع: مناهج وطرق التعليم	١٥١ - ١٩٣
المقدمة	١٥١
أولا : مناهج التعليم	١٥٢
ثانيا : مراحل التعليم عند الشيعة	١٥٧

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــــة
المرحلة الاولى : مرحلة الطفولة	١٥٨
المرحلة الثانية : مرحلة الصبـا	١٦٠
المرحلة الثالثة : مرحلة التكليف	١٦٢
المرحلة الرابعة: مرحلة الاجتهاد	١٦٤
ثالثـا : طرق التعليم	١٦٤
المناظرة وتطبيقها التربوى	١٦٤
طريقة الدعاء	١٦٧
طريقة الاملاء	١٦٩
طريقة الوعظ	١٧١
طريقة الوسائل	١٧٣
التعليم عن طريق الكتب	١٧٤
التعليم عن طريق الاسئلة والمذاكرة	١٧٥
رابعـا : المعلمون والتلاميـذ	١٧٧
آداب العالم فى نفسه	١٧٩
آداب المعلم مع تلاميذه	١٨٢
آداب الطالب مع معلمه	١٨٥
الحالة الاجتماعية للمعلمين	١٨٨
أ - الحالة المالية	١٨٨
ب - لباس المعلميـن	١٩٢
الفصل الخامس: أهم المراكز العلمية عند الشيعة	١٩٤ - ٢٥٣
المقدمة	١٩٤
أولا : المدينةالمنورة	١٩٥
الامام على وجمع القرآن	١٩٨
الحركة العلمية عند الشيعة فى المدينة بعد عهـــــد الامام على	٢٠٠
مدرسة المدينة ودور الامام الباقر والصادق فىتأسيسهـا	٢٠٣
نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت فى المدينـــــة	٢١٠
المحتوى الفكرى لمدرسة أهل البيت	٢١٥
ثانيا : العراق	٢١٦
١ - الكوفـــة	٢١٦
٢ - بغـداد	٢٢١

الموضـــــــوع	رقم الصفحـــة
الشيخ الطوسى ومدرسة النجف	٢٢٧
الدراسة فى مدرسة النجف	٢٣٠
جماعة اخوان الصفاء الشيعية	٢٣٢
ثالثـا : بنو حمدان فى حلب والموصل	٢٣٥
رابعـا : قم والرى فى ايران	٢٣٨
خامسا : الادارسة فى المغرب والاندلس	٢٤٣
سادسا: الدولة الفاطمية فى مصر	٢٤٦
الفصل السادس: مؤسسات التعليم عند الشيعة	٢٥٤ - ٢٩٠
أولا : المكتب أو الكتاب	٢٥٥
ثانيـا : المسجد	٢٥٧
مسجد الكوفة	٢٦٢
جامع الازهر	٢٦٥
ثالثـا : منازل العلماء والامراء	٢٧٠
رابعـا : مجالس العلم والعلماء	٢٧٤
خامسا : دور العلم	٢٧٦
سادسا: دور الكتب أو المكتبات	٢٨٠
سابعـا: المدارس	٢٨٧
الفصل السابع : أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة فـى العالم الاسلامى	٢٩١ - ٣٥٤
المقدمة	٢٩١
١ - دور الشيعة فى علم الكلام	٢٩٣
٢ - علم النحو ومدارســـــه	٣٠٠
متى وكيف نشأ علم النحـــو	٣٠٠
الشيعة والمدارس النحوية	٣٠١
مدرسة البصرة النحوية	٣٠٢
مدرسة الكوفة النحويـة	٣٠٦
مدرسة بغداد النحوية	٣٠٩
٣ - علم التصريف	٣١٢
٤ - علم اللغـــة	٣١٣

الموضـــــوع	رقم الصفحـــــة
٥ - علم البيان والمعانى	٣١٣
٦ - علم العروض	٣١٤
٧ - علم التفسير	٣١٥
٨ - علم غريب القرآن	٣١٧
٩ - علم معانى القرآن	٣١٩
١٠ - علم أحكام القرآن	٣٢٠
١١ - اعراب القرآن	٣٢١
١٢ - علم القراءات	٣٢١
١٣ - علم الحديث	٣٢٢
تدوين العلم بين الاثبات والنفى	٣٢٢
١٤ - علم غريب الحديث	٣٢٦
١٥ - علم الفقـــه	٣٢٧
١٦ - علم اصول الفقه	٣٢٨
١٧ - الفقه المقارن أو الخلافى	٣٣١
١٨ - علم التاريخ والمغازى والسير	٣٣٤
١٩ - علم الجغرافية	٣٣٨
٢٠ - علم الاخلاق	٣٤٠
٢١ - الشعر التعليمى	٣٤٢
٢٢ - الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية	٣٤٣
٢٣ - المنهج العلمى التجريبى	٣٤٧
٢٤ - الدراسات الفلسفية عند الشيعة	٣٥١
خاتمـــة	٣٥٥
مقترحات ببحوث أخرى قادمة	٣٥٧
المراجع	٣٥٩

الاهـــداء

الى الكوكبـه .....

التى آمنـت برسالتهـا فجاهـدت وصمـدت

فمنهـم مـن قضـى نحبـه شهيـــــــــدا

ومنهـم من ينتظـــر قائـــــــــــدا

ربى انصرهـــم بنصـرك المبيـــــــن

الى والدىّ .....

ربى ارحمهما كما ربيانـــى صغيـــــرا

واليك يا ولـدى يا محمد الحسيـن

أيهـا الملاك الطاهر الوافد الى رضـــوان

ربك قبـل أن ترتوى من الحيـــــاة.....

والى جميع المستضعفين والمضطهدين والشهداء

أقدم هذا الجهـد .....

الفصل الاول

الاطار العام للدراســـــــــة

المقدمـــة :

نشأة التشيع :

أهمية بحث الجانب التربوى عند الشيعـــة .

التركيب العقائدى للتربية عند الشيعـــــة .

مشكلة البحـــث .

أهمية البحـــث .

حدود البحـــث .

منهج البحـــث .

القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة .

الدراسات السابقة .

خطة البحث .

مقدمـــة :

الارث الثقافى ،هو أثمن ما خلفه الانسان للانسان ،فبالثقافة يستكمـــــل الانسان وجوده الحق ،لانها تمده بالمعانى التى تجعل لوجوده معنى انسانيـا يميزه عن سائر المخلوقات .

وليست الحضارة المادية ،مهما عظمت سوى حسنة صغيرة من حسنـــــــات الثقافة الانسانية اذا قيست بالجوانب المعنوية لهذه الثقافة ،ولهذا فدراســـــة التاريخ ليست تحقيقا فى صحة الحوادث وربطا بين متفرقاتها ،وجمعا لشتاتهـــا فقط.بل هى تسعى للتعرف على انسانية الانسان والغوص فى أعماقها واكتشـــــاف ما تنطوى عليه هذه الانسانية من سمو واستعداد للتضحية وايثار للبساطة والحـق والخير والجمال .

ولقد أثبتت الامة العربية خلال السنوات القليلة الماضية أنها ما تزال منطوية على فيوض من الطاقة التى تحتاج للمجال الحيوى ،وتسعى الى التعبير عـــــن ذاتها تعبيرا ايجابيا صحيحا .

لقد بدأت سير الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر هذه الفيوض وتنتصـــب شواهد على هذه الحقيقة منذ اواسط العقد الرابع من قرننا هذا ، ومع ذلك ففـى المكتبة العربيةوالاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم بعد غبار النسيان ،وفـــى عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص ،ممن اشتركوا فى رفع بناء الحضارة العربيـــــــة الاسلامية . هؤلاء كلهم ينتظرون أن يأتى دورهم ليخرجوا الى الوعى العربـــــى بالدراسة العلمية والبحث الموضوعى ،والاخلاص الذى يجب أن يتوفر لكل محقـــــق وباحث .

لقد بدأ الناس هنا يعيدون النظر فى ماضيهم . بدأوا يرون فى هـــــذا الماضى بعضا مما يعين على عملية الانطلاق من جديد . وبالرغم مما أصبحت تزخـر به المكتبة الاسلامية من نتاج قيم جعلها تضاهى المكتبات الفكرية للمبادىء الاخرى، فان الكثير الوفير من التراث الاسلامى الفكرى لازال يدعونا لتقديمه بالاسلـــــوب الحديث وبالمنهج الحديث .

والتربية عند الشيعة الامامية واحدة من شرائح التراث الاسلامى التى لـــم أعثر فيها على دراسة تحليلية بدرجة مرضية تكشف عن موقعها فى هذا التـــــرا ث

ودورها فى حياة الناس أفرادا وجماعات ، مع ما قاموا به من نشر الثقافة الدينية والعلوم الاسلامية،فقد تمكنوا من تخريج عدد من حملة العلم والحديث ، والمعارف المختلفة،حسب دراستهم فى تلك المدارس الاسلامية وقابليتهم العقلية،فالحرية والعبودية ، والغنى والفقر،والعدل والظلم،والعلم والجهل ، والحرب والسلم ، والنضال المستمر فى سبيل عالم أفضل لانسان أفضل - حسب تصور الشيعة الامامية - هو مدار التربية عندهم ، ولهذا كانت مدارسهم أحد المصادر التى تفيض على المجتمع الاسلامى بالدراسات والكتابات المختلفة التى غطت مساحة كبيرة من الاهتمامات الفكرية لجمهور المفكرين الاسلاميين (١) .

نشأة التشيع:

الشيعة لغة واصطلاحا :

ان لفظ الشيعة كما ورد فى اللغة العربية والقرآن الكريم ، فسر تارة بالاتباع والانصار ، وأخرى بالمشايعة - وهى المتابعة والمطاوعة - وان هذا الاسم قد غلب على كل من يتولى عليا واهل بيته عليهم السلام ، حتى صار اسما خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم (٢) . ففى قاموس المحيط : "وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصة (٣)" . وفى المنجد : " شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره . . . . وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا . والواحد شيعى . (شايعه) تابعه ووالاه على أمر " (٤)

وجاء فى لسان العرب :" . . . والشيعة أتباع الرجل وأنصاره . . . ويقال شايعه كما يقال والاه من الولى . . . وأصل الشيعة الفرقة من الناس . . . وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته . . . حتى صار لهم اسما خاصا ، فاذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم . . . وأصل ذلك من المشايعة ، وهى المتابعة والمطاوعة . قال الازهرى : والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبى (ص)

---

(١) انظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) محمد حسين الزين : الشيعة فى التاريخ - ط ٢ - بيروت - دار الآثار ١٩٧٩ - ص ٢٧ .

(٣) مجد الدين الفيروز آبادى : القاموس المحيط - جـ ٣ - ص ٤٧ .

(٤) لويس معلوف : المنجد - ص ٤٢٣ .

ويوالونهم . . . [١]". وجاء اسم الشيعة فى الكتاب العزيز فى سورة القصص[٢] "فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه" قال الزمخشرى فى كشافه عند تفسيرها " أى ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل" وفى سورة الصافات[٣]:" وان من شيعته لابراهيم " قال الزمخشرى أيضا فى كشافه - أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة الكذابين [٤] .

البذرة الاولى للتشيع:

يختلف الباحثون فى تحديد الوقت الذى نشأ فيه التشيع ، فيذهب البعض الى أن التشيع هو أول مذهب عرف فى الاسلام ، ولقب به أربعة من كبار الصحابة هم : أبو ذر ، وسلمان ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر . ويميل الى هذا الاتجاه " أحمد أمين " حيث يقول :" وكانت البذرة الاولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبى (ص) أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه [٥]" . ولهذا يرى " جب وكرامرز " أن رجالات حزب الشيعة البارزين كانوا فى أول الامر عربا خلصا [٦] . " وذلك أن حركة التشيع نشأت على تربة عربية خالصة [٧]" . بالاضافة " الى أن أصول النظرية الامامية بما تتضمنه من النظر الى الدولة نظرة دينية لادنيوية [٨]" ، " وقد أوجدها - أى حركة التشيع - ثوار دينيون رأوا فى على أنه أحق دون غيره بالخلافه . . . [٩]" . ولهذا " كان لعلى شيعة منذ اللحظات الاولى بعد وفاة الرسول"[١٠] . وقد "تشيع يومئذ لعلى جميع بنى هاشم وبنى المطلب ، وانظم اليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلا أو اثنا عشر من

---

(١) ابن منظور : لسان العرب - جـ ٤ - ص ٢٣٧٧ .
(٢) القصص : آية ١٥ .
(٣) الصافات : آية ٨٣ .
(٤) محمد حسين الزين : الشيعة فى التاريخ - مرجع سابق - ص ٢٨ .
(٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام - ط ٩ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ - جـ ٣ - ص ٢٠٩ .
(٦) Gibb and Kramers: "Shorter Encyclopaedia of Islam". (Leiden, 1953) P. 536.
(٧)،(٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى - ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده - ط ٣ - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ - جـ ١ - ص ٣٧ .
(٩) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام - ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون - القاهرة - دار الكاتب المصرى - ١٩٤٦ - ص ١٧٠ .
(١٠) أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية - ط ٥ - القاهرة النهضة المصرية - ١٩٧٨ - جـ ٢ - ص ١٤٤ .

المهاجرين والانصار . . . على أن أتباع على كانوا يعرفون بالعلوية فى حياته وبعد مماته مع الدلالة باسم الشيعة أيضا . . (١)". وقد ذهب الى هذا الرأى أيضا الدكتور شوقى ضيف (٢) . مع أن الذين تشيعوا لعلى فى هذه الفترة أكثر مما ذكر . يقول ابن حجر العسقلانى :" وثبت عن الثورى فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح اليه ،قال : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى على اثنى عشر ألفا مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض . . . وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع (٣)" .

ويذهب بعض آخر الى أن الشيعة لم تظهر الا فى عهد على ،بل لم تظهر بمعناها الفنى الا بعد هذا الوقت بكثير ،بل ذهب آخرون الى أن ظاهرة التشيع ملازمة للقول بالنص - وأن القول بالنص والوصية ظهر فى عهد هشام بن الحكم ،وهو العصر الذى عاش فيه الامام الصادق ،فاذن بدء نشوء الشيعة لايخرج عن أحد هذه الازمنة التى حددها بعض الباحثين . ولهذا يرى أصحاب هذا الاتجاه كما يذكره " ابن المرتضى" فى كتابه "المنية والامل" فى قوله : " أما الزافضة فحدث مذهبهم بعد مضى الصدر الاول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص فى على متواتر ،فان زعموا أن عمارا وأبا ذر والمقداد بن الاسود كانوا سلفهم لقولهم بامامة على ،كذبهم كون هؤلاء لم يظهروا البراءة من الشيخين ، ولا السب لهما ،ألا ترى أن عمارا كان عاملا لعمر بن الخطاب، وسلمان الفارسى فى المدائن (٤)؛ **فالمقياس فى هذا الاتجاه هو كون الشيعة ظهروا حينما أعلنوا البراءة** من الخلفاء ،وهو مقياس لادليل عليه ،يحتاج الى ستد يعضده . ولهذا يقول "Gustave" "لقد سبب موت النبى خلافا ونزاعا فيما يتعلق بالخلافة ويصر قسم من المؤمنين ان عليا كان هو الوريث الشرعى الوحيد . أما الاغلبية فقد رفضوا هذا الرأى" (٥) .

---

(١) أحمد الحوفى : ادب السياسة فى العصر الاموى - ط ٥ - القاهرة دار نهضة مصر - ١٩٧٩ - ص ٢٩ .

(٢) شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الاموى - ط ٥ - القاهرة دار المعارف - ١٩٧٣ - ص ٩١ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة - القاهرة - دار نهضة مصر - ١٩٧١ - جـ ١ - ص ٣ .

(٤) عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى - ط٢ القاهرة - دار نهضة مصر - ١٩٦٩ - ص ٣٠ ، ٣١ .

(٥) Gustave Evon Grunebaum, "Medival Islam". (Chicago., The university of Chicago press, 1953. P. 186.

وهناك اتجاه آخر كما يقول الدكتور أحمد صبحى :"ومن الباحثين من يجعل نقطة البداية فى التشيع زمن النبى نفسه ،يقول محمد الهادى كاشف الغطـــاء : ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام - هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواءبسواء . ولـــم يزل غارسها يتعهدها بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم أثمـــرت بعد وفاته . . . . (١)". وفى ذلك يقول الحسنى :" والواقع أن التشيع بما هـــو فرقة فى مقابل جماعة المسلمين لم يكن قبل وفاة الرسول ،ولكن المبدأ الذى يرتكز عليه التشيع ،وهو نص النبى على استخلاف على (ع) من بعده ،كان بعد ولادة - الاسلام وقبل أن يهاجر الرسول من مكة الى المدينة بأكثر من ثمانية أعوام تقريبا . وذلك حينما أوحى اليه :" وأنذر عشيرتك الاقربين" . فكان هذا الموقف البـــذرة الاولى للتشيع . . (٢)". ولهذا يقول النوبختى : " فأول الفرق : الشيعة ،وهـــم فرقة على بن أبى طالب عليه السلام المسمون بشيعة على . . .فى زمان النبـــــى (ص) وبعده معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته منهم : المقداد بن الاســود، وسلمان الفارسى ،وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى ،وعمار بن ياسر ،ومن وافـق مودته مودة على (ع) وهم أول من سمى باسم التشيع من هذه الامة (٣) . . . . . "

" واذا نفس صاحب الشريعة الاسلامية يكرر ذكر شيعة على وبنيه بأنهم هـــــم الامنون يوم القيامة ،وهم الفائزون والراضون المرضيون ،ولاشك أن كل معتقـــد بنبوته يصدقه فيما يقول ،وأنه لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى - فاذا لم يصر كل أصحاب النبى شيعة لعلى فالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظـــر جماعة منهم أن يكونوا ممن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب مـــن التوسع والتأويل . . ومن الغنى عن البيان أنه لو كان مراد صاحب الرسالـــة من شيعة على ومن يحبه أولا يبغضه بحيث ينطبق على أكثر المسلمين . . . لـــم يستقم التعبير بلفظ ،شيعة ،فان صرف محبة شخص لاخر ،أو عدم بغضه لايكفـــى فى كونه شيعة له ،بل لابد هناك من خصوصية زائدة وهى الاقتداء والمتابعـــة له ،بل ومع الالتزام أيضا . . . (٤)". اذن " الشيعة لغة : الصحب والاتبـــاع،

---

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية - القاهـرة دار المعارف بمصر - ١٩٦٩ - ص ٢٩ .

(٢) هاشم معروف الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - ط ١ - بيـــروت دار القلم - ١٩٧٨ - ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى : فرق الشيعة - ط ٣ - النجـــف ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - ص ٠ ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) محمد حسين ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها - بيروت - مؤسسة الاعلمى للمطبوعات - بدون تاريخ - ص ٤٥ .

وفى عرف الفقهاء والمتكلمين أنصار على وبنيه المتحمسون للدفاع عنهم والعمل على اسناد الخلافة اليهم. . . [١]".

يظهر مما تقدم أن الشيعة هم الاتباع والانصار، وأن هذا اللفظ ظهر فى عهد رسول الله (ص). ويؤيد ذلك ما جاء فى تفسير الطبرى عن محمد بن على : " أولئك هم خير البرية " فقال النبى (ص) : " أنت يا على وشيعتك [٢]". وفى ميزان الاعتدال **للذهبى**: أن رسول الله (ص) قال : أما انك يا ابن أبى طالب وشيعتك فى الجنة [٣]". وفى شواهد التنزيل للحاكم النيسابورى عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " قال النبى (ص) لعلى : هو أنت وشيعتك ، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين . . . [٤]". وقد أخرج هذه الاحاديث علماء السنةوحفاظهم بالفاظ مختلفة وبطرق كثيرة [٥]

---

(١) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى - ط٢ - دار الطباعة المحمدية بالازهر - ١٩٧٨ ص ٢٣٩ ، وأيضا فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مكتبة الحرية الحديثة عين شمس - ١٩٨٢ - ص ٧٤ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن - ط٢ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر - جـ ٣٠ - ص ٢٦٥ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - تحقيق على محمد البجاوى - ط ١ - دار أحياء الكتب العربية ١٩٦٣ - جـ ٢ - ص ١٨ .

(٤) عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابورى : شواهد التنزيل لقواعد التفصيل - ط ١ - بيروت - موءسسة الاعلمى - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م- جـ ٢ - ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٥) انظر أحمد بن حجر الهيتمى المكى : الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة - ط ٢ - القاهرة - شركة الطباعة الفنية المتحدة - ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م - ص ١٦١ . وأيضا جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - الكاظمية - دار الكتب العراقية - بدون تاريخ جـ ٦ - ص ٣٧٩ . وأيضا أبو المظفر الاسفراييني : التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين - مكتبة الخانجى بمصر - ١٩٥٥ - ص٤٤ ،٤٥. وأيضا شيخ سليمان البلخى القندوزى : ينابيع المودة - ط ٢ - صيدا مطبعة العرفان - بدون تاريخ - جـ ١ - ص ٦١ . وأيضا أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشرة - ط ١ - محل السادات محمد أمين الخانجى بالاستانة ومصر - بدون تاريخ - جـ ٢ - ص ٢٠٩ . وأيضا سبط بن الجوزى ، يوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى تذكرة الخواص - طهران - مكتبة نينوى الحديثة - بدون تاريخ - ص١٦ ، ١٨. وأيضا أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط٣ - مطبعة السعادة بمصر - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨م - جـ ٣ - ص ٦ .

فالتشيع بمقتضى ذلك كان هو القاعدة الاساسية فى الاسلام وليست ظاهرة طارئة عليه ، يقول آل كاشف الغطاء : " ولا أقول : أن الاخرين من الصحابة وهم الاكثر الذين لم يتسموا بتلك السمة ، قد خالفوا النبى (ص) ولم يأخذوا بارشاداته ، كلا ومعاذ الله أن يظن بهم ذلك وهم خيرة من على وجه الارض يومئذ ولكن لعل تلك الكلمات لم يسمعها كلهم ، ومن سمع بعضها لم يلتفت الى المقصود منها ، وصحابة النبى الكرام ، أسمى من أن تحلق الى أوج مقامهم بغاث الاوهام" (١) .

وهذا دليل على أن الشيعة ليس من صفاتهم الطعن والسب فى الصحابة كما توهمه البعض - كما مر - بأن التشيع نشأ بسبب ذلك . ولهذا جرى بعض الباحثين المحدثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة فى المجتمع الاسلامى ، والنظر الى القطاع الشيعى فى جسم الامة الاسلامية بوصفه قطاعا تكون على مر الزمن ، ونتيجة لاحداث وتطورات اجتماعية أدت الى تكوين فكرى ومذهب خاص بجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع الجزء بالتدريج .

فالتشيع اذن لايمكن أن يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبى (ص) وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعامة الاجتماعية للتجربة الاسلامية ، ومن هنا فان بعض الباحثين يحاول التمييز بين نحوين من التشيع : أحدهما التشيع الروحى ، والاخر التشيع السياسى ، ويعتقد أن التشيع الروحى أقدم عهدا من التشيع السياسى ، وأن أئمة الشيعة الامامية من أبناء الحسين عليهم السلام قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة وانصرفوا الى الارشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا ، مع أن التشيع لم يكن فى يوم من الايام منذ ولادته مجرد اتجاه روحى بحت ، وانما ولد التشيع فى أحضان الاسلام بوصفه أطروحة مواصلة الامام على للقيادة بعد النبى (ص) فكريا واجتماعيا على السواء (٢) .

---

(١) ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص ٤٦ .

(٢) السيد محمد باقر الصدر : بحث حول الولاية - ط٢ - دار التعارف ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٩٠ .

" اذن فجذور التشيع كانت موجودة حتى فى حياة النبى ، فلما بويع الامام على بالخلافة برزت الفكرة نضالية وأرستأسسها فى واقعة الجمل ، وفى معركة صفين ، وتبلورت ذات نظام فكرى فى اواخر الدولة الاموية وأوائل الدولة العباسية وأصبح لها مباحثها العقلية والمنطقية ، وأصبح التشيع نظاما اسلاميا وفكرة وعقيدة لها فلسفتها وفقهها . . (١)" .

نشأة التشيع والقول بالنص والوصية :

هناك اتجاه من بعض الباحثين يذهب الى أن أصل نشوء التشيع هو عند نشوء القول بالنص والوصية ، وهذا الاتجاه يعزى الى أن النشأة الاولى كانت فى زمن هشام بن الحكم. يقول الدكتور عمارة :" أما الامر الذى يميز الشيعة عن غيرهم فهو عقيدة (النص والوصية) واذا كان التاريخ لنشأة" البكرية" أو " الراوندية" لابد أن يرتبط بادعاء طلائع هذه الفرق ، وزعمهم بالنص على أبى بكر ، والعباس بن عبد المطلب ، فكذلك التاريخ لنشأة الشيعة مقترن بالفترة الزمنية التى نشأت فيها عقيدة النص ودعوى الوصية من الرسول الى على بن أبى طالب . ومن هنا كان صوابا ما ذهب اليه المعتزلة عندما قالوا : ان فترة امامة جعفر الصادق ، وهى التى نهض فيها هشام بن الحكم بدور واضع ومهندس بنائه الفكرى ، هى الفترة التى يؤرخ بها لهذه النشأة ، فالقول بالوصية لم يعرف قبل هشام بن الحكم ، وهو الذى ابتدع هذا القول ، ثم أخذه عنه معاصروه ومن أتوا من بعده (٢)" . ويقول أيضا :"الذين قالوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أوصى بالامامة من بعده لعلى بن أبى طالب . . . وأن طريق الامامة والسلطة العليا محصورة فى " الوصية" . . . ولادخل فى ذلك للارادة الانسانية ولا اختيار فى هذا الامر للناس . . . . ولقد أنكر المعتزلة هذا الفكر وحاربوه ، لانهم رأوا فى القول بالوصية ما يسلب الحرية الانسانية والاختيار فعاليتهما ومضمونهما فى مسألة من أهم المسائل المتعلقة بتنظيم حياة الانسان ، ورأوها وصاية متوهمة تلغى أثر الانسان وقدرته على اختيار السلطة العليا فى المجتمع الذى يعيش فيه" (٣) .

---

(١) روكس بن زائد العزيزى : الامام على - النجف - مطبعة النعمان - ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م - ص . ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - ط ٢ - بيروت - المؤسسة العربية ١٩٧٩ - ص . ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - ط ١ - بيروت - المؤسسة العربية - ١٩٧٢ - ص . ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

ان المتتبع لاراء المعتزلة فى خصوص هذه المسألة يرى خلاف ما ذهب اليه الدكتور عمارة . فقد ذهب أكثر المعتزلة ، بل جلهم ، الى القول بالنص، وان النبى نص على على بن أبى طالب . ولهذا " يرى الدكتور نصرى أن فئة قليلة من المعتزلة هى التى كانت ترى رأى أهل السنة فى القول ان الامامة بالاختيار ويحدد أفرادها بالاسم وهم واصل بن عطاء وأبو بكر الاصم وهشام الفوطى والجبائى وابنه أبو هاشم ، وان باقى المعتزلة كانوا على رأى قريب من رأى الشيعة الامامية ، وهم جميع معتزلة فرع بغداد ومعتزلة فرع البصرة غير السابقين - اذ قالوا لا امامة الا بالنص والتعيين ، ويرى الدكتور ألبير نصرى ، أن هذا كان رأى الاكثرية منهم " .(١) مع أن الشهرستانى ذكر فى الملل والنحل - أن معظم المعتزلة يذهبون الى القول بوجود النص الجلى ، يقول النظام : " أولا لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا . وقد نص النبى (ص) على على (رضى) فى مواضع واظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة . . . .(٢) " ووافقه الاسوارى فى جميع ما ذهب اليه وكذلك أبو جعفر الاسكافى ، وأصحابه من المعتزلة ، والجعفريان: جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكذلك محمد بن شبيب ، وأبو شمر ، وموسى بن عمران من أصحاب النظام . وكذلك الخابطية أصحاب أحمد بن خابط والحديثية أصحاب الفضل الحديثى (٣) .

ثم ان القول بالوصية والنص لايلزمه القول بسلبحرية الانسان واختياره مادامت الشريعة الاسلامية واضحة وكاملة ، وقد تمت أحكامها فى عصر الرسول (ص) ولهذا يجب النزول عندها ومتابعتها ، فليس للانسان حق الاختيار فى الاحكام والتكاليف الا اذا قلنا أن الانسان حر مختار فى اختيار الاحكام التى تناسبه ، فعلى هذا ، فلاحاجة لنا بارسال الرسل لانهم يحدون من حرية الانسان . ولما كانت السلطة العليا هى مجرد أداة لتنفيذ الاحكام الثابتة فى

---

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة - مرجع سابق ص ٤٤٥ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل - تحقيق محمد سيد كيلانى - مطبعة مصطفى البابى بمصر - ١٩٦١ - جـ ١ - ص ٥٧ .

(٣) المصدر السابق : ص .ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ . وأيضا زكى نجيب محمود المعقول واللامعقول في تراثنا الفكرى - ط ٢ - بيروت - دار الشروق ١٩٧٨ - ص ١٤٥ - وأيضا محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام - الاسكندرية - دار الجامعات المصرية - ١٩٧٤ - ص ١٧٨ .

الشريعة والملزمة لكل مكلف ،سواء أكان وجود السلطة بالاختيار أم بالتـــــص، فلا دخل لحرية الارادة هنا مادام الحاكم أو الامام هو المنفذ لاغير. ولما كانـت الشريعة الاسلامية صالحة لكل العصور ،واحكامها لا تتغير ولا تتبدل فلابـــــد وأن يكون القيم عليها عالما بها وحافظا لها من التغيير ،والحافظ لها لابـــــد وأن يكون منصوبا من قبل الشارع . وعلى هذا يقدم الشيعة العديد من الادلـة والاسانيد والنصوص يقيمون عليها مذهبهم فى قيام التشيع على النص والوصيـــة لا يتسع المجال هنا لذكرها (١) .

أهمية بحث الجانب التربوى للشيعة :

كان الجهد الاكبر للائمة من أهل البيت موجها الى تهذيب النفوس وبنـاء الشخصية السوية عن طريق تربية صالحة رسمها الله سبحانه ،فكانوا مع كل مـــن يواليهم يبذلون قصارى جهدهم فى تعليمه الاحكام الشرعية وتلقينه المعـــارف المحمدية ،ويعرفونه ماله وما عليه .

ولا يعتبر الائمة الرجل تابعا وشيعة لهم الا اذا كان مطيعا لامر اللـــه مجانبا لهواه اخذا بتعاليمهم وارشاداتهم . ولا يعتبرون حبهم وحده كافيـــا للنجاه ،كما يمنى نفسه بعض من يسكن الى الدعة والشهوات ويلتمس عذرا فى التمرد على طاعة الله . انهم لايعتبرون حبهم وولاءهم منجاة الا اذا اقترن بالاعمـــال الصالحة و تحلى الموالى لهم بالصدق والامانة والورع والتقوى ،بل هم يريـــدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق وأدلاء على الخير والرشاد ،ويرون أن الدعـــوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان (٢) ." كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكـــم، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع " كما يقول الامام الصادق (٣) .

وعلى هذا أخذ أئمة أهل البيت على أنفسهم أن يقوموا بمهمة بناء الشخصية الشيعية ،لكى تتحقق فيه المواصفات التى يريدون أن يتصف بها ،والاخرج عـــن

---

(١) انظر أمير محمد الموسوى القزوينى : أصول المعارف - ط ١ - صيدا - مطبعة العرفان - بدون تاريخ . وأيضا عبد الحسين شرف الدين : المراجعـــات بيروت - مؤسسة الاعلمي - بدون تاريخ - وأيضا : الشيخ مرعى الامين الانطاكى : لماذا اخترت مذهب الشيعة - ط٣ - حلب - مؤسسة الوفـــاء بدون تاريخ - وأيضا حسن عباس حسن :: الصياغة المنطقية للفكر السياسـي الاسلامي - رسالة دكتوراه - غير مطبوعة - جامعة القاهرة - قسم العلـــوم السياسية - ١٣٩٠ هـ - ١٩٨٠م.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - بدون معلومات - ص ٩٤ .

(٣) أبو الحسين ورام بن أبى الفوارس الاشترى - تنبيه الخواطر ونزهة النواظـــر المعروف بمجموعة ورام - ط ٣ - المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف - ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م - جـ ١ - ص ١١ .

كونه مواليا وتابعا لهم. وفى ذلك يقول الامام محمد الباقر:" ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه،وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوى المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير وكانوا أمناء عشائرهم فى الاشياء "(١). حتى قال فيهم الذهبى فى ميزان الاعتدال : . . على أن التشيع فى التابعين وتابعيهم كثير مع الدين والورع والصدق (٢).

هذه المواصفات التى أشار اليها الامام الباقر ،هى أساس بناء الشخصية الانسانية لترتفع بها نحو السمو، ويلاحظ فيها المؤشرات التربوية الاخلاقية التى يقوم عليها بناء الفرد والمجتمع . وهذا ما أشار اليه الامام جعفر الصادق فى وصيته لتلاميذه وشيعته فى قوله لعبد الله بن جندب:" يا ابن جندب بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لاتذهبن بكم المذاهب فوالله لاتنال ولايتنا الا بالورع والاجتهاد فى الدنيا ومواساة الاخوان فى الله وليس من شيعتنا من يظلم الناس . . . " (٣).

قال رجل للحسن بن على بن أبى طالب :" انى من شيعتكم ،فقال الحسن بن على : يا عبد الله ان كنت لنا فى أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ،وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد فى ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها . . . وقال رجل للحسين بن على ،يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم قال : اتق الله ولا تدعين شيئا يقول الله لك : كذبت وفجرت فى دعواك ان شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش ودغل . . . " (٤).

وعن أبى اسماعيل قال : " قلت لابى جعفر - يعنى الامام محمد الباقر- جعلت فداك ان الشيعة عندنا لكثيرة فقال : هل يعطف الغنى على الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيئ ويتواسون ،فقلت : لا ،فقال ليس هؤلاء شيعة ،

---

(١) أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحرانى : تحف العقول عن آل الرسول - النجف الاشرف - المطبعة الحيدرية - ١٣٨٥- ١٩٦٥- ص ٢١٦ - من علماء القرن الثالث الهجرى .

(٢) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤ .

(٣) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ،ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٠٠ ، ١٠١ .

الشيعة من يفعل ذلك ". وعن اسحاق بن عمار قال : دخلت على أبى عبد الله (ع) فنظر الىّ بوجه قطب بل قال : قاطب ،قلت : ما الذى غيرك لى ،قال :الذى غيرك لاخوانك ، بلغنى يا اسحاق انك أقعدت ببابك بوابا يرد عنك فقراء الشيعة فقلت : جعلت فداك انى خفت الشهرة ، قال : أفلا خفت البلية ، أما علمت أن المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أنزل الله عز وجل الرحمة عليهما . "[1] الى غير ذلك من الوصايا والارشادات التى قام بها أئمة الشيعة لبناء شخصية الفرد والمجتمع . وقد اقتصر الباحث على نبذة منها ،ليتضح مدى اهتمام الشيعة وأئمتهم بالتربية منذ القرن الاول للهجرة واوائل القرن الثانى .

التركيب العقائدى للتربية عند الشيعة :

ان كل مسيرة واعية لابد أن يكون لها هدف ،وكل حركة حضارية لابد أن تكون لها غاية تسعى الى تحقيقها ،وكل مسيرة وحركة هادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من الهدف الذى تسير نحوه ،وتتحرك الى تحقيقه .

والحقيقة أن الهدف الذى يضمن للتحرك الحضارى للانسان أن يواصل سيره واشعاعه باستمرار ،هو الهدف الذى يقترب منه الانسان باستمرار ويكتشف فيه كلما اقترب منه آفاقا جديدة وامتدادات غير منظورة تزيد الاشعاع اتقادا والحركة نشاطا والتطور أبداعا .

وهنا يأتى دور التربية الاسلامية لتتجه الى (الله) فتجعله هدفا للمسيرة الانسانية وتطرح صفات الله كمعالم أساسية لهذا الهدف الكبير . فالعدل والعلم والقدرة والقوة والرحمة والجود وحرية الارادة ،تشكل بمجموعها هدف المسيرة للجماعة البشرية الصالحة . وكلما اقتربت خطوة نحو هذا الهدف وحققت شيئا منه انفتحت أمامها آفاق أوسع ، وازدادت عزيمة لمواصلة الطريق ، لان الانسان المحدود لايمكن أن يصل الى الله المطلق ، ولكنه كلما توغل فى الطريق اليه اهتدى الى جديد وامتد به السبيل سعيا نحو المزيد .

ومن هنا نلاحظ أن انسان الدولة الاسلامية الذى انطلق فى مطلع تاريخ هذه الامة لكى يصنع التاريخ من جديد لم تنطفىء الشعلة فى نفسه طيلة المدة

(١) المصدر السابق : ص ١٩١ . وأيضا : أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى - المعروف بالصدوق : الخصال - بيروت - دار التعارف ١٣٨٩ هـ - جـ ١ - ص ١٠٣ - المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

التى كان الله تعالى هدفه الحقيقى فيها ، بل كان يستمد من العدل المطلق الذى يمثله هذا الهدف العظيم وقود معركته التى لا تنتهى ، وتحركه لبناء مجتمع عادل لا يخمد ضد ظلم الظالمين وجبروت الطغاه وتحرير المظلومين ، وهذا يعنى أن العدل المطلق لا ينفد وأن الهدف المطلق يظل دائما قادرا على التحريك والعطاء (١) .

والتركيب العقائدى للتربية الاسلامية عند الشيعة ، يقوم على أساس الايمان بالله وصفاته ، ويجعل من الله هدفا للمسيرة وغاية للتحرك الحضارى الصالح على الارض ، ومن ثم فهو يمد الحركة الحضارية للانسان بوقود لا ينفد .

" وتاريخ الاسلام فى تجربته الفريدة أكبر شاهد على ذلك ، فقد استطاع الاسلام بما أعاده للانسان من حرية وكرامة أن يهيىء المناخ المناسب للنمو والابداع لكل انسان بقطع النظر عن عرقه ونسبه ومركزه وحاله ، واستطاع عدد كبير ممن كانوا عبيدا أوأشباه العبيد فى مجتمعات الجاهلية أن يكونوا من قادة البشرية الاكفاء ونوابغها المبدعين فى مختلف مجالات الحياة الفكرية والسياسية والعسكرية وذلك لان النمو الصالح للفرد فى الدولة الاسلامية لا يحدده أى اعتبار سوى قدرات الفرد وقابلياته الخاصة" (٢) .

وقد استهدف الاسلام قبل كل شيىء ربط الانسان بربه ومعاده ، فمن الناحية الاولى ربط الانسان بالاله الواحد الحق ، الذى تشير اليه الفطرة وأكد وحدانية الله وشدد على ذلك لكى يقضى على كل ألوان التأله المصطنع حتى جعل كلمة التوحيد " لا اله الا الله" شعاره الرئيسى . (٣) وعلى هذا الاساس يستطيع الانسان أن يجزم بأن هذه العبودية لله هى أساس التحرر الانسانى ، لان العبودية والتجرد لله ، لو صدقت ، فسوف تحرر الانسان من كل حاجة من حاجات الدنيا (٤) .

---

(١) محمد باقر الصدر : منابع القدرة فى الدولة الاسلامية - مجلة صوت الامة - العدد السرابع - السنة الاولى - رجب - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م - وزارة الارشاد فى جمهورية ايران الاسلامية - ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق : ص٢١ .

(٣) محمد باقر الصدر : موجز فى أصول الدين - مطابع صوت الخليج - بدون تاريخ - ص ٧٣ .

(٤) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - ط ١ - دار الفكر العربى ١٩٧٧ - ص ٥٨ .

ولما كانت النبوة هى الوسيط الوحيد المباشر بين الخلق والخالق فشهادة هذه النبوة بوحدة الذات الالهية وارتباطهما بالاله الواحد الحق تعتبر أساسا كافيا لاثبات التوحيد. ومن الناحية الثانية ربط الانسان بالمعاد لكى تكتمل بذلك الصيغة الوحيدة القادرة على علاج التناقض والتى تحقق العدل الالهى فى نفس الوقت (١) .

فالايمان بالله سبحانه ، والاقرار بوحدانيته ، والاعتراف باطلاعه على أعمال العباد ، وخوف المؤمن من جزاء الله العادل ، هو الحجر الاساسى فى التربية الاسلامية (٢) . " فالذى لايؤمن بالحياة الآخرة ، ينظر الى المجتمع أو النظام الذى يحقق له سعادة الحياة الدنيا ، أما الفرد المسلم المؤمن بالاسلام والملتزم بالعقيدة الاسلامية ويرغب فى الممارسة الاسلامية يحلم بالمجتمع الذى يمكنه من تلك الممارسة ، ومن الدعوة أو التوجيه لتحقيقها للاخرين وبالتالى ايجاد المجتمع الملتزم وليس الفرد الملتزم (٣) " . ولهذا استطاعت دعوة الاسلام القائمة على التوحيد أن تؤثر فى نفس الانسان وتغير من شكل الحياة (٤) .

وأما حينما تتخذ الدنيا طريقا للاخرة . أى أداة ينمى الانسان فى اطار خبراتها وجوده الحقيقى وعلاقته بالله وسعيه المستمر نحو المطلق فى عملية البناء والابداع والتجديد ، فان الدنيا تتحول فى هذه النظرة العظيمة من كونها مسرحا للتنافس والتكالب على المال الى مسرح للبناء الصالح والابداع المستمر. هذا التركيب العقائدى الذى تملكه التربية الاسلامية ممثلا فى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال وارشادات أئمة أهل البيت وعلمائهم التى تحدد المعالم العامة لاخلاقياته (٥) ، حسب النظرة الشيعية .

---

(١) محمد باقر الصدر : موجز فى اصول الدين - مرجع سابق - ص ٧٣ .
(٢) أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - القاهرة دار المعارف - بدون تاريخ - ص ١٢ .
(٣) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ٢٨١ .
(٤) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية - ط ٢ - القاهرة - المختار الاسلامى - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - ص ١٥٨ .
(٥) انظر محمد باقر الصدر : منابع القدرة فى الدولة الاسلامية - مرجع سابق ص ٢٢ ، ٢٣٠ .

وتقوم المدلولات التربوية فى التركيب العقائدى للانسان بأدوار عظيمة فى تنمية كل الطاقات الخيرة لدى الانسان وتوظيفها لخدمة الانسان .ان أىبناء حضارى جديد لمجتمعات التخلف هذه اذا كان يستهدف وضع أطر سليمة لتنمية الامة وتعبئة طاقاتها وتحريك امكاناتها للمعركة ضد التخلف، فلابد لهذا البناء عند اختيار الاطار السليم أن يدخل فىالحساب مشاعر الامة ونفسيتها وتركيبها العقائدى والتاريخى. ولهذا فنحن حين نريد أن نختار منهجا أو اطارا عاما لبناء الامة واستئصال جذور التخلف منها . يجب أن نأخذ هذه الحقيقة أساسا ونفتش فى ضوئها عن مركب حضارى قادر على تحريك الامة وتعبئة قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف(١) . ولن تستطيع أى تربية ان تقدم هذا المركب الحضارى لانسان العالم الاسلامى سوى التربية الاسلامية التى تتخذ من الاسلام أساسا لعملية البناء واطارا لنظامها التربوى والاجتماعى .

اننا نلاحظ أن الاتجاه الموجود فى التربية هو محاولة رسم الخطوط العامة للاسلام فى ذهنية الانسان المسلم نحو المفاهيم الواسعة ،والاهداف الكبرى للعقيدة كطريق من طرق تركيز العقيدة فى حياته وايضاح المفاهيم فى فكره ، ولكن هناك نقصا فى هذا الاتجاه ،وهو فقدانه لعنصر التدريب على ممارسة هذه المفاهيم فى مجالها التطبيقى ،واغفاله تحديد الوسيلة فى الاتجاه نحو الغاية للتنفيذ - بين الطرق المتعددة والمعالم المختلفة ،فالممارسة العملية لكل ما تمثله هذه المفاهيم - فىالمجال التربوى - سبيلا للحصول على الشخصية القوية التى لاتنحرف ازاء الاغراء ،ولا تضعف أمام التحديات ،وتجابه الحياة بقوة رائدة ،وبروح تؤمن بأن طريق القرب الى الله يمر بالاقبال على خدمة الناس وبناء الحياة العملية على أسس سليمة ثابتة لايتوقف عند العزلة الحالمة التى تجتر أشواقها وآمالها فى الجنة(٢) .

" ان الايمان بالله . . . يضع يدنا على معرفة المصدر الاول الذى صدر عنه الكون . . . والايمان باليوم الاخر . . . يحقق المعرفة بمصير الوجود . . ويضع يدنا على النهاية التى ينتهى اليها الكون" (٣) . وتطبيق مبادىء العقيدة

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٣ .

(٢) محمد حسين فضل الله : خطوات على طريق الاسلام - ط ٢ - بيروت دار التعارف - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٥٥ .

(٣) أحمد بهجت : الله فى العقيدة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٨٣

هو جزء مكمل لظاهرة الانتماء الصحيح ،اذ لايمكن فصل الاسلام أو المسلم عن الايمان والالتزام والعمل ،لان أى فصل هو انحراف عن واقع الاسلام. ولهذا كانت التربية العقيدية " خطوة أخرى خطاها الدين فى تربية الانسان ،كانت أروع الخطوات ،وهى " التوحيد ".لقد مضى يحطم بالتوحيد كل حاجز بين الانسان وبارئه" (١) . وعلى هذا فالمتعلم بشر أهم ما فيه عقيدته الدينية وسلوكه الخلقى ،ومن هنا يجب أن توضع العقيدة والسلوك فى المحل الاول(٢) فى التربية الاسلامية .

ولكن الايمان كغريزة لايكفى ضمانا لتحقيق الارتباط بالله سبحانه بصيغته الصالحة ،لان ذلك يرتبط فى الحقيقة بطريقة اشباع هذه الغريزة واسلوب الاستفادة منها ، كما هى الحال فى كل غريزة أخرى ،فان التصرف السليم فى اشباعها على نحو موازٍ لسائر الغرائز والميول الاخرى ومنسجم معها هو الذى يحقق المصلحة النهائية للانسان . كما أن السلوك وفقا لغريزة أو ضدها هو الذى ينمى تلك الغريزة ويعمقها أو يضمرها ويخنقها ،فبذور الرحمة والشفقة تموت فى نفس الانسان من خلال سلوك سلبى ، وتنمو فى نفسه من خلال التعاطف العملى المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء،ومن هنا كان لابد للايمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد الى المطلق ، من توجيه يحدد طريقة اشباع هذا الشعور،ومن سلوك عملى يعمقه ويرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الاصلية فى الانسان . وبدون توجيه قد ينقلب هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف ،كما وقع ذلك بالنسبة الى الشعور الدينى غير الموجه فى أكثر مراحل التاريخ . وبدون سلوك موجه ومعمق ، قد يزول هذا الشعور ولايعود الارتباط حقيقة فاعلة فى حياة الانسان وقادرة على تفجير طاقاته وامكاناته الصالحة (٣).

"والدين الذى طرح شعار (لا اله الا الله) ودمج فيه بين الرفض والاثبات معا هو الموجه والعبادات هى التى تقوم بدور التعميق لذلك الشعور ، لانها تعبير عملى وتطبيقى لغريزة الايمان ،وبها تنمو هذه الغريزة وتترسخ فى حياة الانسان .

وقد نجحت هذه العبادات فى المجال التطبيقى فى تربية اجيال من المؤمنين ،على يد النبى (ص) والقادة الابرار من بعده ، الذين جسدت

---

(١) سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية - دراسات فى فلسفة التربية القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨١ - ص ٨٢
(٢) حسان محمد حسان : فلسفة التربية - المصدر السابق - ص ٤٧ .
(٣) محمد باقر الصدر : موجز فى أصول الدين - مرجع سابق - ص ٨٨ .

صلاتهم فى نفوسهم رفض كل قوى الشر وهوانها . . . " (١) .

" والعبادات تقوم بدور كبير فى هذه التربية الضرورية ، لانها . . . أعمال يقوم بها الانسان من أجل الله سبحانه وتعالى . . . فالعمل فى سبيل الله ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعا، وتدريب نفسى وروحى مستمر على ذلك . . . ولهذا اهتم الاسلام بالتربية على القصد الموضوعى وربط بين قيمة العمل ودوافعه " (٢) . " ومن هنا جاءت الشريعة ووزعت العبادات على مختلف حقول الحياة وحثت على الممارسة العبادية " (٣) .

مشكلة البحث :

تتحدد أبعاد المشكلة وتتبلور معالمها بالسؤال التالى :

اذا كان للشيعة الامامية اتجاههم الفكرى ، الذى يتمثل فى الاركان الخمسة (التوحيد - النبوة - العدل - الامامة - المعاد) فالى أى حد نجحوا أيضا فى ابراز معالم تربوية تتفق وهذا الاتجاه الفكرى ؟ . ويترتب على ذلك طرح تساؤلات فرعية مثل :

١ - ما المؤثرات التى لعبت دورا فعالا على ما ساقوه من آراء تربوية واجتهادات فلسفية ؟ .
٢ - ما المعالم العامة للاتجاه المذهبى لدى الشيعة الامامية ؟
٣ - ما موقف الشيعة الامامية من بعض قضايا التربية والتعليم؟
٤ - الى أى حد استطاعت آراؤهم أن تجد سبلا للتطبيق فى الواقع التعليمى الاسلامى ؟ .
٥ - الى أى حد أثرت آراء الشيعة الامامية فى الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية؟ وما موقف مفكرى الاسلام من هذه الاراء ؟ .

أهمية البحث :

تشكل المساحة الزمنية التى يشغلها المفكرون على خريطة التاريخ مقدار ما يحتلونه من أهمية ، وكذلك مدى التأثير على مجرى الاحداث وحركة التاريخ. والدارس لتطور المجتمع الاسلامى يستطيع أن يستنبط تلك الحقيقة القائلة بأن الشيعة الامامية قد تواجدوا طوال التاريخ الاسلامى وفى كثير من المجتمعات.

(١) المصدر السابق : ص ٨٨، ٨٩.
(٢) المصدر السابق : ص ٩١، ٩٢.
(٣) المصدر السابق : ص ١٠٠.

بل أسسوا دولا كبرى أبرزها دولة الفاطميين فى مصر مما يظهر لنا ضرورة دراسة الاسس الفكرية التى قاموا عليها والاراء والجهود التربوية التى صدرت عنهم.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث ما يلى :

١ - الحد الزمنى :
أما من حيث الزمن فيكون البحث مقتصرا على الفترة ما بين ظهور الشيعة الامامية حتى اواخر القرن الخامس الهجرى .

٢ - الحد الموضوعى :
أما من حيث الموضوع فيشمل الاراء الفلسفية والتربوية عند الشيعة الامامية وخاصة من خلال اقوال وأفعال أئمتهم دون أن نتناول وجهة النظر الاخرى التى لاترى ما يرون ولا تتجه وجهتهم لان ذلك يخرج البحث عن نطاقه،كما أنه يحتاج الى بحث آخر مستقل ،وبطبيعة الحال ،فان ما يراه فريق لايلزم من لايسير على نفس طريقه .

منهج البحث :

يتبع فى هذه الدراسة المنهج التاريخى باعتباره المنهج الذى يرجع اليه فى تحليل ظروف العصر ، كما يبرز الاتجاهات السياسية والاجتماعية والثقافية والخلقية للمجتمع الاسلامى فى ذلك العصر ومدى تأثيرها على الفكر الشيعى الامامى .

كما أن دراسة الاراء والافكار التربوية لدى الشيعة الامامية تحتاج الى تحليل وتصنيف والخروج بتعميمات وذلك عن طريق استقراء واستنباط مما يحتم الاستعانة بالمنهج الفلسفى التحليلى .

بالاضافة الى أن الادلةالتى يعرضها الفكر الشيعى من خلال نصوص القرآن الكريم ، اعتمدت على مراجع التفسير لدى أهل السنة فى ضخ المزيد من القناعة فى الاجواء المنطقية لأى حوار أو مناقشة فى هذا المجال . مع الاعتماد على أقوال الصحابة الذين عاصروا ظاهرة التشيع من مصادر سنية معتمدة وذلك أقوى للاقناع فى مقام الاثبات ، لان الظاهرة التى ينكرها البعض اذا توافرت لديه الادلة المقنعة لاثباتها من طرقه كانت نصا يجب الاخذ بها والتسليم بمدلولها .

وهناك وجهان لاثبات ظاهرة التشيع ،أحدهما يشير الى واقع وجودية الظاهرةالتى يكون الباحث بصدد بحثها فى كتب أهل السنة . وهى أدلة على الواقع الحقيقى الذى تعيشه الظاهرة ،والوجه الاخر هو الظاهرة كما هى من خلال موءلفات أتباعها . وعلى سبيل المثال : أدلة العقائد التى يتمسك بها الشيعة فى كتب أهل السنة وموءشراتها من خلال موءلفاتهم ، ثم واقع تلك العقائد فى موءلفات الشيعة أنفسهم . ان الادلة الظاهرة فى كتب أهل السنة هى لمحات ومنافذ وأدلة لاصول العقيدة واثباتها واثبات صحة متابعة تلك الاصول .

ان تأصيل ودراسة نشأة التشيع فى الاسلام بين كل من الصياغات النصية للسنة النبوية ،وشرح القرآن الكريم وتفسيره ،وروايات التاريخ وما يكتنفها من مشاكل ومهمات يستوجب تسليط الاضواء عليها فى محاولة لتحقيق واثبات هذه الظاهرة، واثباتها لابد أن يوءخذ من مصادر سنية لتكون أدل على اثبات هذه الظاهرة من المصادر الشيعية . ولهذا يكون الغرض فى تحديد مهمة الاستيعاب وعملية بناء الاطار الفكرى السليم لمهمة التأصيل قائمة على المنهج العلمى السليم. وبالتالى يكون المنطق العلمى أحد عناصر دراسة هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة . ويكون الدافع هو التوجه السليم لتحقيق مبادىء الالتزام المترابطة لهذا البحث . وهى محاولة البلوغ الى الواقع من أيسر طرقه وأسلمها . وهى لا تتضح عادة الا بعد عرض مختلف وجهات النظر فيها وتقييمها على أساس موضوعى.(١)

ان التنكر لكثير من النصوص التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية من بعض الباحثين ، ومحاولة توهينها ،أدى الى ذهاب الكثير من الحقائق ومخالفة الشريعة الاسلامية بعد وفاة النبى (ص) . كما كان للحكام الامويين والعباسيين بعد ذلك آثار فى طمس معالم التاريخ ،والفكر الاسلامى الصحيح ، وذلك بسبب موقفهم من العلويين والشيعة ، وموقف العلويين والشيعة منهم - كذلك احساسهم وتخوفهم من هذا الواقع ،واختلاف المسلمين بعضهم مع بعض وفى جوانب من نصوص الشريعة بالذات ،والتى تتمثل فى السنة النبوية وشرح القرآن

(١) انظر حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - وأيضا :شرف الدين المراجعات - مرجع سابق - وأيضا :القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق . وغيرها من المصادر الشيعية التى تثبت ظاهرة التشيع ،حيث استدلوا على ثبوتها من مصادر سنية .

وتفسيره وروايات التاريخ هو دليل على ظهور الممارسات الخاطئة حينذاك (١) .

" ان كبار العلماء يتصفون دائما بالاخلاص العقلى ، وهم يتبعون الحقيقة حيثما تقودهم.انهم لايكفون أبدا عن محاولة استبدال رغباتهم الخاصة بالحقائق، كما أنهم لا يحاولون اخفاء هذه الحقائق عندما تثير لهم المتاعب . ذلك لان على الشخص الذى يتلهف على تأمل الحقيقة أن يوطد دعائم السلام فى قرارة نفسه" (٢).

القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة :

من سمات الفكر الشيعى القول بالاجتهاد ،ففى نطاق الفكر التربوى الاسلامى ، وفى حدود دراستنا التربوية للفكر الشيعى ،لايمكن التخلى عن فكرة أهمية المجتهد ومسئوليته فى بناء وتوجيه المجتمع فى سعيه للعمل والمعرفة .

ان الحكمة من وجوب الاقتداء بالمجتهد الحى دون الميت ،هى لغرض مطابقة الفتاوى والحلول ظروف العصر والاطار العام الذى يحيط به ،والذى يمكن للمجتهد أن يدركه ويفتى على ضوئه. وبالتالى تحديد فاعلية الرأى الاجتهادى ادراكا للواقع المعاش ،ولهذا فان من خصائص كون المجتهد من الاحياء هى امكانية الرجوع اليه فى أية مسألة من المسائل التى تتعلق بالمكلف وتنظيم سلوكياته الدينية والدنيوية ،والاستفسار منه عن أصولها ومصادرها ، فهو المسئول عن اسناد الاجابة الى النص ،كما أنه المسئول عن واقع البناء الاجتماعى وتربية الافراد (٣) .

ان الهدف الذى تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به هو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة ،لان التطبيق لايمكن أن يتحقق مالم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها ، ولكى ندرك أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الاسلامية للحياة . أحدهما تطبيق نظرية الاجتهاد فى المجال الفردى وبالقدر الذى يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته،

(١) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ٥٨ .
(٢) الكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد بيروت - مؤسسة المعارف - ١٩٧٧ - ص ١٦١ .
(٣) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ٠ص ١٩٤ - ١٩٥ وأيضا محمد تقى الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن - بيروت دار الاندلس - ١٩٦٣ - ص ٠ ص ٦٤٩ - ٦٥٠ .

والاخرى تطبيق النظرية فى المجال الاجتماعى واقامة حياة الجماعة البشرية على اساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية و سياسية .

وحركة الاجتهاد من حيث المبدأ ومن الناحية النظرية تستهدف كلا مجالى التطبيق ،لانها سواء فى حساب العقيدة . فالمجتهد خلال عملية الاستنباط للحكم الشرعى يتمثل فى ذهنه صورة الفرد المسلم الذى يريد أن يطبق النظرية الاسلامية للحياة على سلوكه ، وفى هذا المجال ،فان المجتهد لايتمثل صورة المجتمع الذى يحاول أن ينشىء حياته وعلاقاته على أساس الاسلام . لان التخصيص فى الهدف فى مجاله الفردى الذى مر به الاجتهاد فى عصوره الاولى - له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية - فان حركة الاجتهاد عند الشيعة قاستمنذ ولدت تقريبا عزلا سياسيا عن المجالات الاجتماعية للفقه الاسلامى نتيجة لارتباط الحكم فى العصور الاسلامية المختلفة وفى أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة ،وهذا العزل السياسى أدى تدريجيا الى تقليص نطاق الهدف وقصره على الهدف الفردى الذى تعمل حركة الاجتهاد عند الشيعة لحسابه (١) .

وقد كان من نتائج ترسخ النظرة الفردية قيام اتجاه عام فى الفقة الشيعى يحاول دائما حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الدافع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الاشكال . فنظام الصيرفة القائم على أساس الربا مثلا بوصفه جزءا من الدافع الاجتماعى فى المعاش يجعل الفقيه يحس بأن الفرد المسلم يعانى مشكلة تحديد موقفه من التعامل مع مصارف الربا ، ويتجه البحث عنده لحل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تقديم مشروع للواقع المعاش بدلا عن الاحساس بان نظام الصيرفة الربوى يعتبر مشكلة فى حياة الجماعة ككل (٢) .

ان الانكماش الموضوعى يزول والامتداد العمودى الذى يعبر عن الدراسة العالية من الدقة التى وصل اليها الفكر العلمى سيتحول فى سيره الى الامتداد الافقى ليستوعب كل مجالات الحياة ، وسوف يتحول الاتجاه نحو تبرير التعامل مع الواقع الفاسد ،الى اتجاه جهادى نحو تغيير الواقع وتقديم البديل الفكرى

---

(١) محمد باقر الصدر : الاجتهاد - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية بيروت - دار التعارف - المجلد الاول - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - جـ ٣ - ص ٣٢٠

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣٠

الكامل من وجهة نظر الاسلام ، كما يمحى فى مفهوم حركة الاجتهاد أى تصـــور ضيق للشريعة ويزول من الذهنية الفقهية وتزول كل آثاره وانعكاساته على البحث الفقهى والاصولى . وهذا الهدف الاجتماعى للاجتهاد يستهدف تقديم الاســلام ككل ، ويعتبر رسالته هو توعية الامة على ضرورة تطبيقه فى كل مجالات الحياة (١) .

ان ما يسير المجتهد فى عملية الاداء والعطاء بسخاء هو الاستعداد للاداء والعطاء ، وليس ما يضعه الاخرون من قواعد وأصول . ولهذا فالمذهب ينمـــو بثلاثة عوامل كما ذكرها أبو زهرة :

أولها : أن يكون باب الاجتهاد مفتوحا ، فان ذلك يفتح باب الدراســة لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وعلاجها من الشريعة بما يناسبها من غير تجاوز لحد النصوص . . واننا نعتقد أن المذهب الجعفرى - أى الشيعى - من الناحية الفقهية قد فتح فيه هذا الباب للدراسة ، وهو بهذا صالح للنمـــو المستمر الذى لا يتخلف مادام المجتهدون فيه ملتزمين الجادة والطريقة المستقيمة واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ثانيهما : من عوامل النمو صلاحيته لعلاج المشاكل المختلفة بالموروث مـــن الفقه والبناء عليه ، وهى كثرة الاقوال فى المذهب واتساع الصدر للاختـــلاف مادام كل مجتهد يلتزم المنهاج المسنون ، ويطلب الغاية التى يتغياها ممـــن يريد محض الشرع الاسلامى خالصا غير مشوب بأى شائبة من هوى . وان الاقـوال فى المذهب الجعفرى كثيرة ، وقد رويت فيه روايات كثيرة ، وقد وضعوا نظمـــا للتعارض ولم يهدموا رواية برواية ، بل أن الطوسى شيخ الطائفة فى القـــرن الخامس الهجرى يقرر أنه اذا لم يكن الجمع بين خبرين ، وكلا الخبرين روى بروا ه ثقات يكون فى المذهب قولان ، يجوز العمل بأى واحد منهما - وان كثرة الاقـوال بلا ريب من شأنها أن تجعل تطبيق المذهب مرنا .

ثالثهما : تفرق الاقاليم التى انتشر فيها المذهب وتباين عاداتهـــم ، وتفكيرهم وبيئاتهم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، فان المذهـــب اذا تعددت الطبائع التى يعالجها استفاد اتساعا ونموا مادام لا يخرج عـــن الاصل المرسوم والغاية المنشودة . . . وان المذهب الجعفرى قد انتشر فـــى اقاليم مختلفة الالوان من الصين الى بحر الظلمات حيث أوربا وما حولها ، . . . . فانه . . عالج مشاكل كل هذا العدد .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٤ .

وأضاف أبو زهرة عاملا رابعا من عوامل نمو المذهب الشيعى هو كثرة العلماء الذين يتصدون للبحث والدراسة وعلاج المشاكل المختلفة،وقد أتى الله ذلك المذهب من هؤلاء عددا وفيرا ،عكفوا على دراسته وعلاج المشاكل على مقتضاه (١) .

هذا ما قرره أبو زهرة من نمو المذهب الشيعى نتيجة فتحهم لباب الاجتهاد "ومهما يكن من قول بمنع الاجتهاد فمن الحق أن نعلم أن عمل السياسة فيه كان أقوى وافعل من عمل الدين وبواعث العقيدة أو الشريعة،وهذه مسألة لها خطرها فى هذا البحث عن فريضة التفكير فى الاسلام" (٢) . يقول الدكتور سعيد اسماعيل على : " فعوامل التفكك كانت قد بدأت تظهر اثارها فى الدولة ، وأساليب الاستبداد والاستغلال بدأت تشيع شيوعا واضحا ، ولاجل أن يبرر الحكام أساليبهم استطاعوا أن يشتروا بعض الفقهاء ليبرروا ما يفعلون ،فذهب هؤلاء الى أن عهد الاجتهاد والرأى قد ولى ، وما على الانسان الا أن يقلب فى صفحات ما كتبه السابقون ، بل انهم انتهوا الى نتيجة تخالف قواعد المنهج وروح الاسلام ،اذ كان اعتمادهم على اراء فقهاء سابقين أكثر من اعتمادهم على القرآن والسنة "(٣) . والظاهر أن السياسة فى ذلك العصر كانت تخشى من العلماء ذوى الاصالة فى الرأى والاستقامة فى السلوك ، وهم لايهادنون على ظلم ولا يصبرون على مفارقة ، ولهذا أرادت قطع الطريق على تكوين أمثالهم باماتة الحركة الفكرية من أساسها ، وذلك بسدها لاهم منبع من منابعها الاصيلة وهو الاجتهاد (٤) .

يقول شرف الدين :" وما الذى ارتج باب الاجتهاد فى وجوه المسلمين بعد أن كان فى القرون الثلاثة مفتوحا على مصراعيه ؟ لولا الخلود الى العجز

---

(١) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - حياته وعصره ،آراؤه وفقهه - القاهرة دار الفكر العربى - بدون تاريخ - ص ٥٤١ - ٥٤٢ .

(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - ط ٦ - القاهرة - دار نهضة مصر - بدون تاريخ - ص ٩٤ .

(٣) سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية - دراسات فى فلسفة التربية مرجع سابق - ص ٨٩ .

(٤) محمد تقى الحكيم : الاجتهاد - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق جـ ٣ - ص ١٤ .

والاطمئنان الى الكسل والرضا بالحرمان ، والقناعة بالجهل ، ومن الذى يرضى لنفسه أن يكون قائلا بأن الله عز وجل لم يبعث أفضل أنبيائه ورسله بأفضل أديانه وشرائعه ولم ينزل عليه أفضل كتبه وصحفه ، بأفضل حكمه ونواميسه ، ولم يكمل له الدين ، ولم يتم عليه النعمة . . . الا لينتهى الامر فى ذلك كله الى أئمة تلك المذاهب فيحتكروه لانفسهم ، ويمنعوا من الوصول الى شيىء منه عن طريق غيرهم ، كلا بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورعاته ، وحاشا دعاة العلم أن يوصدوا بابه أو يصدوا عن سبيله ، وما كانوا ليعتقلوا العقول والافهام ، ولا ليسملوا أنظار الأنام ، ولا ليجعلوا على القلوب أكنة . . . . " (١) .

فالشيعة الامامية فتحوا باب الاجتهاد ولم يغلقوه ، بل فتحه لهم أئمتهم ومنعوهم من اغلاقه ، ولهذا يروون عنهم روايات تنهى عن التقليد ، ومادام النهى عن التقليد ثابتا عندهم فان اغلاق باب الاجتهاد ممنوع (٢) . " فاذا كان الامام الصادق ينهى عن التقليد فذلك متفق مع روح العصر . . . ولذلك . . ان نسبة النهى عن التقليد الى الامام الصادق لامرية فيها " كما يقول أبو زهرة (٣).

والاجتهاد هو النظر فى الادلة الشرعية لتحصيل معرفة الاحكام الفرعية التى جاء بها النبى (ص) وهى لاتتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والاحوال ، " حلال محمد حلال الى يوم القيامه ، وحرامه حرام الى يوم القيامة" . والادلة الشرعية عند الشيعة هى الكتاب الكريم والسنة النبوية والاجماع والعقل . وتحصيل رتبة الاجتهاد يحتاج الى كثير من المعارف والعلوم التى لاتتهيأ الا لمن جد واجتهد وفرغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها (٤) .

اذن فالمجتهد ليس العالم الذى يجهد نفسه فى استنباط الحكم الشرعى ، وانما هو من أجهد نفسه وبذل وسعه فترة زمنية طويلة بالبحث والدراسة والتمحيص ، وحصل على ملكة القدرة على استنباط الحكم وابداء الرأى فى المسائل التى اجتهد فى بحثها .

---

(١) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - مرجع سابق - ص ٣٤ .
(٢) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٥٣٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٩١ .
(٤) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص١٤ .

فطالب الاجتهاد يجب أن تتوفر فيه الشروط اللازمة المتعلقة بمجـــالات الاستفادة لكى تحصل له القدرة على الاستنباط منها :

أن تكون له خبرة لغوية توءهله لان يفهم موارد الكلمات ويوءرخ لها علـــى أساس زمنى ليتمكن من أن يضعها فى مواضعها الطبيعية لها- ويفهمها على وفـق ما كانوا يفهمون من معانيها فى زمنها .

ولا يشترط فيه أن يكون مستحضرا لمعانى جميع ما ورد فى الكتاب أو السنـة من الالفاظ اللغوية . قال الشهيد الثانى :"... وبالتفصيل أن يعلم من اللغـة ومعانى الالفاظ العرفية ما يتوقف عليه استنباط الاحكام من الكتاب والسنة ولو بالرجوع الى الكتب المعتمدة ويدخل فى ذلك معرفة النحو والتصريف ومن الكتاب قـــدر ما يتعلق بالاحكام بأن يكون عالما بمواقعها ويتمكن عند الحاجة من الرجوع اليهـا ولو فى كتب الاستدلال ، ومن السنة الاحاديث المتعلقة بالاحكام بأن يكـــون عنده من الاصول المصححة ما يجمعها وما يعرف موقع كل باب بحيث يتمكن مـــن الرجوع اليها وأن يعلم أحوال الرواة فى الجرح والتعديل... وأن يكون عالمـا بالمطالب الاصولية من الاحكام ... وهو أهم العلوم للمجتهد ... ولابد أن يكون ذلك بطريق الاستدلال على كل أصل منها لما فيها من الاختلاف .. وأن يعـرف شرائط البرهان لامتناع الاستدلال بدونه ... وأن يكون له ملكة مستقيمة وقـــوة ادراك يقتدر بها على اقتناص الفروع من الاصل ورد الجزئيات الى قواعدهـــا والترجيح فى موضع التعارض ...." (١) .

وقد قسم الشيعة الاجتهاد من حيث الطريقة أوالحجية بالذاتيـــة والجعل الشرعى الى قسمين :

١ - الاجتهاد العقلي : ويراد به ،ما كانت الطريقة أو الحجية الثابتـــة لمصادره عقلية محضة غير قابلة لجعل الشارع ،وينتظم فى هذا القسم كلما أفـاد العلم الوجدانى بمدلوله، كالمستقلات العقلية ،وقواعد لزوم دفع الضرر المحتمـل وشغل الذمة اليقينى يستدعى فراغا يقينيا ، وقبح العقاب بلا بيان وغيرهـــا .

---

(١) جمال الدين أبو منصور الشهيد الثانى : معالم الدين وملاذ المجتهدين طهران - المكتبة العلمية الاسلامية - ١٣٧٨ هـ - ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، . وايضا محمد تقى الحكيم : الاجتهاد - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابـــق جـ ٣ - ص ٨ .

ويتوقف الاجتهاد العقلى على خبرة بالقواعد الفلسفية والمنطقية ، خصوصا الاقيسة التى ترتكز عليها تلك القواعد بمختلف أشكالها ،لان فيها وفى بقية قواعد المنطق - كما يقال - العصمة عن الخطأ فى الفكر ، بشرط أن يتعرف عليها من منابعها السليمة فى أمثال معاهد النجف الاشرف ،وهى من المعاهد الاسلاميةالتى عنيت بالدراسات المنطقية والفلسفية ،وادخال الاصلاحات عليها لامما يؤخذ ويترجم عن الغرب فى العصر الحديث ،لكثرة ما فيها من الخلط فى المفاهيم ،وتحميلها لوازم غريبة ينشأ أكثرها من عدم فهم لقسم من المصطلحات وتحديد مداليلها بكل ما حفلت به من قيود وشروط .

٢ - الاجتهاد الشرعى : ويراد به كل ما احتاج الى جعل أو امضاء لطريقته أو حجيته من قبل الشرع ،ويدخل ضمن هذا القسم : الاجماع والقياسوالاستصلاح والاستحسان والعرف والاستصحاب وغيرها من مباحث الحجج والاصول العملية مما يكشف عن الحكم الشرعى أو الوظيفة المجعولة من قبل الشارع عند عدم اكتشافه .

أما الاجتهاد الشرعى ،فهو متوقف على الاحاطة بعدة خبرات ،وهى مختلفة باختلاف تلك الطرق المجعولة أو الممضاة من قبل الشارع، فبالنسبة الى الطرق غير المقطوعة أسانيد أو دلالة أو هما معا لابد من الحاجة الى عدة خبرات يتصل بعضها بتحقيق النص وصحة نسبته الى قائله ، ويتصل بكيفيات الاستفادة من النص فى مجالات التماس الحكم أوالوظيفة منه بعد تصحيح نسبته (١) .

وصفوة القول ،ان مسئولية المجتهد لاتنحصر فى دراسة النصوص، واستنباط الحلول لاى حكم شرعى مستجد ،وانما التفاعل مع أى واقع لغرض رسم صورة شاملة له ،والتحرك نحو الاطار النظرى والعملى وبناء منطق معين يطابق النصوص الواردة فى القرآن والسنة وتوجيه ذلك المنطق توجيها عمليا ونظريا لضمان أداء واجب المسئولية دون أى ركون أو جمود لاى واقع أو ظروف معارضة لاداء واجب الحكم بما أنزل الله سبحانه تخليا عن المسئولية سواء له أو للاخرين. بالاضافة الى أن الاجتهاد فى الشريعة لايقتصر على العبادات ،وانما يستوجب

---

(١) محمد تقى الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن - مرجع سابق - ص ، ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

الرجوع " أفرادا أو جماعات ، حكاما أو محكومين فى نظر الشيعة" الى العلمـــــاء المجتهدين فى كل القضايا ، سياسية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، وغيرها ، لانهـم أدرى بأحكامها فى خطواتها العريضة ، وينبغى الا تتعارض أية ممارسة دينيـــة أو دنيوية مع أحكامهم(١) .

الدراسات السابقة :

من سمات المعرفة الانسانية أنها معرفة تراكمية لاتقف عند حد ، فكـــل خطوة يخطوها باحث جديد لاتبدأ من فراغ ، وانما تبدأ من حيث انتهى اليـــه جهد السابقين ، ليضيف اليها جديدا ، وبهذا يحدث النمو وتزداد المعرفـــة الانسانية .

والدراسة الحالية لاتزعم أنها سوف تأتى بما لم تأت به الاوائل ، فقـــد سبقتها جهود وان كانت قليلة ، ولكنها تثير الانتباه لدى الباحثين ، وهذه الجهود تمثلت فى الدراسات السابقة الاتية :

١ - دراسة لتاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهـــدى الصادق والطوسى - بحث قدم للحصول على درجة دكتوراه فى الفلسفـــة اعداد عبد الله فياض - الجامعة الامريكية - بيروت - ١٩٦٦ .

تحديد المشكلة : حاول هذا البحث أن يدرس تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة فى الفترة الواقعة بين عهدى الصادق ت ١٤٨ - والطوسى ت ٤٦٠ هـ وتعتبر هذه الدراسة الاولى من نوعها للتربية عند الشيعة الامامية بحسب المنهـج التاريخى العلمى - كما يراه صاحب الدراسة - ومن هنا يمكن تحديد مشكلـــة البحث : بأن الامامية قديمون فى التاريخ الاسلامى ، ولهم علماء وأئمة قاموا بنشـــر العلم والثقافة بين شيعتهم ، وكان لهم طرائقهم ومناهجهم فى ذلك ، وعلى هـذا لابد أن خلفوا تراثا تربويا ، بالاضافة الى عدم وجود من تصدى للبحث عن التربية وقضاياها عندهم . ومن هنا حاول هذا البحث أن يتناول النظام التربوى عنـــد الامامية .

---

(١) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ١٦٨ .

منهج البحث : استعانت هذه الدراسة بالمنهج التاريخى ، وذلك لما يقتضيه البحث من حيث الفترة التى تناولتها . وكان من الطبيعى أيضا أن تستعين بالمنهج الفلسفى التحليلى عند تتبعها للاراء والقضايا التربوية لتستنبط منها بعض التعميمات وتطبيقها فى مجال التربية .

خطوات الدراسة : سارت الدراسة وفق الخطوات التالية :

الفصل الاول : خصص هذا الفصل للبحث عن العوامل المؤثرة فى توجيه التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة . أهمها ، اعتقاد الامامية بأن ائمتهم محيطون بالعلوم الالهية ، وأن النبى كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، فنتج من ذلك أن ما أخذ عنهم كان بمثابة ما أخذ عن النبى .

الفصل الثانى : تناول هذا الفصل امكنة التعليم عند الامامية . وكانت المساجد ، بما فيها تلك التى احتوت على ترب الائمة ، ومنازل العلماء أهم تلك الامكنة .

الفصل الثالث : خصص هذا الفصل للبحث عن كل ما يتعلق بالمعلمين . وأوكل التعليم الاولى للمعلم ، كما تناول معلمى العلوم ، وعلى رأسهم الامام المعصوم والشيخ والمدرس ، كما عالج هذا الفصل دور كل هؤلاء فى التعليم.

الفصل الرابع: تناول هذا الفصل حياة الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم ومراكزهم الاجتماعية .

الفصل الخامس: خصص هذا الفصل للبحث فى أساليب التعليم ومناهجه .

الفصل السادس: يبحث هذا الفصل فى تمويل التعليم.

وللرسالة ملحقان : احد هما عن المشاهد الشريفة عند الامامية ، بينما تناول الثانى نبذا عن حياة الائمة المعصومين .

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج ، أهمها : أن النظام التربوى عند الامامية فرع من نظام تربوى اسلامى عام ، ولكن له ميزاته التى تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الاخرى . فالامامية رغم اعتقادهم أن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من

منابعهما . ونتج عن هذا الاختلاف فى الاعتقاد بين الامامية ، وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن . فالرحلة فى طلب العلم ، خاصة فى عصر الائمة ، اتخذت عند الامامية طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهى عندهم تحقق غرضا دينيا اماميا فى طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمى . فالطالب الامامى يرحل للقاء الامام ليأخذ الحديث من مصدره الذى لاشك فى قوله .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

لاشك أن الجهد الذى قام به الباحث فى الكشف عن اراء الشيعة فى التربية قد أعان البحث الحالى فى الوقوف على بعض تلك القضايا التربوية . الا أن وجه الاختلاف بين الدراستين ، يكشف على أن الدراسة السابقة اقتصرت على الفترة الواقعة بين عهدى الصادق والطوسى ، مقتصرا على قضايا تربوية وطرق تعليمية تجعل من استقراء الواقع التعليمى هدفا اساسيا ، أما الدراسة الحالية فتعتمد على الفكر التربوى عند الشيعة من حيث فلسفتهم التربوية واراؤهم فى التربية والتعليم من حين نشأتهم حتى أواخر القرن الخامس الهجرى وبهذا فان دراستنا ذات طابع فكرى فلسفى . كما تناولت الدراسة الحالية لاهم المراكز العلمية عندهم ومدى أثرهم فى الفكر والثقافة الاسلامية . ولهذا فالمحتوى لهذه الدراسة الحالية يختلف عن محتوى الدراسة السابقة ، وان التقيا فى بعض الجوانب الجزئية .

٢ - دراسة الشيخ الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسن - ٣٨٥ هـ - ٤٦٠هـ - بحث قدم للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى من جامعة بغداد - ١٩٧٤ .

تحديد المشكلة : حاول البحث صياغة المشكلة على ضوء الحركة العلمية التى عاشها الشيخ الطوسى . وقد جاءت هذه المحاولة على صورة تقرير وهى : ان تاريخ الشخصيات العلمية هو فى الواقع جانب مهم من تاريخ الامة ، ودراسة أحوالهم وافكارهم تصوير لروح عصرهم وانعكاس للحياة السياسية والفكرية والاجتماعية التى كانت سائدة فى زمانهم . ومن هنا كان اختيار هذه الدراسة لابراز جانب مهم من تاريخنا الاسلامى الذى كان للشيخ الطوسى فضل الاسهام به طيلة حياته العلمية ، فقد تميز بعقلية وافرة ، وذهنية واسعة ، وتمثل لمختلف فروع المعرفة

الاسلامية فى زمنه . ولهذا حاول البحث دراسة هذه الشخصية ومدى أثرهـــــا على الفكر الاسلامى .

أهميته : كان القرن الخامس الهجرى ،عصر انهيار سياسى بالنسبة الى بغداد ، عاصمة الخلافة العباسية ،ولكنه كان فى الوقت ذاته عصر نضج فكرى ،احتضنـــت فيه هذه المدينة نخبة صالحة من كبار المفكرين ،وشيوخ المحدثين ،وأماثل العلماء والمتكلمين ،وكان الشيخ الطوسى أحد الافذاذ الذين ظهروا فى ذلك القـــرن غير أن المكتبة العربية لاتزال فى حاجة ماسة الى دراسات مركزة عنهم ،تتمثل بهم ، اصالة تراثنا الفكرى .

منهج البحث : استعان البحث بالمنهج التاريخى .

خطوات الدراسة : تنتظم هذه الدراسة فى ستة فصول :

الفصل الاول : تناول هذا الفصل عصر الشيخ الطوسى ،وهو عصر مهم فى تاريـــخ العراق السياسى والفكرى ،تعاقب فيه على الحكم البويهيون والسلاجقة ،فى ظـل الخلافة العباسية ، وبحكم ما كان بينهما من تباين بارز فى الثقافة والعقيـــدة فقد كان الصراع المذهبى سمة ذلك العصر ،مما خلق فى حياة الامة ومرافق الدولة آثارا واضحة .

الفصل الثانى : تناول هذاالفصل حياة الشيخ الطوسى العلمية فى بغـــداد والنجف ، وانجازاته الفكرية ،فى عهد استاذيه : الشيخ المفيدوالسيد المرتضى وفى عهد زعامته الدينية .

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل دراسة شيوخه وتلاميذه ،كما تعرض الـــى طائفة من الاعلام الذين كانت لهم روابط علمية وفكرية بالشيخ الطوسى ،والتعريـف بمدى اسهامهم الفكرى ، كل فى ميدان اختصاصه .

الفصل الرابع : خصص هذاالفصل لدراسة كتاب " التبيان" الذى يعتبر مـــن امهات كتب التفسير ،وهو موسوعة شاملة لفروع المعرفة الاسلامية .

الفصل الخامس : فى هذا الفصل دراسة لمصنفات الشيخ الطوسى ، توضـــح منهجه فيها واصالته فى الرأى ،وتعدد جوانب ثقافته .

الفصل السادس: خصص هذا الفصل لوفاته ومدفنه ، وذكر خلفه .

نتائج البحث: وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج مثل :

١ - تميز الشيخ الطوسى عن معاصريه من قادة الفكر ، خصوصا فى مجالات اختصاصه ، بالاضافة الى موسوعيته التى أتاحت له الاسهام فى أكثر أبواب العلوم والمعارف الاسلامية المتداولة فى عصره .

٢ - اعتراف الخلافة العباسية به رسميا ، وقدم اليه كرسى الكلام ليدرس عليه معارف عصره ، مما جعل مجلسه محط أنظار طلاب العلم من كافة المذاهب الاسلامية .

٣ - مواصلة نشاطه العلمى بعد مغادرته بغداد ، واتخاذ مدينة النجف الاشرف دار هجرته ، ومواصلة نشاطه العلمى هناك حيث أسس مدرسة علمية اسلامية ، كما يعتبر مجيئه الى النجف نقطة تحول بارزة فى تاريخها العلمى ، مما جعلها محط أنظار العلماء والدارسين ، ولا تزال معالمها حية حتى الوقت الحاضر .

٤ - تزعم الشيخ الطوسى للحركة العلمية فى زمنه .

٥ - أحدث الشيخ الطوسى بنشاطه العلمى الواسع ردود فعل مختلفة فى الاوساط المخالفة له فى الرأى والمنهج ، مما كان له نتائج طيبة فى اغناء الاجواء العلمية . كما ألف فى مختلف العلوم والمعارف .

الصلة بينها وبين الدراسة الحالية:

وبما أن هذه الدراسة تناولت شخصية شيعية ، الا أن موضوعها ومحتواها يختلفان عن محتوى الدراسة الحالية وموضوعها ، ومع ذلك ، فان الدراسة السابقة لها أثرها فى الفكر والثقافة الاسلامية مما لا يستغنى عنها فى بعض الجوانب الفكرية ، مما أفاد الباحث فى ابراز شخصية الطوسى ومدرسته .

٣ - دراسة لفلسفة التربية عند اخوان الصفاء - دراسة للحصول على درجة الماجستير - اعداد نادية جمال الدين - كلية التربية - عين شمس - ١٩٧٣ .

تحديد المشكلة: حدد الباحث المشكلة بالصياغة التالية : ان جماعة اخوان الصفاء التى اتجه البحث الى تحليل فكرهم التربوى والتاريخ له تعتبر فى حد ذاتها مشكلة بالنسبة للباحث ، فرغم وجود نتاج فكرهم كوثائق ثابتة ومصادر أصلية

بين أيدى الباحثين ،الا أنهم لم يحددوا زمانهم ولا مكانهم ولا أشخاصهم كما أن المصادر التاريخية المتعددة لم تحمل الا القليل عنهم ،وكان أن اعتمد بعض الباحثين على هذه الوثائق والمصادر وحدها فجاءت نتائجهم مختلفة الى حد كبير بل ومتضاربة .

منهج البحث : يعالج هذا البحث مشكلاته فى ضوء المنهج التاريخى .

خطوات البحث: انقسمت الدراسة الى مقدمة تمهيديةوثلاثة أبواب ،ضم كل منها عددا من الفصول :

الباب الاول : اخوان الصفاء فى اطار مجتمعهم .
الفصل الاول : مجتمع اخوان الصفاء .
الفصل الثانى: حقيقة اخوان الصفاء .
الباب الثانى : الاسس الفلسفية للتربية عند اخوان الصفاء .
الفصل الثالث: الله والكون والانسان .
الفصل الرابع : الاخلاق والمعرفة .
الفصل الخامس: المجتمع ونواة دولة الخير .
الباب الثالث : التربية عند اخوان الصفاء .
الفصل السادس: التربية : ماهيتها ، أهدافها ، أسسها .
الفصل السابع : المنهج وطرق التدريس .
الفصل الثامن : المتعلمون والمعلمون .

نتائج البحث: وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج مثل :

١ - تحديد معالم النسق الفكرى الفلسفى لديهم والذى يبرز فيه أساسا موقفهم من الديانات والفلسفات والاراء المختلفة ،وانتخابهم منها ما يتلائم مع أهدافهم.

٢ - محاولة التوفيق بين آرائهم وبين ما أتى به الدين الاسلامى فى مجال المعرفة .

٣ - ان هدف التربية عند اخوان الصفاء ارتبط بفكرهم الفلسفى حيث جاء متسقا مع طريقتهم فى المزج والتوفيق بين الدين الاسلامى الذى آمنوا به وبين الفلسفة أو العلوم الوافدة .

٤ - ان فكر اخوان الصفاء التربوى لا يمكن تسميته " تربية اسلامية" بالصورة المقصودة من التربية الاسلامية الاصيلة بالفعل ، بل أنهم جماعة من الفلاسفة المسلمين عاشوا فى القرن الرابع الهجرى ، فخرجوا بتربية ذات أهداف ومنهج وطريقة ومبادىء متسقة مع فكرهم الفلسفى التوفيقى نتيجة تأثرهم بثقافة عصرهم المتدفقة بلا حدود أو قيود . وعلى هذا فهم لا يمثلون - من وجهة نظر البحث - التربية الاسلامية بقدر ما يمثلون نموذجا من نماذج الفكر التربوى لدى جماعة من الفلاسفة المسلمين .

٥ - كما توصل البحث الى بعض المبادىء التربوية التى تبين معالم فلسفتهم التربوية ، مثل : طلب العلم فريضة ، تعليم العلم فريضة أيضا ، طلب العلم مستمر حتى سن الخمسين ، أهمية الميول وأثرها فى اقبال التلاميذ على تعلم علوم دون غيرها ، التعليم عندهم يبدأ من الحواس .

علاقته بالدراسة الحالية :

بالرغم من أن هذه الدراسة قد تناولت فلسفة التربية عند جماعة من الشيعة ، الا أن الرؤية بين هذه الدراسة والدراسة الحالية مختلفة . بالاضافة الى أن الدراسة الحالية اعتمدت على آراء أئمة الشيعة وشيوخهم البارزين فى تاريخ الفكر الشيعى . كما وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة من حيث فترة الدراسة ، وأماكن التعليم - ومراكزه وأثرها فى الفكر والثقافة الاسلامية .

٤ - دراسة العقل عند الشيعة - دراسة للحصول على درجة دكتوراه فى أصول التشريع الاسلامى - اعداد رشدى محمد عرسان عليان - كلية الشريعة والقانون - جامعة الازهر - ١٩٧١ .

تحديد المشكلة : يعتبر العقل أحد مدارك الاحكام الشرعية عند علماء الشيعة بالاضافة الى الكتاب والسنة والاجماع ، وعلى هذا يمكن تحديد المشكلة بالسؤال التالى : ما أوجه الالتقاء والاختلاف بين المذاهب الاسلامية فى جعلهم العقل أحد الادلة لمعرفة الحكم الشرعى .

منهج البحث : أما منهج البحث فقد كان قائما على أساس المنهج المقارن ، اضافة الى المنهج الفلسفى التحليلى ، لان الدراسة قائمة على استقراء اراء الاصوليين على اختلاف مدارسهم الفكرية فيه . كما اتبعت المنهج التاريخى .

خطوات الدراسة : انقسمت الدراسة الى مدخل وثلاثة مباحث .

المبحث الاول : فى أدلة الاحكام عند أهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول (ص) حتى عصر أئمة الاجتهاد .

المبحث الثانى : فى أدلة الاحكام الشرعية عند الشيعة الامامية فى عصرى النص والاجتهاد .

المبحث الثالث : فى التعريف بالعقل من حيث هو ، وموقف المذاهب الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ، ثم التعريف بالعقل الذى هو دليل على الاحكام الشرعية عند الامامية .

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج اهمها :

١ - ان جمهور المجتهدين من أهل السنة والامامية اتفقوا على أن أدلة الاحكام الشرعية أربعة . ولا خلاف بينهم فى ماهية الدليل الاول ولا فى حجيته - فهو كتاب الله تعالى المنزل على الرسول الامين (ص) .

٢ - فى الحسن والقبح والنزاع يقع فى أصلين : الاول فى اتصاف الفعل بهما : أى هل للفعل من حيث هو فعل - مع قطع النظر عن تعلق خطاب الشارع به - جهات حسن أو قبح ، خير أو شر ، فضيلة أو رذيلة أولا ؟ وانما تعلق خطاب الشارع بالفعل ، وان شئت فقل أمره ونهيه معيار حسن الفعل وقبحه ، فما تعلق به أمره - تعالى - فهو حسن ، وما تعلق به نهيه فهو قبيح . الى الثانى ذهب جمهور الاشاعرة ، والى الاول ذهبت الامامية والمعتزلة والزيدية والماتريدية - " وهو الحق " .

علاقته بالدراسة الحالية :

نستطيع أن نقول هنا ما سبق أن قلناه عن الدراسة السابقة ، وذلك لاختلاف الدراستين فى المحتوى .

خطوات الدراسة :

هذا وقد سارت الدراسة وفقا للخطوات التالية :

الفصل الاول : الاطار العام للدراسة . وقد تناول : المقدمة ، نشأة التشيع ، أهمية بحث الجانب التربوى عند الشيعة ، التركيب العقائدى للتربية ، مشكلة البحث ، وأهميته ، حدوده ، منهجه ، كما تناول القول بالاجتهاد باعتباره سمة من سمات

الفكر الشيعى ، الدراسات السابقة ،وأخيرا خطة البحث .

الفصل الثانى : الاصول الاجتماعية والفلسفية :

وقد تناول هذا الفصل :

أولا : الاصول الاجتماعية : وتشمل :

١ - الظروف التى صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعى .

العصر الاول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .

العصر الثانى: العصر الامـوى

سياسة الامويين تجاه الشيعة وأثرها فى انتشار التشيع .

العصر الثالث: العصر العباسى .

٢ - فرق خارجة عن التشيـع:

ثانيا : الاصول الفلسفية : وتشمل :

الاصل الاول : التوحيـد .

وحدة الذات والصفاتمن منظور الشيعة الامامية .

الاصل الثانى: النبـوة .

حاجة الناس الى النبـــى .

عقيدة الشيعة فى نبوة محمد (ص) .

القول فى عصمة الانبياء .

الاصل الثالث: العدل.

١ - فى حرية الارادة الانسانية أو " القضاء والقدر" وموقف التربية منها .

٢ - فى الحسن والقبح أو " الخير والشر ".

الاصل الرابـع: الامامة .

الاصل الخامس: المعـاد .

الفصل الثالث: فلسفة التربية من منظور الشيعة . ويتضمن :

أولا : الطبيعة الانسانية .

ثانيا : العلم والعلمـــاء.

ثالثا : المعرفة الانسانيـــة .

رابعا : النزعةالعقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة .

خامسا : تكافوء الفرص فى التعليم

سادسا : التربية الخلقيـــة .

سابعا : الاسرة ودورها فى تربية الطفل .

ثامنـــا : التعليم المهنى .

الفصل الرابع: مناهج وطرق التعليم . ويشمل :

أولا : مناهج التعليم .

ثانيا : مراحل التعليم .

ثالثا : طرق التعليـــم .

رابعا : المعلمون والتلاميـــذ .

الحالة الاجتماعية للمعلمين .

أخذ الاجرة على التعليم .

الفصل الخامس: أهم المراكز العلمية عند الشيعة . ويتضمن :

أولا : المدينة المنـــورة .

ثانيا : العـــراق .

ثالثا : بنو حمدان فى حلب والموصل .

رابعا : قم والرى فى ايران .

خامسا : الادارسة فى المغرب والاندلس .

سادسا : الدولة الفاطمية فى مصر .

الفصل السادس: مؤسسات التعليم عند الشيعة : ويشمل :

١ - المكتب أو الكتاب .

٢ - المسجد .

٣ - منازل العلماء والامراء .

٤ - مجالس العلم والعلماء .

٥ - دور العلم .

٦ - دور الكتب .

٧ - المدارس .

الفصل السابع: أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة فى العالم الاسلامـــى والذى يبرر كتابة هذا الفصل ،هو النتائج المترتبة على التربية عند الشيعـــة ولهذا يشمل هذا الفصل على العلوم التى أوجدها الشيعة فى الفكر والثقافـــة الاسلاميـة .

الفصل الثانـــــــى

" الاصول الاجتماعية والفلسفيـــــــــــــة "

أولا : الاصول الاجتماعيـة :

١ - الظروف التى صاحبت التشيعوموقف الشيعة من التغيير الاجتماعى :

العصر الاول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .

العصر الثانى : العصر الاموى

سياسة الامويين تجاه الشيعة وأثرها فى انتشار التشيع.

العصر الثالث : العصر العباسى .

٢ - فرق خارجة عن التشيـع .

الأصول الاجتماعية والفلسفية :

تستلزم دراسة الفكر التربوى عند الشيعة تحليل ظروف واتجاهات العصر الذى عاشوا فيه ، وهذا يقتضى منا الايماء الى الحياة السياسية والاجتماعية لتكون مرجعا فى الزمان يساعد على تحديد الاراء والافكار والاشخاص فى سجل التاريخ والاحداث ، لان الحياة كل لايتجزأ فى ذهن الانسان ، فهو يعيش متأثرا بالسياسة والمظاهر الاجتماعية ، كما يعيش متأثرا بالتيارات العقلية ، ومن وجهة أخرى فان الحياة العقلية والادبية لاتنفصل عن الاحوال السياسية ، فكلا الحياتين تؤثر احداهما فى الاخرى .

ولما كانت التربية تتأثر بالاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبتأثير الثقافات المختلفة ، فان من الطبيعى أن تهتم بدراسة هذه الاوضاع والمؤثرات ، لكى تختار من بينها تصورا يحدد مستقبل المجتمع الذى تعمل فيه . ومن هنا يكون دور الفلسفة تحليل هذه الاوضاع ونقدها ، لتكون عملية الاختيار قائمة على أسس علمية ، تستمد أصولها من طبيعة المجتمع الذى ينتمى اليه الفرد . ولذا كانت حاجة التربية الى الفلسفة فى تحديد الاطار العام الذى تعمل فيه ، حيث أن التربية تعالج الفرد داخل هذا الاطار . وعلى هذا لابد أن يكون عمل التربية قائما على مفاهيم واضحة بشأن كل من الفرد والمجتمع ، وبالقيم التى يسعى اليها المجتمع ، ونوع النظام السياسى والاقتصادى الذى يحقق هذه القيم ويحولها الى سلوك الافراد (١) .

---

(١) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال دراسات فلسفية - تصدير ابراهيم مدكور - القاهرة - دار الثقافة - ١٩٧٩ - ص ١٠٢ .

١ - الظروف التي صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعي :

العصر الاول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه :

لعل أصعب ما يواجه الباحث المؤرخ هو أن يضع خطا حاسما يفصل بين مرحلتين تاريخيتين لمجتمع ما ، فان تحول المجتمع من حالةالى أخرى بطيء وتدريجى ولذلك فمن العسير تعيين وحدة زمنية والقول بأنها خاتمة عهد وبداية عهد جديد .

وهذه هى الصعوبة التى نواجهها هنا حين نبغى وضع تحديد زمانى دقيق للمرحلة التاريخية التى بدأت الامة المسلمة تشهد فيها الانحراف الصريح عن مبادىء الاسلام ، ولكننا نستطيع أن نشهد هذا التحول واضحا منذ بداية النصف الثانى من عهد عثمان . ومن الطبيعى ،اذن ، أن تكون قد أعدت ومهدت سبيل الظهور لهذا التيار الجديد فى المجتمع أحداث وأشكال جديدة فى التنظيم - نشأ - هذا التيار - من تفاعلها مع ذهنية الفئات التى كانت تحكم المجتمع الاسلامى أنذاك وتقوده ، مما أدت الى مساهمتها فى التعجيل بظهور هذا التيار فى الحياة الاسلامية . ولهذا لابد من اكتشاف الظروف الاجتماعية والانسانية والسياسية التى مهدت لانتشار تيار التشيع . وموقف هذا التيار من التغيير الاجتماعى .

أما فى عصر الخليفتين أبى بكر وعمر (رض) فان الامام عليا وشيعته لما رأوا من الخليفتين ما بذلاه من الجهد فى نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا ،اغضى الامام على عما يراه حقا له ،محافظة على الاسلام أن تتصدع وحدته ، وتتفرق كلمته ويعود الناس الى جاهليتهم الاولى ، وبقى شيعته منضوين تحت جناحه ، ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور والانتشار ، لان الاسلام كان يجرى على منهاجه القويم[1] . ولهذا كان اسلوب الامام على وشيعته مع الخليفتين النصح والارشاد والمشورة ،فكانا يرجعان اليه فى القضايا التىتحدث لهما ان لم يجدا لها حلا ، سارعا بالرجوع اليه واستفتائه وأخذ الرأى منه بما يتفق والشريعة الاسلامية ، فلم تكن اذن معارضة

---

(١) محمد حسين ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق ص ،ص ٤٧ - ٤٨ .

من أحد ، مادام الاسلام يسير بصورته الطبيعية ، فاذا ما حدث أى تغيير أو تبديل أو عدم فهم للحكم الشرعى فى بعض القضايا التى تتعلق بأمور الدين ، وقف الامام على حائلا أمام هذا التغيير لئلا يتبدل حكم الله ، فترجع المسألة الى القاعدة الاساسية من الاسلام . ولهذا كان الامام مخلصا مع الخليفتين ، " ونصح لهما صادقا ، وأشار عليهما كلما احتاجا الى مشورته" (١) حتى أن الخليفتين أبا بكر وعمر وليا بعض شيعة على على الامصار ، علما منهما بان هؤلاء الذين انقطعوا فى ولائهم وحبهم لعلى لايريدون سوى اصلاح الامة . ولهذا سارت الامور على أحسن ما يكون ، ولم تحدث أى خلافات تشتت وحدة المسلمين . وفى ذلك يقول جولد تسيهر : " ان الحزب المناصر لال البيت قد شايع فى عهد الخلفاء الثلاثة الاول حقوق البيت النبوى فى الخلافة ، ملتزما الهدوء والسكينة ، ودون أن يدخل مع ذلك فى نزاع مكشوف للدفاع عنها" (٢) .

هذا وقد تغير موقف الشيعة بعد ما ولى عثمان الخلافة ، لانه سار على سياسة لم يعهدها المسلمون من قبل ولم يألفوها فى عصر من تقدمه من الخلفاء . اذ لم تكد الايام تتقدم بخلافته حتى أخذ يغدق الهبات الضخمة على اله وذويه وغيرهم من أعيان الصحابة فوق ما كان لهم من العطاء المفروض ، فهو فيما يروى ابن سعد قد وصل الزبير بن العوام بستمائة ألف دينار ووصل طلحة بمائتى ألف دينار ونزل له عن دين كان عنده (٣) . " . . ولوكانت هذه الهبات من أمواله الخاصة لما أثارت اعتراض أحد ولكنها كانت من بيت المال الذى يشترك فيه المسلمون جميعا" (٤) وحينئذ وجد الشيعة أن عثمان قد غير ما كان عليه النبى (ص) . وفى هذه الحالة يتحتم عليهم بمقتضى اسلوبهم ، الحفاظ على الشريعة من أن تمسها يد التغيير والتبديل ، ولهذا وجدت المناخات المناسبة لنمو

---

(١) طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - ط٦ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٦ - ص١٥٢ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام - مرجع سابق - ص١٧٤ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط ٢ - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨ - ص ٣٦٥ . وأيضا ابن خلدون : المقدمة - مطبعة مصطفى محمد بمصر - بدون تاريخ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ . وراجع سعيد اسماعيل على : نشأة التربية الاسلامية القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٨ - ص ٢٥ . وأيضا محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - مرجع سابق - ص ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٤) محمد مهدى شمس الدين : الظروف التى صاحبت ثورة الحسين - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٣٢

بذرة التشيع ، وقد استمرت هذه البذرة فى النمو كلما وجد المسلمون الظلم والتغيير والتبديل من قبل الحكام والولاه ، وموقف أئمة الشيعة من هؤلاء فى ابداء النصح لهم ووقوفهم بجانب المحرومين والمضطهدين ، ازدادوا تمسكا بهم ، " وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب" (١) .

لم يرض الامام على عن عثمان ، وعارض سياسته وتصرفاته ، وأكثر من نصحه دون جدوى (٢) . يقول على بن أبى طالب : " ما يريد عثمان أن ينصحه أحد، اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد الا وقد تسبب بطائفة من الارض يأكل خراجها ويذل أهلها" (٣) .

واستمر الامام على بن أبى طالب فى نصحه لعثمان وارشاده الى طريق الاسلام ومنهجه ، فيقول له :". . . وان الطريق لواضح وان أعلام الدين لقائمة ، اعلمها عثمان أن أفضل عباد الله عند الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة ، فوالله ان كلا لبين ، وان السنن لقائمة لها أعلام وان البدع لقائمة لها أعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة . . . وانى احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد أليم . . . " (٤) . و " مازال على عليه السلام من أكبر المساعدين لعثمان الذابين عنه ، ومازال عثمان يلجأ اليه فى وضع الناس عنه ، فيقوم عليه السلام فى دفعهم عنه القيام المحمود . . . " (٥) . وهكذا كان الامام على مرجعا يرجعون اليه فى الملمات ، وظل عثمان يتعلل بمختلف الاعذار ، لايستقر على رأى . وكان أحيانا يذعن لنصائح على ويعزم على اصلاح الامور . ومما قاله على لعثمان : ان معاوية يقتطع الامور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية . (٦) .

---

(١) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ط ٧ - القاهرة دار المعارف - ١٩٧٧ - جـ ١ - ص ٢٣٢ .

(٢) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام - القاهرة - النهضة المصرية بدون تاريخ - ص ٢٥٤ .

(٣) عبده حسن الزيات : الثورة الشعبية التى سبقت خلافة على - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٧ .

(٤) أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الاثير : الكامل فى التاريخ - ط ٣ - بيروت - دار الكتاب العربى - ١٩٨٠ - جـ ٣ - ص ٧٦ .

(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٧٢ .

(٦) عبده حسن الزيات : الثورة الشعبية التى سبقت خلافة على - مرجع سابق جـ ١ - ص ٨٧ .

وهنا يأتى دور الشيعة الاصلاحى لما أحدثه عثمان ، فيصوره الصحابى أبو ذر الغفارى بقوله :" والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هى فى كتاب الله ، ولا سنة نبيه ، والله انى لارى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا ، وأثرة بغير تقى ، ومالا مستأثرا به" (١) . ولهذا رأى أبو ذر أن يعلن ما بذره رسول الله ، وذلك بالدعوة الى التشيع والتمسك بحق أهل البيت، الذين هم حصن الاسلام ، وأخذ يدعو الناس الى ذلك (٢) .

بدأت معارضة أبى ذر الاصلاحية أولا بالنظام الاجتماعى . حاول بقدر المستطاع أن يغير من هذا الوضع الذى فشت فيه الطبقية ، كان يكره أن يغنى الغنى حتى يكتنز المال ، بينما لايجد الفقير ما ينفق . كما كان يكره أن يتصرف الامام بمال المسلمين فيقصره على الاغنياء بغير حق ، فيزداد الغنى ، ويزداد الفقير فقرا ، كان يرى أن يصرف هذا المال فى المصالح العامة ، وهو على كل هذه المعارضة لم يكن ثائرا ولا نازعا يدا من الطاعة . . . وانما كانت معارضته سلبية تكتفى بالنقد اللاذع والنصح العنيف . كما يقول الدكتور طه حسين (٣) .

فأبو ذر من الذين سبقوا الى الاسلام ، ومن الذين أحبهم النبى واثنى عليهم ، نظر ذات يوم فاذا عثمان يغدق بعطاياه بعض الصحابة بلاحساب ، فاعطى مروان بن الحكم مالا كثيرا ، وأعطى أخاه الحارث بن الحكم ثلثمائة ألف درهم ، كما أعطى زيد بن ثابت الانصارى مائة ألف درهم ، فينكر ذلك على عثمان ، ويحذره بآيات من القرآن ، بأن الذين يكنزون هذه الاموال ، ولا ينفقونها فى صلاح الامة واصلاحها فلهم عذاب أليم . نهاه عثمان عن ذلك ، فقال أبو ذر:" أينهانى عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله ، لان أرضى الله بسخط عثمان أحب الىّ من أن أرضى عثمان بسخط الله" . فما كان من عثمان الا أن أمر بنفيه الى الشام، وما أن استقر به المقام هناك حتى أخذ يظهر للناس ما وصلت اليه الامة الاسلامية من تفكك وانحراف عن التعاليم الاسلامية ، حيث جعل يقول فى الشام ما كان يقوله فى المدينة ، فانكر على معاوية بناء الخضراء ، وقال :ان كنت

---

(١) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية - ط ٢ - بيروت - دار القلم - ١٩٧٣ - ص ٢٣ .

(٢) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : تاريخ اليعقوبى - ط ٤ - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م - جـ ٢ - ص ١٥٩ . وانظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٠٣ .

(٣) طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - مرجع سابق - ص ١٦٥ .

انما بنيتها من مال المسلمين فهى الخيانة ، وان كنت انما بنيتها من مالك فانما هو السرف ، واجتمع اليه الناس يسمعون منه ويؤمنون له ، حتى خاف معاوية على أهل الشام من دعوة أبى ذر هذه ، فكتب يشكو منه الى عثمان . فأشخصه اليه على أغلظ مركب[١] . فلما بلغ المدينة مضى فى دعوته الاصلاحية ، فقعد فى مسجد رسول الله (ص) يحدث الناس بما صارت اليه الامة داعيا الى التمسك بأهل البيت والناس يجتمعون اليه . [٢] .

وكان أبو ذر يرى أن فكرة الحياة الانسانية هى الفضيلة والانسان هو الفاضل فقط . اذن فعلى الناس أن يشيعوا الفضيلة بينهم ، وأن يوفروا كل جهودهم على تحقيقها وانتهاج سنتها وأساليبها . وأما أولئك الذين يجمعون أكبر جهدهم وهمهم على متارف الحياة الناعمة وأسباب العيش الرغيد ، فهؤلاء عنده لايفضلون عن سائمات وجدت سبيل عيشها ، والانسان فى اعتباره اذا جمع همه على هذا فانه يتحول حيوانا فقط ميزته أنه أقدر على التحيل بما فيه من العقل . ولكى يكون الانسان انسانا كاملا لابد له من حياة أخرى مادتها الفضيلة ، والفضيلة فى نظره هى التجرد والعمل . ولهذا فالانسان يسير بالحياة دوما بالروح التى هى فكرة الحياة وغايتها وضميرها واخلاقيتها . وعلى هذا كان يوصى ويلح أن نعمل وان نتجرد أى نعمل ولا ندخر ، فحض بأقصى ما لديه من أسلوب على عدم الكنز[٣] .

هذا الموقف الاصلاحى من أبى ذر تجاه الواقع الاجتماعى ، ومحاولة تغييره ، أدى به الى النفى ، لان السلطة وعمالها لايريدون اصلاحا . "وأظهر عمار بن ياسر رقة لابى ذر وعطفا عليه ، فظن عثمان أنه انما يلومه على نفيه أباذر ، فغضب عليه وأمره أن يذهب هو أيضا الى الربذة منفيا . . . وغضب على وأقبل على عثمان فلامه ، فى نفى أبى ذر ، وطلب اليه أن يكف عن عمار . . حتى قال عثمان لعلى : ما أنت بأفضل من عمار ، وما أنت أقل استحقاقا للنفى منه . . . " [٤] .

---

(١) المصدر السابق : ص ، ص١٦٣ - ١٦٤ . وأيضا جولد تسيهر : العقيدة والشريعة - مرجع سابق - ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٢) تاريخ اليعقوبى : مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٥٩ .
(٣) عبده حسن الزيات : الثورة الشعبية - مرجع سابق - جـ ١ - ص.ص٨٦ ، ٨٧ .
(٤) طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - مرجع سابق - ص .ص ١٦٤ - ١٦٥ .

واستمر الموقف الاصلاحى يعبىء الجماهير ، وكان يتصدر الموقف على بن أبى طالب وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو ذر الغفارى ثم محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة ومالك الاشتر وغيرهم ممن يكونون الدعامات الشعبية أو ممن التقت مصالحهم مع الشعب ، يهاجمون سياسة عثمان ، ولكن الامر لم يكن سهلا ، فلقد ضرب الفساد فى كثير من الارجاء واختلطت القيم السامية بالاخلاق الوضعية ، واخترعت القصص لتجريح زعماء الشعب وضعف من ضعف من المناضلين (١) . فضرب عثمان عمار بن ياسر حتى غشى عليه ، ثم أخرج محمولا ، وظل مغشيا عليه سائر النهار ، فلما أفاق توضأ وصلى ، وقال : الحمد لله ، ليست هذه أول مرة أوذينا فيها فى الله (٢) .

أما موقف مالك الاشتر من التغيير الاجتماعى ، فهو لا يقل عن موقف من سبقه من شيعة على بن أبى طالب ، فقد جاء فى كتاب كتبه الى عثمان : " . . . فانّهَ نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين ، ونسمح لك بطاعتنا . وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنك الذى أردك فاراك الجور عدلا والباطل حقا . وأما محبتنا فان تنزع وتتوب وتستغفر الله من تجنيك على خيارنا ، وتسييرك صلحاءنا واخراجك ايانا من ديارنا ، وتوليتك الاحداث علينا . . . واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك اليه الهوى من أهل بيتك ان شاء الله . والسلام .

يقول الدكتور طه حسين : فأنت ترى أن الاشتر لم يخلع طاعة عثمان ولم ينكر امامته ، وانما اتهمه بالجور والانحراف عن السنة ونبذ القرآن وراء ظهره وتوليه الاحداث ، ونفى من نفى من المسلمين . قال الرواة : فلما قرأ عثمان هذا الكتاب . قال : اللهم انى تائب . . . . " (٣) .

وقد كانت هذه المواقف الاصلاحية لارجاع السلطة الى ما كانت عليه فى عصر الرسول (ص) والخليفتين تشيع فى المسلمين فينتظرون من عثمان أن يستجيب لها ، لانها كانت قائمة على ادراك حاجات المجتمع ، وكانت تعبيرا عن عدم رضا المسلمين عن السياسة التى كانوا يساسون بها . ولكنهم بدل ذلك كانوا يرون أن عثمان وآله قد نكلوا بهؤلاء ولم يستجيبوا الى شيىء مما دعوا اليه .

---

(١) عبده حسن الزيات : الثورة الشعبية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٩٦ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : الامامة والسياسة ط ٣ - مطبعة مصطفى البابى بمصر - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م - جـ ١ - ص، ص ٣٢- ٣٣ . وأيضا طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - مرجع سابق - ص١٦٧ .

(٣) طه حسين : المصدر السابق - ص ١٢٩ - ١٣٠ .

وقد أثار موقفه هذا سخط عامة المسلمين ، فهؤلاء المعارضون لهذه السياسة من أعلام الصحابة وأركان الدعوة ، يمنعهم عثمان ويضطهدهم لدعائهم اياه الى الاصلاح ، فى الوقت الذى يسمع فيه من مروان بن الحكم وأشباهه من بنى أمية وأنصارهم من مسلمة الفتح الذين ليس لهم سابقة فى الاسلام ، وهؤلاء الداعون الى الاصلاح كانوا يعبرون عن ارادة جميع المسلمين الذين اذتهم سياسة عثمان فى كراماتهم وأرزاقهم ، دون الالتفات من عثمان الى أى نصح أو تحذير (١) .

والى جانب هذه المعارضة الصادقة المخلصة ، كانت توجد معارضة أخرى مدفوعة بأسباب مغايرة ، وتستهدف نتائج مغايرة . وقد رأى زعماء هذه المعارضة فى فساد الاوضاع العامة وشيوع التذمر والنقد فرصة يستغلونها لاستعجال نهاية عثمان التى تمكنهم من الوصول الى مآربهم ، فأخذوا يساهمون فى نشر روح التذمر وتعميقها . وقد مكن عثمان بسياسته الادارية لهذه الطائفة من معارضيه أسباب القوة والنفوذ ، وذلك حين أطلق لها أن تنمى ثرواتها الى أبعد مدى ، وحين أطلق لها أن تغادر المدينة الى البلاد المفتوحة حيث راح أفرادها يستكثرون لانفسهم من الاموال ، ويستكثرون من الاتباع ويمنون أنفسهم بالوصول الى الخلافة ويمنيهم بذلك أتباعهم وقبائلهم (٢) .

هذه الظروف ، وهذه الاجواء المشحونة بالاضطرابات والتفكك الاجتماعى هيأت الاجواء لانتشار التشيع ، فقد " كان لعلى شيعة فى العراق قبل توليه الخلافة ، وقبل أن يجعل الكوفة عاصمة لخلافته . وعندما استقر فى العراق بعد حرب الجمل كان ذلك من أقوى الاسباب لانتشار مذهب الشيعة فى هذا الاقليم وعلى الاخص فى عاصمته الكوفة . ولذا بذل معاوية وولاته كثيرا من الجهد فى سبيل القضاء عليه وعلى زعيمهم حجر بن عدى " (٣) . أما فى مصر فقد نشأت الشيعة ابتداء فى عهد عثمان اذ وجد الدعاة فيها أرضا خصبة ، وعمت العراق واتخذته لها مستقرا ومقاما (٤) .

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : ظروف ثورة الحسين - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣ ، وانظر طه حسين : عثمان - مرجع سابق - ص، ص ٧٦-١٠٩ .

(٣) على حسنى الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى - رسالة دكتوراه مطبوعة - كلية الاداب - جامعة القاهرة - القاهرة - دار المعارف ١٩٥٩ - ص ١٠٨ .

(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - القاهرة - دار الفكر العربى بدون تاريخ - ص ٣٥ .

يقول أبو زهرة :"ونما - أى المذهب الشيعى - وترعرع فى عهد " علـــــى" رضى الله عنه ،اذ كان كلما اختلط بالناس ازداد وا اعجابا بمواهبه ،وقوة دينـــه وعلمه ،فاستغل الدعاة ذلك الاعجاب ،وأخذوا ينشرون آراءهم فيه . . ولمـــــا اشتدت المظالم على أولاد على فى عهد الامويين ،وكثر نزول الاذى بهم ثـــارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رسول الله (ص) ،ورأى الناس فيهم شهداء الظلـــم فاتسع نطاق المذهب الشيعى وكثر أنصاره "(١) . بالاضافة الى ذلك فقد" وجـــد الموالى فى العراق من النبط والفرس وغيرهما فى ظل على مالم يحققه لهـــــم الامويون ،اذ كان يذهب الى المساواة بينهم وبين العرب فى الحقوق . فكـــان هذا كله سببا فى أن تصبح العراق وأن تصبح الكوفة بنوع خاص مركز التشيـــــع لعلى وآله" (٢) .

وقد أخذ الامام على ينشر مذهب التشيع ويدعو المسلمين للتمسك به وبأهـــل بيته ،لان الرشد فى اتباعهم ،ولهذا يقول :" ألا ان أبرار عترتى ،وأطايـــــب أرومتى ،أحلم الناس صغارا ،وأعلم الناس كبارا ،ألا وانا أهل بيت من علم اللـــــه عَلِمْنا ،وبحكم الله حكمنا ،ومن قول صادق سمعنـــا . وان تتبعوا آثارنا تهتـــد وا ببصائرنا ،وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا . معنا راية الحق ،من تبعهـــــا لحق ،ومن تأخر عنها غرق ،الا وان بنا ترد دبرة كل موءمن ، وبنا تخلـــــــع ربقة الذل من أعناقكم ،وبنا غنم ،وبنا فتح الله لابكم . وبنا يختم لابكم" (٣) .

ان هذا الاسلوب من الامام على هو الذى نمى التشيع حتى عم أكثر الاقطـار الاسلامية بعد أن كان بذرة بذرها رسول الله (ص) ،وظلت خفية فى قلوب أهـــل البيت ومن تابعهم فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر حفاظا على وحدة المسلميـــن ولما انحرف المنحرفون ظهرت هذه البذرة وترعرعت بفضل هوءلاء . يقول ال كاشف الغطاء : ". . . فلم يزل التشيع لعلى عليه السلام وأولاده بهذا وأمثاله ينمـــو ويسرى فى جميع الامة الاسلامية . . . خفيا وظاهرا ومستورا وبارزا . . . فكان بنـو أمية كلما ظلموا واستبدوا واستأثروا وتقاتلوا كان ذلك كخدمة منهم لاهل البيـــت

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٣ .
(٢) شوقى ضيف :التطور والتجديد فى الشعر الاموى - مرجع سابق - ص ،ص ٩١ - ٩٢ .
(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين- تحقيق عبد الســـلام محمد هارون - ط ٤ - مكتبة الخانجى بمصر - ١٩٧٥ - جـ ٢ - ص ٥٢ .

وترويجا لأمرهم وعطفا للقلوب عليهم ، وكلما شدد وا بالضغط على شيعتهم ومواليهم وأعلنوا على منابرهم سب على وكتمان فضائله وتحويرها الى مثالب انعكس الامر وصار " رد فعل " عليهم . . . " (١) .

" العصر الثاني : العصر الاموى " :

سياسة الامويين تجاه الشيعة وأثرها في انتشار التشيع :

ان أول عمل قام به الامويون بعد أن تولى معاوية الخلافة هو سن سب على بن أبى طالب على المنابر (٢) . فقد صدرت أوامره الى المغيرة بن شعبة بأن يسب عليا على المنابر ، ولا يتورع عن شتمه وذمه ، وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا لايدع ذم على والوقوع فيه . وكان هدف معاوية أن يبغض الكوفيين فى على ، (٣) ولهذا بدأ معاوية معركته مع العلويين وأنصارهم فقد أرسل الى عماله فى الافاق كتابا يحرضهم فيه بالتنكيل بهم وتشريدهم وقتلهم مالم يظهروا البراءة من الامام على والولاء للامويين ، وكان فيما كتب لعماله فى ذلك : " ان لايجيزوا لاحد من شيعة على ، الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة " وكتب أيضا :" من اتهمتموه فى موالاة هؤلاء القوم . فنكلوا به وهدموا داره " (٤) .

" جلس معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على" (٥) ، حتى شب ابناؤهم على التنقص منه ، " تنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير عليا رحمه الله . فقال له أبوه : والله ما بنى الناس شيئا قط الا هدمه الدين ، ولا بنى الدين شيئا فاستطاعت الدنيا هدمه ، ألم تر الى على كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه ؟ والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا الى السماء ، وما ترى ما يندبون به

(١) ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص .ص ٥٠-٥١ .
(٢) جعفر بن محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى - تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٢ - جـ ٥ - ص ١٦٨ . وأيضا أحمد بن عبد الله القلقشندى : مآثر الاناقة فى معالم الخلافة - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - مطبعة حكومة الكويت - ١٩٦٤ - جـ ١ - ص١٤٣ .
(٣) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى للهجرة القاهرة - دار الكتاب العربى - ١٩٦٨ - ص ،ص ٦٢-٦٥ .
(٤) محمد جواد فضل الله : حجر بن عدى الكندى - بيروت - دار التراث الاسلامى - ١٩٧٤ - ص ٨٠ .
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٠٥ .

موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنما يكشفون عن الجيف" (١) . كما تنقص ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير على بن أبى طالب ،فقال له أبوه :"لا تتنقصه يا بنى ،فان بنى مروان مازالوا يشتمونه ستين سنة فلم يزده الله الا رفعة ،وان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا ،وان الدنيا لم تبن شيئا الا عادت على ما بنت فهدمته " (٢) .

هذه السياسة من الامويين تجاه الشيعة ، كانت نتيجتها عكس ما كان يريدونه ،فقد كانت أوامر معاوية هذه ، سببا فى تحريك الجذوة الكامنة فى نفوسهم ، وكانت هذه اللعنات التى يصبها الامويون على علىّ ، زادت الجذوة اشتعالا ، فان الشيعة لم يرضهم أن يلعن علىّ على منابرها كل صباح وكل مساء ، فغضب له أحد شيعته المخلصين ، حجربن عدى الكندى ،وأعلن على الملأ غضبه وأخذ يتحدى سلطان الامويين ، فيؤخذ حجر وأصحابه ،ويبعث بهم الى معاوية ، فيأمر بقتلهم ان لم يتبرءوا من على ويلعنوه ،ولكنهم يقولون له : " ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا اليه" (٣) ثم يقدمون للقتل واحدا بعد الاخر (٤) .

كانت البراءة من على عند معاوية وولاته ،تعنى البراءة من رسالته ونهجه العملى فى الايمان والحق ،ويتمثل ذلك عنده باخضاع المتهمين بالولاء للامام لرقابة قاسية تعد عليهم أنفاسهم وتمنعهم من القيام بأى نشاط عملى أو اعلامى يكون فيه اظهار لفضل الامام أو أحد من أهل بيته ،ولهذا لم يملك معاوية القدرة على اقتلاع جذور الولاء المتأصلة فى أعماق المخلصين من أتباع على ،ولكنه يسعى جاهدا لفرض حصار مرهق من حولهم ،ليمنع من اتساع القاعدة الجماهيرية لهم مبدئيا . وقد سلك معاوية فى حربه هذه ، منهجا اعلاميا مضللا ،وألزم به العمال والولاه فى الافاق ،وهو بأن يعمد الى من يعرف عنه الولاء للامام فيأمره بارتقاء المنبر على مسمع من الجماهير ليتبرأ من الامام على ويشتمه ، مع علمه بأن ذلك لايعدو عن كونه أمرا ضروريا لايمس الواقع بشيىء . وبهذا يحاول

(١) المصدر السابق : ص ١٧٣ - ١٧٤ .
(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : عيون الاخبار- القاهرة دار الكتب - ١٩٢٨ - جـ٢-ص.ص١٨-١٩ . وانظر أيضا : عز الدين أبوحامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد : نهج البلاغة مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر - بدون تاريخ - جـ ١ - ص ٦ .
(٣) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص . ص ٦٤ ، ٦٥ .
(٤) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٧٦ .

أن يؤكد الحاجز النفسى الذى عمل على تركيزه ليفصل بين مشاعر العامة ، وبين على بن أبى طالب وأهل بيته ، وليظهر للعامة اتفاق الامة على البراءة من الامام ورسالته ، وقد اصطدم معاوية فى معركته هذه بكثير من الرؤساء والقادة الذين واجهوا دعوته لهم بالبراءة من الامام ولعنه . . بكل قوة وصلابة (١) . مما أدى الى شدة تمسكهم برسالة على ونشرها بين الناس . وأكثر الشعراء فى نشر فضائل هؤلاء القادة الذين باعوا دنياهم فى سبيل انقاذ الناس من الظلم والجور الذى طغى على الامة الاسلامية فى ذلك الوقت . فأصبح الشعراء وكأنهم مدرسة سيارة تظهر ما انطوى عليه هؤلاء (٢) .

أقبل معاوية على عبد الرحمن العنزى فقال : ايه يا أخا ربيعة ، ما قولك فى على ؟ قال : دعنى ولا تسألنى فانه خير لك ، قال : والله لا أدعك حتى تخبرنى عنه ، قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا ، ومن الامرين بالحق والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس" . ولما رأى معاوية منه هذا الموقف بعث به الى زياد فدفن حيا بقس الناطق (٣) .

وهذا الموقف من العنزى تتجلى فيه الروح التربوية التى كان يغذيها الامام على فى نفوس أصحابه وشيعته حتى أصبحوا أداة لتغيير الواقع الذى انتهى اليه فى هذا العصر ، مع التضحية والصمود . ولذا نلاحظ كلام العنزى لمعاوية المنطوى على أهم المفاهيم التربوية التى تؤدى الى تغيير السلوك لدى الحكام ، فهو يدعو معاوية وينبهه بأن عليا كان من الذاكرين لله كثيرا ليتعظ بذلك ، ويجعل خشية الله طريقه فى الحياة ، ثم قوله ، ومن الامرين بالحق ، والتربية تدعو الى الحق واقامة العدل ، وهذا ما قام به الشيعة ، ولاقوا من أجله ألوان العذاب والاضطهاد ، حتى أن زياد بن أبيه أراد أن يصفى حسابه مع العلويين ، فنفى من الشيعة من أهل الكوفة عددا كبيرا يبلغ الخمسين ألفا الى خراسان (٤) ومما لاشك فيه أن هذا العدد الضخم من الشيعة كان عاملا قويا فى نشر حركة التشيع فى خراسان (٥) .

(١) محمد جواد فضل الله : حجر بن عدى - مرجع سابق - ص ، ص. ٨٠-٨١ .
(٢) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٣) المصدر السابق : ص ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
(٤) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص ٦٥ .
(٥) Wellhausen: "The Arab Kingdom and its Fall" Translated from German by Margaret weir M.A. (Calcutta 1972) P.499.

وقد استغل ولاة معاوية هذا الموقف منه بالتنكيل بالشيعة أينما كانوا ، حتى أنهم استعملوا ولاة أشد بغضا لعلى وشيعته ، فأكثروا السب فى على على منابر الكوفة والرى (١) .

وتثير عذراءُ المشاعرَ الاسلامية العامة بمرارة ولوعة ، حيث كانت أول حدث مأساوى من نوعه تصطدم به ، ولم يقتصر ذلك على اتجاه معين ، بل اتحدت فيه جميع الاتجاهات السياسية والمبدئية المختلفة من المنطلقات الاسلامية العامة ، باعتبارها مأساة انسانية حزينة ، ارتكبها الحكم بلا مبرر انسانى أو أخلاقى مقبول . وفى ذلك قالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها : يا معاوية أقتلت حجرا وأصحابه ، فأين عزب حلمك عنهم . أما أنى سمعت رسول الله (ص) يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات ، قال : لم يحضرنى رجل رشيد يا أم المؤمنين . وروى أن معاوية كان يقول ما أعد نفسى حليما بعد قتلى حجرا وأصحاب حجر" (٢) . " قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول : يومى منك يا حجر يوم طويل " (٣) .

ويصف لنا الامام الحسين بن على ما قام به معاوية من التنكيل والقتل بالشيعة ، فى كتاب كتبه لمعاوية ردا على كتابه جاء فيه :". .ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين ، الذين كانوا يستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلما وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافا بعهده ، أولست بقاتل عمرو بن الحمق ، الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته . . .أولست المدعى زيادا فى الاسلام . . . ثم سلطته على أهل الاسلام ، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ، لكأنك لست من هذه الامة ، وليسوا منك . أولست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زياد أنه على دين على كرم الله وجهه ، ودين على هو دين ابن عمه (ص) . . . انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد . . واتق الله يا معاوية ، واعلم أن لله كتابا

---

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٠٧ . وأيضا تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٥ - ص ١٦٨ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢١٨، وأيضا تاريخ الطبرى مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٥٧ . وأيضا ابن الاثير : الكامل - مرجع سابق جـ ٣ - ص ٢٤٣ .

(٣) تاريخ الطبرى : المصدر السابق - ص ٢٥٧ . وأيضا ابن الاثير : المصدر السابق - ص ٢٤٣

لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة" (١) .

والشيعة لم يعلنوا الولاء بقلوبهم للامويين قط ، فرماهم معاوية فى خلافته بزياد بن أبيه ، فقضى على المعارضة أن تظهر ، ولكنه لم يستطع أن يقتلع جذور التشيع من النفوس(٢) . وفى ذلك يقول المدائنى :" ان زياد بن سمية كان يتتبع الشيعة فى الكوفة وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام على ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق به معروف . . . " (٣) .

فاذا كان هذا حال معاوية وعماله مع حلمه وطول أناته كما يقولون ، فكيف اذن الحال فى أيام عبد الملك مع شدته وفتكه ، " فرماهم بالحجاج فاشتد فى القمع ، وكلما اشتد قمعه اشتد المذهب الشيعى فى نفوس معتنقيه" (٤) . " فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا مائة وعشرين ألفا ، وهل يستبعد أن يكون فى حبسه عند موته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف أمرأة" (٥) . " منهن ستة عشر ألف مجردة ، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء ، وكان له غير ذلك من العذاب" (٦) . ولا ذنب لهم سوى تمسكهم بأهل البيت .

يقول الرحالة :" وقد اتفق لى قبل الانفصال عنها - أى واسط - انى لقيت فيها شيخا كان أبوه خادما عند الحجاج (حاسبه الله تعالى) فحدثنى من أخباره ما تنفطر منه الافئدة رحمة لاهل البيت وأصحابهم ، لانه كان يقتل منهم جزافا على التهمة الى أن بلغ عدد الذين قتلهم صبرا مائة ألف وعشرين ألفا ، وكان فى السجن عندما أهلكه الله أكثر من خمسين ألفا يرسفون فى سلاسل الحديد ، ولا ذنب لهم الا حبهم لاهل البيت" (٧) " حتى يروى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له شيعة على" (٨) .

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨١ .
(٢) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص٣٦ .
(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام - ط١٢ - القاهرة - دار الشباب للطباعة - ١٩٧٨ - ص ٢٧٥ .
(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص ٣٦ .
(٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - دار الهلال - ١٩٥٨ - جـ٤ - ص٥٩ .
وأيضا المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص.ص١٧٥-١٧٦
(٦) المسعودى : المصدر السابق - ص .ص ١٧٥ - ١٧٦ .
(٧) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - القاهرة - المطبعة الاميرية - ببولاق - ١٩٣٥ - ص١٦
(٨) أحمد أمين : فجر الاسلام - مرجع سابق - ص .ص ٢٧٤-٢٧٥ .

ومن الذين قتلهم الحجاج صبرا سعيد بن جبير التابعى ، الذى جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع[١] . بعث به الى الحجاج ، فقال له الحجاج : " ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، قال : بل أنت شقى بن كسير ، قال : بل كانت أمى أعلم باسمى منك ، قال : شقيت أمك وشقيت أنت ، قال : الغيب يعلمه غيرك ، قال : لابدلنك بالدنيا نارا تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك الها ، قال : فما قولك فى محمد ؟ قال : نبى الرحمة وامام الهدى ، قال : فما قولك فى على أهو فى الجنة أو فى النار؟ قال : لودخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها ، قال فما قولك فى الخلفاء؟ قال : لست عليهم بوكيل ، قال : فأيهم أعجب اليك ؟ قال : أرضاهم لخالقى ، قال : فأيهم أرضى للخالق ، قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، قال : أحب أن تصدقنى ، قال : ان لم أجبك لن أكذبك . . . " [٢] .

وتتجلى المواعظ التربوية فى هذه المواقف البطولية ، من هؤلاء القادة الذين امنوا برسالتهم ، حتى ولو أدى بهم الى الموت ، فكانت نفوسهم تأبى أن ترى الظلم من هؤلاء دون أن يقدموا التضحيات ، حيث يرون أصحابهم وشيعتهم صرعى بين أيدى هؤلاء ، فهذا التابعى الشيعى حينما قال له الحجاج: " ما تقول فى ؟ قال : ظهر منك جور فى حكم الله وجرأة على معاصى الله وقتل لاولياء الله ، قال : والله لاقطعنك عضوا عضوا" ، ولم يبال سعيد بتهديدات الحجاج ، لانه موءمن برسالة يجب عليه أن يوءديها ولو زهقت روحه ، فليس هو أولى ممن سبقوه الى الشهادة من شيعة على بسيف الحجاج ، فليكن هو واحدا منهم ، ولهذا يجيبه بصراحة فيقول له :" اذاً تفسد علىَّ دنياى وأفسد عليك اخرتك ، قال : فما تقول فى هذه الاموال التى نجمعها لامير الموءمنين ، قال :ان كنت جمعتها لتشترى بها نفسه يوم القيامة فقد أحسنت اليه ، والا فقد أوقرت ظهره وثقلت حسابه ، فقال : الويل لك ، قال : الويل لمن أخرج من الجنة وأدخل النار " [٣] .

---

(١) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط ١ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٤٨ - جـ ٢ - ص ١١٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١٤ . وأيضا تاريخ الطبرى : مرجع سابق جـ ٦ - ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٣) أبو الحسين ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٣٧ وأيضا ابن قتيبة : الامامةوالسياسة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص.ص٥٢ - ٥٣ .

وهكذا قتله الحجاج شر قتلة بعد أن قال له : اختر ياسعيد أى قتلة أقتلك ، قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لاتقتلنى قتله الا قتلك الله مثلها فى الاخرة . . . وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة ، بواسط ، ومات الحجاج بعده فى شهر رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله عز وجل بعده على قتل احد الى أن مات . . . وهذا ما دعا به سعيد بن جبير فقال : اللهم لاتسلطه على أحد يقتله بعدى" (١) وقال أحمد بن حنبل: "قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الارض أحد الا وهو مفتقر الى علمه" (٢). وكان الحجاج " اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله ، لم قتلتنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد بن جبير ، مالى ولسعيد بن جبير" (٣) . " . . كلما عزمت على النوم اخذ بحلقى " (٤) ، " . . . فاختلط عقل الحجاج لوقته ، وبقى قليلا ثم مات. . . " (٥) .

وهكذا تتابع القتل والتشريد بشيعة على ، وسار بنو أمية بعد معاوية على خطته ، وسار العلويون على خطة على فى الدفاع عن حق المسلمين ، فقضى العلويون معظم أيامهم خائفين شاردين ، ومات أكثرهم قتلا مع أنهم أهل تقوى ودين وحق . كما يقول جرجى زيدان وغيره (٦) . وأرادوا بذلك تحقير أمر على وشيعته وتأييدا لسلطانهم (٧) . " وكان مسلك الامويين دائما عنوانا للمخازى والفضائح فى نظر الاتقياء ، لانهم كانوا يضعون نصب أعينهم المصلحة الدنيوية للحكومة الاسلامية ويجعلونها فى المحل الاول ، بينما رأى الاتقياء تغليب المصلحة الدينية ، لانهم كانوا لايرون الحكومة الا أن تكون حكومة "تيوقراطية" كما يقول جولد تسيهر" (٨) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق جـ ٢ - ص، ص١١٤-١١٥ . - وأيضا المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٧٣ .
(٢) ابن خلكان : المصدر السابق - ص ١١٦ .
(٣) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٦- ص ٤٩١ - وأيضا المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٧٣ - وأيضا ابن خلكان : المصدر السابق - جـ ٢ - ص ١١٦ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٧٣ .
(٥) القلقشندى : مآثر الاناقة فى معالم الخلافة - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٣٧
(٦) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٦٤ .
(٧) المصدر السابق : ص ٩١ .
(٨) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام - مرجع سابق - ص ١٧٦ .

أما موقف الشيعة من يزيد بن معاوية فيقول الخربوطلى :" لم تعجب صفات يزيد الشخصية الشيعة ،فقد كان معظمهم يتصفون بالزهد والتقوى ، ورأوا أن الخلافة تسير من سيىء الى أسوأ . . . ورأت الشيعة أن كفاحهم ليزيد هو جهاد دينى ،وأن موقفهم منه هو نفس موقف الرسول من الكفار حينما قام بالدعوة الى الاسلام " (١) . ولهذا كتب الامام الحسين الى شيعته :" أما بعد فانى أدعوكم الى احياء معالم الحق واماتة البدع ،فان تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام " (٢) .

وكانت الصياغة المنطقية لثورة الحسين على يزيد تقتضى أن تقوم أولا بالاصلاح التغييرى لمجتمع انحرف عن الخط القويم ،وترك معايير الاسلام وأخلاقياته ، ومن ثم تأتى مرحلة الثورة . وهذه الصياغة ظهرت فى خطبته ،حيث يقول :" أما بعد ،فقد نزل من الامر بنا ما ترون ،وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ،ولم يبق منها الاصبابة الاناء ،وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ،الا ترون الى الحق لايعمل به ،والى الباطل لايتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله فانى لا أرى الموت الاسعادة ،والحياة مع الظالمين الا برما" (٣) ،وهذا يكشف عن طبيعة السلوك الذى اختطه الحسين لنفسه ولمن معه من الشيعة ،ولهذا أقبل عليهم بقوله :" أيها الناس ان رسول الله (ص) قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله (ص) يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان ،فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله . الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير. . . " (٤) .

ولكن استشهاد الحسين كان له مغزى مثالى كبير ،وتأثير عميق فى نفوس الشيعة فيما بعد (٥) . ولهذا استمر الشيعة بالعمل والدعوة الى مذهب أهل

---

(١)،(٢) على حسنى الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى - مرجع سابق ص ١١٢ - ١١٥ .

(٣) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٠٣ . وأيضا ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٨٠ . وأيضا جولد تسيهر : العقيدة والشريعة مرجع سابق - ص ٧٣ .

(٥) Wellhausen: The Arab Kingdom and its Fall, op.,Cit.P.147.

البيت والاخذ بثأر الحسين (١) ." فقد كانت دماء الحسين أكثر أثرا من دماء على فى نمو روح الشيعة وازدياد انصارها . . ." (٢) . و". . كان هذا الحادث البشع المنكر مذكيا للتشيع الى أقصى حد ، وكان عاملا على وحدة الشيعة وحماستهم لنصرة مذهبهم ، وسببا فى ثوراتهم الجارفة . . ." (٣) .

وظل الشيعة بعد ذلك يقودون الحركة التحررية الشعبية ممثلين الجماهير الاسلامية فى نقمتها وثورتها المكبوتة ، وكانت هذه الجماهير تعضد بشتى ضروب التعضيد كل حركة شيعية ، وكان يساندها كبار الفقهاء من مختلف المذاهب الاسلامية ، كما كانوا فى طليعة العاطفين على المعارضة الشيعية المؤيدين لها ، فمثلا نرى أنه عندما لم يجد زيد بن على بن الحسين بدا من اعلان ثورته على الحكم الاموى ، كان أول المؤيدين له الامام أبو حنيفة ، فأفتى بوجوب الخروج معه ، وكذلك فعل يوم قامت ثورة شيعية أخرى فى العهد العباسى بقيادة النفس الزكية ، فعضد أبو حنيفة هذه الثورة أيضا وحرض على الالتحاق بها وأمدها بالمال (٤) .

وكان السبب فى خروج زيد بن على على الحكام الامويين ما كان يعانيه المسلمون من ظلم الامويين ، وما لحق الشيعة من بطش وقتل وارهاب وتنكيل بالصلحاء والعلماء منهم . ولهذا كانت بيعة الناس لزيد بن على كما يصورها الطبرى ، الدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسمة الفيىء بين المسلمين بالسوية ، ورد المظالم (٥) . كل ذلك ، مما جعل زيد أن يخرج على الحاكمين ، لينقذ هؤلاء من جور الامويين . وحينما قتل بالمعركة ودفن ، أخرج من قبره وصلب ، وبعد ذلك أمر هشام بن عبد الملك بأن يحرق ، فأحرق ، ونسف رماده فى الفرات (٦) .

---

(١) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٥٢ .
(٢) على حسنى الخربوطلى : تاريخ العراق - مرجع سابق - ص ١٢٣ .
(٣) احمد محمد الحوفى : أدب السياسة - مرجع سابق - ص ٣٥ . وانظر حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤١٨ .
(٤) حسن الامين : عوامل تكوين المعارضة الشيعية - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨ .
(٥) تاريخ الطبرى : مرجع سابق - جـ ٨ - ص ٢٩٧ .
(٦) أبو الحسن الاشعرى على بن اسماعيل : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط ٢ - القاهرة - النهضة المصرية ١٩٦٩ - جـ ١ - ص ١٥٣ .

وخلاصة ما تقدم أن العصر الاموى كان بالنسبة للبيت النبوى عصر آلام نفسية ومع ذلك ، فكان الشيعة يزدادون قوة وصلابة ، وزاد مذهبهم انتشارا كلما قوبل به أبناء على من عنف الخلفاء الامويين الذين استطاعوا أن يقتلوا كل ثائر عليهم من العلويين حتى اضطر هؤلاء الى جعل دعوتهم سرية ، ونشطوا فى نشرها برغم ذلك نشاطا كان له أكبر الاثر فى تقويض الدولة الاموية وازالتها (١) . وهكذا زالت دولة بنى أمية وبدأت دولة بنى العباس ليرى الشيعة عهدا جديدا من الاضطهاد والتنكيل . ولهذا يقول أبو زهرة :" وان الشيعة كانوا منذ الحكم الاموى فى اضطهاد وأذى ، وأئمة ال البيت يحصى عليهم كل شيىء ، ومن دعا الى الحق منهم اعتورته السيوف ، وما كان يسوغ أن يسكتوا عن مظالم الامويين" (٢).

ونتيجة هذه الظروف التى توالت على الشيعة فى عصر الامويين ، استقرت أراؤهم الفكرية والعقائدية ، حتى نضجت فى عصر الامام الصادق ، وهو العصر الذى شهد صراعا بين الامويين وسقوطهم ، وبين العباسيين وقيام دولتهم ، فكانت فترة جديدة بالنسبة الى الشيعة ، لم يسلموا فيها من الاضطهاد .

العصر الثالث : " العصر العباسى":

ادرك أئمة الشيعة الحكم الاموى فى أقسى مظاهره وأعنف أشكاله ، ومنهم الامام الصادق ، الذى عاش فى أواخر تلك الفترة قبل أن تسقط الدولة الاموية على أيدى الثوار العباسيين بنى عمومته ، فكان الصادق يسمع بن الحين والاخر بما يجرى على شيعة ابائه من قتل وحبس وتشريد ، وبما يحل ببنى عمه وأهل بيته من القتل والصلب ، لا لشيى الا لانهم دعاة حق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبما حل بالامة كلها وهى تئن من ظلم الولاة وجورهم ، فاثر القيام بالثورة وقادها بنفسه على بنى أمية ، ولكن ثورته لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الانتفاضات التى كانت تحدث على أيدى أهل البيت ، بل كانت ثورة الصادق على المعاصى والمنكرات واشاعة حسن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس أجمعين . أراد الامام أن يحدث ثورة انقلابية ، يكون اساسها العلم والفكر ، لتغيير الواقع الاجتماعى وازالة الانحراف والطغيان ، كما أراد من أصحابه وشيعته أن يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس الى هذه الخصال

---

(١) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى - ط ١ - القاهرة الانجلو مصرية - ١٩٦٩ - ص ٥٠ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٤١ .

بأعمالهم قبل أقوالهم ، وكان يقول لهم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يقرب أجلا ولم يبعد أرزاقا ، ويعقب على ذلك بقوله : ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) .

فى تلك الساعة التى عاشها الصادق ، وهو يهيىء الاجواء الفكرية للثورة على الظلم ، طولب أن يبايع الى بعض أبناء عمه فأبى ، فاتهم بالحقد والحسد ، ولكنه لم يترك الساحة ، بل شمر عن ساعد الجد ، بعد أن رأى أن السلاح فى ذلك الوقت لا يحل مشكلة اجتماعية ولا يرفع ظلامة مظلوم ، فاندفع الى نشر المعارف والعلوم ، فوزع طلابه بعد أن درس نفسياتهم واتجاهاتهم وقابلياتهم ، فصرف قوما الى الفلسفة وآخرين الى المناظرة والمحاجة ، وقوما الى الفقه واخرين الى الكيمياء ، وهذا الى الطب ، وذلك الى رغبته من طلب العلم والى ما يهوى وبهذا أراد أن يحدث الانقلاب والثورة لا بحد السيف ، ولكن بالعلم والمعرفة فقد كان يرى أن لا ثورة مع الجهل ولا خنوع مع العلم ، انه يرتأى ان تتثقف الامة فتطالب بحقوقها حيث لا يقضى على الظلم والظالمين الا العلم ، لذا وجه الناس توجيها علميا (٢) .

بهذا أراد الصادق محاربة ظلم بنى أمية وبنى العباس ، حتى كان بين يديه أربعة الاف طالب كل يقول درست على جعفر . وبهؤلاء عزم الصادق على أن يقضى على المتزعمين ويدك سلطانهم ليعيد الحق الى نصابه والانسان الى حقوقه يتمتع بها كيف شاء وأنى يريد (٣) ." ولكن المنصور ما كان يستريح لالتفاف الناس حول الصادق فى كل مكان . فى المدينة حيث يقيم وفى العراق حيث يلم ليعلم الناس أو ليحاور الزنادقة والملحدين وأصحاب الاراء الذين يخالفونه فى أمور الدين" (٤) . لكل هذا الصدق والصفاء فى التعامل مع الحياة والناس والاشياء . التف الناس على اختلاف ارائهم حول الامام الصادق ، وكما كان الامويون يراقبون

---

(١) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - بيروت - دار التعارف للمطبوعات - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - جـ ٢ - ص ٢٤١ .

(٢) السيد محمد باقر الصدر : جعفر الصادق - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٩ .

(٤) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - أئمة الفقه التسعة - بيروت دار اقرأ - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - ص ٤٧ .

الناس من حوله بفزع . أخذ الخليفة العباسى المنصور يراقب الامام جعفر متوجسا من جيشان العواطف نحوه ، واعجاب الناس به . (١)

هذا الموقف من الامام الصادق ، والتفاف الناس حوله ، جعل المنصور يتعقب آل أبى طالب وشيعتهم ، فزج بهم السجون ، ومنهم من قتلهم على الظنة والتهمة ، وفى ذلك يقول ابن الاثير : " ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقى الكوفة . وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن - وكان أحسن الناس صورة - فقال له : أنت الديباج الاصغر ؟ قال : نعم : قال : لاقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حى فمات فيها . . " (٢) .

وكان بنو على تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم فى كل وقت ، وقصدهم اياهم دائما بشتى أنواع العذاب والعقاب ، فكانوا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب أن ينزل به عقاب بنى العباس ، ومع هذا الظلم ، فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى اقطارهم ، من الولاء لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه (٣) . وان ما لقيه العلويون من الاضطهاد فى عهد خلفاء بنى العباس الاولين ، لم يلقوا مثله من قبل (٤) .

فاذا كان بنو على يتصورون ظلم بنى أمية لهم ، لانهم أعداء على منذ أيام معاوية ، بل أعداء بنى هاشم منذ أيام أبى سفيان ، فانهم لم يكونوا يتصورون أن يأتيهم الظلم من قبل بنى العباس أبناء عمومتهم وذوى قرباهم. ومن هنا كانت اللوعة والمرارة التى فاضت بها نفوسهم ، وقد جرت بها لسان النفس الزكية فى عبارته أنه " ظلم ذوى القربى " (٥) . فكانوا يقسون أشد القسوة بهم وتقتيلهم وتحريقهم ، فقد ذكر أن المنصور أمر فحمل اليه من فى المدينة من علويين مقيدين بالسلاسل فحبسهم فى سجن مظلم لايتبين فيه ليل ولا نهار ، فاذا مات واحد منهم فى السجن ترك معهم ، ثم أمر بهدم السجن عليهم (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٦ .
(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٤ - ص. ص ٣٧٤-٣٧٥ .
(٣) تقى الدين أحمد بن على المقريزى : الخطط - طبعة بولاق - ١٢٧٠ هـ - جـ ٢ - ص ٢٠ .
(٤) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص ١٠٧ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٠٧ .
(٦) أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة فى العصر الاموى - مرجع سابق ص ٤٤ .

وقد تعقب المنصور كل من يتهم فى ميله الى العلويين ، فقضى على أبى مسلم الخراسانى الذى كان يتمتع على عهد السفاح ببعض الاحترام ، ولكن صانع الملوك حامت حوله الشبهات ، لما كان يضمره من ميل للعلويين ، فاتجهت اليه فى عهد المنصور تلك التهمة الممقوتة ، وهى تهمة الزندقة ، فقتل بها (١) . " . . وانما نكب . . أبو جعفر المنصور . . أبا مسلم ما كان من ميله مع أهل البيت وامداده اياهم بالرأى . . . " (٢) . وكان السبب فى هذا الاضطهاد لما يتصف به كبار أهل البيت من حسن السيرة وطهارة النفس وما يلقونه من احترام وتقدير ، كل ذلك كان يثير الحسد فى نفوس العباسيين ، ويحملهم على اضطهاد العلويين بين حين وآخر (٣) .ولما تقلد الرشيد الخلافة نكل بكل من يميل مع العلويين (٤) " ففتك الرشيد بالبرامكة الذين كانوا عماد دولته وصنعوا له الشهره التى استأثر بها لمجرد الاشتباه فى تآمرهم مع العلويين" (٥) . " وهكذا عفى الدهر هذه الاسرة التى كان لها أكبر الاثر فى تقدم الحضارة الاسلامية فى العلوم والاداب وفى الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها - كذلك ذهب الفضل بن سهل وزير المأمون ضحية ميله الى العلويين" (٦) .

وقد أصبح الرشيد يخاف العلويين أشد الخوف ، ويوقع بهم أشد أنواع العقاب ، كما كان يوقع هذا العقاب بكل من أتهم بالميل اليهم ، وقد وجد سعاة السوء سبيلا للايقاع بال البيت عند الرشيد ، وكان الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ضحية هؤلاء السعاة ، فقد وجد حساده والناقمون عليه سبيلا للايقاع به عند الرشيد ، واثارة مخاوفه من اعتقاد الناس بامامته ، حتى أخذوا يحملون اليه خمس أموالهم ، وأنه يعزم الخروج عليه مما أقلق باله ودفعه على التخلص منه (٧) . وعندما حج سنة ١٧٩ هـ ، ووصل الى المدينة قبض على موسى بن جعفر الصادق ، وحمله الى بغداد حيث حبس هناك ، ثم قتله الرشيد ، وأدخل عليه جماعة من العدول شهدوا أنه مات حتف أنفه (٨) .

---

(١) السيد أمير على : روح الاسلام - ترجمة أمين محمود الشريف - المطبعة النموذجية بالجماميز - ١٩٦٣ - جـ ٢ - ص . ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
(٢) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - مرجع سابق - ص. ٣ .
(٣) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٩٩ . وأيضا أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٨٩ .
(٥) السيد أمير على : المصدر السابق - ص١٩٩ .
(٦) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص١٧٣
(٧) المصدر السابق : ص . ص ١٥٣ - ١٥٤ .
(٨) المصدر السابق - ص ١٥٤ .

وقد فطن المأمون الى مغبة هذه السياسة التى سار عليها الخلفاء العباسيون فى معاملة العلويين وشيعتهم ،فولى عهده على بن موسى الامام الثامن للشيعة ،ولكن المأمون عدل عن ذلك قبل أن يدس السم له نهائيا ، عن فكرة تحويل الخلافة الى العلويين ،بعد أن ثار بنو العباس عليه وبايعوا ابراهيم ابن الخليفة بولاية العهد . (١) .

كان على بن موسى الرضا واسع العلم والمعرفة ،صحيح الفكر متزن العقل قيل لابى نواس: علام تركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمعن فيه؟ فقال : لا استطيع مدح امام كان جبريل خادما لابيه ،والله ما تركت ذلك الا اعظاما له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله :

قيل لى أنت أحسن الناس طرا ... فى فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدر فى يدى مجتنيه
فعلا ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح امام ... كان جبريل خادما لابيه

ثم أنشد :

مطهرون نقيات جيوبهم ... يجرى عليهم ثناء اينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فما له فى قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الاعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور(٢)

هذه الخصال التى تجمعت فى أئمة الشيعة نمت روح المحبة لهم من الجماهير ،وازداد التشيع مع مر الايام ،وكلما ازداد ظلم ال البيت ، ازداد الناس حبا لهم ،فرمى محبوهم وشيعتهم بالزندقة والخروج عن الدين ، كما رمى أكثر الشعراء ومنهم أبو نواس لحبه وتشيعه لاهل البيت . ولهذا مثلا اتهم البغدادى البرامكة فرماهم بالزندقة والميل الى مذهب المجوس(٣) . فالذى يميل الى التشيع أو الى العلويين يرمى بالزندقة ،فكيف اذا كان علوى الهوى والمذهب.

وحين تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ أنزل نقمته على الشيعة ،و"كان شديد البغض لعلى بن أبى طالب (رض) ولاهل بيته . . . وكان من جملة ندمائه

(١) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام - مرجع سابق -٣٩٩ . وأيضا ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٣٣ .
(٢) ابن خلكان : المصدر السابق - جـ ٢ - ص ٤٣٣ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢- ص١٧٢ .

عبادة المخنث وكان يشد على بطنه مخدة تحت ثيابه ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول :

قد اقبل الاصلع البطين خليفة المسلمين .

يعنى عليا (رض) . والمتوكل يضحك ،ففعل ذلك يوما بحضرة ولده المنتصر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ان عليا ابن عمك ،فكل أنت لحمه اذا شئت ،ولا تدع مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه . . . وبلغ من بغضه لعلى وأهل بيته أنه فى سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته "(١) .

ومن غريب ما اتفق للمتوكل أنه طلب عليا الزكى ،ويقال : على الهادى وعلى التقى ، الامام العاشر للشيعةالامامية ، فبعث اليه جماعة من الترك ليحضروه، فهجموا عليه داره ،فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مدرعة شعر ، وهو مستقبل القبلة يترنم بايات من القرآن فى الوعد والوعيد ،ليس بينه وبين الارض بساط الا الرمل والحصا ، فحمل الى المتوكل ،والمتوكل فى مجلس شرابه ،والكأس فى يده ،فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه الى جانبه ،وناوله الكأس ،فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فاعفنى ،فأعفاه ،وقال : انشدنى شعرا فقال : انى لقليل الرواية للشعر ،فقال : لابد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

. . . . . .

قال : فأشفق من حضر على على ،وظن أن بادرة تبدر اليه ،فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته ،وبكى من حضره . . . . (٢) .

من هذا المنطلق الذى سار عليه الأئمة تجاه بنى العباس ،حبب الناس اليهم وازدادوا تمسكا بهم ،مع مالاقوه من عذاب وتنكيل ،ومع ذلك كانوا يعلنون فى كل ما يقتضى اعلانه خدمة للدين ونشر تعاليمه ،مما جلب نفوس العامة اليهم.

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ،وجـ ٥ ص ٢٨٧- ٢٨٨ . وأيضا القلقشندى : ماثر الاناقة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) ابن خلكان : المصدر السابق - ص ٤٣٥- وجـ ٥- ص ٢٨٧ - ٢٨٨ . وايضا القلقشندى : المصدر السابق - ص ٥٣٢-٥٣٣ .

وهذه الحوادث وأمثالها من أنواع التنكيل بالشيعة قد لازمت العباسيين طول حكمهم ، ولما ظهر سلطان الاتراك فى عهد المتوكل صحبه دعوة التنكيل بالشيعة ،فكل تاريخهم مملوء بكراهيتهم للتشيع والشيعة (١) . حتى امتدت أيديهم الى أصحاب الفكر الحر منهم الذين كانوا يمثلون الحركةالعلمية طوال العصور الاسلامية ، حيث تعرض يعقوب بن اسحاق النحوىمثلا المعروف بابن السكيت ،لابشع أنواع القتل ،لانه امتنع من التنقص بالحسن والحسين عليهم السلام ، فمدحهما بما هما أهله ،وتنقص من أبناء المتوكل بعد أن سأله :أيهما أحب اليك ابناى هذان ،أم الحسن والحسين . فأمر المتوكل الاتراك فداسوا بطنه ،فحمل الى داره فمات فيها . (٢) .

كان الشيعة يمثلون الحركة الفكرية والعقلية ، ولهذا أخذوا على أنفسهم محاربة الظلم والطغيان ،تارة بالخروج بحد السيف ،ليتخلصوا مما هم فيه من الاضطهاد ، وتارة أخرىبحد الفكر واللسان ،حتى" امتدت جذور التشيع الى بلاط المأمون فكان وزيره الفضل بن سهل ،وكان قائد جنده طاهر بن الحسين شيعيين" (٣) . ولما اعتلى المتوكل عرش الخلافة ،حاول أن يقضى على كل نفوذ للشيعة ،لانهم كانوا أهل المناصب العالية الذين قاموا بالحركة العلمية. يقول السيد أمير على :" وكان العقليون هم أصحاب المناصب الرئيسية ، فكان منهم أساتذة المدارس ومديرو المستشفيات والمراصد . . . وكانت فرقة الصفاتية ذات نفوذ بين الطبقات الدنيا فى المجتمع . . . وكان المتوكل رجلا قاسيا . . . . . فأصدر أمره باقصاء أحرار الفكر عن وظائف الدولة ، واغلاق المدارس والجامعات وتحريم الادب والعلم والفلسفة ،وطرد أصحاب المذهب العقلى من بغداد ،كما أمر بهدم ضريح الامام على وأبنائه . . وهنا انتهت أيام المذهب العقلى فى عهد العباسيين ، فلجأ الى القاهرة بعد خروجه من بغداد ،وهذا زاد الامر سوءا لانه لو كان هناك بلد يكرهه العباسيون كراهة الموت لكان القاهرة" (٤) لان فيها أبناء على بن أبى طالب ،أنصار أصحاب الفكر الحر .

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام - ط ٤ - القاهرة - النهضة المصرية-١٩٦٦-ص٤٢
(٢) ابن الاثير : الكامل - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٣٠٠ . وأيضا ابن خلكان: وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٠ ص ٤٤١-٤٤٣ .
(٣) احمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة - مرجع سابق - ص٣٨٦ .
(٤) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٠ص٣٢٨-٣٢٩ .

هذا الظلم الذى أصاب الشيعة ،ادى الى الثورات الجارفة منهم لتغيير هذا الواقع المؤلم الذى عاشه المسلمون فى هذا العصر، فقد ظل العلويون يعملون سرا وجهرا ،وظل اتباعهم يزدادون ،والعباسيون يرصدونهم جميعا ، فمن حدثته نفسه بالثورة أو الخروج قتل أو زج به فى السجون .وكان بعض الشيعة يصل الى أعلى المناصب فى الدولة ،فما هى الا أن تعرف سريرته حتى ينكب فتصادر املاكه ويلقى فى غياهب السجون أو يقتل ويصلب نكالا لامثاله(١).

وقد ذهب كل هذا الاضطهاد الذى أصاب الشيعة أدراج الرياح ،فلم يأت بأية ثمرة فى نمو وانتشار التشيع ،اذ كان يغل من حده دائما ما كانت عليه الادارة الشرقية من الاضطراب ،ويزيده وهنا ،ذلك التوقير العام لاهل البيت، حتى انتشرت الحركة الشيعية فى مركز الامبراطورية وفى العاصمة نفسها ،وكان علماء الشيعة لايدخرون وسعا فى توطيد دعائم دعواهم وتحصينها (٢) . ولهذا يقول آدم متز: "وفى ذلك العصر لم يكن قد تم لمذهب الشيعة افتتاح البلاد التى يملكها اليوم ،ولكنه كان سائرا فى أحسن طريق يوصله الى ذلك ،بل كان الاضطهاد مما ساعد هذا المذهب على الانتشار" (٣) .

ويصف أبو بكر الخوارزمى - وكان شيعيا - ما لاقاه الشيعة من بنى العباس من ظلم وقتل وغصب ،وما أصاب أنصار الشيعة من تشريد ومحنة وبلاء باسلوب تسوده نغمة الحزن فيقول :". . . ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا أو سوفسطائيا ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا أو مانويا ،ويقتلون من عرفوه شيعيا ،ويسفكون دم من سمى ابنه عليا . . . ويتكلم شعراء الشيعة فى ذكر مناقب الوصى ،بل فى ذكر معجزات النبى ،فيقطع لسانه ،ويمزق ديوانه ،كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى ،وكما نبش قبر منصور النمرى . . . حتى أن هارون والمتوكل كانا لايعطيان مالا ،ولا يبذلان نولا ،الا لمن شتم ال ابى طالب ،ونصر مذهب النواصب . . ." (٤) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢ -ص٢٩ .
(٢) جوستاف جرونيباوم : الحضارة الاسلامية - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - مكتبة مصر - بدون تاريخ - ص ٢٤١ .
(٣) ادم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٦ .
(٤) عز الدين اسماعيل : فى الشعر العباسى - الرؤية والفن - القاهرة دار المعارف - ١٩٨٠ - ص ٦٥ - وانظر أحمد أمين : ظهر الاسلام مرجع سابق - ١٩٧٥ - جـ ٤ - ص ١٤٤ .

هذه المظالم التى أصابت الشيعة اضطرتهم الى الخروج واعلان الثورات للتخلص من هذا الظلم ، وما وصلت اليه الحالة الاجتماعية من فقر وفاقه . وقد كانت هذه الثورات صادرة عن وعى للواقع ، واحساس بانحطاطه وقسوته ، واحتجاج عليه ، ومحاولة لتطويره وتغييره . وماثورة أبى السرايا مع محمد بن ابراهيم بن طباطبا العلوى الحسنى على المأمون الا نموذجا من الالام التى أصابت العلويين بصورة خاصة والشيعة بصورة عامة مما رأوه من الظلم الاجتماعى الذى أصاب الامة ، فعاش بعضهم منعما فى القصور ، والبعض الاخر يتضور جوعا .

كان محمد بن ابراهيم يمشى فى بعض طرق الكوفة ، اذ نظر الى عجوز تتبع أحمال الرطب ، فتلتقط ما يسقط منها فتجمعه فى كساء عليها رث ، فسألها عما تصنع بذلك ، فقالت : انى امرأة لا رجل لى يقوم بمؤنتى ، ولى بنات لايعدن على أنفسهن ، فأنا اتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدى . فبكى بكاء شديدا وقال : أنت وأشباهك تخرجوننى غدا حتى يسفك دمى ، ونفذت بصيرته فى الخروج .فلما أعلن أمره خطب الناس ، ودعاهم الى البيعة ، والى الرضا من ال محمد والدعاء الى كتاب الله ، وسنة نبيه (ص) والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والسيرة بحكم الكتاب ، فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه. ومات محمد بن ابراهيم بعد نشوب الثورة بقليل ، فلم تخمد وانما قام عليها من بعده على بن عبيد الله العلوى . . . ونقرأ عن هذه الثورة فنعجب بأخلاق الثائرين الجياع ، وبضبطهم لانفسهم . لقد أمسك هؤلاء الثائرون عن النهب والسلب بعد أن هزموا عدوهم بمجرد أن أمرهم قائدهم بأن يمسكوا (١) . وتكرر قيام الرجال من العلويين مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم ، فلاذوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، حتى تسمى محمد بن اسماعيل - بالمكتوم - سماه بذلك الشيعة حذرا من السلطات عليه (٢) ." . . . وقد جمع أبو الفرج الاصفهانى فى كتابه الكبير " مقاتل الطالبيين" الذى يبلغ نحو ثمانمائة وخمسين صفحة ، أسماء من قتلوا من غير ذكر لتاريخهم ولم يكن ذلك الا الى عهده ، وقد توفى سنة ٣٥٦" (٣) . وكل هؤلاء كانوا من العلويين . وهكذا " كان اضطهاد العلويين هو شغل الحكام الشاغل " (٤) .

---

(١) محمد مهدى شمس الدين : ظروف ثورة الحسين - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٦٠ .
(٢) خطط المقريزى : مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠ .
(٣) أحمد أمين : يوم الاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٥٢ - ص ٦٨ .
(٤) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة - مرجع سابق - ص ١٧٧ .

٢ - " فرق خارجة عن التشيع " :

سبق أن عرض الباحث الظروف التى صاحبت التشيع منذ وفاة الرسول (ص) حتى أواخر القرن الرابع ، والسياسة التى اتبعها كل من الامويين والعباسيين فى الحد من انتشار التشيع ، وكيف باءت خططهم بالفشل ، مع ما قاموا به من أعمال العنف والاضطهاد لكل من ينتسب الى التشيع أو يتعاطف معه .

ولما كانت هذه الخطط لم تنجح فى القضاء على التشيع والشيعة حاولوا الدس عليهم . وذلك عن طريق اضافة فرق متعددة ، تنتمى الى أصول غير اسلامية ، أو الى عقائد يهودية أو مسيحية أو مانويه ، وارجاع الشيعة اليهم ، لتكون ركيزة يرتكز عليها هؤلاء للحط من كرامة الشيعة ومذهبهم .

هذا بالاضافة الى أن تلك الفرق التى يدعونها لم يظهر لها أثر فى التاريخ ولم يكن ما ينسب اليهم على تقدير صحته سوى آراء وأفكار عابرة لم تتخط دعاتها والعاملين على خلقها واشاعتها . ويؤيد ذلك ما جاء فى الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد : أن الفرق التى تنسب الى الشيعة لم يكن لها وجود فى القرن الرابع الهجرى ، ولا وجود فى هذا القرن الا للامامية القائلين بامامة محمد بن الحسن الامام الثانى عشر ، ومنهم العلماء والفقهاء والمتكلمون والعباد الصالحون والادباء والشعراء ، وهم وجه الشيعة المعتمد عليهم فى المذهب وسواهم من الفرق المزعومة ليس فى هذا العصر أحد منهم ، وانما الموجود عنهم بعض الحكايات والاراجيف التى لا تثبت وجودهم (١) .

وهذا الكلام من المفيد ، يدل على عدم وجود تلك الفرق فى القرن الرابع الهجرى ، كذلك يشير الى أنه فى شك من أصل وجود هذه الفرق التى يدعيها المؤلفون فى المذاهب الاسلامية ، مع أن الزمان الذى وجد فيه المفيد لم يكن بعيدا عن العصر الذى يدعى الكتاب وجودهم فيه . ومن المستبعد أن توجد فرقة يكون لها خصائصها وميزاتها ولا يبقى لها أثر بتلك السرعة وتخفى حتى على الباحثين أمثال الشيخ المفيد ، ولاسيما وأن فرقا من هذا النوع لو وجدت فى التاريخ ستجد من يناصرها ويمهد لها أسباب البقاء والاستمرار . فالحكام

---

(١) هاشم معروف الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق ص ٨٧ .

كانوا يرحبون بكل ما من شأنه أن يحط ويشتت من أمر الشيعة وتفريقهم عن أئمة أهل البيت، والتاريخ الذى مر به الشيعة ملىء بالشواهد على ذلك (١) .

ولا أغالى اذا قلت ان الباحث فى تاريخ الفرق المنسوبة الى الشيعة وفى الاراء والمعتقدات التى أضيفت اليها ، وللظروف السياسية التى صاحبت التشيع ،أن أياد قوية كانت وراء تسيير التاريخ لصالحها ، وتعمل لمحاربة التشيع عن طريق التشويش عليه وتغيير معالمه ، تلك الافكار ،التى نسبوها الى بعض المتشيعين ،لقد رأى الحكام الامويون والعباسيون ،أن فكرة الخلافة عند الشيعة ،تعنى أن جميع الحكومات التى لاتخضع لمبدأ الوصاية لاتتصف بالشرعية ،فحاربوا هذه الفكرة بشتى الاساليب ،وفى النهاية استطاعوا أن يفرضوا على التاريخ شخصا اسمه عبد الله بن سبأ ، قد انتحل الاسلام ،وأخفى اليهودية المتغلغلة فى أعماق نفسه ،للدس فى تعاليم الاسلام والكيد له فأسس فرقة وقادها لقتل عثمان واخترع فكرة الوصاية التى تدين بها الشيعة الامامية ،وأخيرا ادعى الالوهية لعلى (ع) وأصبح الركيزة التى يعتمد عليها كل من جاء من بعده من الخارجين عن الاسلام لاجل تهديم صرحه (٢) .

يقول الدكتور أحمد الحوفى :" على أن فى كتب المذاهب أخبارا شتى عن ابن سبأ لم تسلم من التهويل والتزيد والتكثير ،وربما كان خصوم الشيعة هم الذين روجوا هذه الاخبار لينتقصوا من أقدارهم منذ قام لهم حزب متميز . فهم يذكرون أن ابن سبأ كان يوءله عليا ،وأن عليا أمر بقتله ،ثم استبدل بالقتل نفيه الى المدائن ،ولو أن هذا الخبر صحيح لاتخذه خصوم على سلاحا بتارا للقضاء عليه ،وفض أتباعه من حوله ،بل لكان أتباع على أول الخارجين عليه المحاربين له " (٣) . وعلى هذا يقول الدكتور طه حسين :" ويخيل الى أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ الى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ اسرافا شديدا. وأول ما نلاحظه أنا لانجد لابن سبأ ذكرا فى المصادر المهمة التى قصت أمر الخلاف على عثمان ،فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتفاض الناس عليه ،ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الاشراف ،وهو فيما أرى أهم

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٧ - ٨٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨٨ .
(٣) أحمد الحوفى : أدب السياسة - مرجع سابق - ص ٥٧ .

المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا . وذكره الطبرى عن سيف بن عمر : وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر" (١) .

يقول الدكتور أحمد شلبى ،بعد أن ذكر الاستدلال على اسطورة عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكرى :" . . . ومع أن هذا الطريق فى الاستدلال ليس حاسما فاننا نورد سؤالا مهما هو : من الذى أدخل الانحرافات الى المذهب الشيعى الذى نعرف فى أصوله السليمة بعدا عما نراه فيه من انحرافات وترهات: ولهذا فانى أقرر هنا أن زعامة ضالة بدأت هذا الشوط ،وهى عبد الله بن سبأ أو شخص ما أطلق عليه هذا الاسم،وان مريدين كثيرين أخذوا عنه هذا الضلال وساروا فيه أزمنة طويلة وأشواطا واسعة ،فالاسم لا يهمنا . ولكن يهمنا أن شخصا قام بالدور الذى نسب الى عبد الله بن سبأ . . ." (٢) . وفى ذلك يقول الدكتور شوقى ضيف :" ولعل فى آراء ابن سبأ ما يشير الى أن عناصر أجنبية أخذت تدخل فى التشيع ،حتى ليزعم بعض الباحثين أن غلاة الشيعة بثوا فى التشيع مع مر الزمن كثيرا من دياناتهم الاولى ،فدخلت فيه عناصر من اليهودية والنصرانية مما عند ابن سبأ ،ودخلت فيه عناصر من الزرادشتية والمانوية الفارسيتين ومن البوذية الهندية" (٣) .

أما أبو زهرة فيقول : " وقد تساءل بعض العلماء الاوربيين عن أصل الشيعة ، وفيها مبادىء لاشك أن بعضها دخيل فى الاسلام ،فقد ذهب الاستاذ" ولهوسن" الى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية ،مستدلا بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودى . . ثم يقول : والحق الذى لامرية فيه أن الشيعة كانت مع تقديسها لال البيت ـ كان بعضها مستردادا للكثير من الديانات القديمة الاسيوية ـ ففيها من المذاهب الهندية مبدأ التناسخ الذى يقول أن روح الانسان تنتقل الى انسان غيره ،فقد طبق بعضهم ذلك المذهب على أئمتهم ،وقالوا ان روح الامام تنتقل الى من يليه . . . . وهكذا ترى الشيعة كان فيها خليط من أهواء وملل ونحل قديمه دخلت على المسلمين لافساد الاسلام ، أو تحت تأثير التربية والالف ،فدخلوا فى الاسلام ولم يستطيعوا نزع القديم. . ." (٤) . وفى ذلك يقول الالوسى :" . . فاعلم أن اسلاف

(١) طه حسين : الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .
(٢) أحمد شلبى : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ـ مرجع سابق ـ جه ـ ط ٥ ـ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٣) شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الاموى ـ مرجع سابق ـ ص٩٣ .
(٤) محمد أبو زهرة : أبو حنيفة ـ حياته وعصره آراؤه وفقهه ـ دار الفكر العربى ١٩٧٧ ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

الشيعة وأصول الضلالات كانوا عدة طبقات ،الطبقة الاولى : هم الذين استفادوا هذا المذهب بلا واسطة ،من رئيس المضلين ابليس اللعين وهؤلاء كانوا منافقين . . ومقتداهم عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعانى . . " (١) .

وهناك آراء وأقوال أخرى اكتفى الباحث بعرض نبذة منها لنرى مدى التحامل على الشيعة ،فقد تحامل عليهم فى القديم ، ولم يسلموا فى العصر الحديث ،عصر العلم والعرفان والبحث والتمحيص ،ونبذ المخلفات والمعتقدات السابقة ،ورفض التقليد ،والبحث عن الحقيقة لتلتئم وحدة المسلمين بعد أن مزقها هذا التفرق القائم على الهوى والتخمين . والباحث هنا يحاول بيان عدم صحة ما ذهب اليه هؤلاء الباحثون وغيرهم من وجود فرقة تدعى بالسبئية .

يقول آل كاشف الغطاء : " أما عبد الله بن سبأ الذى يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ،فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه ، وأخف كلمة تقولها كتب الشيعة في حقه ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره فى العين هكذا :" عبد الله بن سبأ ألعن من أن يذكر " (٢) . ويقول أبو زهرة: " والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون عبد الله بن سبأ منهم لانه ليس مسلما فى نظرهم فضلاعن أن يكون شيعيا ،ونحن نوافقهم كل الموافقة" (٣) . ولهذا يقول الدكتور طه حسين :" وأقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء فى حرب صفين ،أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفا منحولا ،قد اخترع باخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية . أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا فى أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا امعانا فى الكيد لهم والنيل منهم . ولو قد كان أمر ابن السوداء مستندا الى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعى أن يظهر أثره وكيده فى هذه الحرب المعقدة المعضلة بصفين" (٤) ثم يعقب على ذلك بقوله :أماأنافلا أعلل الامرين الا بعلة واحدة ،وهى أن ابن السوداء لم يكن الا وهما . . " (٥) .

---

(١) محمود شكرى الالوسى : مختصر التحفة الاثنى عشرية - استانبول - مكتبة ايشيق - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م - ص ٥٤ .

(٢) محمد حسين ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص ٤٠ .

(٣) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص ٣٨ .

(٤) طه حسين : الفتنة الكبرى - على وبنوه - ط ٩ - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٨ - ص ٩٠ . وأنظر احمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٣٩ .

(٥) طه حسين : المصدر السابق - ص ٩١ .

ويقول السيد أمير على :" ويقسم الشهرستانى الشيعة الى خمس فرق : زيدية ، واسماعيلية ، واثنى عشرية أو امامية ، وكيسانية ، وغالية ، أو غلاة . على أن الحقيقة لما سيتضح من كلام الشهرستانى فيما بعد - أن بعض هذه الفرق ، وبخاصة الفروع التى تفرعت عليها ، لاصلة لها بالشيعة الاصلية . . . " (١) . فاضافتها الى الشيعة على فرض وجودها يحتاج الى دليل لا الى تكهن وتخمين .

أما الدكتور أحمد صبحى فيقول :" . . . ولكن السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الاثر الفكرى العميق فيحدث هذا الانشقاق العقائدى بين طائفة كبيرة من المسلمين ، ومن هنا فان الدكتور"برنارد لويس" يشكك فى وجوده فكريا ، أى من ناحية أثره فى التطور العقدى للاسلام اذ يقول :" ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث ، وأنه صورة مثل بها فى الماضى وتخيلها محدثو القرن الثانى للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ ، وقد أظهر "فلها وزن وفريد ليندر" بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين الى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين ، وبين "كايتانى" أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لايمكن أن يتصورها العالم العربى المعروف عام ٣٥ هـ بنظامه القبلى القائم على سلطان الابوة ، وانها تعكس أحوال العصر العباسى الاول بجلاء . . . " (٢) .

بالاضافة الى ذلك ، كيف استطاع ابن سبأ أن يغير الامة المسلمة عن تفكيرها وعقيدتها بهذه الصورة الخيالية ، حتى استطاع أن يؤلب المسلمين على عثمان من جميع الاقطار الاسلامية فى فترة قصيرة ، لم تحصل حتى لرسول الله (ص) المصطفى من الله ، حيث عاش فى مكة يدعو قريشا ثلاثة عشر عاما الى عبادة الله مع ما أوتى من قوة فكرية وسياسية أن يغير من عقائدهم الا أفرادا قليلة مما يدل على أن هذه الشخصية التى أعطيت هذه المكانة التى لاتستحقها انما كانت مفتعلة لتشويه عقيدة الشيعة .

والذى يؤيد أن عبد الله بن سبأ شخصية لا واقع لها ، أن المصدر الوحيد الذى تنتهى اليه قصته هو ابن جرير الطبرى المؤرخ الشهير ، وكل من جاء بعده اعتمد عليه فى هذه الاسطورة وأرسلها ارسال المسلمات التاريخية

(١) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٨ .
(٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة - مرجع سابق - ص ٣٧ .

التى لا تقبل التشكيك والتأويل على حد زعمهم . ولهذا يقول الشيخ محمود أبو ريه :". . وقد ظهر كتاب نفيس اسمه " عبد الله بن سبأ" من تأليف العالم العراقى الكبير الاستاذ مرتضى العسكرى أثبت فيه بأدلة قوية مقنعة أن هذا الاسم لا حقيقة له ، لان المصدر الاول الذى اعتمد عليه كل المؤرخين من الطبرى الى الان فى اثبات وجوده هو سيف بن عمر التميمى المتوفى سنة ١٧٠ هـ، وقد طعن أئمة السنة جميعا فى روايته ،وقال فيه الحاكم: اتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط. ." (١) . ولهذا يقول الدكتور الحوفى :" ولا شك أن هذه اسطورة لكنها مثيرة ،فليس فى كتاب من كتب التاريخ الاولى شيىء من هذا ، وليس فى أقوال أنصار على أو خصومه اشارة الى هذا الحدث ،ولو أنه كان صحيحا لأشاد به أنصار على ،دلالة على صفاء ايمانه ، ولو أنه كان شبه صحيح لاتخذه خصوم على معاول لهدم حزبه " (٢) .

" ومن أغرب ما يروى من أمر عبد الله بن سبأ هذا أنه هو الذى لقن أباذر نقد معاوية فيما كان يقول من أن المال هو مال الله ،وعلمه أن الصواب أن يقول أنه مال المسلمين . . . فالذين يزعمون أن ابن سبأ قد اتصل بأبى ذر فألقى اليه بعض مقاله يظلمون أنفسهم ويظلمون أباذر ،ويرقون بابن السوداء هذا الى مكانة ما كان يطمع فى أن يرقى اليها " (٣) .

والاغرب من ذلك ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ، حيث أدلى بالرأى الذى يراه وهو : " أن ابن سبأ هو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة الغالية فى الاسلام ،وأن أعمال أبى ذر لا تنطوى على محاولة ما لتحويل الخلافة الى على ،وانما أدت الى توطيد دعائم هذا المذهب الذى غرس بذوره ابن سبأ" (٤) .

وهذه الصياغة من الدكتور حسن ابراهيم غير سليمة من الناحية المنطقية والرأى غير صحيح . لان مذهب الشيعة الغالية لا يفهم منه خصوص تحويل الخلافة

(١) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - القاهرة - دار المعارف ١٩٨٠ - ص ١٥١ وانظر أيضا : السيد مرتضى العسكرى : عبد الله بن سبأ - ط ٤ - بيروت - مطبعة دار الكتب - ١٩٧٣ - جزآن .
(٢) أحمد الحوفى : أدب السياسة - مرجع سابق - ص ٨٥ .
(٣) طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - مرجع سابق - ص ٠ ص ١٣٢-١٣٣ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - ط ٢ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٥٨- ص ٦ - ٧ .

الى على بن أبى طالب ، وذلك يشترك فيه كل الشيعة ، وانما المراد من الغالية - كما سيأتى - المأخوذة من الغلو ، وهو تأليه على ، فابن سبأ على رأى الدكتور حسن ، أول من بذر بذرة تأليه على ، وكان دور أبى ذر توطيد هذه العقيدة فى نفوس الشيعة ، التى تخرجه عن الاسلام - وقد فات الدكتور قول رسول الله لابى ذر : " ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أمرءا أصدق لهجة من أبى ذر" (١) " والغلاة هم الشيعة - كما يقول عبده فراج - الذين اعتنقوا أفكارا لا تتفق مع العقيدة الاسلامية وأقدمهم فرقة السبئية أتباع عبد الله بن سبأ" (٢) .

والذى يظهر من ذلك أن خصوم الشيعة أيام الامويين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ، ليشككوا فى بعض ما نسب من الاحداث الى عثمان وولاته من جهة ، وليشنعوا على على وشيعته من جهة أخرى ، فيحاولوا رد بعض عقائد الشيعة الى يهودى أسلم كيدا للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة" (٣) .

أما الغلاه الذين نسبوهم الى الشيعة ، فيقول فيهم محمد جواد مغنية : " أما الغلاة فليسوا من الشيعة ولا من السنة ، لان من أعطى صفة من صفات الالوهية لاى مخلوق كان ، أو أعطى غير النبى جميع صفات النبى فهو خارج عن الاسلام باتفاق الجميع ، وما نجده فى بعض الكتب من نسبة الغلاة الى مذهب التشيع فهو جهل ، أو دس بقصد التشنيع على الشيعة لغاية سياسية" (٤) .

ويذهب الشهرستانى الى القول فى الشيعة الامامية الى أن :" هؤلاء هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الالهية . وبما شبهوا واحدا من الائمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق . وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلوليه ، ومذهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ، اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى

---

(١) أبو المظفر الاسفراييني : التبصير فى الدين - مرجع سابق - ص ١٦١ .
(٢) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفي - مرجع سابق - ص ٦٧ .
(٣) طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - مرجع سابق - ص ١٣٤
(٤) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٥٦ .

شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغـــــلاة ، حتى حكمت بأحكام الالهية في حق بعض الائمة . وكان التشبيه بالاصل والوضـــع في الشيعة ، وانما عادت الى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهـم لما رأوا أن ذلك أقرب الى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول" (١) .

ومن هنا نلاحظ أن الشهرستاني نفسه قد اعترف بأن أهل السنة منهـــــم من يقول بالتشبيه والحلول وغيرهما مما قالت به الشيعة - حسب دعواه - وهذا الزام منه بأن بعض أهل السنة يذهبون الى ذلك . أما دعواه أن الشيعة يذهبون الـــى ذلك فدعوى تحتاج الى دليل من مصادر شيعية ، ولما أهمل ذكر ذلك كان قولـــه بلا سند فيخرج عن الاعتبار . وفي ذلك يقول جوستاف : " نعم ان المعتدليـــــن - من الشيعة - تبرأوا من تبعة هذا الغلو ، بنفس القوة التي كانوا ينبذون بهـــا أي مبادىء تشتم منها رائحة حلول الله في الامام . . . " (٢) .

وقد نفى ال كاشف الغطاء ما نسب الى الشيعة من الحلول وغيره بقولـــه : " ومن ذلك ما يزعمونه من أن النصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح الى الله ، وهذا قول مرسل بغير سداد ، ولـــــم يعين قائله من الشيعة ؟ فان كان المراد ما يسمونه غلاة الشيعة كالخطابيـــــة ، والغرابية . . . وأشباههم من الفرق الهالكة المنقرضة التي نسبتها الى الشيعـــــة من الظلم الفاحش ، وما هي الا من الملاحدة والقرامطة ونظارهم ، فان الشيعـــــة الامامية وأئمتهم يبرأون من تلك الفرق براءة التحريم ، على أن تلك الفرق لا تقـــول بمقالة النصارى ، بل خلاصة قولتهم ، بل ضلالتهم أن الامام هو الله سبحانـــــه وتعالى ظهورا واتحادا أو حلولا أو نحو ذلك مما ينقل عن بعض المتصوفة . . . . . وقصارى القول انه ان أريد بالشيعة تلك الفرق البائدة ، والمذاهب الملحدة التـــي لا أحسب أن على رقعة الارض منهم اليوم نافخ ضرمه ، فنحن لا نضايق في ذلـــك ولكن نسبتهم الى الشيعة ظلم فاحش ، وخطأ واضح ، وسوء في التعبير ، وان أريـــد بالشيعة الطائفة المعروفة اليوم بهذا الاسم ، والتي تعد بالملايين من المسلميـــن فهذه كتبهم ومؤلفاتهم وعلماؤهم من حاضر وغابر ، فأين في شيىء منها أثـــــر هذا القول الباطل " (٣) .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٧٣ .
(٢) جوستاف جرونيباوم : حضارة الاسلام - مرجع سابق - ص ٢٤١ .
(٣) محمد حسين ال كاشف الغطاء : التثبت قبل الحكم - دعوة التقريب مـــن خلال رسالة الاسلام . جمع محمد محمد المدني - القاهرة - دار التحريـــر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - ص ٧٤ - ٧٨ .

أما فرقة الزيدية ، فالملاحظ أن الامام زيد بن على بن الحسين لم يأت بفرقة ولا مذهب يخالف ما عليه أبوه وأخوه ، ولهذا جعل الاسفراييني أن فرق الزيدية ثلاث وهم الجارودية والسليمانية ، والابترية ، والجارودية هم أتباع أبى الجارود وليس أتباع زيد ، وهكذا بقية الفرق ، فنسبة هذه الفرق الى زيد بن على غير صحيح ، ولهذا بين الاسفراييني مذهب هؤلاء الثلاث الذين ينتسبون الى زيد بن على ، وأن الاختلاف ما بين هذه الفرق شديد وصل الى حد تكفير بعضهم بعضا (١) . بالاضافة الى ذلك ، أن بعض الباحثين يرى أنه لم تكن هناك فرقة حتى ذلك التاريخ الذى قتل فيه زيد بن على تسمى بالزيدية بالمعنى الذى وجد بعد ذلك (٢) .

أما فرقة الغرابة التى أضافوها الى فرق الشيعة ، فالشيعة لا تعرف هذه الفرقة ، وليس لها أثر فى كتبهم . أما عقيدة هذه الفرقة كما هو موجود فى مصادر غير شيعية ، أن شخصا ادعى أن النبوة كانت لعلى ، وقد أخطأ الوحى فى نزوله على محمد (ص) ، لان عليا كان يشبهه كما يشبه الغراب الغراب . وقد جاء عن بعض أهل السنة أعظم من ذلك فى الخليفتين أبى بكر وعمر ، ومع ذلك فلم يعد وا أصحاب تلك المقالات فرقا من فرق السنة ، ولم يحكموا بتجريحهم (٣) .

ومن هنا يظهر عدم موافقة ما توصل اليه الباحث فيما ذهب اليه الدكتور سعيد اسماعيل على فى قوله : " ولابد للباحث فى دراسة أفكار غلاة الشيعة أن يأخذه العجب للسبب الذى دعا الى الاعتقاد بألوهية على مع أن أحدا لم يقل بألوهية محمد (ص) ، ولكننا اذا ضممنا هذا الرأى الى آراء أخرى تسير فى نفس الاتجاه ثم تنبهنا الى أن أكثر شيعة على كانوا فى العراق وفارس حيث شاعت تعاليم مانى ومزدك وابن ديصان ، فلربما أدرك السر الذى يكمن وراء هذا . . . " (٤) .

---

(١) انظر الاسفراييني : التبصير فى الدين - مرجع سابق - ص . ص ٣٢ - ٣٣ .
(٢) محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - مرجع سابق - ص . ص ٦٧٠-٦٧١ .
(٣) هاشم الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق - ص٩٤. وانظر جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط ٣ - القاهرة - مطبعة المدنى - ١٩٦٤- ص ١١٧ . وأيضا المحب الطبرى : الرياض النضرة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١١٢ .
(٤) سعيد اسماعيل على : نشأة التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٨ .

ان أكثر الباحثين من المسلمين وغيرهم فى هذه النظرية ، اعتمدوا فى دراسة اراء وأفكار غلاة الشيعة من مصادر غير شيعية ، لم تكن خالية من التحيز والتعصب الظاهر ، مع أن مؤلفى الشيعة ومفكريهم ينفون وجود مثل هذه الفرقة فى كتبهم . بالاضافة الى أن الباحثين لو اعتمدوا على الوقائع التى رافقت تاريخ المسلمين قبل الفتح العربى لبلاد الفرس ، لوجدوا أن الفرس أثناء الفتح العربى الاسلامى كانوا يدينون بمذهب السنة وليس للشيعة فيها عين ولا أثر وانما دخل التشيع الى بلاد فارس نتيجة الاضطهاد الذى أصاب الشيعة فى العصر الاموى والعباسى ، مع أن القائلين بالغلو ينسبون ذلك الى ابن سبأ اليهودى الصنعانى الذى كان فى عصر عثمان ، وهو بعيد عن بلاد فارس . ولهذا يقول جولد تسيهر : " الخطأ القائل بأن التشيع فى منشئه ومراحل نموه يمثل الاثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الامم الايرانية فى الاسلام ، بعد أن اعتنقته أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية . وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم للحوادث التاريخية . . فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة " (١) .

وصفوة القول : ان أكثر الفرق حسب الاحصاء الموجود فى كتب الفرق والتراجم ، لا وجود لها الا اسمها ، وعلى فرض وجودها لا يسوغ اعطاؤها وصف الاسلام ، فضلا عن التشيع الذى لا يشذ فى أصوله وفروعه عن القرآن ونصوص الرسول (ص) لان التشيع لا يعنى مجرد الحب والولاء لعلى وبنيه ، بل لابد مع ذلك من الايمان بالكتاب والنبوة ، وبكل ما جاء به النبى من أصول وفروع ، فالمنكر لنبوة محمد (ص) أو لبعض ما فرضه الله فى كتابه من ضروريات الدين وحتى المشكك بشيء من ذلك خارج عن الاسلام والتشيع فضلا عمن يدعى الالوهية لاحد من الناس أو الحلول فى الله ، أو يعطى صفات الخالق وخصائصه لبعض مخلوقاته (٢) .

---

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة - مرجع سابق - ص . ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) هاشم معروف الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق ص ٩٣ .

ثانيا : " الاصول الفلسفيـــــــة"

وتشمل :

الاصل الاول : التوحيـــد :

وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية .

الاصل الثانى : النبـــوة :

حاجة الناس الى النبى .

عقيدة الشيعة فى نبوة محمد (ص) .

القول فى عصمة الانبياء .

الاصل الثالث : العـــــدل :

أولا : فى حرية الارادة الانسانية أو (القضاء والقدر) وموقـــــف التربية منها .

ثانيا : فى الحسن والقبح أو (الخير والشر) .

الاصل الرابـــع : الامامـــة :

الاصل الخامس : المعـــاد :

ان أية شائبة تشوب ذهن الانسان فى أصول العقيدة ، قد تدفعه الى أن يبنى اطارات فكرية خاطئة أو غير سليمة ، لذلك ينبغى على الفرد أن يستمع الى النقد والتوجيه ، وأن لايركن الى التعصب ، لانه يدفع الانسان الى الابقاء على الشوائب التى علقت فى ذهنه وممارستها فكريا وعمليا . وعلى هذا توجد عناصر فى العقيدة الدينية يؤدى استعمالها الى تطوير معالم التحرك الحضارى وعناصره ومقدماته ووسائله ، كما توجد مظاهر أخرى متوفرة فى عناصر وممارسات يؤدى عدم استعمالها الى الجمود والتأخر ، ومن هنا لابد من مراعاة شروط الحركة ومتطلباتها على ضوء الحقائق ، لتقوم العقيدة الدينية بدورها السليم فى بناء المجتمع وفى عملية تسيير الحياة بما يضمن سعادة الانسان الشرعية (١) .

والاعتماد على معيار ثابت لمعرفةعقيدة فرقة من الفرق أوجماعة من الجماعات لابد أن يكون على ضوء الالتزام بما عند الفرقة أو الجماعة فى مؤلفاتهم وكتبهم. وعلى هذا يقول القاسمى : " أرى من واجب كل من يؤرخ فى مذهب قوم ، وكل من يناقش فرقة ما فى مذهبها - أن ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات، ويقوم بالعزو الى مآخذها ومصادرها ، لتكون النفس فى طمأنينة مما يريبها ان لم يعن بهذا الواجب . . " (٢) خصوصا فيما يتعلق بقضايا العقيدةالتى يتوقف على صحتها أو عدم صحتها الايمان وعدمه . " وبالجملة فلابد من السند فى قبول ما يعزى ويروى الى تلك الفرقة ، فاما عن أسفارها أو عن امام ثقة أثر عنها ، واما من رمى فرقة برأى بدعوى أنه قيل عنها ذلك أو يقال ، فمما لايقام له وزن فىالصحة والاعتماد ، . . . . . وهذه القاعدة يجب أن تؤخذ دستورا وأمرا عاما فى كل ما يؤثر وينقل . . " (٣). لبناء الفكر الصحيح عن تلك الفرقة . ويستعرض الباحث المعالم الاساسيةلفكر الشيعة العقائدى والتى بالامكان توفيرها عن طريق التربية الاسلامية .

---

(١) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص . ص ٦١-٦٢ .

(٢) الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى : تاريخ الجهمية والمعتزلة - ط ١ - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٠ .

الاصل الاول : " التوحيـد " :

الاسلام دين التوحيد ، والتوحـيد هو الاساس الذى ينطلق منه الانسـان المسلم فى بناء عقيدته فى عمق ذاته ، وبدون ذلك لايكون مسلما ، ولايشـــــع فى روحه ضوء الايمان ، ولو آمن بجميع الاصول والفروع ، لايختلف فى مفهومه عمـــا يقول به جميع المسلمين .

أما التوحيد عند الشيعة ، فقد وصفه آل كاشف الغطاء فى قوله : " ويجـب على العاقل بحكم عقله عند الامامية تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقـــاد بوحدانيته فى الالوهية ، وعدم شريك له فى الربوبية ، واليقين بأنه هو المستقـل بالخلق والرزق والموت والحياة والايجاد والاعدام ، بل لاموءثر فى الوجود عندهم الا الله ، فمن اعتقد أن شيئا من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير اللـه فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الاسلام ، وكذا يجب عندهم اخلاص الطاعـــة والعبادة لله ، فمن عبد شيئا دونه أو ليقربه زلفى الى الله فهوكافر عندهـــم أيضا ، ولايجوز العبادة الا لله وحده لاشريك له . . . " (١) . ولهذا يقول العلامة الحلى : " وقول الامامية فى التوحيد . . . ان الله تعالى واحد لاقديم سواه ، والـه غيره ، ولايشبه الاشياء ولايجوز عليه ما يصح عليها من التحرك والسكون ، وأنـــه لم يزل حيا قادرا عالما مدركا لايحتاج الى أشياء يعلم بها ، ويقدر ويحيى وأنـه لما خلق الخلق أمرهم ونهاهم ولم يكن امرا ولا ناهيا قبل خلقه لهم . . " (٢).

وقد استدل الشيعة على وحدانية الله سبحانه ، بأن أكثر العقلاء اتفقـوا على أنه سبحانه واحد ، والدليل على ذلك النقل والعقل . أما العقل فلوجـوب وجوده تعالى ، فانه يدل على وحدته ، لانه لو كان هناك واجب وجود اخـــر لتشاركا فى مفهوم كون كل واحد منهما واجب الوجود ، فاما أن يتميزا أو لا ، والثانى يستلزم المطلوب وهو انتفاء الشركة ، والاول يستلزم التركيب وهو باطل والا لكـان كل واحد منهما ممكنا ، وقد فرض أنه واجب الوجود وهذا خلاف الفرض(٣) . وفـــى

---

(١) ال كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص . ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - المطبعة الحيدرية فى النجـــف ١٩٧٩ - جـ ١ - ص ١٩٩ .

(٣) جمال الدين الحسن بن يوسف بن على بن المطهر العلامة الحلى : كشـف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد - ط ١ - بيروت - موءسسة الاعلمـــى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٣١٦ .

ذلك يقول الصدوق : الحمد لله الذى توحد بالوحدانية وتفرد بالالهية وفطر العباد على معرفته وكل الالسن عن صفته ، وحجب الابصار عن روئيته" (١) " . . عرف بغير روئية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم. . . " كما يقول الكلينى (٢).

وقد سلك الشيعة فى فلسفة التوحيد نهج أئمة أهل البيت ، فهو المنهج الاصيل عندهم الذى اتحدت فيه كلمة أهل البيت، ودافعوا عنه (٣) . ولهذا يستدلون على التوحيد بأقوال أئمتهم، ويستنبطون معنى التوحيد من هذه الاقوال ، كقول الامام على فى أول خطبته ، حيث بين التوحيد الخالص فى ترجمة الفكرة الغامضة ، بتعابير مقتضبة ، ذات الروئية الواضحة ، رغم اشتمالها على المحتوى الفلسفى الواسع ، حيث يقول :" أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه . . . " (٤) .

وجاء فى توحيد الصدوق ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، أن رجلا سأل الامام فى البصرة عن حقيقة التوحيد فقال : ان القول بالوحدانية يصح على أربعة أوجه : اثنان منها لاتجوز عليه سبحانه ، واثنان ثابتان له . فأما مالايجوز منها عليه ، فقول القائل : واحد يلاحظ العدد ، لان مالا ثانى له لايدخل فى باب الاعداد ، ولذا كفر من قال : ان الله ثالث ثلاثة . وكذا اطلاق الواحد عليه يلاحظ أنه واحد من الناس ، ويراد بذلك النوع من الجنس، وهذا لايجوز عليه سبحانه ، لانه تشبيه وجل ربنا عن ذلك وتعالى علوا كبيرا . وأما اللذان يجوزان عليه سبحانه ، فهما الواحد بمعنى نفى الشبيه له ، وبمعنى أنه لاينقسم فى وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنا عز وجل . (٥)

---

(١) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١ .
(٢) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى : اصول الكافى - ايران مطبعة حيدرى - بدون تاريخ - جـ ١ - ص ١ . المتوفى سنة ٣٢٨ هـ.
(٣) محمد جواد فضل الله : الامام الرضا تاريخ ودراسة - بيروت - دار الزهراء ١٩٧٣ - ص ٢٢٢ .
(٤) كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى : شرح نهج البلاغة - طهران موءسسة النصر - ١٣٧٨ هـ - جـ ١ - ص . ص ١٠٦ - ١٠٧ . والمتوفى سنة ٦٧٩ هـ .
(٥) هاشم معروف الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق ص ١٤٢ . وأيضا الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢ .

وجاء عن الحسين بن على :". . . ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير. . .. استخلص الوحدانية والجبروت. . ." (١) وقال على بن الحسين" الحمد لله الاول بلا أول كان قبله والاخر بلا آخر يكون بعده". فالشيعة تعتقد أن الله سبحانه واجب الوجود لذاته ، ومعنى هذا أنه تعالى لايزال موجودا بلا علة لوجوده ،وانه الموجود الاول بلا ابتداء ،ودائم الوجود بلا انتهاء ،وأنه المبدأ الاول لكل الموجودات ،ولو أمكن عدم وجوده لحظة واحدة لم يكن واجب الوجود وهو خلاف الفرض . ولهذا قال أيضا :" وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ،ودلنا عليه من الاخلاص فى توحيده. . ." دعا سبحانه العباد الى الايمان به والاخلاص له فى العبادة وحده بلا ند وشريك ،وما من شك أن الايمان ثمرة العلم وفرع عنه ، لذا أرشدنا سبحانه الى الطريق الموصل الى هذا العلم وهو امعان النظر فى الموجودات الكونية وطبائعها وتماسكها ووحدة نظامها حيث لاتفسير معقول لذلك الا بقوة عليمة (٢) . هذه هى عقيدة الشيعة فى التوحيد كما أخذوها عن أئمة أهل البيت .

" وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية "

" وحدة الذات الالهية" :

ويقصد بوحدة الذات الالهية ،بساطتها ،واستحالة كونها مركبة بأى نحو من أنحاء التركيب . سواء كان عقليا ،كتركب الذات من جنس وفصل . أو خارجيا كتركبها من المادة والصورة (٣) . ويعتقد الشيعة بوحدة الذات الالهية وأنها غير مركبة لا عقلا ولا خارجا ، واستدلوا على استحالة تركب الذات بأى نحو من أنحاء التركيب بأمور :

الاول : ان المركب ، مفتقر فى وجوده الى كل جزء من أجزائه ،بحيث لو تخلف جزء واحد فقط عن الانضمام الى باقى الاجزاء لما وجدت ذات المركب ،أى أن كل جزء من أجزاء المركب مفتقر فى وجوده للاجزاء الاخرى ،ليتحقق وجود المركب ، والفقر والحاجة نقص يتنزه عنه واجب الوجود ،لانه الغنى المطلق . ولهذا أشار على بن أبى طالب :". . ومن قرنه فقد ثناه ،ومن ثناه فقد جزأه ،ومن جزأه فقد جهله. . " (٤) . وفى ذلك يقول العلامة الحلى :". . ان وجوب الوجود يقتضى

(١) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ٠ ص ١٧٣-١٧٤ .
(٢) محمد جواد مغنية : فى ظلال الصحيفة السجادية- ط٢ - بيروت - دارالتعارف ١٩٧٩ - ص ٠ ص ١٣ - ١٤ - ٢٤ .
(٣) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الاسلامية - بيروت دارالتعارف - ١٩٧٩ - ص ١٤١ .
(٤) البحرانى : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٧ .

نفى التركيب أيضا والدليل على ذلك أن كل مركب فانه مفتقر الى أجزائه لتأخره وتعليله بها ، وكل جزء من المركب فانه مغاير له ، وكل مفتقر الى الغير ممكن فلو كان الواجب تعالى مركبا كان ممكنا هذا خلق ، فوجوب الوجود يقتضى نفى التركيب واعلم أن التركيب قد يكون عقليا وهو التركيب من الجنس والفصل وقد يكون خارجيا كتركب الجسم من المادة والصورة وتركيب المقادير وغيرها والجميع منتف عن الواجب تعالى لاشتراك المركبات فى افتقارها الى الاجزاء فلا جنس له ولا فصل له ولا غيرهما من الاجزاء الحسية والعقلية " (١) .

الثانى : ان الذات الالهية ، لو كانت مركبة من أجزاء لاحتاجت فى تركبها والتأليف بينها الى مركب ومؤلف ، وبالتالى لاحتاج الوجود التركيبى المزعوم للذات الالهية الى موجد ، وهو خلاف فرض الله واجب الوجود لذاته بذاته . (٢) .

الثالث : ان الذات الالهية ، لو كانت مركبة من أجزاء لم يخل أمر هذه الاجزاء عن احدى ثلاث حالات :

الاولى : أن تكون جميع هذه الاجزاء واجبة الوجود . ومعنى هذا أن كل جزء مباين مع الاجزاء الاخرى . ولازم ذلك أن تكون الذات الالهية مركبة من المتباينات وهو مستحيل ، لانه لايمكن أن نفرض أى تلازم وارتباط بين هذه الاجزاء ، الا اذا فرضنا أن التلازم بين هذه الاجزاء ، اما أن يكون ناشئا من كون بعضها معلولا للبعض الاخر ، أو كلها معلولة لعلة خارجة . وكلا الفرضين ينافى كون الذات الالهية واجبة الوجود بذاتها .

الثانية : أن يكون جميع هذه الاجزاء ممكنة الوجود . ومعنى هذا أن الذات الالهية ممكنة الوجود ، لان المركب من الممكنات لابد وأن يكون ممكنا ، وهذا خلاف فرض الله واجب الوجود بذاته .

الثالثة : أن يكون بعض هذه الاجزاء واجب الوجود والبعض الاخر ممكن الوجود. ومعنى هذا ، أن الذات الالهية مركبة من أمرين متباينين ، واجب وممكن ، وهو مستحيل ، لان الممكن من هذه الاجزاء ، لابد وأن يكون حادثا . ولازم هذا ، أن تكون الذات الالهية محلا للحوادث ، وما كان محلا للحوادث لابد وأن يكون حادثا ، وهذا خلاف فرض الله قديما .

---

(١) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٣١٧ . وأيضا عبد الله شبر : حق اليقين فى معرفة أصول الدين - ط ٢ - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م - جـ ١ - ص ٠ ص ٢٢ - ٢٣ ٠

(٢) انظر محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٤١ ٠

وعلى ضوء هذه الادلة الثلاثة ، يتضح أن الذات الالهية يستحيل فيها التركيب ، بل هى واحدة وبسيطة من جميع الجهات(١) .

من هذا العرض لوحدة الذات الالهية ، يظهر أن الصفات الذاتية عند الشيعة ، ويطلق عليها صفات الكمال - كالعلم والقدرة والاختيار والحياة والارادة والكراهة والسمع والبصر والسرمدية ونحوها ، هى عين ذاته تعالى وجودا وعينا وفعلا وتأثيرا ، بمعنى أن ذاته تعالى بذاته يترتب عليه آثار جميع الكمالات (٢) . وليس المراد أنه سميع بجارحة السمع ، أو بصير بالة البصر . اذ لوكان كذلك لكان تعالى ذا جزء ، ولكان محلا للحوادث ولكان ممكنا ، وكل ذلك منتف عنه سبحانه ، بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصرات بدون آلة (٣) . ولهذا يقول الامام على بن أبى طالب : " ان الله ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيرى . . . كلم موسى تكليما بلا جوارح وأدوات . . . " (٤) .

يقول القزوينى : " صفات الله الذاتية هى عين ذاته وتمام حقيقته بلا تعدد ولا اثنينية ولا مغايرة جهة لجهة كالحياة والقدرة والعلم . . . فهذه الصفات كلها عين الذات وتمام الحقيقة استحقها لنفسه لا لمعنى آخر ، ودليلناعلى ذلك أنه لو كان عالما بعلم وقادرا بقدرة وحيا بحياة وباقيا ببقاء لزم اما أن تكون هذه الصفات معان قديمة معه فى الازل أو أنها حادثة ، فان كانت قديمة معه فى الازل لزم تعدد القدماء من جهة ومشاركة هذه المعانى له فى أخص صفاته ومماثلتها له من جهة أخرى وهو يستلزم بطلان التوحيد . . وان كانت هذه الصفات حادثة لزم أن يكون قبل حدوثها غير مستحق لان يوصف بها ، وقد ثبت بالضرورة أنه تعالى لم يزل عالما قادرا حيا باقيا ، ولانها لو كانت حادثة لاحتاجت الى محدث يحدثها ولايجوز أن يكون المحدث غير الله ، لانه الفاعل الاول والقديم الذى لم يزل ، فكيف يصح فى العقول أن يفعل الحياة لنفسه من لاحياة له أو يحدث القدرة من لا قدرة له . . . ومن كل هذا ونحوه نستشرف على القطع

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤١ - ١٤٢ .
(٢) عبد الله شبر : حق اليقين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٦ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٩ .
(٤) هاشم الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق - ص ١٤٣ .

بأن هذه الصفات . . . هى عين ذاته وتمام حقيقته" (١) فقدرة الله سبحانه من حيث الوجود حياته ، وحياته قدرته ، فهو سبحانه قادر من حيث هو حى ، وحى من حيث هو قادر ، لا اثنينية فى صفاته ووجودها . هذه الصفات وان كانت مختلفة فى معانيها ومفاهيمها ، ولكنها واحدة فى حقائقها ووجوداتها ، لانه لو كانت مختلفة فى الوجود ، وهى بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ، للزم تعدد واجب الوجود ، ولا نثلمت الوحدة الحقيقية ، وهذا ما ينافى عقيدة التوحيد (٢) .

وينقل الحرانى ، " المتوفى فى القرن الثالث الهجرى" كلام الامام على فى ذلك :" ان أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفات عنه ، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف . . . ومن قال : حتى فقد غياه ، ومن غياه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد وصفه . . . لا دين الا بمعرفة ولا معرفة الا بتصديق ولا تصديق الا بتجريد التوحيد ، ولا توحيد الا بالاخلاص ، ولا اخلاص مع التشبيه ولا نفى مع اثبات الصفات ، ولا تجريد الا باستقصاء النفى كله . . ." الى آخر كلامه فى التوحيد (٣) .

هذه هى عقيدة الشيعة فى صفات الله الذاتية ، وأنها عين الذات ، ذهنا وخارجا ، وهناك صفات أخرى تسمى ، بصفات الافعال ، وهى : كل صفة تقتضى وجود غير الموصوف فهى صفة الفعل ، كقولنا مالك وجواد وفاعل وراحم ورزاق ومتكلم وصادق وغير ذلك من صفات الافعال ، فان مالك مثلا يقتضى وجود المملوك ، لانه لا يقال ملك المعدوم . . . بمعنى أن الله لا يتصف بها الا بعد وجود الفعل ، فلا يطلق عليه خالق قبل خلقه للاشياء ، ولا محى قبل احيائها (٤) . وفى ذلك يقول أبو زهرة : " أثبت الامامية لله ما أثبته القرآن الكريم له سبحانه ، وقد قسموا ما أثبته القرآن الى قسمين: أحدهما ، صفات ذاتية له سبحانه . . . والثانى ، صفات أفعال ، وهى الصفات التى تقررت لوجود أفعال له سبحانه ، ككونه خالقا" (٥) .

---

(١) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ١٤ .
(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ١٩ .
(٣) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ٠ ص ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ .
(٤) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ١٤ .
(٥) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٠ ٢٣ .

هذا موجز لما يعتقده الشيعة فى ذات الله وصفاته ، والذى يظهر منهم أنهم استنتجوا ذلك من أقوال أئمتهم ، وأخذوا عنهم معنى التوحيد والصفات، كما استدلوا على ذلك بما جاء عنهم.

أما مسألة التشبيه والتجسيم والجهة ، وما يترتب عليها من القول بالحلول، فالشيعة تعتقد :" أن الله سبحانه ليس بجسم ، ولا بجوهر ، ولا عرض ، ولا فى جهة ، أو زمان ، أو مكان ، ولايتحد بغيره ولايحل فى شيىء ، اذ لو كان جسما لكان حادثا ، ولافتقر الى حيز . ولو كان فى مكان أو زمان أو جهة للزم قدم المكان والزمان والجهة ، مع أنه لاقديم سواه . هذا بالاضافة الى أنه يكون مفتقرا الى الغير . ولو كان جوهرا لكان وجوده غير ماهيته مع أن وجوده عين الماهية. ولوكان عرضا لكان قائما بغيره ، ومحتاجا الى سواه ولو اتحد بغيره لصار الاثنان واحدا. ولو حل فى شيىء لكان فى حاجة الىالمحل الذى حل فيه ، وكل محتاج حادث وممكن" (١) . ولهذا يقول الكلينى :" . . عرف بغير روئية ، ووصف بغير صورة ، ونعت بغير جسم" (٢) . وجاء عن الامام على :" كذب العادلون بك اذ شبهوك بأصنامهم ، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم. . . " (٣) .

الاصل الثانى :" النبوة" :

" حاجة الناس الى النبى" :

يقول البحرانى :" . . فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية ، انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والفاتها الى حظائر القدس ومنازل الابرار وحمايتها أن ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر . . .ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير أحوال المعاش البدنى وساير أسباب البقاء للنوع الانسانى . . " (٤) . " واذا وجب فى الحكمة اقامة من يقوم بالتعليم مقامه من جهته - سبحانه - كان ضروريا وجود من يكون فى عالم النفس نبيا معلما موئيدا ، واماما مفضلا مقدما . فيعلم الكافة مصالحها ، ويهديها ويقيها مما يوبقها ويوئذيها ، ويسد فاقتها ، ويختم بالحسن عاقبتها" (٥) .

(١) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق -ص.ص١٠٣-١٠٤.
(٢) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١ .
(٣) هاشم الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق - ص١٤٧ .
(٤) البحرانى : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢ .
(٥) حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى : الاقوال الذهبية في الطب النفسانى - تحقيق عبد اللطيف العبد - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨- ص ١٧٥ - والكرمانى يلقب بحجة العراقين وكبير دعاة الشيعة فى العراق توفى سنة ٤١١ هـ - انظر قول المحقق ص ٦ .

فالبشر لما كانوا مختلفين فيا لقدراتوالقابليات والاستعدادات فى سرعة قبول ما يلقى اليهم من العلم ، وكان التعليم واجبا فى الحكمة ، وامتنع الامر فى وصول البشر الى المتعالى سبحانه ، ليتولى هو بذاته هدايتهم وتعليمهم ، لذلك وجب اقامة من يخلفه فى تعليمهم ، ويقوم مقامه فى هدايتهم . فالمرشح للنبوة لابد وأن يكون على غاية لايفوته فيض عالم القدس ، وهو كلام الله المسمى وحيا ، فيكون به مخاطبا من جهة الله سبحانه ، ومعلما ، وعلى هذا يجب أن يكون مهيئا لقبول ما يلقى اليه بأدنى اشارة وتعريض بحيث لايحتاج معه الى اعادة قول عليه . وهذا بخلاف من يحتاج الى عناء ورياضة ومشقة ، وترتيب الكلام معه ، وتعليمه (١) .

ولما كان الانسان مخلوقا غريب الاطوار ، معقد التركيب فى تكوينه وفى طبيعته وفى نفسيته وفى عقله ، وقد اجتمعت فيه نوازع الفساد من جهة وبواعث الخير والصلاح من جهة أخرى . فمن جهة جبل على العواطف والغرائز من حب النفس والهوى والاثرة واطاعة الشهوات ، كما فطر على حب التغلب والاستيلاء على الغير ، والتكالب على الحياة الدنيا . ومن جهة ثانية ، خلق الله سبحانه فيه عقلا هاديا يرشده الى الصلاح ، ومواطن الخير ، وضميرا وازعا يردعه عن المنكرات والظلم والشرور ويوءنبه على فعل ما هو قبيح ومذموم . ولايزال الخصام الداخلى فى النفس الانسانية مستعرا بين هذه الغرائز والعقل (٢) . اذن لابد من قانون يرجع اليه الجميع فى حفظ نظامهم وتنظيم غرائزهم ورعاية حقوقهم فى المعاملات والجنايات وغيرها من مرافق الحياة ، ويقطع به دابر الشغب ويزيل الفتن بين الافراد والجماعات ، ويحكم بينهم بالعدل ، وهذا القانون لابد وأن يكون سماويا ، لانه ان لم يكن سماويا لم يمكن رجوع الجميع اليه لاختلاف طباعهم وتباين أحوالهم وتضارب نزعاتهم ، فيقع التنافس بينهم ، ويختل بذلك نظامهم ، وهذا القانون هو الشرع . فلابد اذن للشرع من يسنه ويقرر ضوابطه ، ولابد من أن يمتاز ذلك الشخص على سواه من بين نوعه لانتفاء الاولوية ويلزم أن يتميز من قبل الله سبحانه بخارقة ينقاد اليه النوع البشرى وتصديقه بحيث يتم النظام ويستقر حفظ الانسان ، ويكون حجة من قبله تعالى يبين لهم ذلك القانون وذلك الحجة هو النبى (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٦ .
(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ٣٠ .
(٣) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٦٨ .

والنبوه بوصفها ظاهرة ربانية فى حياة الانسان هى القانون الذى وضع صيغة الحل هذه بتحويل مصالح الجماعة وكل المصالح الكبرى التى تتجاوز الخط القصير لحياة الانسان الى مصالح للفرد على خطه الطويل ، وذلك عن طريق اشعاره بالامتداد بعد الموت والانتقال الى ساحة العدل والجزاء التى يحشر الناس فيها ليروا أعمالهم. . وصيغة الحل هذه تتألف من نظرية وممارسة تربوية معينة للانسان على أساسها، والنظرية هى المعاد يوم القيامة ، والممارسة التربوية على هذه النظرية عملية قيادية ، ولا يمكن الا أن تكون ربانية لانها عملية تعتمد على اليوم الاخر أى على الغيب فلا توجد الا بوحى السماء وهى النبوة (١). ولهذا فالنبوة عند الشيعة تمثل رسالة ثورية وعملا تغييريا للجماعة الانسانية ، لكى تقوم بدورها الصالح بأن يتسلم شخص النبى الرسول الخلافة العامة ليحقق للثورة أهدافها فى القضاء على الجاهلية والاستغلال (٢) .

وهذه التربية لا يمكن أن تبدأ من داخل الجماعة التى انحرفت مسيرتها وتمزقت وحدتها ، بل لابد من تربية تتلقاها ، ولابد من هدى ينفذ الى قلوبها من خارج الظروف النفسية التى تعيشها . وهنا يأتى دور الوحى والنبوة ، ليكونوا منذرين ومبشرين ، فالوحى وحده هو القادر على أن يؤمن التربية الثورية التغييرية والخلقية والنفسية الصالحة ، التى تنشئ ثائرين لا يريدون فى الارض علوا ولا فسادا ، وتجعل من المستضعفين والمحرومين أئمة لكى يتحملوا أعباء الخلافة بحق ويكونوا هم الوارثين (٣) .

والنبى الرسول هو حامل الرسالة من السماء ، والانسان المبنى ربانيا ، ومن هنا دعا الانبياء الى جهادين : أحدهما الجهاد الاكبر من أجل أن يكون المستضعفون أئمة ويتغلبوا على شهواتهم ويبنوا أنفسهم بناء ثوريا صالحا ، والاخر الجهاد الاصغر من أجل ازالة المستغلين والظالمين عن مواقعهم. وهاتان العمليتان تسيران جنبا الى جنب فى ثورة الانبياء ، فالنبى ينتقل بأصحابه دائما من الجهاد الاكبر الى الجهاد الاصغر ومن الجهاد الاصغر الى الاكبر ، بل انهم يمارسون الجهادين فى وقت واحد ، حتى فى ساحات الجهاد وفى أحرج لحظات القتال (٤) .

---

(١) محمد باقر الصدر : موجز فى أصول الدين - مرجع سابق - ص ٥٧ .
(٢) محمد باقر الصدر : خلافة الانسان وشهادة الانبياء - قم - ايران - مطبعة الخيام - ١٣٩٩ هـ - ص ٤١ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ٤٠ .

والنبى يتمثل دوره فى أمور ثلاثة :

أولا : استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها .

ثانيا : الاشراف على ممارسة الانسان لدوره فى الخلافة ومسئولية اعطاء التوجيه بالقدر الذى يصل بالرسالة واحكامها ومفاهيمها الى مستوى التطبيق .

ثالثا : التدخل لمقاومة الانحراف واتخاذ كل التدابير الممكنة من أجل سلامة المسيرة .

ويعتقد الشيعة أن هذه الادوار يشترك فيها مع النبى (ص) الامام والمجتهد " المرجع الدينى". فالنبى أو الامام أو المجتهد ، هو مرجع فكرى وتشريعى من الناحية الايديولوجية ، يشرف على سير الجماعة ، وانسجامه أيديولوجيا مع الرسالة الربانية التى يحملها ، ومسئول عن التدخل لتعديل المسيرة أو اعادتها الى طريقها الصحيح اذا واجه انحرافا فى مجال التطبيق . فالنبى هو حامل الرسالة من السماء باختيار الله تعالى له للوحى ، والامام هو المستودع للرسالة ربانيا ، والمرجع هو الانسان الذى اكتسب من خلال جهد بشرى ومعاناة طويلة الامد استيعابا حيا وشاملا ومتحركا للاسلام ومصادره وورعا معمقا يروض نفسه عليه حتى يصبح قوة تتحكم فى كل وجوده وسلوكه ووعيا اسلاميا رشيدا على الواقع وما تزخر به من ظروف وملابسات ليكون شهيدا عليه (١) .

هذه نبذة مما يعتقده الشيعة فى حاجة الناس الى النبى باعتباره موجها ومعلما للناس .

" عقيدة الشيعة في نبوة محمد (ص)"

" يقول العلامة الحلى :". . فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله : اعلم أن هذا أصل عظيم فى الدين وبه يقع الفرق بين المسلم والكافر ، فيجب الاعتناء به واقامة البرهان عليه . . . " (٢) . ولهذا يعتقد الشيعة أن النبى محمد (ص) الذى جاء برسالة الاسلام تميز عن جميع الانبياء الذين سبقوه ، وذلك بتقديم رسالته بوصفها آخر أطروحة ربانية ، وبهذا أعلن أن نبوته هى النبوة الخاتمة . وفكرة النبوة الخاتمة كما يرى السيد محمد باقر الصدر ، لها مدلولان أحدهما : سلبى

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٦٥ .

وهو المدلول الذى يلغى ظهور نبوة أخرى على المسرح ، والاخر ،ايجابى وهو المدلول الذى يؤكد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها مع العصور . فالمدلول السلبى للنبوة الخاتمة قد انطبق على الواقع تماما خلال الاربعة عشر قرنا التى تلت ظهور الاسلام وسيظل منطبقا على الواقع مهما امتد الزمن ،غير أن عدم ظهور نبوة أخرى على مسرح التاريخ ليس لان النبوة تخلت عن دورها كأساس من أسس الحضارة الانسانية ،بل لان النبوة الخاتمة جاءت بالرسالة الوريثة لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات والمشتملة على كل ما فى تلك النبوات والرسالات من قيم ثابتة دون ما لابسها من قيم مرحلية ،وبهذا كانت هى الرسالة المهيمنة القادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من عوامل التطور والتجديد (١) .

كما أن الشيعة تعتقد أن النبى (ص) لابد أن يكون جامعا للفضائل من الصدق والعدالة والسخاء والشجاعة ،والورع والامانة والوفاء ، والزهد والعفة والصبر على الامور الدينية ،وأن يكون ذا أنفة وانتقام وحمية وذكاء وعلم ومعرفة وتنبيه للامور بأيسر دليل ،وادراك لغوامض الامور بأدنى اشارة وتعريض، وأن يكون قادرا على وجوه الكلام فى الافهام والاستفهام التى بها تتم السياسة الالهية ليكون معلما وهاديا الى الخير (٢) .

ويعتقد الشيعة بعصمة الانبياء ،ومنهم رسول الله (ص) بل هو سيدهم ، وأنهم منزهون عن ارتكاب الصغائروالكبائر قبل النبوة وبعدها ،وفى ذلك يقول التسترى :" ذهبت الامامية كافة الى أن الانبياء معصومون عن الصغائر والكبائر منزهون عن المعاصى قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان وعن كل رذيلة ومنقصة ،وما يدل على الخسة والضعة . " (٣) . و " أن يكون متصفا بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها - حتى لايدانيه بشر سواه فيها ، لانه لولا ذلك لما صح أن تكون له الرئاسة العامة على جميع الخلق ولا قوة ادارة العالم كله " (٤) . وبهذه الصفات تطمئن اليه القلوب وتركن اليه النفوس ،بل يستحق

(١) محمد باقر الصدر : موجز فى أصول الدين - مرجع سابق - ص ٧٦ .
(٢) الكرمانى : الاقوال الذهبية - مرجع سابق - ص ١٧٣ .
(٣) نور الله الحسينى المرعشى التسترى : احقاق الحق وازهاق الباطل - طهران المطبعة الاسلامية - ١٣٧٧ هـ - جـ ٢ - ص ١٩٨ .
(٤) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ٣٦ .

هذا المقام الالهى العظيم[١] . ومن هنا يرى الباحث أن يعرض فكرة العصمة ومعناها ومدلولاتها من وجهة نظر الشيعة ،لانها من القضايا التى يتوقف عليها صحة التشريع وعدمه .

القول فى عصمة الانبياء :

قلنا ان الشيعة تعتقد بأن النبى لابد أن يكون معصوما من جميع الذنوب صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها . والعصمة عند الشيعة :" . . .عبارة عن قوة العقل من حيث لايغلب مع كونه قادرا على المعاصى كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك المعصية ،بل يفعل به ألطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها" [٢] .

واستدل الشيعة على وجوب عصمة النبى بأمور :

الاول : ان العلة التى أحوجتنا الى وجود النبى (ص) فى الارض ، هى عدم عصمة الخلق لانهم لو كانوا معصومين لم يحتاجوا الى الانبياء (ع) فلو كان الانبياء غير معصومين لكانوا محتاجين الى غيرهم لوجود علة الحاجة فيهم ،فيكون الكلام فى غيرهم كالكلام فيهم فيؤدى الى وجود أنبياء لانهاية لهم أو وجوب الانتهاء الى معصوم ، ووجود أنبياء لانهاية لهم باطل ،فثبت وجوب عصمتهم[٣]. ولهذا يقول الخاجة نصير الدين الطوسى :" وامتناع التسلسل يوجب عصمته . ." [٤] لانه لو كان يخطىء لاحتاج الى من يسدده ويمنعه عن خطئه وينبهه على نسيانه ،فاما أن يكون معصوما فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل [٥] .

الثانى : لو لم يكن النبى معصوما لجاز عليه فعل المعصية ،وحينئذ فاما أن يجب علينا طاعته واتباعه فى فعل المعصية ،فقد وجب فعل المعصية الواجب تركها ، وحينئذ يجتمع الضدان ، وان لم يجب اتباعه فيها وقد جعله الله حجة علينا يجب اتباعه فتنتفى فائدة ارساله وتكون بعثته عبثا باطلا تعالى الله عن ذلك ، فوجب أن يكون معصوما [٦] ." . .ولانه حافظ للشرع ولوجوب الانكار عليه لو أقدم

(١) المصدر السابق : ص ٣٦ .
(٢) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ٣٧١ .
(٣) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٧٥ .
(٤) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٣٩٠ .
(٥) عبد الله شبر : حق اليقين - مرجع سابق - ص ١٢٣ .
(٦) القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٧٥ .

على المعصية فيضاد أمر الطاعة ويفوت الغرض من نصبه" (١) . ولهذا يقول المظفر : " انه لو جاز أن يفعل النبى المعصية ،أو يخطأ وينسى ، وصدر منه شيىء من هذا القبيل ،فاما أن يجب اتباعه فى فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب ، فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصى برخصة من الله تعالى ،بل أوجبنا ذلك ،وهذا باطل بضرورة الدين والعقل ،وان لم يجب اتباعه فذلك ينافى النبوة التى لابد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدا" (٢) .

الثالث: ان النبى (ص) لو لم يكن معصوما لم يحصل لنا الوثوق بقوله ،اذ من الجائز أن يكذب عمدا أو نسيانا ،ولايجوز على الله أن يرسل الى الخلق أنبياء كذابين ، لانه قبيح يستحيل على الله ذلك . فوجب أن يكون معصوما (٣) وفى ذلك يقول العلامة الحلى :" . . فلو جاز الخطأ عليه لم يبق وثوق بما تعبدنا الله تعالى به وما كلفناه وذلك يناقض الغرض من التكليف وهو الانقياد الى مراد الله تعالى . . " (٤) .

الرابع: انه لو جاز أن يعصى لوجب ايذاؤه والتبرى منه لانه من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لكن الله تعالى نص على تحريم ايذاء النبى فقال: " ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة" (٥) .

الخامس: انه لو جاز عليه العصيان لزم سقوط محله وانحطاط درجته عند الناس، وأن تكون شهادته مردودة لقوله تعالى :" ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" (٦) . فكيف تقبل عموم شهادته فى الوحى وأحكام الله تعالى . ويلزم أن يكون أدنى حالا من عدول الامة (٧) ." ولان وقوع المعصية من مثلهم أعظم من وقوعها من غيرهم ، والحجة عليهم ألزم ،ويقول الله تعالى :" لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فوجب عصمتهم" (٨) . ولهذا يقول الخاجة نصير الدين الطوسى :" ويجب فى النبى العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض ولوجوب متابعته وضدها والانكار عليه" (٩).

(١) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٣٩٠ .
(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ٣٦ .
(٣) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٧٥ .
(٤) العلامة الحلى :كشف المراد - مرجع سابق - ص ٣٩١ .
(٥) الاحزاب : ٥٧ .وأيضاعبد اللهشبر :حق اليقين - مرجع سابق- جـ١ - ص ١٢٢ .
(٦) سورة الحجرات : ٦ .
(٧) عبد الله شبر : المصدر السابق - ص . ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٨) القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٧٦ .
(٩) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص . ص ٣٧٥-٣٧٦ .

ويد ل على عصمة النبى (ص) قوله تعالى :" ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله" (١) . فان وجوب المحبة مطلقا يستلزم وجوب الطاعة مطلقا وكل من وجبت طاعته مطلقا كان معصوما (٢) .

وقد نفى أحمد أمين فكرة العصمة واعتبر ها" بعيد ة عن روح الاسلام وتعاليمه كما أنها بعيد ة عن الطبائع البشرية التى ركبت فيها الشهوات ، وركب فيها الخير والشر ، ومزجت فيها الميول المتعاكسة وفضيلة الانسان الراقى ليس فى أنه معصوم ، بل فى أنه قادر على الخير والشر ، وينجذب اليهما ، وهو فى أكثر الاحيان ينجذب الى الخير ويد فع الشر . أما الطبيعة المعصومة فطبيعة الملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا طبيعة الانسان الذى فقد شهوته لفقد حيويته " (٣) .

والظاهر أن أحمد أمين فهم من العصمة أنها طبيعة مخلوقة فى النبى أو الامام أو الملائكة ، وهذا مالايذهب اليه أحد من الشيعة ، وانما العصمة ملكة تمنع صاحبها عن فعل القبائح مع القدرة عليها حتى يتحقق الثواب والعقاب وبهذا المعنى يقول الشيعة :" والعصمة لاتنافى القدرة ، بل المعصوم قادر على فعل المعصية و الا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب ولبطل الثواب والعقاب فى حقه فكان خارجا عن التكليف وذلك باطل بالاجماع وبالنقل فى قوله تعالى :" قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى" (٤) . ومن هنافان صياغته المنطقية فى عصمة الملائكة واعتبارها من طبيعتهم ، واستد لاله بالاية غير سليمة ، لان الطبيعة المعصومة لاتحتاج الى الامر والنهى حتى يترتب عليه العصيان ، والملائكة يؤمرون وينهون . وثانيا أن المستفاد من كلامه هذا بمفهوم المخالفة أن النبى يعصى الله فى أوامره ونواهيه ، ولا يفعل ما يأمره الله به ، لان ذلك خاصا بالملائكة . بالاضافة الى أنه من الثابت أن رسول الله (ص) أشرف الخلق ، ولما كان الملائكة من مخلوقات الله ، فهو أشرف منهم فاذا أعطينا صفة العصمة للملائكة من حيث المعنى الذى ذهب اليه الشيعة فى العصمة ، فالاولى أن نقول ذلك بالنسبة الى الرسول . "ولان الله قال :" وانك لعلى خلق عظيم" (٥) . وفسرت عائشة ذلك

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .
(٢) القزويني : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٧٦ .
(٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٣ - طبعة ١٩٧٨ - ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .
(٤) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٣٩٢ .
(٥) سورة القلم : ٤ .

بأن خلقه القرآن . . . واقتصرت فى خلقه على ذلك - فدل على أن قوله وفعله واقراره راجع الى القرآن ، لان الخلق محصور فى هذه الاشياء ، ولان الله جعل القرآن تبيانا لكل شيىء" (١) .

والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالصياغة المنطقية تقتضى أن يكون الرسول كذلك ، ولما كانت وسوسة الشيطان من الباطل فهى اذن منتفية عن الرسول ، وبهذا يبطل قول الغزالى بأن الشيطان لابد وأن يوسوس للنبى (٢) . وقال ابن عقيل فى الارشاد : " انهم عليهم السلام لم يعتصموا فى الافعال - بل فى نفس الاداء ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى - وهذا ينكره علماء الشيعة فانهم أجمعوا على أن الانبياء لا يخطئون ولا يعتريهم السهو والنسيان - وهم يجمعون على أنهم معصومون فى الكبر والصغر حتى فى أمور الدنيا - وقد ثبت أن النبى كان يصدق بعض ما يفتريه المنافقون - كما وقع فى غزوة تبوك وغيرها . وصدق بعض أزواجه وتردد فى حديث الافك ، وضاق صدره به زمنا حتى نزل عليه ايات البراءة فكشفت له الغطاء عن الحقيقة " (٣) .

من هذا يظهر أن الانبياء يخطئون وينسون فيما اذا لم يكن اداء عن الله سبحانه بل قد تصدر منهم الصغائر ، ومعلوم أن مرتكب الصغيرة تخرجه عن العدالة فتنتفى شهادته . أما قول ابن عقيل : ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى . فان معنى ذلك أنه يجوز عليهم الكذب فى غير ذلك ، وهذا ما يخالف خلق القرآن الذى هو خلق الرسول . والكذب من الباطل مطلقا سواء كان فيما يبلغه عن الله أوغير ذلك . وأما حديث الصدق والتردد فيما يفتريه المنافقون ، وتردده فى حديث الافك ، فهو لا يخلو ، اما أن يكون النبى (ص) عالما بنفاقهم أو أنه يعتقد بايمانهم ، فاذا كان عالما بنفاقهم فلا يجوز له تصديقهم قبل التثبت لقوله تعالى : " ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" ، وان كان يعتقد ظاهرا بايمانهم فهو نزول عند الحكم الشرعى حيث أن الشارع اعتبر قول المؤمن حجة . وأما تردده وشكه فى حديث الافك فلا يصح أن يصدر عن النبى (ص) قبل أن يتثبت فى الامر كما سبق من خلقه ، وان خلقه القرآن . ومن هذا يظهر عدم صحة ما قيل فى ذلك .

---

(١) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص ١٣.
(٢) انظر أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٣ .
(٣) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص. ص ١-١٦ .

الاصل الثالث :"العدل":

يعتقد الشيعة بعدل الله المطلق ، ولهذا قالوا :" فى العدل وبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الاصول من النبوة والامامة والمعاد ، وهو وان كان داخلا فى جملة صفاته تعالى .. لان معنى قولنا عادل أنه حكيم ليس بظالم. .. وقد قال أمير المؤمنين (ع) التوحيد أن لاتتوهمه والعدل أن لاتتهمه . وبالجملة فالعدل هو اعتقاد أنه تعالى عادل فى مخلوقاته غير ظالم لهم لايفعل قبيحا ولا يخل بواجب ولايجور فى قضائه ولايحيف فى حكمه وابتلائه يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين ولا يكلف الخلق مالايطيقون ولا يعاقبهم زيادة على مايستحقون ولا يقابل مستحق الاجر والثواب بأليم العذاب والعقاب وأنه تعالى لم يجبر عباده على الافعال سيما القبيحة ويعاقبهم عليها" (١) .

وكلما استطاع الانسان من خلال ممارسته السلوكية أن يتصاعد فى تحقيق تلك المثل ، ويجسد فى حياته بصورة أكبر عدالة الله وعلمه وقدرته ورحمته وجوده ورفضه للظلم والجبروت ، كلما سجل انتصارا فى مقاييس الخلافة الالهية فى الارض واقترب نحو الله فى مسيرته (٢) " ولم يكن من الصدفة أن يوضع العدل أصلا من أصول الدين ويميز عن سائر صفات الله تعالى بذلك - حسب اعتقاد الشيعة- وانما كان تأكيدا على أهم صفات الله تعالى فى مدلوله العملى ودوره فى توجيه المسيرة الانسانية .. وذلك لان العدل فى المسيرة وقيامها على أساس القسط هو الشرط الاساسى نحو كل القيم الخيرة . . . وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضرورى لتحرك تلك القيم وبروز الامكانات الخيرة" (٣) .

ان مسألة العدل الالهى ترتبط ارتباطا وثيقا بمسألة الارادة الانسانية والحسن والقبح أو الخير والشر . ومن هنا يحاول الباحث عرض وجهة نظر الفرق الاسلامية فى هاتين المسألتين وموقف التربية منها .

أولا : فى حرية الارادة الانسانية ،أو القضاء والقدر وموقف التربية منها :

تجدر الاشارة أولا الى ما جاء فى معنى القضاء والقدر ،ثم بيان ما يمكن تعلقه بأفعال المكلفين على رأى الشيعة .

(١) عبد الله شبر : حق اليقين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧٣ .
(٢) محمد باقر الصدر : خلافة الانسان وشهادة الانبياء - مرجع سابق - ص١٨ .
(٣) المصدر السابق : ص . ص ١٨ - ١٩ .

أما القضاء : فقد جاء فى اللغة على معان أربعة . الاول بمعنى الاعلام كقوله تعالى :" وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين" الحجر : ٦٦ أى اعلمناه بذلك وأخبرناه ، وقوله تعالى "وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين" . الاسراء : ٤ . أى أعلمناهم وأخبرناهم. الثانى : بمعنى الخلق كقوله تعالى :" وقضاهن سبع سموات" . فصلت : ١٢ . أى خلقهن سبع سماوات. الثالث : بمعنى الامر كقوله تعالى :" وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه " الاسراء : ٢٤ . أى أمر بذلك فى التكليف على خلقه وألزمهم به . الرابع : بمعنى الفصل بالحكم بين الناس كقوله تعالى :" والله يقضى بالحق " . المؤمن : ٢٠ . أى يفصل بالحكم بالحق . . ويأتى أيضا بمعنى الفراغ من الامر والانتهاء منه كقوله تعالى : " قضى الامر الذى فيه تستفتيان" . يوسف : ٤١ . أى فرغ منه (١) .

وأما القدر : فقد جاء فى اللغة على معان ثلاثة : الاول : بمعنى الاخبار والكتاب كقوله تعالى : الا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين" الحجر : ٦٠ . أى أخبرنا وكتبنا ذلك فى اللوح المحفوظ . الثانى : بمعنى وضع الاشياء فى مواضعها بلازيادة ولا نقيصة كقوله تعالى :" وقدر فيها أقواتها" . فصلت : ١٠ . الثالث بمعنى التوضيح بمقادير الاشياء وتفاصيلها والاعلام باختلاف أحوالها (٢) .

أما ما يتعلق بأفعال الانسان فيمكن القول ان الله تعالى قضى بها عليه على معنى حكم بها عليه والزمه اياها وأوجبها ، وهذا الالزام هو أمره له وليس على سبيل الالجاء والاجبار . كما يمكن أيضا القول ان الله قدر أفعال الانسان على معنى أنه بين مقاديرها وأوضح تفاصيلها واختلاف أحوالها من حسنها وقبحها وفرضها وحلالها وحرامها ومندوبها . وأما أنه قضاها بمعنى خلقها فى الانسان فباطل لايجوز ،لانه ان أريد أنه خلقها فيه ،لقال سبحانه :وقضى فى خلقه بالعصيان ولا يقول قضى عليهم ، لان الخلق انما يكون فى الانسان لاعليه ، مع أنه تعالى قد أبطل هذا القول بقوله :" الذى أحسن كل شيىء خلقه" السجدة ٧ . فهو صريح فى عدم وجود القبيح فى خلقه ،وان كل فعله حسن ،والمعاصى قبائح باتفاق المسلمين فوجب نفيها عنه سبحانه . وان أريد أنه قضى عليه بالمعاصى بمعنى أمره بها فقد أبطل هذا القول أيضا قوله تعالى :" ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون" . الاعراف : ٢٨ . فهذا صريح فى عدم ارادة هذا المعنى . وان أريد أن الله قضى على الانسان بالمعاصى

---

(١) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥١ .

بمعنى أعلمه بها فغير صحيح أيضا لان الانسان لايعلم فى المستقبل بأنه يطيع أو يعصى ، ولايستطيع أن يحيط علما بما يكون فيه على التفصيل ، ولانه لو خلق الطاعة والمعصية فى عباده لسقط اللوم عن العاصى بمقتضى العدل ، ولم يستحق الطايع ثوابا على عمله بمقتضى العقل (١) .

ويظهر من النصوص أن أول من تكلم بالقضاء والقدر بهذا المعنى الامام على بن أبى طالب ، حينما سأله رجل من أهل العراق عن خروجهم لحرب الشام أبقضاء الله وقدره (٢) . الى أن قال له الامام على :" . . وتظن أنه كان قضاء حتما وقدرا لازما ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهى والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن . ولكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب . . . ان الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها . . ." (٣) . ولهذا يقول السيد أمير على :" وأول من تكلم فى حرية الانسان فى أفعاله رسول الله (ص) ثم على بن أبى طالب أو القضاء والقدر فما . . روى عن الامام على (رض) . . . يهدينا الى الرأى الاسلامى الصحيح فى موضوع حرية الارادة الانسانية . . وفى خطب الامام على ما يؤيد ذلك" (٤) . ويعقب على ذلك بقوله :" ويقدم لنا احتجاج الطبوسى مادة جديدة تساعدنا على تكوين رأى صحيح بشأن مسألة الجبر فى الاسلام ، فقد سأل رجل عليا أمير المؤمنين عن القضاء والقدر فقال : الامر بالطاعة والنهى عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية . . . ثم قال فى قوله تعالى :"" يهدى من يشاء ويضل من يشاء " ليس معناه أنه أجبرهم على فعل الشر أو الخير لانه لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب ولكن المقصود بالهداية هو التعريف ، أى عرف لهم طريق الهدى ثم ترك لهم اختيار ما يشاءون" (٥) ولهذا يقول الدكتور عمارة :" أما الامام على بن أبى طالب فان القائلين بالعدل والتوحيد ، سواء منهم المعتزلة أو الذين وقفوا فى الامامة

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٥١-٥٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٣ . وأيضا الكلينى : الكافى - مرجع سابق جـ ١ - ص. ص ٢١٦ - ٢١٧ . وأيضا السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ٢١٦- ٢١٧ .

(٤) ،(٥) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - ص . ص ٢٩٧ الى ٣٠٠ .

والسياسة مع فرق الشيعة ، يذكرون الكثير من الاقوال والمواقف التى تثبت اشتراكه فى هذا الصراع الفكرى حول الجبر والاختيار ، ووقوفه الى جانب القول بحرية الانسان " (١) .

وتعتبر مشكلة حرية الارادة الانسانية من أهم المشكلات الكلامية التى حدثت فى الاسلام فى عصره المبكر ، ويظهر من النصوص أن هذه المشكلة نشأت على أيدى الشيعة فى عصر الامام على ، وتبلورت معالمها على أيديهم ، فهى محض نتاجهم وتفكيرهم ، وذلك قبل التقاء المسلمين بالثقافات الاخرى ، من فارسية ويونانية ، وانما نشأت نتيجة الاوضاع السياسية والاجتماعية التى صحبت الشيعة فى عصر عثمان . وفى ذلك يقول أبو زهرة :" وقد كثر الكلام فى القدر فى عهد الامام على كرم الله وجهه ، وكان هو الذى يرد الشبهات ويكشف الغمة عن ادراك كل من يلتبس عليه الامر ويتحير " (٢) " ولم تأخذ المشكلة شكلا واضحا الا فى زمن " على " الخليفة الرابع ، وكان الجواب عنها وخاصة عند على ومريديه تأكيدا لاختيار الانسان " (٣) .

ويصور الامام الحسن بن على حرية الارادة فى قوله :" من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنوبه على ربه فقد فجر ، ان الله لايطاع استكراها ولايعصى لغلبة ، لانه المليك لما ملكهم والقادر على ما قدرهم عليه ، فان عملوا بالطاعات لم يحل بينهم وبين ما فعلوا ، وان عملوا بالمعصية فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا ، فاذا لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لاسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصى لاسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا فى القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة بالطاعات كانت له المنة عليهم" (٤) . وبهذا المعنى جاء عن الامام الصادق قوله :" لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين " (٥) وقال أيضا :"لاجبر ولاقدر ولكن منزلة بينهما "(٦)

---

(١) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - مرجع سابق - ص.ص٢٠ ، ٢١.

(٢) أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ١٤١ .

(٣) محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة - الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث ودراسات اسلامية - جمع وتقديم محمد خلف الله - القاهرة النهضة المصرية - ١٩٦٢ - ص ٣٦ .

(٤) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق جـ ١ - ص ٤١٣ .

(٥) أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٢٥ . وأيضا الكلينى : الكافى مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٤ .

(٦) الكلينى : المصدر السابق - ص ٢٢٢ .

وقد سئل أبو الحسن محمد بن موسى الرضا عن أفعال العباد ، فقيل له هل هى مخلوقة لله تعالى ،فقال عليه السلام :" لو كان خالقا لها ما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه : ان الله برىء من المشركين ، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ،وانما تبرأ من شركهم وقبائحهم . وسأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أفعال العباد لمن هى ، فقال أبو الحسن عليه السلام : ان أفعال العباد لاتخلو من ثلاثة منازل : اما أن تكون من الله خاصة ،أو منه ومن العبد على وجه الاشتراك فيها ، أو من العبد خاصة ، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسنها والذم على قبحها ولم يتعلق بغيره حمد ولا لوم فيها ،ولو كانت من الله والعبد لكان الحمد لهما معا ،والذم عليهما جميعا فيها ، واذا بطل هذا ثبت أنهما من الخلق ، فان عاقبهم الله تعالى على جنايتهم فله ذلك ،وان عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة " (١) . ويعقب أبو زهرة على قول الامام هذا :" هذا كلام واضح فى أن الله تعالى لاتنسب اليه أفعال العباد فيكون العدل فى الثواب والعقاب." (٢) وهكذا تبلورت فكرة حرية الانسان على أيدى أئمة الشيعة ،كما نبعت هذه الفكرة من البيت العلوى (٣) . ولهذا " وقف الائمة من آل البيت للفريقين - الجهمية والقدرية والمعتزلة - يصححون ويدعون ويرشدون ، وأوضحهم فى هذا الصادق" (٤) " وقد كان أبوه محمد الباقر على قيد الحياة ، يتولى هو الهداية والارشاد " (٥) .

يقول الدكتور عمارة :" ويشهد لهذه الفكرية بالاصالة فى تراثنا - اتساع القاعدة والارض التى ضمت العديد من التيارات والمدارس الفكرية والفرق الاسلامية التى قالت بالحرية والاختيار . . . من فرق الشيعة : تيار كبير من الشيعة الامامية وغيرها ، يذكر من أعلامه فى كتب طبقات المعتزلة كثيرون منهم مثلا : الحسن بن على بن أبى طالب ، والحسين بن على بن أبى طالب ،والحسن بن الحسن ،وعبد الله بن الحسن بن الحسن . . . وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية والحسن بن محمد بن الحنفية . . ." (٦) . الى آخر من

---

(١) أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢١٧ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢١٨ .
(٣) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٣٢ .
(٤) أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ١٥٥ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤٧ .
(٦) محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - مرجع سابق - ص ٤٠ ص ٢٥،٢ .

ذكرهم وهؤلاء كلهم قالوا بحرية الانسان وهم من رؤساء التشيع ،بل ان بعضهم من أئمة الشيعة ،كالحسن والحسين ،وهؤلاء وغيرهم تعرضوا لمسألة حرية الانسان قبل أن يوجد واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون هناك اعتزال .

هذا وقد قسم الشيعة فعل الانسان حسب ما تقتضيه الضرورة الى أقسام ثلاثة : ما يصدر عن الانسان عن اضطرار كحركة المرتعش والساقط من أعلى السطح . وما يصدر عنه من غير قصد كفعل النائم والساهى والناسى ،وما يصدر عنه عن قصد واختيار كالاكل والشرب والصعود والنزول ،وهذا الاخير هو من فعل الانسان لامن فعل غيره ،لان كل عاقل لايشك فى الفرق بين حركاته الاختيارية والاضطرارية ويحكم حكما قطعيا ببداهة فطرته وعقله أن الحركاتالاختيارية الصادرة عنه هى من فعله وايجاده (١) .

فى هذا الجو الذى ظهر فيه القول بحرية الانسان واختياره ، ظهر اتجاه آخر يذهب أصحابه الى القول بالجبر ،وأن أفعال العباد مخلوقه وليس هناك خالق الا الله . ولهذا يقول البغدادى :" فمن زعم أن العباد خالقون لاكسابهم فهو قد رى مشرك بربه لدعواه ان العباد يخلقون مثل خلق الله من الاعراض التى هى الحركات والسكون . . (٢)" .

ولم يظهر الاتجاه الجبرى الا فى العصر الاموى ، ففى هذا العصر ظهرت جماعة من الناس فى دمشق قالوا بأن الانسان مجبور فى أفعاله ،ليس لديه قوة على الفعل ،أو الترك ، لانه خاضع فيها لسلطان الله وارادته ،وأن أفعاله كلها صادرة مباشرة عن الله ، وقد يكون ذلك بتشجيع من الامويين أو بوحى منهم (٣) . ويمثل هذا الاتجاه الجبرى عند أهل السنة الاشعرى فى قوله :" وأقروا أنه لاخالق الا الله ،وأن سيئات العباد يخلقها الله ،وأن اعمال العباد يخلقها الله عز وجل ، وأن العباد لايقدرون أن يخلقوا منها شيئا . . . وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره ،حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله " (٤) .

(١) أمير محمد القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ٥٣ .
(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة - مطبعة المدنى - بدون تاريخ ص . ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .
(٣) محمود حسب الله : موقف الاسلام من المعرفة والتقدم الفكرى - مرجع سابق - ص ٣٧ .
(٤) الاشعرى : مقالات الاسلاميين - مرجع سابق - جـ١ - ص ٣٤٦ .

وقد ذهب من أهل السنة من أكد على :" ان الله سبحانه خالق الاجسام والاعراض خيرها وشرها ، وأنه خالق أكساب العباد ، ولا خالق غير الله ، واعتبروا ذلك من عدل الله سبحانه" (١) . " والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال . . من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم" (٢) ومن هنا جوز الاشعرى أن يكلف الله الانسان بما لايطاق (٣) .

يقول الاسفراييني فى بيان عقيدة هؤلاء فى مسألة الجبر والاختيار :" فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة : . . . أن تعلم أن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوان وجميع الافعال والاقوال والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئا ولاعينا" .(٤) وفى ذلك يرى الطحاوى أن " كل شيىء يجرى بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لامشيئة للعباد الا ما شاء لهم . فماشاء لهم كان ، ومالم يشأ لم يكن" (٥) .

وقد بنى أصحاب هذا الرأى فى قولهم بالجبر بأن لا ارادة للعبد مع ارادة الرب على أمرين : الاول : ان كمال الاله فى التفرد ، ونفى القدرة عيب ونقصان ، والكمال يقتضى أن يكون كل شيىء خاضعا لقدرة الله وجاريا على ماتقتضى به حكمته . والثانى : اثابة المحسن ليس لاحسانه وحده ، وانما ذلك من فضل الله عليه ، وتعذيب من يعذبهم الله ليس لذنوبهم وحدها ، وانما ذلك لحكمة يعلمها الله وليس فى هذا ظلم ، لان الظلم انما ينسب لمن يتصرف فى غير ملكه ، والله سبحانه يتصرف فيما خلق (٦) . ولهذا روى فى الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : " ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبد و للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبد و للناس وهو من أهل الجنة" (٧).

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق - مرجع سابق - ص ٣٣٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٠ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٩٦ .
(٤) الاسفراييني : التبصير فى الدين - مرجع سابق - ص ١٣٥ .
(٥) على بن على بن محمد الحنفى : مختصر شرح العقيدة الطحاوية دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية - بدون تاريخ - ص ٣٣ .
(٦) عبد الكريم الخطيب : القضاء والقدر بين الفلسفة والدين - ط٢ - القاهرة الفكر العربى - ١٩٧٩ - ص ٢٠٤ .
(٧) على بن على الحنفى : مختصر شرح العقيدة الطحاوية - مرجع سابق ص ١١٤ .

من هذا العرض تبين لنا أن هناك اتجاهين متقابلين أحدهما يذهب الى القول بأن أفعال الانسان مخلوقة وليس له من الحرية والارادة ما تجعله يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، ويتفاعل مع المجتمع الذى يعيش فيه ، مادام الانسان خاضعا لقوى خفية ظاهرة لكل حركاته وسكناته . ولهذا فان التربية ليس لها أثر فى تغيير سلوكه وبالتالى تنتفى من عالم الانسان الاهداف العامة للتربية (١) . ويمثل هذا الاتجاه فرق من أهل السنة والجماعة .

أما الاتجاه الاخر الذى يثبت للانسان حرية تجعله يتأثر بمؤثرات البيئة فان التربية تؤدى دورها فى تغيير سلوك الانسان ، ومن هنا يتضح أن التربية الصحيحة غير مقصودة ولا مقدورة فى غياب الحرية الا ما قد يكون بالتخويف من شر المستبدين (٢) . ويمثل هذا الاتجاه الشيعة والمعتزلة .

ولما كان الانسان هو موضوع اهتمام فلاسفة التربية ، باعتباره موجودا من الموجودات المتعددة ، ويحمل فى داخله قدرا كبيرا من الامكانيات والاستعدادات بل ومن المتناقضات ، وله أهداف معينة فى هذه الحياة لابد من تحقيقها لكى تتحقق له انسانيته ، ولاتكون الا عن طريق الممارسة والاحتكاك والتفاعل من جانب الانسان لاخيه الانسان ، وعن طريقها تتحقق غايته الاساسية ، وهى تحقيق ذاته وتأكيد حريته ، فالانسان بهذا لايستطيع تحقيق وجوده الا بقدر ما يحقق من الامكانيات ، التى لاتتحقق الا بحرية الانسان وقدرته واختياره (٣) .

ومن هنا تظهر أهمية الحرية بالنسبة للتربية ، حيث ان الحرية أساسية فى تحقيق الذات الحقيقية ، أما اذا فقد الانسان حريته فان النتائج السيئة فى تربيته أكثر من أن تعد و تحصى ، فالانسان الفاقد لحريته لايمكن له القيام بالعملية التربوية على الوجه الاكمل (٤) . اذن فالتربية لايمكن أن تنجح مالم تقم على أساس استعدادات التلميذ واهتماماته وأغراضه (٥) . وعلى هذا فالتربية

---

(١) علاء الدين أمير محمد مهدى القزوينى : المعتزلة فلسفتهم واراؤهم فى التربية والتعليم - رسالة ماجستير غير مطبوعة - كلية التربية عين شمس - أصول التربية - ١٩٨١ - ص ٧٧ .

(٢) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال دراسات فلسفية - مرجع سابق - ص ١٠٧ .

(٣) سامى نصر لطف : الحرية المسئولة فى الفكر الفلسفى الاسلامى - مكتبة الحرية الحديثة - ١٩٧٧ - ص ١٠ - ١١ .

(٤) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية - مرجع سابق - ص ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥) جورج - ف - نيلر : مقدمة الى فلسفة التربية - ترجمة نظمى لوقا - القاهرة الانجلو المصرية - ١٩٧٧ - ص ٦٥ .

الصحيحة والمثمرة لاتجد لها نصيرا الا من القائلين بالحرية الانسانية ، وان الشيعة هم أنصار هذا القول ، كما سبق ." والتربية ما هى الا وسيلة لتنمية قدرات الانسان وامكانياته واستعداداته الحرة لتتحقق انسانية الانسان" (١) . وهذا ما دعـــا اليه الشيعة فى قولهم بالارادة وحرية الانسان .

فالمربى اذن لابد أن يكون حر الارادة فى اختياره للمواد الدراسيـــة وطريقة التدريس الملائمة من غير جبر ولا اكراه ، كما أن التلميذ يجب أن يكون حرا فى اختيار المواد التى تلائم قدراته العقلية وميوله النفسية ليتجه اليها ذاتيـــا وبدون قهر من السلطات العليا . وعلى هذا يكون اتجاه التربية اتجاها طبيعيـا وسليما ومتمشيا مع الطبيعة الانسانية الحرة (٢). بمعنى أن الانسان يولد ولـــه القدرة والقابلية على اختيار أفعاله والاتيان بها (٣) . لكى يربى تربية حـــرة تهتم بتنمية شخصيته وقدرته على الاختيار.

ثانيا :" الحسن والقبح أو الخير والشر":

تحدث الشيعة وأسهبوا الحديث عن العقل ، وعدوه أصلا من أصول التشريع " لانهم ذهبوا الى أن للاشياء حسنا وقبحا يدركها العقل قبل أن يرد أمر الشارع أو نهيه ، وعللوا ذلك بأن الله بين فى طائفة من الاحكام منافعها وأضرارهـــا وأن منكرى الشرائع السماوية يحكمون بحسن بعض الاشياء وقبح بعضها الاخر وان العقل نفسه يحكم بقبح ما يراه عبثا أو تكليفا بما لايطاق " (٤) .

وقد ذهب الشيعة ومن تابعهم من المعتزلة الى أن من الافعال ما هـــو معلوم الحسن والقبح ببداهة العقل كالعلم بحسن الصدق النافع وقبح الكـــذب الضار ، فان كل عاقل لايشك فى ذلك ، وليس اعتقاده بهذا الحكم بأقل مـــن اعتقاده بأن الممكن مفتقر الى السبب ، وأن الاشياء المساوية لشيىء واحد متساوية ، كما أن من الافعال ما هو معلوم بالاكتساب والتعلم أنه حسن أو قبيح كحســـن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسن الفعـــل

---

(١) علاء الدين القزوينى : المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليـــم مرجع سابق - ص ٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ٧٨ .

(٣) R.L. Akcher:Roussau on Education (London, Arnold, Co.1928) P.78.

(٤) صبحى الصالح : معالم الشريعة الاسلامية - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٧٥ - ص ٥٢ .

أو قبحه كالعبادات [١] . فلو " كان الحسن والقبح شرعيين لما حكم بهما من ينكر الشرائع ، والتالى باطل فان البراهمة باسرهم ينكرون الشرائع والاديان كلها ويحكمون بالحسن والقبح مستندين الى ضرورة العقل فى ذلك" [٢] .

وقد يستفاد من ذكر الله تعالى للهداية الى الخير والشر عند بيان تكوين الانسان ، أن ادراك الخير والشر أمر فطرى فى الانسان ويكون جزءا من بنائه ، " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين" . فمن هذا النص ونصوص أخرى يمكن الاستنتاج بأن الاسلام يعتبر ادراك الخير والشر فطريا عند الانسان ، لكن يجب أن يعلم أنه لايتسنى للانسان ادراك جميع أوجه الخير والشر بصورة فطرية ، والا فأى ضرورة فى ارسال الانبياء ، ذلك أن الجانب الفطرى من هذه الادراكات منحصر فى المسلمات الاولية للخير والشر أو الفضائل والرذائل ، ويبقى جانب من هذه الادراكات يحتاج فيها الانسان الى التعلم والاقتباس . وبعبارة أخرى ، ان هناك طائفة من الافعال تكون ضرورية لسعادة الانسان ، وطائفة أخرى مضرة بسعادته وكماله ، فتسمى الطائفة الاولى خيرا والثانية شرا [٣] .

ويستطيع الانسان أن يصل الى معرفة الخير والشر من طريقين : الفطرة والتربية ، فهناك طائفة من الامور الخيرة والشريرة تدركها جميع الامم والشعوب فى العالم ، ولا تحتاج فى فهمها الى معلم ، بل انها من الامور الفطرية عندهم وهناك طائفة من الخيرات والشرور لايدركها الانسان بفطرته ، بل ان الانبياء القائمين على تربية البشرية ، هم الذين يبينون حسنها أو قبحها ، وقد أصبحت لها على مر العصور جذور عميقة فى نفوس الناس ، هذه الطائفة غير فطرية فهى تحتاج فى بيانها الى التربية الخلقية [٤] .

وقد توسع الشيعة فى حكم العقل فى معرفة الحسن والقبح أو الخير والشر ، ويعتبر " شيخ الطائفة الطوسى هو أول من مهد لفكرة الاستدلال بالعقل على

---

(١) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - مرجع سابق - جـ ١ - ص.ص٢١٤ - ٢١٥ . وأيضا العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص٣٢٨ . وأيضا عبد الله شبر : حق اليقين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧٤ .

(٢) محمد حسن المظفر : المصدر السابق - ص ٢١٧ .

(٣)،(٤) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - ترجمه عن الفارسية فاضل الحسينى الميلانى - ط ٢ - مطبعة الاداب فى النجف الاشرف -١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م - جـ ١ - ص ٠ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

الحكم الشرعى الفرعى ، وذلك بتقسيمه الافعال الى حسنة وقبيحة ، وجعله طريق معرفة ذلك الشرع أو العقل ، وتمثيله للقبائح الشرعية بشرب الخمر والربا ، وللقبائح العقلية بالقتل والظلم ، ومما يحسن شرعا بالجهاد ومما يحسن عقلا بالاحسان" (١) . ونظرة الاسلام هذه الى الخير والشر - حسب ما يذهب اليه الشيعة والمعتزلة - تلتقى مع أحدث النظريات الاخلاقيةالتى تجعل الفرد يقيم الاخلاق ويزنها بميزان ذاتية (٢) .

هذا ما ذهب اليه الشيعة فى الحسن والقبح أو الخير والشر وتقسيمهما الى عقلى وشرعى ، والشرعى معناه ،أن الفعل بما هو يتصف اما بالحسن ، أو القبح ، ولكن العقل لا يتوصل الى ذلك ،فيكون الشارع كاشفا عن حسنه أو قبحه .

أما أهل السنة ،فذهبت فرق منهم الى أن الحسن والقبح أو الخير والشر شرعيان ،أى ليس هناك ما يسمى حسنأو قبيح ، وانما الحسن والقبح راجع الى الشرع ،فما حسنه الشارع فهو حسن ، وما قبحه فهو قبيح ، ولهذا يقول الالوسى : " ان الافعال كلها سواء ليس شيئ منها فى نفسه يقتضى مدح فاعله وثوابه ولا ذم فاعله وعقابه . . " (٣) ، " بل كل ما أمر به الشارع فهو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح ، حتى لو انعكس الحكم لانعكس الحال كما فى النسخ من الوجوب الى الحرمه ،فليس للعقل حكم فى حسن الافعال وقبحها ، وفى كون الفعل سببا للثواب والعقاب ،بل انما الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ،فالامر والنهى امارة موجبة للحسن والقبح لاغير " (٤) .

وصفوة القول ،ان العقل ،من منظور الشيعة ، وان كانت له وظيفة ادراك الحسن والقبح ،الا أن ادراكه محدد بحدود خاصة لاتتعدى الكليات من ناحية ،ولا تعنى كثيرا بمجالات التطبيق والقضايا الجزئية من ناحية أخرى ، ولما كان فى الانسان قوى أخرى كالحواس ، والغرائز ، وغيرها ،فهى مسئولة عن ذلك وهذه القوى عرضة لكثير من الاخطاء ،كما أن كثيرا من تصرفاتها لامنطقية ، ولهذا

(١) رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة الامامية - رسالة دكتوراه مطبوعة - جامعة الازهر - كلية الشريعة والقانون - بغداد - مطبعة دار السلام - ١٩٧٣ - ص ٩٣ .
(٢) عبد الكريم الخطيب : القضاء والقدر - مرجع سابق - ص ١٤٠ .
(٣) محمود شكرى الالوسى : مختصر التحفة الاثنى عشرية - مرجع سابق ص ٧١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٧١ .

توجد كثير من الاخطاء فى مجالات التطبيق لبعض المدركات العقلية ، فالعدالة مثلا مما تطابق على حسنها العقلاء ، وأقاموا عليها دساتيرهم وانظمتهم وشرائعهم ، ولكن لو حاول الانسان التعرف عليها فى مجالات التطبيق لرأى التفاوت الكبير بينهم ، فالشيوعية - مثلا - ترى أن العدالة لاتتحقق الا اذاألغيت الملكية الفردية الغاء تاما ، واستبدلتبالملكية الجماعية ، بينما يرى دعاة الحرية الاقتصادية فسح المجال للفرد فى أن يمتلك ما يشاء ويعمل مواهبه فى انماء ملكيته دون تدخل من السلطات فى شأنه ، وكل يدعى تحقيق العدل فيما تبناه من تشريعات ، وقد يكون بعضهم مخلصا فى ذلك (١) . .

هذه النظرة التجزيئية للانسان ، وتركيز النظر على بعض جوانبه الفردية أو الاجتماعية مع غفلة عن بقية الجوانب ، وقصور عن استيعاب النظرة وشمولها ، كل ذلك مما أوقعه بهذه التناقضات ولهذا احتاج الانسان الى من يضمن له العدل فى تشريعاته على أن تستوعب مختلف أبعاده المتشابكة ، سواء ما يتصل منها بتحديد علاقة الفرد بربه ، أم بنفسه ، أم بمجتمعه ، أم المجتمعات بعضها ببعض ، ولايمكن أن يضمن ذلك غير خالق الانسان ، ولما كانت الاحكام وليدة مصالح ومفاسد فى المتعلقات ، وان العقول لو استشرفتها واطلعت على واقعها لاقرتها حتما ، ولكن قصورها عن ادراك ذلك ، هو الذى أوقع بعض أربابها فى كثير من المفارقات . ولهذا ورد عن أئمة أهل البيت ، أن دين الله لايصاب بالعقول ، أى ما ثبت أنه من الدين لايمكن للعقول أن تدرك فلسفة ذلك ككل ، لقصور امكاناتها عنها فى مجالات الادراك ، ولكن هذا لايمنع من أن يدرك العقل شيئا - على سبيل الموجبه الجزئية - ومن ادراكه يدرك حكم الشارع فيه اذا كان ادراكه على سبيل القطع (٢) .

الاصل الرابع :" الامامة" :

لابد للباحث من الاشارة الى معنى الامامة ، وموقف الفرق الاسلامية الكبرى منها فالامام والخليفة لفظتان تعبران عن معنى واحد ، وهو الرياسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى (ص) وسمى القائم بهذه المهمات اماما لان الناس يسيرون وراءه فيما يشرع لهم ويرشدهم اليه . وسمى بالخليفة ، كما كان الشائع فى عصر الراشدين أو ما بعده ، لانه يخلف الرسول فى ادارة شئون الامة وقيادتها .

---

(١) محمد تقى الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن - مرجع سابق - ص٢٩١ .
(٢) المصدر السابق : ص . ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

وكما كان تعيين الخليفة بعد الرسول موضع جدل وخلاف أدى الى انقسام وتمزيق وحدتها ، كذلك حصلت بينهم أنواع أخرى من الجدل والنزاع ، وتطور بعد ذلك الى النزاع فى وجوب نصب الامام على الله سبحانه أو عدمه ، فأنكره جماعة وأثبته آخرون ، والقائلون بوجوبه بين من يقول بوجوبه على الله سبحانه عقلا ، وبين من يقول بوجوبه على الامة بحكم العقل . فالاشاعرة والمحدثون والجبائيان من المعتزلة يرون وجوب نصب الامام على الامة ، والباقون من المعتزلة قالوا بوجوب نصبه على الامة بالنص على ذلك من الله عن طريق النبى عليه الصلاة والسلام (١) .

أما الشيعة الامامية فكلهم متفقون على وجوبها من طريق العقل والشرع، وأن اختيار الامام يعود الى الله وحده . لان وجود الامام لطف من الله ، يقربهم من الطاعات ويصدهم عن المعاصى والمنكرات ، واللطف واجب عليه سبحانه بحكم العقل ، وقد عين النبى (ص) لهم الامام من بعده بأمر من ربه ، ونص عليه بوصفه واسمه ، كما تؤكده النصوص الاسلامية (٢) . ووافقهم بهذا القول أكثر المعتزلة (٣) ." وقد أجازت الاشاعرة أن تكون الامامة بالنص لو أن الرسول قد ذهب الى ذلك أو جوزه"(٤) . مع أن الغزالى يرى أن" من حق النبى أن يعين خليفته الذى يتولى امامة الامة من بعده" (٥) .

والامامة عند الشيعة لم تتحقق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص أو تعيينه لهذا المنصب ، وانما هى خاضعة لارادة الله يختار من يشاء من عباده ممن تتوافر فيه شروط الامامة . ولهذا عرفها السيد على أكبر ناصرى بأنها" الرياسة العامة الالهية خلافة عن رسول الله (ص) ، فى أمور الدين والدنيا . . وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة " فالمراد بالامامة هنا تولى السلطة التى كانت

---

(١) انظر الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٧ الى ص ٦٠ - وأيضا أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى : فرق الشيعة - مرجع سابق ص ١٧ . وانظر مبحث نشأة التشيع والقول بالنص من الفصل الاول من هذا البحث .

(٢) انظر هاشم الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق - ص ١٦٧ وأيضا أمير محمد الكاظمى القزوينى : رد على رد السقيفة - مطبعة العرفان صيدا - بدون تاريخ .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٧ ومابعدها .

(٤) فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مرجع سابق - ص ٢٩٢ .

(٥) محمد نبيل نوفل : أبو حامد الغزالى فلسفته وآراؤه فى التربية والتعليم رسالة ماجستير غير مطبوعة - تربية عين شمس - قسم أصول التربية - ١٩٦٧ - ص ١٣١ .

للنبى دون استثناء ، ولذا تسمى بخلافة النبى ، وتجب طاعة الامام على الامة كافة كما تجب طاعة النبى كذلك (١) .

ان هذه الامامة لم تكن ظاهرة طارئة ، ولم ترتبط بأية حوادث سياسية أو غيرها ، انها قضية الهية استنفذت كل حقائقها ووقائعها وما تزال . أما الادلة عليها فمتوفرة فى مؤلفات كل من السنة والشيعة وأسانيدهم . ولهذا فالامامة فى المفهوم الشيعى امتداد طبيعى للنبوة ، وان الادلة التى يعرضها الشيعة لا تقتصر على تسمية أشخاص بأعينهم فى توليهم هذا المنصب بعد الرسول (ص) فحسب وانما يقدمون الادلة التى تبين خصائص وشروط من يتولى هذه المنزلة لتحقيق هدف قيادة الامة والحكم بما أنزل الله (٢) . والادلة التى ساقها الشيعة على تعيين النبى لشخص الامام على بن أبى طالب اعتمدوها من كتب لاهل السنة ، سواء أكانت أدلة من القرآن الكريم كاية الانذار والولاية واية التطهير والمودة وغيرها ، أم من السنة الصحيحة كحديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها من الاحاديث الناصة على خلافته . كما وأن الشيعة استدلوا على أن الامامة أو الخلافة لابد وأن تكون بنص من الله بأدلة عقلية ساقوها لصحة مدعاهم (٣) .

وقد عرض الدكتور أحمد صبحى وجهة نظر الشيعة بوجوب صدور استخلاف من النبى فى ضوء وقائع التاريخ بقوله :

الحقيقة الاولى التى يجب التسليم بها أن النبى كان يعلم أن أمته ستتعرض اذا لم ينص هو على من يخلفه الى الفتن والاضطراب ، أما أنه كان يعلم ذلك فان كل الفرق الاسلامية قد أوردت هذا الحديث : " ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة . . " فهل كان رسول الله يعلم أن الدهر يدخر لامته صفحة مملوءة بالحوادث والفتن اذ تختلف أمته من بعده ويتقاتل أفرادها وتراق الدماء وتزهق النفوس ثم يسكت النبى عن ذلك دون أن يقدم على مشورة تجنب أمته شر العثار؟ ولنفرض أن الحديث والتاريخ لم يسجلا لنا حديثا واحدا يقضى فيه النبى بمن يخلفه فى أمر أمته ، فهل يصح أن نصدقهما بهذا الاهمال ونصدقهما ان النبى ترك أمته فى فوضوية لاحد لها .

---

(١) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص.ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق : ص.ص ٣٦٧ - ٣٧٠ . وانظر شرف الدين : المراجعات مرجع سابق . وأيضا أمير محمد الكاظمى القزوينى : مع النشاشيبى فى كتابه الاسلام الصحيح - مطابع اليقظة - بدون تاريخ .

(٣) انظر شرف الدين : المصدر السابق - وأيضا القزوينى : المصدر السابق . وانظر الانطاكى : لماذا اخترت مذهب الشيعة - مرجع سابق .

وهل كان دينه خاصا بعصره ليترك أمته من بعده هملا من غير راع يسوسهم أو طريقة يتبعونها فى أمور دينهم ودنياهم ؟ لقد ورد أن عائشة قالت لعمر فى أواخر أيام خلافته . لاتدع أمة محمد بلا راع ،استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى أخشى عليهم الفتنة ، فهل لم يدرك النبى ما أدركته عائشة أن المسلمين يتعرضون للفتنة نتيجة عدم الاستخلاف أم ليس بين المسلمين وصحابة الرسول من سأله هذا السؤال الذى سألته عائشة لعمر؟ .

واذا لم يكن محمد نبيا مرسلا نزل دينه للناس كافة فى كل زمان ،واذا لم يكن عالما عن وحى فليكن على الاقل سياسيا كسائر الساسة الذين لايخفى عليهم بعض أمور رعاياهم فلايتركونهم تحت رحمة هؤلاء واختلاف الاراء . على أنه قد عرف عنه أنه لم يترك المدينة اذا خرج لحرب أو غزوة من غير أمير يخلفه عليها فكيف نصدق عنه أنه أهمل أمر أمته بعده الى آخر الدهر دون قاعدة يرجع اليها المسلمون أو خلف بعده ؟ فان قيل أنه وكل الامر الى اتفاق أمته واختيارهم ، فمعناه أنه أوقع أمته فى منازعات دائمة تقضى الى ازهاق النفوس واضعاف القوى وذهاب الايمان ، اذ كيف يتفق أهل البلد الواحد على حكم واحد فضلا عن أمة كبيرة ؟ (١) .

هذا ما قرره الدكتور أحمد صبحى . أما الامدى ،فقد قرر رأى الشيعة فى وجوب الامامة بقوله : ولربما قرروا ذلك بطريق معنوى ،وهو أن النبى عليه السلام اما أن يكون عالما باحتياج الخلق الى من يقوم بمهماتهم ،ويحفظ بيضتهم ،ويحمى حوزتهم ،ويقبض على أيدى السفهاء منهم ،ويقيم فيهم الاحكام الشرعية على وفق ما وردت به الادلة السمعية على ما تقرر . أو لم يكن عالما .لاجائز أن يقال بكونه غير عالم ،اذ هو اساءة ظن بالنبوة وقدح فى سر الرسالة. وكذلك أيضا ان كان عالما ولم ينص ،لاسيما والتنصيص هنا اكد من التنصيص وايجاب التعريف لما يتعلق بباب الاستنجاء والتيمم على مالايخفى . . .

ولا جائز أن يقال : انه ترك الامر شورى فيما بين الصحابة ،وفوض الامر الى اجتهاداتهم وآرائهم ،ليعلم القاصر من الفاضل والمجتهد من العمى ، والالجاز للصحابة الا ينصبوا اماما أيضا ،ليلعم الطائع من العاصى ،والمنقاد للاوامر والنواهى من غيره ،بل ولجاز اهمال بعثة الرسل ،وتفويض الامر الى أرباب العقول ، ليتميز أيضا المجتهد ومن له النظر فى المدارك واستنباط المسالك

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ص ١٠٠-١٠١ .

ممن ليس كذلك ، وذلك مما لايخفى فساده . كيف وان التعيين بعد ما ثبت القول بوجوب الامامة لازم لامحالة ، ثم كيف يجب على الناس طاعته وهو انما صار اماما باقامتهم له ؟ فاذن لابد أن يكون التعيين واردا من قبل الشرع وصادرا من جهة السمع ، وهو انما يثبتفى حق من يدعيه ، دون من ينفيه ، هذا معتقد الشيعة وطوائف الامامية كما يقول الامدى (١) .

يقول الدكتور أحمد صبحى :" هذه أدلة متكلمى الشيعة الاثنى عشرية فى نقد مبدأ الاختيار واثبات وجود النص على الامامة ، فما كان موقف أهل السنة ازاءها ؟ . . . أما ازاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكا موحدا ، ويرجع ذلك الى اختلاف آرائهم فى كيفية الاختيار . . . كل ذلك لانجد عند متكلمى اهل السنة موقفا مجمعا عليه ، الامر الذى يسر على الشيعة نقد دعوى الاختيار من أساسها واثبات تهافتها فضلا عن عدم انطباقها فى الواقع الا حين اختير أبو بكر ، فلقد كان فى واقع التاريخ الاسلامى ما التمس فيه الشيعة نقط الضعف لتركيز هجومهم على أسلوب اختيار الخلفاء . . " (٢) . ثم يستطرد فى القول :"لاشك أن أدلة الشيعة جديرة بالاعتبار ، ولاشك أيضا أن انتقاداتهم المتتالية لمبدأ الاختيار لها ما يبررها ، . . . كل ذلك مما يجعل الادلة الشيعية وانتقاداتهم لمبدأ الاختيار بعض الاعتبار " (٣) .

الاصل الخامس :" المعاد " :

أجمع المسلمون قاطبة على ضرورة المعاد من دينهم ، وهو يوم الحساب ، ولهذا يجب التصديق والاعتقاد به على الوجه الذى ذكره الانبياء عليهم السلام ، وهو أمر معلوم الثبوت بالضرورة من دين رسول الله (ص) ، وصريح القرآن دل عليه فى كثير من آياته ، وضرورة العقل القاطع يقضى بلزومه ، لان الله تعالى وعد المكلفين بالثواب على الطاعة وتوعدهم بالعقاب على المعصية بعد الموت مع مشاهدتهم للموت ، وليس من المعقول تصور الثواب والعقاب بعد الموت الا بعد عودتهم فوجب التصديق بعودتهم ليحصل الوفاء بوعده ووعيده ، ولأنه تعالى قد كلف العباد بالاوامر والنواهى وفعل الالم ، فيجب ايصال الثواب بالطاعة والعقاب على المعصية والعوض الى المؤلم وهذا لايكون الا بالعودة ، والالزم

(١) سيف الدين الامدى : غاية المرام فى علم الكلام - تحقيق حسن محمود عبد اللطيف - القاهرة - مطابع الاهرام التجارية - ١٩٧١ - ص٠ ص٣٧٥-٣٧٦٠

(٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٩٧ ٠

(٣) المصدر السابق : ص ٠ ص ٩٨-٩٩ ٠

أن يكون ظالما ، وقد ثبت أيضا بضرورة العقل والنقل حكمته وعد له فيجب البعث بمقتضى حكمته وعد له ، وعلى الجملة ان لازم التكليف بالامر والنهى والالم ترتب الثواب والعقاب والعوض عليها والا لزم العبث أو الظلم ، وهما منتفيان عن الله تعالى وتقدس عن الظلم والعبث ، واذا تسجل بطلانهما ثبت وجود العود والبعث ، لان الثواب والعقاب والعوض انما تصل الى المكلف فى الاخرة لانتفائهما فى الدنيا (١) .

وقد استدل الشيعة على وجوب البعث بالعقل والسمع : أما العقل فلان العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود ، لان هذا العالم ممكن الوجود ، ولا شك أن حكم المثلين واحد ، ولما كان هذا العالم ممكن الوجود ، وجب الحكم على الاخر بالامكان كذلك ، والى هذا البرهان أشار الخاجة نصير الدين الطوسى - حكم المثلين واحد . وأما السمع فقوله تعالى " أوليس الذى خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم" (٢) . " ووجوب ابقاء الوعد والحكمة يقتضى وجوب البعث ، والضرورة قاضية بثبوت الجسمانى من دين النبى مع امكانه " (٣) .

هذه هى الاصول العامة التى آمن بها الشيعة ، كما جاء بها الاسلام ، وبينها الرسول (ص) من طريق أئمة أهل البيت، حتى تجسدت فى سلوكياتهم من حيث التطبيق العملى فى واقع الحياة ، وجاهدوا من أجل نشرها بين الناس تعلما وتعليما ، وهذا ما يتضح فى الفصول التالية .

---

(١) القزوينى : أصول المعارف - مرجع سابق - ص ١٠٣ . وأيضا آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص ٧٥ ؛ وأيضا العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٤٣١ .

(٢) العلامة الحلى : المصدر السابق - ص ٤٢٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٣١ .

الفصل الثالـــــــث

فلسفة التربية من منظور الشيعـــــــــة

ويتضمن :

أولا : الطبيعة الانسانيـــة .

ثانيـــا : العلم والعلمـــــاء .

ثالثـــا : المعرفة الانسانيـــة .

رابعـــا : النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة .

خامســا : تكافوء الفرص فى التعليم .

سادسـا : التربية الخلقيـــة .

سابعـــا : الاسرة ودورها فى تربية الطفل .

ثامنـــا : التعليم المهنى .

مقدمـــة :

ان دراسة الاراء والمذاهب التربوية تتيح الفرصة لعلماء التربية وفلاسفتهـــم فهم ما كان لهذه الاراء والمذاهب من الفضل فى نهضة التربية ورقيها ، وما ابتكره الفلاسفة والمفكرون من أنظمة وأساليب كانت السبب فى ارساء علم أصول التربيـــة حتى استقر على ما هو عليه الان . ولهذا فان المذاهب والاراء التربوية فـــى أى مجتمع ما هى الا حصيلة الاوضاع والظروف المختلفة المحيطة بها ، والثقافـــة السائدة فيها . (١) .

وعلى هذا فان الفكر التربوى يختلف من عصر الى آخر حسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التى يمر بها المجتمع . ولما كان الشيعة - كمارأينا - قـــد مروا بعصور مختلفة وبأوضاع اجتماعية وسياسية متباينة ، من حيث الاضطهـــاد والاستقرار ، أدى ذلك الى انعكاس فلسفتهم عن الكون والحياة والانسان علـــى فكرهم التربوى فى الكتاتيب والمساجد وفى كل مكان تواجدوا فيه ومارسوا خلالهـــا عملية التعليم والتعلم ومن هنا يعرض الباحث الاتجاهات الرئيسية لفكر الشيعـــة التربوى ، وما ينطوى عليه من أسس تربوية وقضايا تعليمية . ولهذا يتناول هـــذا الفصل فلسفة التربية من منظور الشيعة ، وموقفهم من العلم والعلماء .

---

(١) اميل فهمى حنا : المذاهب والاراء التربوية - دار العلم للطباعة - ١٩٧٧ - ص . ص ٣ - ٥ .

أولا : الطبيعة الانسانية :

من أولى عمليات التربية البحث عن طبيعة الانسان ، المادة الخام التى يعالجها فلاسفة التربية ، وعلى ضوئها تتحدد المعالم الرئيسية للتربية . فنظرة الفيلسوف الى الطبيعة الانسانية تفسح أمامه المجال فى معرفة الطريقة التى يعامل الانسان بها ، ومدى قابليته للتغير بمؤثرات التربية ، وبالتالى يحدد مجال العمل معه حسب قدرة الانسان وامكانياته ومدى تقبله لها (١) . وعلى ضوء ذلك تتحدد آراؤهم حول مبادىء التربية وأهدافها ومناهجها وطرق تعليمها لان استيضاح وجهات النظر المختلفة التى عالجت طبيعة الانسان ، هو حجر الزاوية لكل من يتصدى لتوجيه أى عمل تربوى ، تمهيدا لتكوين مفهوم علمى سليم عن طبيعة الانسان ، يتخذ فيما بعد أساسا يرجع اليه لمعرفة جوانب العملية التربوية كلها ، وتحديد دورها فى الثقافة التى يعيش فيها الناشئون ، ولهذا فان فلسفة التربية تتطلب تفكيرا عن طبيعة الانسان ، لان فهم الانسان هو مفتاح كل خبرة قد يفكر فيها الانسان كمرآه للعالم (٢) .

وفيما يتعلق بطبيعة الانسان ، نلاحظ أن هناك اتجاهين مختلفين لدى فلاسفة التربية ، الاول منهما يذهب الى أن الانسان يولد وقد انطبعت معه كل معالم شخصيته ، وان المعارف العامة تحددت منذ ولادته ، وان البيئة والتربية لا تؤثر فيه الا قليلا . ومادامت الطبيعة الاصلية غير قابلة للتغير فان وظيفة التربية حسب هذا المفهوم هى اظهار ما كمن فى داخل الانسان الذى حددت شخصيته سلفا . وعلى هذا يكون التغيير لجوهر الانسان وامكانياته ضئيلا ان لم يكن منعدما (٣) .

أما الاتجاه الثانى ، فيرى أن الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء ، يقبل كل ما يطرأ عليه من مؤثرات البيئة والتربية ، مادامت طبيعته غير محددة سلفا ، فهو يقبل كل ما يخط عليه من أفكار ومعارف ، وبالتالى تكون الطبيعة الانسانية قابلة للتغيير والتشكل والنمو باستمرار حسب ظروف البيئة والمجتمع التى تحيط به (٤) .

---

(١) محمد نبيل نوفل : أبو حامد الغزالى - مرجع سابق - ص ٨٩ .

(٢) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزالى مرجع سابق - ص ٨٩ .

(٣) محمد نبيل نوفل : الغزالى - مرجع سابق - ص ٨٩ .

(٤) Kennedy F. Roche, Rousseau stoic and Romantic, (London Methuen X Co. Ltd. 1974. P. 24.

واذا كانت الطبيعة الانسانية غير محددة ، فهى اذن تقبل كل ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر [١] . وتكون مهمة التربية توجيهها نحو الخير ومعنى ذلك أن لديه من الامكانيات والاستعدادات ما يفعل بها الخير والشر [٢] . وما يأتيه من شر انما هو أمر طارىء عليه ، لا أصيل فيه ، وانما المجتمع الذى يعيش فيه هو الذى يؤثر فيه [٣] .

وهذا الاتجاه الاخير هو السائد عند كثير من مفكرى التربية فى العصر الحديث ، وكان من أنصار هذا الاتجاه" جون لوك" ونظرته الاساسية هى أن الطبيعة الانسانية لا تظهر عند الميلاد وانما هى نتيجة تأثير البيئة على مادة خام مرنة للكائن الحى لم تشكل بعد ، وهى التى توجد عند الميلاد ، ولهذا أكد على أن الخبرة والبيئة هى مصادر المعرفة والتعلم [٤] . ومن هنا كانت وجهة نظر لوك أن المولود يملك فقط لوحة بيضاء تطبع عليها المدركات من العالم الخارجى ، ومن ثم فان الافكار والقيم والمعرفة ، يكون أصلها الخبرة من العالم الخارجى [٥] وان ما يظهر فى العقل الانسانى من ملكات نتيجة لانعكاسات هذه الخبرة [٦] .

هذه النظرة الى الطبيعة الانسانية ، وأن الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء قابلة لكل ما ينقش عليها ، واسنادها الى مفكرى التربية فى العصور الحديثة ، وبالاخص الى جون لوك ، لا تخلو من نظر . حيث أن الفكر التربوى الاسلامى عند الشيعة قد صاغ هذه النظرة بأسلوب يقوم على الابداع والابتكار ، لجدتها وطراوتها وصلاحها فى بناء تربية اسلامية أصيلة تعبر عن واقع التربية الاسلامية ، من دون أن تتأثر بأى فكر آخر : فقد جاء عن الامام على بن أبى طالب قوله :"انما قلب الحدث ، كالارض الخالية . ما ألقى فيها من شيىء قبلته فبادرتك بالادب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك" [٧] . وقال الامام الصادق :". . فصار - أى الطفل -

---

(١) بول وود رنج : نحو فلسفة التربية - ترجمة د . سعد مرسى أحمد ، فكرى حسن ريان - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٦٦ - ص ٨٨ .

(٢) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية فى القرآن - رسالة ماجستير مطبوعة دار الفكر العربى - ١٩٨٠ - ص ٨٦ .

(٣) Kennedy F.Roche, Rousseau stoic and Romantic, op.Cit.,P.24.

(٤)،(٥) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى - القاهرة - دار غريب ١٩٧٧ - ص ١٦٧

(٦) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية - ط٢ - الانجلو مصرية - ١٩٧٨ ص ٩٤ .

(٧) محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - طهران - شركة طبع بحار الانوار ١٣٧٦ هـ - جـ ١ - ص ٢٢٣ .

يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله ،فيلقي الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ،ثم لايزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيىء وحالا بعد حال ،حتى يألف الاشياء ويتمرن ويستمر عليها ،فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها الى التصرف والاضطرار الىالمعاش بعقله وحيلته ،والى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية" (١) . ويعلل الامام الصادق ذلك بقوله :" فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربيةالاولاد ،وما قدر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة ،وما يوجب التربية للاباء على الابناء من المكافأة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم" (٢) .

بهذا الاسلوب التربوى بين الامام الصادق وجوها ثلاثة لبيان الحكمة فى مجيىء الطفل وعقله فارغا من العلوم والمعارف قابلا لها بحسب الاستعداد الفطرى ، فانهلو كان يولد وله من المعارف لحصل : أولا ، ذهاب حلاوة التربية من الابوين للاولاد . وثانيا ، عدم حصول مصلحة للوالدين فى تربية أولادهم ورعايتهم ، وعدم وجود الترابط والتراحم ما بينهم . وثالثا ، ذهاب مكافأة الولد لوالديه بالبر والاحسان عند عجزهم وكبرهم . ولهذا يرتقى الامام الصادق فى هذه النظرة التربوية التى سبقت وجهات النظر التربوية الحديثة منذ ثلاثة عشر قرنا حيث يقول :" ثم كان الاولاد لايألفون آباءهم ولا يألف الاباء ابناءهم ، لان الاولاد كانوا يستغنون عن تربية الاباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حيث يولدون .... لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها مالا يحل له ولايحسن به أن يراه " (٣) .

وهذا المعنى الذى أشار اليه الامام الصادق ،جاء عن شيوخ الشيعة وعلمائهم ،يقول العلامة الحلى : " اعلم أن الله تعالى خلق النفس الانسانية فى مبدأ الفطرة خالية من جميع العلوم بالضرورة ،وقابلة لها ،وذلك مشاهد فى حال الاطفال ، ثم أن الله تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الادراك وهى القوى

---

(١) أمالي الصادق : تحقيق محمد الخليلى - النجف الاشرف - مطبعة النعمان ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م - جـ ١ - ص ٨١ .
(٢) المصدر السابق : ص . ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : ص . ص ٩٠ - ٩١ .

الحساسة ،فيحس الطفل فى أول ولادته بحس لمس ما يدركه من الملموسات ويميز بواسطة الادراك البصرى على سبيل التدرج بين أبويه وغيرهما ، وكذلك يتدرج فى الطعوم وباقى المحسوسات الى ادراك ما يتعلق بتلك الالات ،ثم يزداد تفطنه فيدرك بواسطة احساسه بالامور الجزئية الامور الكلية من المشاركة والمباينة ويعقل الامور الكلية الضرورية بواسطة ادراك المحسوسات الجزئية ،ثم اذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدال أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية" (١). . ولهذا يقول العيناثى :" . . ان مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الاراء كمثل رق أبيض نقى لم يكتب فيه شيىء" (٢) ." . . ولخلوها ـ أى النفس ـ من المعارف التى بها يتعلق كمالها ،صار فقدها العلم بذاتها علة لها أولى ،تحتاج فى ازالتها الى الاستعانة بجسمها استعانة المولود بوالده . . " (٣) . وعلى هذا يقول القزوينى :" . . خلق الله تعالى النفوس البشرية فى مبدأ الفطرة عارية عن العلوم كلها ،ثم تحصل لها العلوم والمعارف باستعمال الحواس . . ولا تزال تكون فى التغيير من حال الى حال وفى التبديل من نقصان الى كمال بحسب الاستعدادات الخاصة والقابليات المخصوصة ،كما هو المعلوم بالوجدان من حال الاطفال" (٤) .

ومن هنا يظهر أن نظرة الشيعة ـ منذ القرن الاول للهجرة ـ الى الطبيعة الانسانية قائمة على النظرة الشمولية للمعرفة ، وبالتالى فان التربية عندهم ترتكز أساسا على الحواس ،فالطفل يتدرج فى اكتساب معارفه أولا عن طريق حواسه ، وما يحيط به من خبرات خارجية ،ثم يستكمل هذه المعرفة عن طريق العقل . وبهذا المعنى أيضا جاء عن هشام بن الحكم فى منتصف القرن الثانى للهجرة حينما قيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بنفسى لانها أقرب الاشياء الى ،وذلك أنى أجدها أبعاضا مجتمعة وأجزاء مؤتلفة ظاهرة التركيب متباينة الصفة مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير زائدة من بعد نقصان ،وناقصة من بعد زيادة . وقد أنشئ لها حواس مختلفة وجوارح متباينة من بصر وسمع وشام وذائق ولامس، مجبولة على النقص والضعف . . واستحال فى العقول وجود تأليف لا موءلف له واثبات

---

(١) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٤ .
(٢) السيد محمد العيناثى : آداب النفس ـ طهران ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٨٠ ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٧ .
(٣) الكرمانى : الاقوال الذهبية ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ .
(٤) أمير محمد القزوينى : اصول المعارف ـ مرجع سابق ـ ص ٣ .

صورة لا مصور لها . . فهذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة . " (١) .

وتلتقى هذه النظرة التى نادى بها الشيعة منذ القرن الاول والثانى للهجرة ، مع النظرة الحديثة للطبيعة الانسانية . يقول الابراشى : " فالافكار نتيجة للحواس ، والحواس أمهات الافكار . وان الغرض من ترتيبها الوصول الى المعرفة والحكم السديد ، وقوة الشعور والادراك والملاحظة ، وهذا المعنى قول " جان جاك روسو " فى كتابه اميل : ان أرجلنا وأيدينا واعيننا هى المعلم الاول لنا فى الفلسفة" (٢) . ولهذا يرى جان بياجيه أن النمو فى تفكير الاطفال يبدأ أولا عن طريق الحواس ، فالطفل الوضيع أو الطفل الصغير يعمل ليصل الى نتيجة لكنه لايستطيع أن يحتفظ فى عقله بتتابع للاداءات أو الافعال ، ثم يعقب المرحلة الحسية هذه حركة مباشرة طورا للنمو يكون فيه التفكير من خلال التمثيل ، ليس تفكيرا تصوريا بعد ، وهكذا يأخذ الطفل فى نموه العقلى نتيجة ما يكرره من أعمال حسية (٣) . ولهذا " تسمح القدرة الجديدة للاطفال على تتبع الاشياء بأعينهم أن يكتشفوا الاشياء أو الموضوعات المحيطة بهم" (٤) . وهكذا ينتقل الطفل من مرحلة الاعداد للعمليات الحسية الى التفكير الاجرائى خلال المرحلة الحسية (٥) .

وقد أشار الشيعة الى ذلك قبل ظهور هذه النظرة الحديثة بعدة قرون ، ولهذا جاء عن شيوخ الشيعة - اضافة الى ما تقدم - قولهم : " . . ان العلم اما ضرورى واما كسبى ، وكلاهما حصل بعد عدمه ، اذ الفطرة البشرية خلقت أولا عارية عن العلوم ، ثم يحصل لها العلم بقسميه ، فلابد من استعداد سابق اذ القابل لايخرج المقبول من القوة الى الفعل بذاته والا لم ينفك عنه ، وللقبول درجات مختلفة فى القرب والبعد ، وانما تستعد النفس للقبول على التدرج فتنتقل من أقصى مراتب البعد الى أدناها قليلا قليلا لاجل المعدات التى هى الاحساس بالحواس على اختلافها والتمرن عليها وتكرارها مرة بعد أخرى

(١) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٠٧ .
(٢) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - ط ٣ - مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر - ١٩٧٥ - ص ١٩٤ .
(٣) روث م. بيرد : جان بياجيه وسيكولوجية نمو الاطفال - ترجمة د /فيولا فارس البيلاوى - الانجلو المصرية - ١٩٧٧ - ص ٠ ص ٢٩ - ٣٠ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٢ .
(٥) المصدر السابق : ص ٥١ .

فيتم الاستعداد لافاضة العلوم البديهية الكلية من التصورات والتصديقات بين كليات تلك المحسوسات "(١) .

ومجمل ما ذهب اليه الشيعة فى نظرتهم الى الطبيعة الانسانية ،أنهم آمنوا بأن النفس الانسانية فى مبدأ الفطرة خالية من جميع العلوم وقابلة لها ، وذلك عن طريق الاستعدادات والقابليات المودعة فى الفطرة الانسانية ،وأن الطفل يتدرج بمعارفه عن طريق الخبرة الخارجية بواسطة حواسه ،وذلك عن طريق تكرار استعمال الحواس حتى تحصل له المعارف الاولية الناتجة عن الحس عن طريق البيئة التى يعيش فيها الطفل ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى تحصل له المدارك العقلية . وهذا غاية ما توصل اليه فلاسفةالتربية فى العصر الحديث . وهى طابع التربية الاسلامية عند الشيعة منذ القرن الاول للهجرة .

ثانيا :"العلم والعلماء" :

١ - موقف الشيعة من العلم والعلماء :

من أروع مبادىء التربية الاسلامية تعظيم العلم والمعرفة . وقد ذكر العلماء مكانة العلم ،ومن تحلى به ،وتوسعوا فى بيانه عن طريق العقل والتنزيل والسنة النبوية . وموقف الشيعة من العلم والعلماء يظهر من موقف أئمتهم وشيوخهم فى كل حقبة من تاريخهم الذى وجدوا فيه ، فقد مرت بالشيعة عصور مختلفة من حيث النشاط العلمى والفكرى فى نشر مذهبهم ،مما أدى بهم الى التوسع فى الاستدلال على مكانةالعلم وفضل العلماء ، بالايات القرآنية والاحاديث الشريفة ،وأقوال أئمتهم ،بالاضافة الى دليل العقل . والباحث يعرض بعض ما جاء فى ذلك على سبيل المثال .

أما الكتاب الكريم ،فقد أشار الى ذلك فى مواضع كثيرة منه قوله تعالى فى سورة العلق ،وهى أول ما نزل على النبى (ص) :" اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ،اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم"(٢). حيث افتتح كلامه سبحانه بذكر نعمة الايجاد واتبعه بذكر نعمة العلم، فلو كان بعد نعمه الايجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر . وقد قيل فى وجه التناسب بين الاى المذكورة فى صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الانسان من علق ،وبعضها على تعليم مالم يعلم ،أنه تعالى ذكر أول

(١) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .
(٢) العلق : ١ - ٥ .

حال الانسان يعنى كونه علقة وهى بمكان من الضعة ،وآخر حاله وهى صيرورته عالما وذلك كمال الرفعة والجلالة[١] . وقوله تعالى :" الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامر بينهن لتعلموا" فانه سبحانه جعل العلم علة لخلق العالم العلوى والسفلى طرا وكفى بذلك جلالة وفخرا [٢] . الى غير ذلك من الايات الدالة على عظمة العلم وشرفه ، ويكفى ذلك برهانا أن الله سبحانه أمر نبيه (ص) بزيادة طلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم والحكمة ، فقال مخاطبا لنبيه :" وقل رب زدنى علما" ولهذا ثبت الله قلوب المؤمنين الذين أوتوا العلم بالتوحيد والحكمة حتى يزدادوا ايمانا وتطمئن قلوبهم بقوله سبحانه: "وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم" [٣] .

وأما السنة النبوية الدالة على فضل العلم فكثيرة منها ما جاء عن الامام على بن أبى طالب قال : قال رسول الله (ص) : العالم بين الجهال كالحى بين الاموات ، وان طالب العلم ليستغفر له كل شيىء حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ،فاطلبوا العلم فانه السبب بينكم وبين الله عز وجل وان طلب العلم فريضة على كل مسلم الا أن الله يحب بغاة العلم" [٤] وعنه أيضا قال : قال رسول الله (ص) :" تعلموا العلم فان تعلمه حسنه ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ،وبذله لاهله قربة ،لانه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة ، وهو أنيس فى الوحشة ،وصاحب فى الوحدة ودليل على السراء والضراء ، وسلاح على الاعداء ،وزين للاخلاء ، يرفع الله به أقواما يجعلهم فى الخير أئمة يقتدى بهم ،ترمق اعمالهم ، وتقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم . . . لان العلم حياة القلوب ، ونور الابصار من العمى، وقوة الابدان من الضعف ،ينزل الله حامله منازل الاخيار ويمنحه مجالس الابرار فى الدنيا والاخرة ، بالعلم يطاع الله ويعبد ،وبالعلم توصل الارحام، وبه يعرف الحلال والحرام والعلم امام العمل ،والعمل تابعه ، يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء" [٥] .

---

(١) الشهيد الثانى : معالم الدين وملاذ المجتهدين - مرجع سابق -ص. ص٥-٦.
(٢) سورة طه : ١١٤ ، وأيضا عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠ .
(٣) سورة الحج : ٥٤ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٥ .
(٥) الصدوق : الخصال- مرجع سابق - جـ ٢ - ص. ص ٥٢٢-٥٢٣ .

وقد جاءعن أئمة الشيعة فى فضل العلم ومكانته أقوال كثيرة منها قول الامام على لتلميذه كميل بن زياد :"ياكميل احفظ عنى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا الى ركن وثيق ، ياكميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العالم دين يدان به تكسبه الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، فمنفعة المال تزول بزواله ، يا كميل مات خزان الاموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة . . . . " (١) وقوله (ع) " الجاهل صغير وان كان شيخا والعالم كبير وان كان حدثا " (٢) . وقوله : " لاكنز أنفع من العلم " (٣) . وقوله " لاعلم كالتفكير ولا شرف كالعلم " (٤) . وقوله : " كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لايحسنه ، ويفرح اذا نسب اليه من ليس من أهله ، وكفى بالجهل خمولا أنه يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب اذا نسب اليه " (٥) . وفى ذلك يقول أبو الاسود الدؤلى أحد تلاميذ الامام على المتوفى سنة ٦٩ هـ :

والعلم زين وتشريف لصاحبه	فاطلب هديت فنون العلم والادبا
العلم كنز وذخر لانفاد له	نعم القرين اذاماصاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه	عما قليل فيلقى الذل والحربا
وحامل العلم مغبوط به أبدا	ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه	لاتعدلن به درا ولا ذهبا (٦)

وكان للشيعة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره فى حياة الناس ، تمشيا مع الدين الاسلامى ، ولهذا فقد استشهدوا بكثير من الشواهد التى وردت عن أئمتهم . منها ما جاء عن الامام على بن الحسين : "لو يعلم الناس ما فى طلب

---

(١) المصدر السابق : جـ١ - ص٠ ص١٨٦-١٨٧ ٠ وأيضا الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - المدينة - المكتبة السلفية بدون تاريخ - جـ ٦ - ص ٣٧٩ ٠

(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ١ - ص ١٨٣ ٠

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٦ ٠

(٤) المصدر السابق : ص ١٧٩ ٠

(٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء - الطبعة الاخيرة - مطبعة المأمون - بدون تاريخ - جـ ١ - ص ٦٥ ٠

(٦) عباس القمى : الكنى والالقاب - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٩٥٦ - جـ١ - ص ٨ - ٩ ٠

العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ، ان الله تبارك وتعالى أوحى الى دانيال أن أمقت عبيدى الى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم ، وأن أحب عبيدى الى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء" (١) وقال الامام محمد الباقر : "الروح عماد الدين والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم" (٢) . وقوله : " العالم كمن معه شمعة تضيىء للناس فكل من أبصر شمعته دعا له بخير ، كذلك العالم مع شمعته تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار . . . " (٣) . وقال الصادق : "الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك" (٤) . وقوله : " العلم حياة القلوب ومصابيح الابصار" (٥) .

بالاضافة الى ذلك فقد استدل الشيعة على فضيلة العلم بالعقل ، ومن ذلك قولهم : ان شرف العلم وتقدمه على جميع المعقولات والموجودات أمر قضت به الضرورة وحكم به العقل والوجدان ، ففى العلم يكون تمام الكمال ، وفى الجهل يكون غاية النقصان ، لانه عندما يلاحظ الانسان المعقولات فهى اما موجودة أو معدومة ، ولاشك أن الموجود أشرف ، ثم أن الموجود منه الجماد ومنه النامى ولاريب أن النامى أشرف من الجماد ، والنامى اما حساس أو غير حساس ، والحساس أشرف ، ثم الحساس منه العاقل وغير العاقل ، كالانسان وسائر الحيوانات ولاشك أن العاقل أشرف ، ثم العاقل ينقسم الى عالم وجاهل ، ولاريب ان العالم أشرف ، فالعالم حينئذ أشرف المعقولات (٦) .

ومما يزيد من أهمية العلم عند الشيعة ، وجوب الاعتناء به ومدارسته ونشره بين الامة ، وتعليمه وتعلمه وبذله لمن طلبه . وبهذا المعنى جاء عن النبى (ص) : " العلم وديعة الله فى أرضه ، والعلماء أمناؤه عليه ، فمن عمل بعلمه أدى أمانته ، ومن لم يعمل بعلمه كتب فى ديوان الخائنين" (٧) .

---

(١) الكلينى : الكافي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٣ .
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨١ .
(٣) المصدر السابق : جـ ٢ - ص ٤ .
(٤) المصدر السابق : جـ ١ - ص ١٨٣ .
(٥) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٣٨ .
(٦) الشهيد الثانى : معالم الدين - مرجع سابق - ص ٥ .
(٧) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٦ .

٢ - الحث على طلب العلم:

يظهر لنا مما تقدم موقف الشيعة من العلم ، ومدى اهتمامهم به ، ولم يقفوا عند ذلك ، بل قاموا بتشجيع طالبيه ، والحث على تعلمه وتعليمه ونشره بين الناس ، ولهذا أوجبوا التفقه فى الدين ، والاختلاف الى حملة العلم والاخذ منهم. وقد صور لنا أئمة الشيعة ذلك المعنى ، قال عبد الله الانصارى للامام جعفر الصادق : ان قوما يرون أن رسول الله (ص) قال : اختلاف امتى رحمة. قال: صدقوا . قلت : ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال ليس حيث تذهب وذهبوا ، انما اراد قول الله عز وجل : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون" . فأمرهم أن ينفروا الى رسول الله (ص) ويختلفوا اليه ، فيتعلموا ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم ، انما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافهم فى دين الله ، انما الدين واحد" (١) . ولهذا قال الصادق : "سارعوا فى طلب العلم ، فوالذى نفسى بيده لحديث واحد فى حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة " (٢) .

ولم يقتصر حث الشيعة على طلب العلم والتفقه فى الدين على فئة خاصة من الناس ، بل شمل جميع المسلمين . يقول الامام على بن أبى طالب :"أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال . ان المال مقسوم بينكم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم وضمنه ، سيفى لكم به ، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه ، واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب ، وان كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب الى الجنة ، والنفقات تنقص المال ، والعلم يزكو على انفاقه" (٣).

قال ابن عبد البر : ان قول على بن أبى طالب :" قيمة كل امرىء مايحسنه" لم يسبقه اليه أحد . قال : وقالوا : ليس كلمة أحض على طلب العلم منها . . . وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفا بحسنه فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن أحمد وهو قوله :

---

(١) المصدر السابق : جـ ١ - ص ٢٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٥ . وأيضا الكلينى : الكافي - مرجع سابق - جـ١ - ص ٣٥ .

قيمة المرء كل ما يحسن المـــــــر ء قضاء من الامام علـــــــــى (١)

وجاء عن الامام على بن الحسين : " ان طالب العلم اذا خرج من منزلـــــه لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الارض الا سبحت له الارضين السابعة" (٢). وقال الامام محمد الباقر : " ما من عبد يغدو فى طلب العلم أو يروح الا خاض الرحمـــة ، وهتفت به الملائكة : مرحبا بزائر الله ، وسلك من الجنة مثل ذلك المسلك". ومعنى ذلك أن الذى يزور العالم لله ولطلب العلم لوجه الله فكأنه زار الله (٣). وعنـــه أيضا : " ان الذى تعلم العلم منكم له مثل أجر الذى يعلمه ، وله الفضل عليـــه ، تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكم العلماء" (٤).

وجاء عن الامام الصادق : " لكل شيىء زكاة ، وزكاة العلم أن يعلمـــــه أهله " (٥). وقوله : " من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامـــة عالما فقيها" (٦). وقوله : " العالم والمتعلم فى الاجر سواء" (٧).

ويبدو من هذا أن علماء الشيعة ساروا على طريقة أئمتهم فى حثهم علـــى طلب العلم وتعلمه وتعليمه . يقول الحرانى - القرن الثالث الهجرى - : فتأملـــوا معاشر شيعة المؤمنين ما قالته أئمتكم (ع) واندبوا اليه وحضوا عليه وانظـــروا بعيون قلوبكم واسمعوه باذانها ، ووعوه بما وهبه الله لكم واحتج به عليكم مـــن العقول السليمة والافهام الصحيحة ... واجتهدوا فى طلب مالم تعلموا ، واعملوا بما تعلمون ليوافق قولكم فعلكم ، فبعلومهم النجاة وبها الحياة ... واجتهدوا فى العمل بما أمروا به ...." (٨).

تلك مقتطفات يسيرة من أقوال أئمة الشيعة الدالة على طلب العلم ، ومـــن هذا يبدو أن الشيعة قاموا بنشاط ثقافى وعلمى واسع ، كما نالوا قسطا كبيـــرا من ينابيع العلم المختلفة ، وقد تهيأ لهم أن يصلوا الى غاية الشوط فى هـــذا الميدان ، الذى منبعه القران الكريم واحاديث الرسول وأقوال أئمتهم. علـــى

(١) الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى : تاريخ الجهمية والمعتزلة - مرجع سابق - ص . ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٦٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٢ .
(٥) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٥٣ .
(٧) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٤ .
(٨) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص . ص ٤ - ٥ .

أن الايات والاحاديث وأقوال الائمة عند الشيعة لم تكتف بالحث على العلم والترغيب فى طلبه وتطبيقه عمليا ، كما يظهر منها، وانما قدمت هى نفسها أنواعا من الفكر والمعرفة كانت مجالا رحبا للدراسةوالبحث، ومن اجل ذلك قام الشيعة بالدراسات المختلفة فى شتى العلوم الاسلامية ،حتى كانوا السابقين الى وضع بذورها وتأسيسها ،وبهذا أثروا الفكر والثقافة الاسلامية (١) .

٣ - "العلاقة بين العلم والعمل من منظور الشيعة" :

ان مفهومالعمل كان ولا يزال موضع جدل بين المفكرين ،كما أنه كان فى ذات الوقت يحمل أكثر من معنى بالنسبة للتربية ، وقد يعزى ذلك الى تعدد أنواع العمل واشكاله وفقا لاسس التصنيف ما بين عمل فكرى أو مادى ،وما ترتب على ذلك من اختلاف فى أنماط السلوك والاتجاهات وانواع القيم المرتبطة بالعمل فى المجتمعات المختلفة (٢) .

وعندما جاء الاسلام أحدث ثورةشاملة فى حياة العرب فى كل جانب من جوانب الحياة ،وكان العمل هو الجوهر الاساسى فى الاسلام ،فله شرف كبير ليس له مثيل فى الديانات الاخرى ،فالحياة لاتقوم الا بالعمل وعلى العمل ، ولا قيمة للانسان الا بالعمل ،ولهذا فقد عنى الاسلام عناية عظيمة بتعمق هذا المفهوم فى نفوس معتنقيه ، وعلى هذا فقد وردت ايات كثيرة تشيد بالعمل وتدعو اليه وتبين مدى خطورة العمل فى قيام المجتمع وازدهاره (٣) . بالاضافة الى ذلك فان الدين الاسلامى فكر وعمل ،ولهذا جاء باسمى المبادئ التى تتمشى مع الطبيعة الانسانية ،ولاتزال تلك المبادئ هى الاساس لاحدث النظريات المعاصرة فى مجال اقتصاديات واجتماعيات العمل (٤) . ولهذا يشترط القران أن يكون العمل قرينا للعلم فى تكوين أخلاق الانسان وبناء علاقاته الاجتماعية التى لاتقوم على مجرد الوعظ والارشاد ،وانما تحتاج الى أفعال يمارسها الانسان لتتكون أخلاقه عمليا ،ومن هنا كانت شروط الاسلام من قبيل ربط الفكر أو العلم بالعمل أو ربط النظر بالتطبيق (٥) .

---

(١) انظر الفصل السابع من هذا البحث.
(٢) مصطفى عبد القادر : مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية فى التعليم الثانوى العام فى المجتمع المصرى المعاصر - رسالة ماجستير غير مطبوعة - كلية التربية - عين شمس - ١٩٧٩ - ص ١.
(٣) المصدر السابق : ص ٢٨٨.
(٤) المصدر السابق : ص ٤٠.
(٥) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية فى القران - مرجع سابق - ص٢١٩.

ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين العلم والعمل فى العمليةالتربوية حيث انها تكاد تكون دائرية ومستمرة ، ولهذا يتحتم على المشتغلين بالتربيةأن يجعلوا من العمل " اسلوبا ومنهجا يربون به ، ومن خلاله مما يوحى بسببية تعزى الى التربية بحيث يصبح العمل هنا مفعولا به ، الا اننا من ناحية أخرى نعترف بان تغير موقع العمل أيضا ومكانته ، يمكن أن يكون مؤثرا هاما جعلنا نعيد النظر فى معنى التربية والوظائف التى يجب أن ترمى اليها" (١) . ولهذا فان العملية التربوية لا يمكن لها أن تقوم الا فى ظل الالتحام بين الفكر والعمل او بين النظر والتطبيق (٢) .

ويظهر من النصوص الواردة عن ائمة الشيعة ، وموقفهم من العلم وتقسيمه الى عقلى ومادى ، انهم لم يهملوا الناحية العملية وارتباطها بالعلم ، بل هناك علاقة ارتباطية بينهما ، وان كلا منهما مكمل للاخر ، فلا يمكن أن يتصور علم بلا عمل ، كما لا يمكن أن يكون هناك عمل بلا علم . لان التعليم عندهم كما يبدو ليس هو مجرد حشو أذهان التلاميذ بالعلوم والاكتفاء بذلك ، بل لابد من ان ينعكس ما يتعلمه على سلوكه ، ولهذا اراد ائمة الشيعة وشيوخهم من شيعتهم ذلك . يقول الامام محمد الباقر لاحد تلاميذه : " ابلغ شيعتنا انه لا ينال ما عند الله الا بالعمل ، وابلغ شيعتنا ان أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره " (٣) .

وقد اهتم الشيعة كل الاهتمام بالتاكيد على وجوب ان يظهر اثر العلم فى عمل الانسان ، وان ينعكس فى سلوكياتهم ، وبهذا ورد عن الامام موسى بن جعفر عن ابائه عن على بن ابى طالب أنه قال : " الدنيا كلها جهل الا مواضع العلم ، والعلم كله حجة الا ماعمل به ، والعمل كله رياء الا ما كان مخلصا ، والاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم به" (٤) . والذى يظهر من ذلك ان الاخلاص أساس العمل ، والعمل أساس العلم . وفى هذا جاء عن الامام موسى بن جعفر : " أولى العلم بك مالا يصلح لك العمل الا به ، وأوجب العلم عليك ما أنت مسئول عن العمل به ، والزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك

(١) سعيد اسماعيل على : مكانة العمل فى الفكر التربوى - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد السادس - القاهرة - دار الثقافة - ١٩٧٩ - ص٢٠.
(٢) المصدر السابق : ص ٢٢.
(٣) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٩.
(٤) المصدر السابق : ص ٢٩.

وأظهر لك فساده ، وأحمد عاقبته مازاد فى علمك العاجل فلا تشغلن بعلم مالا يضرك جهله ولا تغفلن عن علم ما يزيدك فى جهلك تركه" (١).

وقد حلل أئمة الشيعة العلاقة بين العلم والعمل تحليلا انتهى بهم الى القول بأن العلم مقرون بالعمل وموصول به - يقول الامام على : " العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل عنه" (٢). وقوله لجابر بن عبد الله الانصارى : " ياجابر قوام الدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لايستنكف أن يتعلم. . . فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم. . . " (٣) .

والذى يظهر من أقوال الائمة عند الشيعة أنهم لم يفصلوا بين العلم والعمل أو بين النظر والتطبيق ، وهذا غاية ما تدعو اليه التربية فى مجالها التطبيقى ، وعلى هذا دعوا المتعلمين بأن يحولوا العلم الى عمل . يقول الامام الصادق: "تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به ، لان العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية" وقوله : " العلم الذى لايعمل به كالكنز الذى لاينفق منه ، أتعب صاحبه نفسه فى جمعه ، ولم يصل الى نفعه" (٤) .

والعالم عند الشيعة هو العامل والمعلم والدارس للعلم ، مع تمسكه بطاعة الله ، وهذه الطاعة لاتحصل الا عن طريق العلم والعمل به ، ولهذا أوجبوا عليه أن يعمل بعلمه ، كما أوجبوا على الجاهل أن يطلب العلم. يقول الامام على : " ما أخذ الله ميثاقا من أهل الجهل بطلب بيان العلم حتى أخذ ميثاقا من أهل العلم ببيان العلم للجهال ، لان العلم قبل الجهل". وهذا دليل على سبق العهد على العالم ببذل العلم على أخذ العهد على الجاهل بالتعلم (٥) . وبهذا قال الامام الصادق : " من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم لله دعى فى ملكوت السموات عظيما" (٦) .

---

(١) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - ج ١ - ص١٤.
(٢) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - ج ١ - ص ٥٥ .
(٣) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - ج ٢ - ص ٣٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٧ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٣ .
(٦) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - ج ١ - ص٣٣.

ومجمل ما تقدم ،أن العمل عند الشيعة معلول ،وأن العلم علة لـــــــه وسبب فى وجوده ، فلايمكن أن يوجد عمل من الفرد من دون علم ،كما أن العلـم عندهم مقرون بالعمل ، والا ارتحل عن صاحبه كما تقدم . وهذا دليل على عمـــق مفهوم العمل وارتباطه بالعلم عند الشيعة .

ثالثا : " المعرفة الانسانيـة " :

تدور حول المعرفة الانسانية مناقشات حادة تحتل مكانا رئيسيا فى الفلسفـة ، وخاصة الفلسفة الحديثة . فهى نقطة الانطلاق الفلسفى لاقامة فلسفة متماسكـــــة عن الكون والحياة والانسان ، فما لم تتحدد مصادر الفكر البشرى ومقاييسه وقيمـــه لايمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها . واحدى تلك المناقشات الضخمة هـــى المناقشة التى تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الاساسية بالبحث والدرس، وتحاول أن تستكشف الركائز الاولية للكيان الفكرى الذى تملكه البشرية ، فتجيب علـــــى هذا السؤال : كيف نشأت المعرفة عند الانسان ، وكيف تكونت حياته العقليـــة بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم ، وما هو المصدر الذى يمد الانسان بذلـــك السيل من الفكر والادراك ؟ (١) . ولهذا حاول الانسان منذ القديم أن يعرف كيفية العلم بالاشياء ، وما علاقة قوى الادراك بالشيء المدرك (٢) . وعلى هذا اختلفـت آراء الفلاسفة حول طبيعة المعرفة ، فمنهم من آمن بالمدارك الحسية واعتبرهـــا أساس المعرفة ، ومنهم من جعل العقل هو الوسيلة الوحيدة لكل المعارف ،نجـد فريقا آخر جمع بين الحواس والعقل ،واعتبرهما معا طريقا للمعرفة .

وبناء على هذا الاختلاف فى طبيعة المعرفة ، اختلفت وجهات النظر التـى ترتكز عليها فلسفة التربية ،وبالتالى ظهر الاختلاف فى مناهج الدراسة ، فالنظـرة الى طبيعة المعرفة تعتبر الاساس فى تشكيل المنهج والطريقة التى يعالج بهـــا التلاميـذ (٣) .

---

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - ط ٣ - بيروت - دار الفكر - ١٩٧٠ - ص ٥٥ .
(٢) توفيق الطويل : أسس الفلسفة - القاهرة - النهضة المصريـــــة - ١٩٥٨ - ص ٢٤٩ .
(٣) علاء الدين القزوينى : المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم - مرجع سابق - ص ١١٤ .

واذا كانت المعرفة من المباحث الفلسفية النظرية ، فهى كذلك تعتبر من المباحث الفلسفية التطبيقية [١] . بمعنى أن الفلسفة اذا كانت هى النشاط الثقافى الذى يعبر فكريا عن أوضاع الثقافة ومشكلاتها ،ويحاول تعديلها وتطويرها ، فان التربية هى المجهود العملى الذى يترجم هذه الفلسفة ويحولها الى عاداتومهارات وقيم سلوكية لدى الافراد ، ولهذا تتضمن الفلسفة فى داخلها على اتجاهات تربوية ،حيث ان التربية تحول الافكار والمعارف الانسانية الى واقع تطبيقى عملى يتعلق بسلوك الافراد [٢] . ولهذا تتحول الفلسفة من مجرد ألفاظ ممتعة ونظريات جامدة الى قيم تحدد السلوك ،ولما كانت القيم هى أساس الفلسفة التى تبحث عنها [٣] ، فمهمة التربية هى اظهار هذه القيم من الواقع النظرى الى الواقع العملى ونقلها الى الاخرين ،وتوضيحها فى مناهج الدراسة لكى يتعلمها التلاميذ [٤] .

ومما لاشك فيه أن البحث فى طبيعة المعرفة ومصادر اكتسابها ونوع المعرفة التى تعالجها ومدى أهميتها - لبنات أساسية- تسهم فى بناء فلسفة التربية ، وعلى هذا فان النظرة الى المعرفة على أنها غير يقينية ،أو أن الحواس أساس المعرفة أو أن العقل هو مصدر للمعرفة ،ينعكس على الطريقةالتى يعد بها الانسان ليتلقى لونا من ألوان التربية [٥] .

" فالمعرفة ليست هى القوى الذهنية التى تقف من الاشياء موقف التسجيل والمعاينة ، بل انها تنشأ من مواقف المشاركة الفعلية للانسان فى بيئته" [٦]. وعلى هذا لابد أن تؤدى النظرية الفلسفية الى تبديل فى العمل التربوى ،والااصبحت مصطنعة ، لانها لاتعكس الواقع العملى للتربية [٧] .

(١) نبيل نوفل : الغزالى - مرجع سابق - ص ١٤٢ .
(٢) محمد الهادى عفيفى : الاصول الثقافية للتربية - القاهرة - الانجلو مصرية ١٩٧٨ - ص ٨٧ .
(٣) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال مرجع سابق - ص ٩٦ .
(٤) علاء الدين القزوينى : المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم - مرجع سابق - ص ١٠٣ .
(٥) نادية جمال الدين : فلسفة التربية عند اخوان الصفاء - رسالة ماجستير غير مطبوعة - تربية عين شمس - قسم أصول التربية - ١٩٧٣ - ص ١٥٨ .
(٦) محمد الهادى عفيفى : الاصول الفلسفية للتربية - القاهرة - الانجلو مصرية ١٩٧٨ - ص ٢٤٨ .
(٧) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية - مرجع سابق - ص ٩٧ .

وبالنسبة للشيعة ، فان دراسة نظرتهم الى المعرفة لها أهميتها ، ذلك أنهم اعتبروا نفس الطفل كصحيفة بيضاء ،أى أن المعرفة ليست فطرية فى النفوس، بل تستمد من العالم الخارجى ،ولهذا وثقوا بالحواس كوسيلة من وسائل المعرفة البشرية ،بالاضافة للعقل ،مع وجود الاستعدادات الفطرية الكامنة لدى الطفل ، وهى ما يطلق عليها بالمعارف الضرورية أو الفطرية ،مع ايمانهم بالمعارف التى تحصل عن طريق الشرع أو الوحى . ومن هنا يتعرض الباحث لمصادر المعرفة عند الشيعة .

مصادر المعرفة :

يرى بعض الفلاسفة أن المصدر الاساسى للمعرفة هو الخبرة الحسية ، وأن وسيلتها هى الحواس ،وأن معرفة الانسان التى يتلقاها لاتكون الا عن طريق حواسه المختلفة (١) . ويمثل هذه المدرسة من الفلاسفة القدماء "الهرقليطيون" . فقد ادعوا أن المعرفة مقصورة على الاحساس ،وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة أبدا ، ليس لها جوهر تتقوم به ولا قوة تصدر عنها . وهذا الادعاء يؤدى الى القول بأن الاحساس هو كل المعرفة ، ومعناه أن المعرفة تقتصر على الظواهر المتغيرة فقط ،ولا يمكن ادراك ماهيات الاشياء (٢) .

ولعل المبشر الاول لهذه النزعة من الفلاسفة المحدثين هو " جون لوك" الفيلسوف الانجليزى ، فهو يعتبر المؤسس للمذهب التجريبى ، وهو المذهب القائل بأن معرفتنا كلها مستمدة من التجربة ،كما أنكر الافكار الفطرية ،وجعل الاحساس هو المصدر الاساسى الذى تستند اليه كل أفكارنا ،فالادراك كما يقول " هو الخطوة الاولى والدرجة الاولى نحو المعرفة ، والمدخل الى جميع خاماتها" (٣) وقد برز فى عصر فلسفى زاخر بمفاهيم" ديكارت" عن الافكار الفطرية فبدأ فى تفنيد تلك المفاهيم ، ووضع لاجل ذلك دراسة مفصلة للمعرفة الانسانية فى كتابه " مقالة فى التفكير الانسانى " وحاول فى هذا الكتاب ارجاع جميع التصورات والافكار الى الحس ، وقد شاعت هذه النظرية بعد ذلك بين فلاسفة أوربا (٤) .

(١) زكى نجيب محمود : نظرية المعرفة - مطبعة وزارة الارشاد القومى - ١٩٥٦- ص ٥٣ .
(٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية - القاهرة - مطابع الدجوى-١٩٧٦-ص٧٠.
(٣) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية - الفلسفة الحديثة - ترجمة محمد فتحى الشنيطى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧ - جـ ٣- ص١٧٨ . وأيضا محمد باقر الصدر :فلسفتنا - مرجع سابق - ص ٦٢ .
(٤) محمد باقر الصدر : المصدر السابق - ص ٦٢ .

ويمكننا أن نوضح فشل النظرية الحسية فى محاولة ارجاع جميع مفاهيم التصور البشرى الى الحس ،على ضوء دراسة عدة من مفاهيم الذهن البشرى كالمفاهيم التالية :العلة والمعلول ، الجوهر والعرض ،الامكان والوجوب،الوحدة والكثرة ،الوجود والعدم ،وما الى ذلك من مفاهيم وتصورات غير خاضعة للحواس . فنحن جميعا نعلم أن الحس انما يقع على ذات العلة وذات المعلول ،فندرك ببصرنا سقوط القلم على الارض اذا سحبت من تحته المنضدة التى وضع عليها ، وندرك باللمس حرارة الماء حين يوضع على النار ،وكذلك ندرك تمدد الفلزات فى جو حار . ففى هذه الامثلة نحس بظاهرتين متعاقبتين ولا نحس بصلة خاصة بينهما ،هذه الصلة التى تسمى بالعلية ،ونعنى بها تأثير احدى الظاهرتين فى الاخرى ،وحاجة الظاهرة الاخرى اليها لاجل أن توجد ،وهذه الصلة غير خاضعة للتجربة . وعلى ضوء ذلك فالحس هو البنية الاساسية التى يقوم على قاعدتها التصور البشرى ،ولايعنى ذلك تجريد الذهن عن الفعالية وابتكار تصورات جديدة على ضوء التصورات المستوردة من الحس (١) وهذا ما ذهب اليه الشيعة .

اذن فالاحساس عند الشيعة" هو الممون الوحيد للذهن البشرى بالتصورات والمعانى ،والقوة الذهنية هى القوة العاكسة للاحساسات المختلفة فى الذهن فنحن حين نحس بالشيء نستطيع أن نتصوره - أى أن نأخذ صورة عنه فى ذهننا - وأما المعانى التى لايمتد اليها الحس فلايمكن للنفس ابتداعها وابتكارها ذاتيا وبصورة مستقلة" (٢). وعلى هذا الاساس تتكون المعارف الاولية لدى الطفل نتيجة احساسه بالامور الخارجية التى تحيط به ، وعن طريق الاحساس تتكون فى ذهنة بعض المفاهيم بمثابة معارف أولية .

فأسباب المعرفة عند الشيعة لاتنحصر بالتجربة والمشاهدة فقط ،ولا بالعقل أو النقل ،ولا بالوثائق والاثار ،بل تشمل هذه جميعا .ولو اختصرت أسباب المعرفة بشيء واحد للزم أيضا أن تكون أشياء الكون عندنا علما واحدا فقط لا علوما متعددة ، مع أن هناك علوما شتى ،يبحث كل علم منها بموضوع خاص يميزه عن غيره (٣) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٦٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦١ .
(٣) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق - ص.ص٣٨-٤٨ .

هذا مع العلم بأنه لاغنى للتجربة فى الطبيعيات عن العقل ، ولا للعقل فى الرياضيات عن التجربة ، فكثيرا ما يطابق الرياضى بين شكلين هندسيين بل لاغنى عن العقل فى جميع الاسباب . واذا دل هذا على شيىء فانما يدل على وجود صلة بين العقل والمادة بنحو من الانحاء على ما بينهما من التباين والتباعد ، وبالتالى ، فان الواقع أعم مما تناله التجربة الحسية والتفكير العقلى ، ونقل الثقات ، بل يشملها جميعا [١] . ولهذا "لايقف الشيعة كثيرا عند نقد الحواس كمصدر لافادة العلم . . ففى حوار هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة مع عمرو بن عبيد المعتزلى حول الامامة يشبه هشام الامام بالنسبة للرعية كالقلب بالنسبة للجوارح . . والمتحاوران يقصدان بالقلب هنا العقل . . " [٢]

ومن هنا يظهر لنا أن المعرفة الحسية ما هى الا مرتبة من التفكير لدى الشيعة ، حيث يتوصل الانسان من حين ولادته بالمدركات الحسية الى المعارف العقلية ، وذلك عن طريق استعمال الحواس ، وتدرجه فى احساسه للامور الجزئية الى ادراك الامور الكلية عن طريق تجريد العقل للجزئيات المدركة بالحس ، ليتوصل الى استنتاج المعانى الكلية ، وبالتالى تؤدى عملية التجريد هذه الى تنمية العقل الانسانى التى تدعو اليه التربية العقلية . بالاضافة الى ذلك ، فقد اعتبر الشيعة أن الحواس لابد من صحتها ، لانها أصل الاعتقادات ، التى تتفرع عنها الاحكام العقلية الكلية ، وصحة الاخيرة متوقفة على صحة المدركات الحسية . وفى ذلك يقول العلامة الحلى : ". . ثم اذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدل أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية ، فقد ظهر من هذا أن العلوم الكسبية فرع على العلوم الضرورية ، والعلوم الضرورية الكلية فرع على المحسوسات الجزئية ، فالمحسوسات اذن اصل الاعتقادات ، ولايصح الفرع الا بعد صحة أصله " [٣] . ومن هنا يأتى دور التربية فى تنمية الحواس ، وعلى هذا فالتربية عند الشيعة تشمل التربية الحسية والعقلية معا . اذن" فقيمة المعرفة تنبع من مقدار ارتكازها على تلك الاسس ومدى استنباطها منها ، ولذلك كان من الممكن استحصال معارف صحيحة فى كل من الميتافيزيقا والرياضيات والطبيعيات على ضوء تلك الاسس . . . وهو أن الحصول على معارف طبيعية بتطبيق الاسس الاولية يتوقف على

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٤ .
(٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ١٤٤ .
(٣) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٤ .

التجربة التى تهيىء للانسان شروط التطبيق " كما يقول السيد الصدر (١) .

وتنقسم المعارف العقلية عند الشيعة الى طائفتين : احداهما معارف ضرورية أو بديهية . والطائفة الاخرى معارف أو معلومات نظرية أو كسبية (٢) .

أما المعارف الضرورية : فيراد بها أن النفس تضطر الى الاذعان بقضية معينة من دون أن تطالب بدليل أو تبرهن على صحتها ، بل تجد من طبيعتها ضرورة الايمان بها ايمانا غنيا عن كل بينة واثبات . كأيمانها ومعرفتها بأن النفى والاثبات لايصدقان معا فى شيىء واحد ، وأن الكل أكبر من الجزء ، والواحد نصف الاثنين (٣). ولهذا فالعلم الضرورى أو البديهى "لايحتاج الى نظر وفكر" (٤) .

ومادامت القضايا البديهية لاتحتاج الى دليل واستعمال الفكر ، فالناس اذن ، والحال هذه ، فى ادراكها سواء ، لافرق فيها بين العالم والجاهل ، كما أنها ليست محلا للجدل والنقاش بين أهل المعرفة ، ولايبحث عنها فى العلوم كغاية فى حد ذاتها ، بل كوسائل ومقدمات تتألف منها الادلة والاقيسة المنطقية فليس من مسائل العلم فى شيىء البحث فى أن الماء يغلى اذا وضع اناؤه على النار ، وأن الشمس تشرق عند الصباح . . . وانما يبحث العلم : لماذا سقط الحجر على الارض ؟ وما هو السبب لارتفاع الشمس . . وكم تبلغ درجة الحرارة فى الماء اذا غلى (٥). وعلى هذا يستطيع الانسان أن يدرك بواسطة وجدانه الفطرى ومن دون حاجة الى معلم أو مربى ، أن كل معلول يحتاج الى علة ، ولايوجد أثر بلا موءثر . . ان الوجدان الفطرى الذى يربط بين الاثر والموءثر أمر طبيعى الى درجة أن الطفل بمجرد أن يصبح قادرا على التكلم يسأل أمه باستمرار عن علل الحوادث المختلفة ، هذه الاسئلة ليست ذات صلة بالتفكير ولا ناجمة من المحاسبة العقلية . يقول الشريف الرضى عند شرحه لبعض روايات الفطرة : " وهذا يدلك على أن فطرة ابن آدم ملهمة معلمة من الله بأن الاثر دال دلالة بديهية على موءثره بغير ارتياب " (٦) .

---

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - مرجع سابق - ص ١٥١ .
(٢) العلامة الحلى : كشف المراد - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .
(٣) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٤) السيد محمد الحسينى الشيرازى : شرح منظومة السبزوارى - قم - ايران مطبعة مهر - بدون تاريخ - ص ١٦ .
(٥) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة - مرجع سابق - ص ٨٢ .
(٦) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ١ - ص٣٠٦ .

وعلى هذا فان الانبياء والمربين يسلكون بالنسبة الى المعرفة الضرورية أوما يطلق عليها بالفطرية ، دور المذكر لا المعلم، حيث يقومون بازاحة أستار الغفلة عن الضميرالباطنى والفطرة الانسانية . فالانبياء جاءوا ليوصلوا المعرفة الفطرية الاجمالية الى مرحلة الايمان الاستدلالى العقلى التفصيلى عن طريق الارشاد الى التفكير والتدبر فى الايات (١). ومن هنا فان أهم واجبات الانبياء هو ايقاظ الجوانب الفطرية عند الانسان . يقول الامام على :" . . فبعث فيهم رسله ، وواتر اليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول . . . " (٢) ويعلق البحرانى على ذلك بقوله :" فانه لما كانت جواهر العقول ونتائج الافكار ، موجودة فى النفوس بالقوة ، أشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ، ولما كانت الانبياء هم الاصل فى استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها حسن اضافة اثارتها اليهم ليرشد وهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين" (٣) . ومن هذا النص يظهر أن الشيعة يعتبرون الامور الفطرية فى الانسان كمقدمات للادلة والبراهين العقلية ، وعلى هذا فمهمه التربية عند هم اظهار هذه الامور لتحصيل هذه الادلة عن طريقها .

ان أولى الامور الفطرية الضرورية عند الانسان فى نظر الاسلام ، معرفة الله سبحانه ، وهى من أوضح البديهيات فى الفطرة الانسانية ، وهذا هو الاساس الوصين للفطرة ، ويظهر ذلك فى الميل الغريزى للتدين ومعرفة الله جل وعلا ، ولهذا سئل الامام محمد الباقر : ما الحنيفية؟ قال :" هى الفطرة التى فطر الناس عليها . . فطرهم على معرفته" (٤) . وفى ذلك يقول الامام الحسين بن على :" كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك" (٥) .

أما المعارف أو العلوم الكسبية : فيراد منها ، مجموعة من القضايا لا تؤمن النفس بصحتها الا على ضوء معارف ومعلومات سابقة ، فيتوقف صدور الحكم منها

(١) المصدر السابق : ص ٣٠٣ .
(٢) البحرانى : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٢ .
(٤) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
(٥) عبد الله شبر : حق اليقين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٧ - ١٨ .

فى تلك القضايا على عملية تفكير واستنباط للحقيقة من حقائق اسبق وأوضح [١] أى أن المعارف الكسبية متفرعة على المعارف الضرورية ، والتى تكون بدورها متفرعة على المعارف الحسية [٢] . ولهذا احتاجت الى اعمال فكر وروية ، مثل العالم حادث ، والتسلسل ممتنع ، والحركة سبب الحرارة [٣] . " فان هذه القضايا حين تعرض على النفس لا تحصل على حكم فى شأنها الا بعد مراجعة للمعلومات الاخرى . ولاجل ذلك فالمعارف النظرية مستندة الى المعارف الاولية الضرورية ، فلو سلبت تلك المعارف الاولية من الذهن البشرى ، لم يستطع التوصل الى معرفة نظرية مطلقا . . وعلى ذلك الاساس تقوم البنيات الفوقية للفكر الانسانى التى تسمى بالمعلومات الثانوية" [٤] . اذ ان " النظرية لابد أن ينتهى دليلها الى البديهية والوجدان " [٥] .

والعملية التى تستنبط بها معرفة نظرية من معارف ضرورية بديهية سابقة ، هى العملية التى يطلق عليها اسم الفكر والتفكير . فالتفكير جهد يبذله العقل فى سبيل اكتساب معارف وعلوم جديدة من معارف سابقة موجودة ومرتكزة فى الذهن . ولهذا تعتبر المعارف الضرورية العلل الاولى للمعرفة الانسانية [٦]. ومثال ذلك قولنا : العالم متغير ، وهذه قضية ضرورية ، لانها خاضعة لحكم الحواس فتغير العالم من ليل الى نهار ومن حر الى برد ، من الامور المعلومة بالحس وقولنا كل متغير حادث ، فهى قضية بديهية أيضا . فاذا أردنا أن نكتسب علما جديدا ، فلابد من اعمال الفكر ، وذلك عن طريق القياس المؤلف من القضيتين المتقدمتين ، فيقال : العالم متغير ، وكل متغير حادث . فتكون النتيجة ، العالم حادث . حيث توصل العقل من قضيتين بديهيتين الى قضية كسبية نظرية ، ولهذا تعتبر المعارف الضرورية سببا وعلة للمعارف النظرية .

ان نظرة الشيعة الى المعرفة الانسانية وتقسيمها الى ضرورية ونظرية كسبية ، تؤدى الى القول بأن نقل هذه المعرفة الى الناشئة لايكون الا عن طريق

(١) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٢) محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٤ .
(٣) السيد محمد الحسينى الشيرازى : شرح منظومة السبزوارى - مرجع سابق ص ١٦ .
(٤) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٥) محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة - مرجع سابق - ص ٨١ .
(٦) محمد باقر الصدر : فلسفتنا - مرجع سابق - ص ٠ ص ٦٨ - ٦٩ .

التعليم . كما تؤدى نظرتهم الشاملة الى مصادر المعرفة ، الى القول بأن التربية عند الشيعة تتجه اتجاهين رئيسيين : أحدهما تجريبى ، وهوالذى نهض بالدراسات الواقعية ، ولهذا اشترط الشيعة فى المجالات التجريبية ، على مدى دقة المبادئ الضرورية على مجموعة التجارب التى أمكن الحصول عليها . ولهذا فلايمكن اعطاء نظرية علمية بشكل قاطع الا اذا استوعبت التجربة كل امكانيات المسألة ، وبلغت الى درجة من السعة والدقة بحيث أمكن تطبيق المبادىء الضرورية عليها واقامة استنتاج علمى موحد على أساس ذلك التطبيق (١) . والاخر نظرى وهو الذى ساعد على فحص وتمحيص العلوم العقلية . ولهذا ترتكز النظرية على تطبيق المبادئ الضرورية فى كل المجالات غير التجريبية ، ويجب على العقل أن يقوم بمحاولة تطبيق مبادئه الضرورية على هذه المجالات كأثبات العلة الاولى للعالم مثلا ، فما دامت المسألة ليست تجريبية فالتطبيق يحصل بعملية تفكير واستنباط عقلى بحت بصورة مستقلة عن التجربة (٢) .

أما المصدر الثالث للمعرفة عند الشيعة ، فهو الشرع وما جاء به الوحى ، أى أن المعارف الحاصلة من جهة الشرع ، كالعلم بالحلال والحرام ، والواجب والمسنون ، والمكروه ، وسائر أحكام الفقه ، يجب تعلمها وتعليمها . وهذه الاحكام تؤخذ عادة من مصادر ، دل على وجوب الاخذ بها الشرع أو العقل ، كما هو مفصل فى كتب الفقه وأصوله . من هذه المصادر ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وآحاديث أهل البيت وهم أئمة الشيعة - والسيرة القطعية ، وبناء العقلاء ، وحكم العقل ، والاجماع الكاشف عن رأى المعصوم ، والاستصحاب ، والاحتياط ، وغير ذلك من المصادر التى يرجع اليها فى معرفة الاحكام الشرعية (٣) . ولما كان المكلف ملزما بالعمل بهذه الاحكام وجب عليه تعلمها اما اجتهادا ، أو بالرجوع الى المجتهد وتعلمه منه ." لان المسلم مكلف بالعمل بجميع الاحكام المنزلة فى الشريعة كما أنزلت" (٤) . ولهذا جاء عن الامام على بن موسى الرضا :". . ان الله عز وجل لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فى تبيان كل شيء ، وبين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام وجميع ما يحتاج اليه الناس وما ترك لهم شيئا يحتاج اليه الامة الا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به" (٥) .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٥٢ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ .
(٣) محمد تقى الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن - مرجع سابق - ص ٥٩٥ - ٥٩٦ - ١٩٧ .
(٤) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ٤٥ .
(٥) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٨٤ .

ومجمل القول : ان الشيعة جعلوا المدارك الحسية هى الاساس لجميع المعارف وأصل لها ، وذلك لان المعرفة العقلية الحاصلة لدى الانسان عن طريق البراهين والاقيسة الاستدلالية ترجع اليها ، كما أن المعارف العقلية الضرورية ، هى أساس للمعرفة الكسبية ، ومتوقفة عليها . بالاضافة الى المعرفة الحاصلة عن طريق الشرع . ومن هنا فان مهمة التربية هى التعامل مع هذه المصادر لأيصال المعرفة الى الانسان ." واذا كان هناك طريقان للتعلم ، تعلم يبدأ بالمحسوسات حتى يصل الى حصول المعقولات فى عقولنا . وتعلم يعتمد على القول بأنه موهبة الهية لاتتيسر الا للسعداء . "(١) . فان الشيعة يقولون بالطريق الاول طبقا لمذهبهم فى تدرج المعرفة الانسانية فى المحسوسات حتى المعقولات ، وهذا هو التطور الطبيعى للمعرفة ، كما أنهم آمنوا بالمعارف الفطرية البديهية ، وأنها موهبة الهية ، يشترك فيها جميع البشر على السواء ، كما مر .

رابعا : " النزعة العقلية في الفكر التربوى عند الشيعة" :

لعل أولى الجوانب التى تؤكد النزعة العقلية فى الفكر العربى عامة والفكر التربوى خاصة ، تلك المكانة الرفيعة التى يحتلها " العقل" فى مصادر هذا الفكر الرئيسية ، وما حظى به العلم والعلماء من آيات التقدير ومظاهر الثقة والتبجيل ، ولهذا جاءت الايات القرآنية تارة تدعو الى التصديق والطاعة والانقياد ، وجاءت تارة أخرى مصحوبة بالدعوة الى التفكر والتعقل والاشادة بالتدبر ، وتقدير العلم والعلماء ، وتقريع الجهال والغافلين ، والسخرية ممن لايفكر(٢) .

ومن المعطيات الثورية للحرية الفكرية فى الاسلام ، الحرب التى شنها على التقليد وجمود الفكر ، والاستسلام العقلى للاساطير أو لآراء الاخرين دون وعى وتمحيص ، والهدف الذى يرمى اليه الاسلام من ذلك ، تكوين العقل الاستدلالى أو البرهانى عند الانسان ، فلابد فى رأى الاسلام لانشاء الفكر الحر أن ينشىء فى الانسان العقل الاستدلالى الذى لايقبل فكرة دون بحث ولايؤمن بعقيدة

(١) سعيد اسماعيل على : النزعة العقلية في الفكر التربوى العربي - الثقافة العربية - تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - العدد الخامس القاهرة - دار التعارف - ١٩٧٧ - ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢ - ٣٣ .

مالم تحصل على برهان ، ليكون هذا العقل الواعى ضمانا للحرية الفكرية وعاصما للانسان من التفريط بها ، بدافع من التقليد أو التعصب أو الركون الى الخرافة وفى الواقع أن هذا جزء من معركة الاسلام لتحرير المحتوى الداخلى للانسان . فهو كما حرر الارادة الانسانية من عبودية الشهوات ، كذلك حرر الوعى الانسانى من عبودية التقليد ، وبهذا وذاك أصبح الانسان حرا فى تفكيره وحرا فى ارادته (١) .

فالعقل البشرى من الطاقات التى أنعم الله به على الانسان ، ولهذا استطاع أن يستخدم عقله على نطاق واسع ، فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ، ولكن تربيته لم تكن متكاملة . . ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ، ولما كان الاسلام يهدف الى اسعاد الانسان والى اقامة الحياة فى الارض على أساس من الحق والعدل والخير ، فقد عمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه (٢) .

والاسلام باعتباره آخر اطروحة سماوية جاءت لخير الانسان ، فهو لذلك يقدر الطاقة العقلية ويديرها ليستخدمها المسلم فى صلاح الناس ، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى ، فطلب تدبر نواميس الكون ، وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ، ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لايستخدم العقل ، والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (٣) .

ان التربية العقلية غاية فى حد ذاتها ، ووسيلة لادراك كل شيىء ، وتعليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير ، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الاساسية للفلسفة . . ذات صلة بالنواحى العقلية والمنطقية والانسانية (٤) . ولهذا فان الوسيلة المباشرة الى تحسن طرقنا فى التدريب والتعليم تحسنا مطردا ، هى تركيز

---

(١) محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية - ط٣- بيروت - دار الزهراء للطباعة والنشر - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) على القاضى : أضواء على التربية فى الاسلام - القاهرة - دار الطباعة الحديثة - ١٩٧٩ - ص ٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٤) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية - مرجع سابق - ص ٤٨ .

انتباهنا فى الامور التى تستلزم التفكير وتنميه وتمتحنه ، فالتفكير هو طريقة التعليم الرشيدة ، أو طريقة التعلم التى تستلزم العقل وتكافئه ، والتفكير هو طريقة الخبرة الرشيدة فى مسلكها الذى تسلكه (١) .

فالعقل ينمو على أثر التوجيهات الصحيحة ، ويظهر كماله الباطنى بصورة تدريجية ، ولهذا فالاسلام يعتبر التفكير واستخدام العقل والتدبر فى عوالم الطبيعة أعظم العبادات . وقد وردت بهذا المعنى روايات وآيات كثيرة . وكان الامام على (ع) يوصى ولده الحسن فيقول : ". . يا بنى لافقر أشد من الجهل ، ولا عدم أشد من عدم العقل . . . ولاعبادة كالتفكر فى صنعة الله عز وجل ، يابنى العقل خليل المرء . . انه لابد للعاقل من أن ينظر فى شأنه . . . " (٢) وقال أيضا : " لاغنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب . . " (٣) . وقوله : " لاعلم كالتفكر ولا شرف كالعلم" (٤) .

واذا كان التفكير يلعب الدور الاكبر فى الحياة الاجتماعية ، واذا كان نوعه يتحدد بنوع هذه الحياة ، وبالاطار الفلسفى الذى يوجهها فى هذه الناحية ، فانه يوفر للتربية مناخا صحيا ملائما لها للنمو السليم (٥) . ومن هنا نجد أن أئمة الشيعة وشيوخهم رفعوا من شأن العقل وقدسوه ، قال الامام على : " العقل ولادة ، والعلم افادة ، ومجالسة العلماء زيادة" . وقال : " من صحب جاهلا نقص عقله " (٦) . وجاء عن الامام الصادق قوله : " كثرة النظر فى العلم يفتح العقل" (٧) . وقوله : " أفضل طبائع العقل العبادة ، وأوثق الحديث له العلم ، وأجزل حظوظه الحكمة ، وأفضل ذخائره الحسنات" (٨) . وجاء عنه أيضا : "دعامة الانسان العقل ، ومن العقل الفطنة والفهم ، والحفظ ، والعلم ، فاذا كان تأييد عقله من نور كان عالما حافظا ذكيا فطنا فهما ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره . . " (٩) . " . . . . . ودليل العقل شيئان : صدق القول

(١) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية - مرجع سابق - ص ١١٤ .
(٢) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ١ - ص٢٢٤ وأيضا محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٨ .
(٣) محمد باقر المجلسى : المصدر السابق - ص ٩٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٧٩ .
(٥) سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية - مرجع سابق - ص ١١٤ .
(٦) محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٦٠ .
(٧) المصدر السابق : ص ١٥٩ .
(٨) المصدر السابق : ص ١٣١ .
(٩) المصدر السابق : ص ٩٠ .

وصواب الفعل ، والعاقل لايتحدث بما ينكره العقل ، ولا يتعرض للتهمة . . . ويكون العلم دليله فى أعماله ، والحلم رفيقة فى أحواله ، والمعرفة تعينه فى مذاهبه ، والهوى عدو العقل" (١) . وقوله أيضا : " لم يقسم بين العباد أقل من خمس: اليقين، والقنوع ، والصبر ، والشكر ، والذى يكمل به هذا كله العقل" (٢) .

وتتجلى النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة فى قول الامام موسى بن جعفر لتلميذه هشام بن الحكم: ". . . ياهشام ان الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم فى كتابه . . . ياهشام . . ان الله جل وعز أكمل للناس الحجج بالعقول ، وأفضى اليهم بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالادلة . . . . . يا هشام قد جعل الله جل وعز دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا . . ثم وعظ أهل العقل ، ورغبهم فى الاخرة . . . ثم بين أن العقل مع العلم . . . ثم ذم الذين لايعقلون . . . ثم ذكر أولى الالباب بأحسن الذكر ، وحلاهم بأحسن الحلية ، ياهشام ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت فى الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع ولا تعمر فى قلب المتكبر الجبار ، لان الله جعل التواضع آلة العقل ، وجعل التكبر من الة الجهل . . " (٣) .

وتظهر هذه النزعة واضحة فى قول هشام بن الحكم أحد شيوخ الشيعة ، فى منتصف القرن الثانى للهجرة ، وذلك بعد عرضه للايات التى تدل على التفكر والتعقل فى كل شيىء : ". . . وهذه الايات دالة على الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر ، فهذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة فيثمر لك المحبة والعمل بالطاعات ، وان أكثر الناس انما قصرت أفهامهم عنه لاعراضهم عن التدبر والنظر واشتغالهم بشهوات الدنيا ، فالتدبر والنظر فى ملكوت الله تعالى هوحقيقة الايمان ، اذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارض الا وفيها عجائب دالة على قدرة الله وحكمته وجلاله وعظمته . . . " (٤) .

وهكذا يحتل العقل فى التربية الاسلامية عند الشيعة مكانة كبرى ، حتى جعلوه أساسا فى معرفة الاحكام الشرعية التى لادليل عليها من قبل الشرع ، وقد حث أئمة الشيعة شيعتهم على التفقه والتفكر . قال الامام على لسائل سأله عن

(١) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - النجف الاشرف - العراق مطبعة النعمان - ١٩٧٦ - جـ ١ - ص ١٢٤ .
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٧ .
(٣) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص . ص ٢٨٦ الى ص ٢٩٩ .
(٤) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٠٧ .

معضلة: " سل تفقها ، ولا تسأل تعنتا ، فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالـــــم ، وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل" (١).

ومما قدمناه فان الشيعة يعدون من أوائل المعبرين عن النزعة العقلية فـــى التفكير الاسلامى ، فان" مسألة الدراسة العقلية . . قد كانت فى طليعة المسائـــل التى اشتغل بها الشيعة الاماميون ، ومن أفواه الشيعة الاماميين تلقى آساطيـــن الفلسفة الاسلامية كلامهم فى العقل والنفس . . . " (٢) . " فالدراسات المنطقية وسائر الدراسات العقلية كانت من شواغل الشيعة الاماميين" (٣) . ولهذا كان لهم الفضل فى البحوث العقلية والفلسفية والكلامية ، حتى كانوا أبرز من اشتغل بها مـــــن المسلمين فى عهد مبكر من الاسلام . وقد نشأت هذه الدراسات العقلية فـــــى دائرة التشيع (٤) .

خامسا : " تكافوء الفرص فى التعليم " :

ويقصد بهذا المبدأ" اتاحة الفرصة لكل فرد ليضطلع بدوره فى المجتمـــــع ، ويختار نوع العمل أو المجال الذى يزاوله فيه بقدر ما توءهله قدراته وخبراتـــــه . وبذلك يكون هذا المبدأ بمثابة تنظيم اجتماعى يهدف للافادة من جميع أفـــــراد المجتمع ومساهمتهم فى بناء الوطن وسعادته " (٥) .

ويعتبر هذا المبدأ من أهم المبادىء فى التربية الاسلامية ، حيث ان التربيـة فى الاسلام تأثرت تأثرا كبيرا بمبدأ الحرية والمساواه وتكافوء الفرص فى التعليـــــم ، وفسح المجال أمام الراغبين فى التعليم من غير تفرقة بين أفراد المجتمع بمختلـــف طبقاته ، مادام التعليم واجبا دينيا على الجميع (٦) .

ويتضح هذا المبدأ لدى الشيعة ضمن موقفهم من العلم والعلماء ، حيـــث اعتبروا العلم حقا لكل فرد من أفراد المجتمع ، لافرق فيه بين المتعلمين ، ولهـــذا كان من واجب رئيس الدولة أن يهيىء الفرص الكافية لجميع أفراد المجتمع علـــى

(١) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٢ .
(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص ٤٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ٤٠ .
(٤) انظر الفصل السابع من هذا البحث .
(٥) سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية - القاهرة - دار الثقافـــة ١٩٧٤ - ص ٢٤ .
(٦) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ص ٢٦-٢٧ .

اختلاف معتقداتهم وأديانهم ماداموا متصفين بالمواطنة الاسلامية . وقد اشار أئمة الشيعة لهذا المعنى . فقد جاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين فى النصف الثانى من القرن الاول للهجرة :" وأما حق رعيتك بالعلم ،فان تعلم أن الله قد جعلك لهم قيما أتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة . . . فان أحسنت فى تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، وان كنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك" (١) . وهذا المعنى للسلطان أو الحاكم لاينطبق الا على مفهوم الشيعة للحكومة الاسلامية ، حيث اعتبروا ان الحكومة بعد الائمة المعصومين ، هى من حق العلماء المجتهدين الجامعين لشرطى العدالة والاجتهاد . ولهذا ورد عن أئمة الشيعة أنهم لايحبون أن يروا الشاب الا غاديا فى حالين اما عالما أو متعلما ، والا كان مفرطا يستحق الاثم (٢) . وهذا غاية ما يمكن أن يكون فى تهيئة الفرص للجميع . وقد ورد عن الامام محمد الباقر قوله :" تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكم العلماء" (٣) . وبهذا جاء عن الكلينى أن كل انسان صحيح الخلقة كامل الالة يجب أن يكون له مؤدب ودليل وأدب وتعليم ، لان الجهالة غير جائزة ، ولهذا فالتعليم يكون عاما للجميع (٤) . بالاضافة الى أن موقف أئمة الشيعة وشيوخهم من العلم وحثهم على التعليم يوجب عليهم باعتبارهم يمثلون السلطة الشرعية فى نظر الشيعة ، أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم الناس . قال الامام الصادق :" أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ، ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم " (٥) . ولهذا أرادوا للناس جميعا أن يتعلموا .

وقد مارس الشيعة هذا المبدأ عمليا ، حيث قاموا بالعملية التعليمية فى كل مكان ، ولجميع الافراد ، وأتاحوا الفرصة لكافة المتعلمين ، وكانت مجالسهم مسرحا لطلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ، وقد ورد بذلك عنهم الحث على طلب العلم ومجالسة أهله ، والاختلاف اليهم ودرس كتبهم ، حتى تخرج من حلقاتهم

(١) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٨٨ . وأيضا الصدوق : الخصال مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٦٧ .
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٧٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥ - ٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤١ .

كثير من العلماء ورواد الفكر ،على اختلاف اتجاهاتهم(١) . وفى هذا جاء عن الامام موسى بن جعفر فى قوله لتلميذه هشام بن الحكم :" ياهشام تعلم من العلم ما جهلت ،وعلم الجاهل مما علمت ،وعظم العالم لعلمه ،ودع منازعته ،وصغر الجاهل لجهله ولا تطرده ولكن قربه وعلمه "(٢) . وبهذا أرادوا محاربة الجهل ونشر العلم بين جميع الافراد . وفى ذلك يقول الامام على بن أبى طالب:"لايستحى الجاهل اذا لم يعلم أن يتعلم "(٣) . وهكذا أتاحوا الفرصة لكافة المتعلمين .

سادسا :"التربية الخلقية من منظور الشيعة":

تعتبر التربية ذات طبيعة خلقية ،ومن ثم فان البحث فى الاخلاق يرتبط ارتباطا قويا بالتربية ،وذلك أنها تمدنا بتصور فيلسوف التربية للانسان المتكامل الذى يراه ويريده ويتصوره للسلوك الذى ينبغى أن يسلكه الناس . كما وترتبط المباحث الاخلاقية ارتباطا وثيقا بعملية التربية ،فنظرة الفيلسوف الى الاخلاق تفسر لنا سلوك الناس وتعاملهم كما ينبغى أن يكون فى نظره ،وتقسيم عمل الانسان الى خير وشر أو فضيلة ورذيلة ،يستلزم ايضاح الوسيلة المتبعة فى تربية الانسان لكى يعمل الفضيلة ويتجنب الرذيلة . ومن هنا لابد أن نفهم كيف تعمل الحقائق الاخلاقية ،لان هذه الحقائق تساعدنا على فهم الحياة الخلقية والعمل الخلقى ، وفى تصور سقراط تساعد على" اختيار" الحياة(٤) . التى ينبغى للانسان أن يسلكها. وعلى هذا فان الفلسفة الخلقية لايمكن أن تكون مجرد نظر عقلى يستهدف تعريف الفضيلة أو تحديد ماهية الخير ،بل ينبغى أن تتخذ طابع الفلسفةالعملية التى تقوم بمهمة العمل على ايقاظ الشعوربالقيم لدى الناس والمساهمة فى تربيةالانسان بوجه عام(٥) . ولهذا قال الامام على بن أبى طالب:" السعيد من وعظ بغيره ما اتعظ ،روضوا أنفسكم على الاخلاق الحسنة ،فان العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم"(٦) .

---

(١) انظر مراكز العلم عند الشيعة من الفصل الخامس من هذا البحث .
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٩ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٦ .
(٤) James H.Tujts "Ethics" in Twenteeth century Philosophy. (Dagobert and Drunes (ed); New York: Philcsophy-Library, Inc. 1243-P.11.
(٥) زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية - ط٣- القاهرة - دار مصر للطباعة - ١٩٨٠- ص ٥٩ .
(٦) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٦٢١ .

" والاخلاق هى دراسة القيم فى مجال السلوك البشرى . . " (١) . ولهـــذا " . . . تتكون من خلال الممارسة والانخراط فى مواقف الحياة حيث يكون التعامـــل مع الافراد والجماعات ، وحيث يكون اكتساب القيم والاتجاهات والعادات ذات الاثر الايجابى البناء ، كالتعاون والتساند الاجتماعى وحب الخير وكره الشر" (٢) . وكـــان أئمة الشيعة يدعون شيعتهم الى ممارسة الاعمال الخلقية وتطبيقها فى سلوكياتهـم. قال الامام الصادق : " كونوا دعاة للناس الى الخير بغير ألسنتكم ليروا منكـــــم الاجتهاد والصدق والورع" (٣) .

وكما يسعى الانسان فى سبيل احياء مواهبه الفكرية ، وادراك الحقائـــق العلمية ، ويحرز تقدما جديدا فى كل يوم ، كذلك عليه أن يسعى فى سبيل تزكيـــة نفسه وتطهيرها بالفضائل الاخلاقية ، وبغض النظر عن الجانب الدينى ، فـــان الفضائل الخلقية والملكات الطاهرة من الضروريات الحيوية لمجتمع سعيد فاضـــل قال الامام على : " لوكنا لانرجو جنة ولانخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا ، لكان ينبغـــى لنا أن نطالب بمكارم الاخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاح" . ولهذا فـــان شطرا مهما من سعادة المجتمع مرتبط بالفضائل الخلقية ، كما أن شطرا مهمـــا من شقاء المجتمع وفساده له ارتباط وثيق بالانحطاط الخلقى ، يقول الامام علـــى : " رب عزيز أذله خلقه ، وذليل أعزه خلقه " (٤) . ولهذا كان مقياس الخير والشـــر عند الشيعة العقل بالاضافة الى كشف الشارع عن كثير من القضايا الحسنـــــة والقبيحة التى لايمكن للعقل ادراكها . ولاجل ذلك قسموا الحسن والقبح أو الخير والشر الى عقلى وشرعى .

ولم يقف الاسلام عند حد معالجة الامور الدنيوية ، بل تعداها بعد أن بين واقع المجتمع وعلاقة أبنائه بعضهم ببعض ، الى دنيا الروح ، فأعطاها صورة صحيحة واضحة ، باستطاعة النفس المؤمنة أن تتبينها من خلال عمق ايمانها ، وتقف علـــى حقيقتها من خلال التعاليم الاسلامية الرشيدة ، فأقر بوجود حياة أخرى لاموت فيها ولا فناء ولا مادة ، حياة حقيقية تبقى فيها النفس البشرية ناجية خالدة (٥) .

---

(١) جورج - ف - نيلر : مقدمة الى فلسفة التربية - ترجمة د / نظمى لوقـــا - القاهرة - الانجلو مصرية - ١٩٧٧ - ص ٣٦ .

(٢) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية - مرجع سابق - ص ٢٨ .

(٣) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١١ .

(٤) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٧ .

(٥) عبد الصاحب الحسينى العاملى : الاخلاق عند الرسول وأصحابه - بيـــروت مؤسسة الاعلمى للمطبوعات - ١٩٦٩ - ص ٧ .

ولهذا تعد التربية الخلقية المثالية أسمى أغراض التربية الاسلامية ،فقد عنى علماء الاسلام كل العناية لبث الاخلاق الكريمة وغرس الفضائل فى نفوس المتعلمين . وفى ذلك يقول الشهيد الثانى :" ومن أهم ما يجب على العلماء مراعاته تصحيح القصد واخلاص النية و تطهير القلب من د نس الاغراض الد نيوية ،وتكميل النفس فى قوتها العملية وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء الفضائل الخلقية وقهر القوتين الشهوية والغضبية " (١) .

" ان القيم الروحية اذن ،ليست شكلا فارغا أو اطارا من الشعائر والاقوال التى تتردد آليا على الالسن ،بل هى قبل كل شيىء سلوك عملى فى الحياة . والحريص حقا على القيم الروحية ليس ذلك الذى يردد ألفاظا أو يؤدى طقوسا ، بل هو ذلك الذى يثبت بسلوكه فى الحياة أنه يتخذ لنفسه هدفا رفيعا ،ويضمن من أجل تحقيقه بكل ما يملك" (٢) . وكان أئمة الشيعة يوضحون هذه المعانى الخلقية ،وأنها لابد أن تتحول الى سلوك عملى . فقد جاء عنهم:" وعلى العاقل أن يحاسب نفسه محاسبة الشريك شريكه عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه ،وفيم أنفقه ،وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساويها ،ويتكلف باصلاحها . . .وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه ،وعلى العاقل أن لايصاحب ولايجاور الا ذا الفضل فى العلم والدين والاخلاق فيأخذ عنه ، وعلى العاقل أن يجعل من أهل التقوى حارسا على أقواله وأفعاله اذا أخطأ.. وعلى العاقل أن لايكون راغبا الا فى احدى ثلاث : تزود لمعاد أو لذة فى غير محرم أو مرمة لمعاش . . . وعلى العاقل أن لايستصغر الذنب فمع الاصرار يكون كبيرا ولايستكثر العمل بالطاعة ،والا فيد خله العجب فيفسد " (٣) . ولهذا كانت هذه القيم الاخلاقية تنعكس فى سلوكيات الشيعة وأئمتهم . قيل لعلى بن الحسين : " أنت من أبر الناس ولانراك تواكل أمك ،قال : أخاف أن تسير يدى الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها" (٤) . .

---

(١) الشهيد الثانى : معالم الدين وملاذ المجتهدين - مرجع سابق - ص ١ .
(٢) فواد زكريا : آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ - ص . ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(٣) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق في حديث واحد - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٩٧ .

وقد اتخذ الشيعة تبعا لما اتخذه الاسلام ، للتوفيق بين الدافع الذاتى والقيم ، أو المصالح الاجتماعية : التعهد بتربية أخلاقية خاصة تعنى بتغذية الانسان روحيا ، وتنمية العواطف الانسانية والمشاعر الخلقية فيه ، فان فى طبيعة الانسان طاقات واستعدادات لميول متنوعة ، بعضها ميول مادية تتفتح شهواتها بصورة طبيعية كشهوات الطعام والشراب والجنس ، وبعضها ميول معنوية تتفتح وتنمو بالتربية والتعاهد ، ولاجل ذلك كان من الطبيعى للانسان اذا ترك لنفسه، أن تسيطر عليه الميول المادية، لانها تتفتح بصورة طبيعية ، وتظل الميول المعنوية واستعداداتها الكامنة فى النفس مستترة ، والدين باعتباره يؤمن بقيادة معصومة مسددة من الله - حسب رأى الشيعة - فهو يوكل أمر تربية الانسانية وتنمية الميول المعنوية فيها الى هذه القيادة وفروعها ، فتنشأ بسبب ذلك مجموعة من العواطف والمشاعر النبيلة ، ويصبح الانسان محبا للقيم الخلقية والمثل التى يربيه الدين على احترامها ويستبسل فى سبيلها ويزيح عن طريقها ما يقف أمامها من مصالحه ومنافعه [١] . ولهذا يؤمن الشيعة بأن الفهم المعنوى للحياة والتربية الخلقية للنفس فى رسالة الاسلام هما السببان المجتمعان على معالجة السبب الاعمق للمأساة الانسانية ، ولهذا فالشيعة تعبر دائما عن فهم الحياة على أنها تمهيد لحياة أبدية : بالفهم المعنوى للحياة ، كما عبروا أيضا عن المشاعر والاحاسيس ، التى تغذيها التربية الخلقية : بالاحساس الخلقى بالحياة، فالفهم المعنوى للحياة والاحساس الخلقى بها ، هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسها المقياس الخلقى عند الشيعة ، والذى وضعه الاسلام للانسانية وهو : رضا الله تعالى ، ورضا الله ، هذا الذى يقيمه الاسلام مقياسا عاما فى الحياة ، هو الذى يقود السفينة البشرية الى ساحل الحق والخير والعدل [٢] . وبهذا جاء عن أئمة الشيعة قولهم : " خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع ، قيل : ما هن يا بن رسول الله؟ قال : الدين ، والعقل ، والحياء ، وحسن الخلق ، وحسن الادب ، وخمس من لم يكن فيه لم يتهنأ العيش : الصحة ، والامن ، والغنى ، والقناعة ، والانيس الموافق " [٣] و " حسن الادب اجراء الامور على قانون الشرع والعقل فى خدمة الحق ومعاملة الخلق" [٤] . ولهذا فمراد الشيعة من الغنى

---

(١) محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية - مرجع سابق - ص . ص ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) المصدر السابق : ص . ص ٩٤-٩٥ .
(٣) محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٣ .
(٤) المصدر السابق : ص ٨٣ .

هو عدم الحاجة الى الخلق ، وهو غنى النفس فانه الكمال لاغنى المال (١) . وقد جاء عن الحسن بن على قوله : " أوصيكم بتقوى الله وادامة التفكر ، فان التفكر أبو كل خير وأمه " (٢) .

وقد اهتم الشيعة بالتربية الاخلاقية اهتماما كبيرا حتى أوصوا المتعلمين بأن يكون المعلم الذى يقوم بمهمة العملية التعليمية متصفا بالكمالات الاخلاقية . يقول العيناثى : " ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخى معلم رشيد عارف بحقائق الامور موءمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين ، بصير بأمور الاخرة ، خبير بأحوال المعاد ، مرشد لك اليها ، ومن أنحس المناحس أن يكون ضد ذلك . واعلم أن المعلم والاستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة لحياتها ، كما أن والدك اعطاك صورة جسدانية فمعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذى نفسك بالعلوم ، ويزينها بالمعارف ويهديها طريق الاخرة التى هى دار البقاء والدوام والخلود فى النعيم ، واللذة والسرور الابدى والراحة السرمدية ، كما أن اباك كان سببا لجسدك فى الدار الدنيا ، ومرشدك ومربيك الى طلب المعاش . . فاسأل يا أخى أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا ، فاذا رزقت فاشكر الله على نعمائه ، واعلم يا أخى أن من سعادتك أيضا أن يتفق لك معلم ذكى ، جيد الطبع حسن الخلق ، صافى الذهن ، محب للعلم ، مبغض للرئاسة ، قنوع متوكل غير شره ، ولا مداهن ولا متعصب ، قد أخذ علمه من العلماء الاخيار عن الائمة الاطهار عليهم السلام" (٣) .

بالاضافة الى ذلك فان" مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ عظيم يصلح بمفرده دستورا لجميع نواحى الاصلاح" (٤) . ولهذا اهتم الشيعة بهذا المبدأ واعتبروه ركنا أساسيا فى بناء الشخصية المسلمة ." فهذا المبدأ اخلاقى عملى لايتصل بالبحث النظرى . . " (٥) وفى ذلك يقول الامام الحسين بن على : " . . فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه ، لعلمه بأنها اذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك أن الامر

---

(١) المصدر السابق : ص ٨٣ .
(٢) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ١ - ص ٤٨ .
(٣) السيد محمد العيناثى : آداب النفس - مرجع سابق - جـ ٢ - ص. ص ١٤٦ - ١٤٧
(٤) سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية - دراسات فى فلسفة التربية - مرجع سابق - ص ١١١ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٠٦ .

بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيىء والغنائم . . . ثم أنتم أيتها العصابة ، عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله فى أنفس الناس مهابة ، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف . . " (١) . ويقول حفيده جعفر الصادق : " انما يوءمر بالمعروف وينهى عن المنكر موءمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم . . . " (٢) . وجاء عنه أيضا فى قوله لقوم من أصحابه : " انه قد حق لى أن اخذ البرىء منكم بالسقيم ، وكيف لا يحق لى ذلك وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجروه ولا توءذونه حتى يتركه " (٣) . ولهذا قال الامام محمد الباقر : " الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل ، فمن نصرهما أعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله عز وجل " (٤) .

" ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الارض وتنتصف من الاعداء ويستقيم الامر فأنكروا بقلوبكم واتعظوا بألسنتكم، كما يقول الامام محمد الباقر " (٥) .

سابعا : "الاسرة ودورها فى تربية الطفل" :

ان مسألة تربية الطفل تشغل مكانة كبرى من المسائل الاجتماعية فى العصر الحديث ، فهى من أهم أركان السعادة البشرية ، لهذا بحث العلماء كثيرا حول مختلف الجوانب النفسية والتربوية للطفل ، وألفوا الكتب العديدة فى هذا المجال ، ولذلك فان الدول العظمى تنشىء الموءسسات والمنظمات لغرض تنشئة الطفل تنشئة سليمة من حيث الروح والجسد ، فيخضعون الاطفال فى سبيل ذلك الى رقابة عملية وتطبيقية مشددة ، وبصورة موجزة فان الطفل يشغل مجالا مهما من مجالات التفكير الحديث .

فالطفل هو اللبنة الاولى فى المجتمع ، ان أحسن وضعها بشكل سليم كان البناء العام للمجتمع مستقيما مهما ارتفع وتعاظم . ولهذا يحتاج الطفل الى

(١) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٦٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٦٦ .
(٣) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٢٠ .
(٤) الصدوق: الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٢ .
(٥) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص . ص ١١٩-١٢٠ .

هندسة وموازنة بين ميوله وطاقاته ، ويفتقر كذلك الى تربة صالحة ينشأ فيها وتصقل مواهبه ، كما يعوزه تنظيف لموارد الثقافة التى يتلقاها ، والحضارة التى يتطبع عليها ، والتربية التى ينشأ عليها ، لانه عالم قائم بنفسه ، يحمل كل سمات الحياة بصورة مصغرة ، فى صخبها وأمنها ، فى سعادتها وشقائها ، فى ذكائها وبلادتها فى صفائها وحقدها ، فى تفوقها وتأخرها ، فى ايمانها وجحودها ، فى حربها وسلمها ، وهذا ما أشغل العلماء والباحثين فراحوا يعدون البحوث ويلقون المحاضرات ويؤلفون الكتب ويوردون النظريات فى مسألة " تربية الطفل" (١) .

ويظهر من النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بالاسرة ودورها فى تربية الطفل . فقد جاء عن الامام على بن الحسين قوله : ". . . وأما حق ولدك ، فأن تعلم أنه منك ومضاف اليك فى عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنك مسئول عما وليته به من حسن الادب والدلالة على ربه عز وجل ، والمعونة على طاعته ، فاعمل فى أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان اليه ، ومعاقب على الاساءة اليه " (٢) . وجاء عنه أيضا : " وحق الصغير رحمته فى تعليمه ، والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له" (٣) .

وانطلاقا من هذا أقام الاسلام نظام الاسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وحاجات الناس وسلوكياتهم. ولهذا يسعى الاسلام دائما الى جعل الاسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفر فيها عناصر القيادة الرشيدة فى تربية أبنائها . قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين :" والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما " وأهم قاعدة من قواعد التربية الاسلامية أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة والمثل الاعلى للخير والصلاح (٤) . وفى ذلك يقول الامام جعفر بن محمد الصادق :" وتجب للولد على والده ثلاث خصال : اختياره لوالدته ، وتحسين اسمه ، والمبالغة فى تأديبه" (٥) .

---

(١) فاضل الحسينى : مقدمة كتاب الطفل بين الوراثة والتربية لمحمد تقى فلسفى مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٠ - ٦٠

(٢) رضى الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسى : مكارم الاخلاق - ط ٦ - بيروت - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م - ص ٤٢١ . وأيضا الصدوق : الخصال مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٦٨ .

(٣) الطبرسى : المصدر السابق - ص ٤٢٣ .

(٤) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - بيروت - دار التعارف ١٩٧٩ - ص ٨٣ .

(٥) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ٢٣٩ .

ومن هنا يعتبر الاب هو المسئول الاول عن تربية أبنائه تربية صالحة ليكونوا قرة عين له فى مستقبله ، وكان أئمة الشيعة يعنون عناية كبيرة فى هذا المجال، ويولونها المزيد من الاهتمام ، يقول الامام على بن أبى طالب لولده الحسن : " . . . وجدتك بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى ، وكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى . . " (١) . فالولد ليس بعضا من الاب ، بل هو نفسه ، يحكى وجوده وكيانه ، فعليه أن يهتم بشئونه التربوية ، وأن يعنى فى تهذيبه وكما له ليكون فخرا له . وفى ذلك يقول الامام على أيضا : " . . ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل بين ذى النقية والنية وان أبدأك بتعليم كتاب الله . . . " (٢) .

وقد رسم أئمة الشيعة المناهج التى ينبغى على الوالدين اتباعها فى تربية الطفل ، ولهذا ينبغى عليهما أن يهيئا الظروف المناسبة فى محيط الاسرة . وقد جاءت الروايات عن الائمة من أهل البيت تؤكد على المسئولية الكبرى للوالدين فى تربية الاطفال وتسدى لهما النصائح المفيدة فى هذا المجال . لقد تحدث أئمة الشيعة عن كل خصلة من الخصال الحميدة والملكات الفاضلة فى حث الاباء على تربية أبنائهم وتزويدهم بهذه الملكات . فقد جاء عن الامام الصادق قوله : قال رسول الله (ص) : " أحبوا الصبيان وارحموهم ، واذا وعدتموهم ففوا لهم ، فانهم لا يرون الا أنكم ترزقونهم " وهذا نوع من تغذية الطفل بالوفاء بالعهد ، وفى ذلك يقول الامام أبو الحسن على الهادى : " اذا وعدتم الصبيان ففوا لهم ، فانهم يرون أنكم ترزقونهم ، ان الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان " (٣) . وقال رسول الله (ص) : " من حق الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ " (٤) وقوله (ص) أيضا : " أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم يغفر لكم " (٥) .

---

(١) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٨٩ .
(٢) المصدر السابق : ص٨٩ . وأيضا الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق جـ ١ - ص ٤٥ .
(٣) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٦ - ٢٧ . وأيضا الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢١٩ .
(٤) الطبرسى : المصدر السابق - ص ٢٢٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٢٢ .

ان عبء مسئولية الوالدين فى هذه المرحلة من مراحل نمو الطفل ثقيل ، ولهذا فالطفل يكتمل بناوءه فى الاعوام الاولى من حياته ، ولابد من الاعتناء بجميع جوانبه المادية والمعنوية ، فالوالد مسئول عما وليه من تربيته وحسن أدبه ، فان عمل على اصلاحه وتوجيهه كان مثابا على ذلك ، وان أغفل ذلك فقد اساء الى أبنائه ، والاساءة الى الابناء توجب العقاب ، كما جاء عن أئمة الشيعة (١) . وقد ورد عن النبى (ص) أنه قال : " لان يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم" (٢) .

ولضمان التربية الاسلامية للاطفال فى نظر الشيعة فى الفترة موضوع البحث ، أن يكون هناك تماثل بين ارواحهم وأجسامهم من الناحية الايمانية ولهذا أوجب أئمة الشيعة تبعا لما جاء به الاسلام على الوالدين من جهة أن يعرفا الطفل خالقه ، ويعلماه الدروس الدينية المتقنة ، كما أمروهم بتدريب الطفل على العبادات وقد ذكر الامام محمد الباقر واجبات الوالدين فى تربية أطفالهم حسب التدرج فى السن فى حديث طويل جاء فيه : ". . . اذا بلغ الغلام له ثلاث سنين يقال له سبع مرات قل : لا اله الا الله ويترك ، ثم يقال له حين يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرين يوما : قل : محمد رسول الله سبع مرات ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له سبع مرات : قل : صلى الله على محمد وآله ، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له : اسجد ثم يترك حتى يتم له ست سنين فاذا تم له ست سنين صلى وعلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين ، فاذا تمت علم الصوم وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها فاذا علم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه " (٣) .

وتلتقى هذه النظرة التى نادى بها أئمة الشيعة فى اواخر القرن الاول وأوائل القرن الثانى للهجرة مع النظرة الحديثة فى تربية الطفل ، وقد أكدت الدراسات العلمية لسيكولوجية النمو اللغوى ، أن مرحلة تعلم الجمل القصيرة تبدأ من العام الثالث وتكون الجمل فى هذا السن مفيدة وبسيطة وتتكون من ٣ - ٤ كلمات

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٢١ . وأيضا الصدوق : الخصال - مرجع سابق جـ ٢ - ص ٥٦٨ .

(٢) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - مرجع سابق - ص٩٧ . وايضا الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .

(٣) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٠ . وأيضا الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ . وانظرمحمد تقى فلسفى الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٠ ص ١٧٨-١٧٩ .

أما مرحلة الجمل الكاملة ،فتبدأفى العام الرابع وتتكون الجمل من ٤ - ٦ كلمات، وتتميز بأنها جملة مفيدة تامة الاجزاء (١) . بالاضافة الى ذلك ،فقد ورد عن الامام الصادق أن الطفل اذا بلغ خمس سنين يقال له :" أيهما يمينك وأيهما شمالك ، فاذا عرف ذلك حول وجهه الى القبلة " (٢) . وهذا اختبار للطفل على مدى نمو المفاهيم المكانية لديه . وهذا ما يعبر عنه " جان بياجيه" بالمفاهيم المكانية لدى الطفل فى مرحلة طور الحدس الذى يبدأ من سن الرابعة حتى السابعة.(٣)

والذى يظهر من كلام الامام محمد الباقر فى قوله :" وعشرين يوما"ان هناك علاقة بين هذه الايام ونمو الطفل فى المجال العقلى ،وهذا ما نلاحظه فى دراسة "جان بياجيه" وملاحظته للاطفال ،وتأثير الايام القليلة على نموه ،وانتقاله من حالة الى أخرى أكثر نضجا (٤) .

وقد توسع الشيعة فى تربية الطفل حتى شملت" تربية اليتيم" فكثيرا مايصادف أن يموت الاباء أو الامهات فى أيام الحروب ،أو فى الحالات الاعتيادية ،ويخلفون أطفالا صغارا ، يجب أن يحافظ عليهم فى المجتمع ،وأن الدول الحديثة وضعت نظما معينة تكفل لهم حقوقهم .

والاسلام أيضا قد تضمنت تعاليمه القانونية والخلقية الخاصة به فى حل هذه المشكلة . فاذا كان الطفل اليتيم قد ورث من أبويه مالا فان القيم عليه - وهو الشخص الذى يعين من قبل الحاكم الاسلامى العادل لادارة شئون اليتيم وهو الامام المعصوم عند الشيعة أو نائبه ،وهو المجتهد العادل - يقوم بتهيئة مايحتاج اليه من طعام ولباس ومسكن من ماله الخاص . أما اذا لم يملك اليتيم مالا ،فان بيت المال هو المسئول عن مصارفه ، فحياة اليتيم اذن مؤمنة طبقا للنظام المالى فى الاسلام . ولكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هى : أن الاسلام لايرى انحصار سعادة اليتيم فى توفير وسائل الحياة المادية من الطعام واللباس والمسكن فقط . بل ان اليتيم انسان قبل كل شيء ويجب أن تحيى فيه جميع الجوانب المعنوية والفردية ،وله الحق فى الاستفادة من الحنان والعطف والادب والتوجيه والتعليم وكل ما يستفيد منه الطفل فى حجر أبويه،كما يجب الاهتمام بميوله الروحية وغذائه

---

(١) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو - ط ٤ - القاهرة - عالم الكتب ١٩٧٧ - ص ١٧٩ .
(٢) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠ .
(٣) روث م. بيرد : جان بياجيه - مرجع سابق - ص ٨١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٤ .

النفسى مضافا الى الرعاية الجسدية والغذاء البدنى [١] .

ان الروايات الكثيرة التى وردت عن أئمة الشيعة تقر على معاملة اليتيم معاملة بقية الاطفال فى الاسرة ، وأن يقوم الرجال والنساء مقام الوالدين فى رعايته ، لان الاسرة هى التى تستطيع أن تلبى نداء عواطف الطفل ، ولذلك كان النبى (ص) ومن بعده أهل بيته يوصون الاباء والامهات وأولياء الاسر بمنطق الدين والايمان بالمحافظة على اليتيم، وأخذه الى بيوتهم ، واجلاسه على موائدهم، ومعاملته كأحد أولادهم والسعى فى تأديبه وادخال السرور على قلبه بالعطف والحنان والمحبة. وقد جاء عن الامام على بن أبى طالب قوله :" أدب اليتيم مما تؤدب منه ولدك ، واضربه مما تضرب منه ولدك " وفى وصيته الى أولاده قوله :" الله الله فى الايتام فلا تغبوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم " [٢] .

وجاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين قوله :" . . . وحق أهل ملتك اضمار السلامة والرحمة لهم . . وتآلفهم واستصلاحهم . . . وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك . . . والصغار بمنزلة أولادك . . . " [٣] . ولا شك أن هذه الالتفاتات الدقيقة من الامام على بن الحسين ، وانزاله الصغار منزلة الاولاد ، له من الاثر البالغ فى تربية الصغار ، وخصوصا اذا كان يتيما ، فكما يجب على الاب تعليم ابنه ، كذلك يجب عليه تعليم صغار أهل ملته . ويمكن لنا أن نطلق على هذه العملية ، بالتكافل الاجتماعى فى تربية الطفل ، والتى كانت طابع التربية الاسلامية عند الشيعة منذ الصدر الاول من الاسلام . فرحمة الصغير لا تكون الا بتعليمه ، كما يقول الامام على بن الحسين .

ثامنا : التعليم المهنى :

المهنة معناها - كما يقول جون ديوى - أى شكل للنشاط المتصل يقدم الخدمات للاخرين ، ويجعل القدرات الشخصية تعمل لانجاز النتائج . ومسألة علاقة المهنة بالتربية تدفع الى بؤرة الاهتمام بشتى المشكلات التى نوقشت بصدد صلة التفكير بالنشاط البدنى ، وصلة النمو الفردى الواعى بالحياة الاجتماعية ، وصلة الثقافة النظرية بالسلوك العملى ذى النتائج المحددة وصلة كسب العيش

(١) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٦ .
(٣) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٩٥ . وأيضا الصدوق : الخصال مرجع سابق - ص ٣٢ - ٣٣

بالاستمتاع القيم بالفراغ(١) . فالمهنة لاتعنى شيئا سوى ذلك الاتجاه فى أنشطة الحياة الذى يجعلها ذات مغزى ملموس للشخص . ان المهنة اصطلاح عينى للاستمرار أو الاطراد ، ويتضمن نمو القدرة الفنية من أى نوع ،ونمو القدرة العلمية ونمو المواطنة الفعالة ، كما يتضمن الشواغل الحرفية والتجارية وكذلك طبعا العمل الالى والمساعى التى غايتها الكسب (٢) .

ويرى الدكتور سيد أحمد عثمان ،أن التعليم المهنى لم يدخل تاريخ الفكر التربوى والبحث النفسى فى التعلم الا فى مراحل حديثة ،ولهذا لم يكن غريبا من الزرنوجى عندما لم يتناول اكتساب المهارات الحركية أو التعلم الحركى ، ذلك لان هذا الجانب من التعلم لم يكن من اهتمام عصره ،ولم يكن ضمن تصور ذلك العصر للتربية عامة (٣) .

واذا كان الزرنوجى المتوفى عام ٥٩١ هـ لم يتناول اكتساب المهارات الحركية وأن هذا الجانب من التعلم لم يدخل تاريخ الفكر التربوى الا فى مرحلة متأخرة ، فانا نجد أن الشيعة تناولوا هذا الجانب من التعليم منذ بداية القرن الثانى للهجرة ، حيث اهتموا بالجانب الحركى واكتساب المهارات،كما اهتموا بالجانب النظرى . ولهذا لم يغفل الشيعة المنهج التعليمى المهنى ،فقد تنوعت العلوم المهنية وبنيت على أسس عامة ومتنوعة بنفس الطريقة التى قامت عليها مناهج التعليم العام . لان شمول الشريعة الاسلامية واستيعابها لجميع مجالات الحياة ، من الخصائص الثابتة لها ،وذلك عن طريق التأكيد عليها فى مصادرها العامة ،فنحن نستطيع أن نجد فى هذه المصادر نصوصا تؤكد بوضوح على استيعاب الشريعة ، وامتدادها الى جميع الحقول ،التى يعيشها الانسان ،واغتنائها بالحلول لجميع المشاكل التى تعترضه فى شتى المجالات(٤) .

ويمكن التعرف على مدى عمق مناهج التعليم عند المسلمين وشمولها للتعليم المهنى والحث على تعلم جميع المهن التى تتعلق بتطور الحياة الفكرية والاجتماعية ما جاء عن أئمة الشيعة فى هذا المجال . ولعل أقدم نص ورد فى التعليم المهنى ما جاء عن الامام جعفر الصادق فى أوائل القرن الثانى للهجرة ،حيث بين فيه

(١) جون ديوى : الديمقراطية والتربية - ترجمة نظمى لوقا - مكتبة الانجلو مصرية ١٩٧٨ - ص . ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٧٤ .
(٣) سيد أحمد عثمان : التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجي - الانجلو المصرية ١٩٧٧ - ص ٣٩ .
(٤) محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٨٢ .

جهات معايش العباد التى فيها الاكتساب ،فقال فى تفسير الصناعات :

". . .فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير مالم يكن مثل الروحانى وأنواع صنوف الالات التى يحتاج اليها العباد التى منها منافعهم وبها قوامهم وفيها بلغة جميع حوائجهم فحلال فعله وتعليمه والعمل به وفيه ولنفسه أو لغيره ،وان كانت تلك الصناعة وتلك الالة قد يستعان بها على وجوه الفساد ووجوه المعاصى ويكون معونة على الحق والباطل فلا بأس بصناعته وتعليمه نظير الكتابة التى هى على وجه من وجوه الفساد من تقوية معونة ولاة الجور ، وكذلك السكين والسيف والرمح والقوس وغير ذلك من وجوه الالة التى قد تصرف الى جهات الصلاح وجهات الفساد وتكون آلة ومعونة عليها فلابأس بتعليمه وتعلمه وأخذ الاجر عليه وفيه العمل ،والعمل به وفيه لمن كان له فيه جهات الصلاح من جميع الخلائق ،ومحرم عليهم فيه تصريفه الى جهات الفساد والمضار ،فليس على العالم والمتعلم اثم ولا وزر لما فيه من الرجحان فى منافع جهات صلاحهم وقوامهم به وبقائهم. . . " (١) .

من هذا النص ونصوص اخر ، يظهر أن أئمة الشيعة لم يهملوا التعليم المهنى والفنى والصناعى ، وذلك لاعداد الانسان الكامل الذى يشق طريقه فى الحياة ويكسب رزقه عن طريق العلم والمعرفة ،فشجعوا على دراسة كل مهنة أو فن أو صناعة مما يحتاجها الانسان ،والتدريب عليها ،لكى يعد اعدادا مهنيا ، ويحيا حياة شريفة مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية . ولهذا اذا كانت التربية الاسلامية فى مفهوم الشيعة خلقية غالبا ،الا أنها لم تهمل اعداد الفرد للحياة وكسب العيش والرزق . ويظهر هذا واضحا من أقوال أئمة الشيعة. قال الامام على بن أبى طالب :" العلم ثلاثة: الفقه للاديان ،والطب للابدان ،والنحو للسان ".(٢) وقال الامام محمد الباقر :" الكمال كل الكمال التفقه فى الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة" (٣) .

يقول الشيخ باقر شريف القرشى :" ويأمر الاسلام بالخوض والاختصاص بجميع أنواع العلوم والمعارف خصوصا التى تتطور بها الحياة الفكرية والاجتماعية ،بل ان بعضها يكون واجبا يتحتم على المسلمين القيام به ،كعلم الطب والصيدلة وغيرها من سائر العلوم والفنون الصناعية. . وعلى أى حال فان العلم الذى حث الاسلام على طلبه لايتقيد بنوع خاص، وانما يشمل جميع أنواع العلوم والفنون ، وقد فتق أغلب أبوابها أئمة أهل البيت عليهم السلام. . " (٤) .

(١) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص .ص ٢٤٩-٢٥٠ .
(٢) المصدر السابق : ص١٤٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢١٣ .
(٤) باقر شريف القرشى :النظام التربوى فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٢٠٢ .

ويخلص الباحث الى أن فلسفة التربية عند الشيعة تنطوى على أهم القضايا التربوية والتعليمية التى تعالج الانسان باعتباره شخصية متكاملة . وعلى هذا جمع الفكر التربوى عند الشيعة بصورة عامة بين تأديب النفس وتنمية العقل والعناية بالجسم . وهذا غاية ما تدعو اليه التربية . بالاضافة الى أن فلسفة التربية التى جاء بها الشيعة منذ الصدر الاول للاسلام صالحة لبناء فكر تربوى اسلامى متميز ، لما تحمل من معان تربوية لها جدتها فى عالم التربية والتعليم . خصوصا اذا لاحظنا أن منبع هذه الاراء هم أهل البيت ، وعلى هذا فهى تعبر عن روح التربية الاسلامية .

الفصل الرابـــع

مناهج وطرق التعليـــــم

ويشمـــل :

أولا : مناهج التعليـــم

ثانيا : مراحل التعليـــم

ثالثا : طرق التعليـــــم

رابعا: المعلمون والتلاميـــذ

الحالة الاجتماعية للمعلميـــن

مقدمـــة :

لم يقف الشيعة عند حد صياغة الاراء والافكار والنظريات الفلسفية والتربويـــة فحسب ، وانما أرادوا لها الذيوع والشيوع ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال أن يبحثوا عن الطرق والوسائل التى توصل بها هذه الاراء والافكار الى أذهان الناس .

ولما كان الرأى الفلسفى والاتجاه التربوى بحاجة الى جهد عملى يحيلهـــا من مجرد معان وأفكار جامدة الى سلوك يجسدها ويبرز قيمها واتجاهاتها ، كـــان من الطبيعى عندما نكون ازاء جماعة بحجم الشيعة ، كان لها وجودها المؤثـــــر والقوى فى تاريخ الثقافة الاسلامية ، أن نفتش عن مدى الجهد الذى بذلوه فـــى هذا الشأن ، خصوصا وأنهم قد مارسوا الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية . وعلـى هذا قاموا بوضع المناهج التربوية التى تعتبر من أهم الوسائل التى تساعد المربـــى فى تحقيق الاهداف التربوية ، كما بحثوا عن الطرق والاساليب التى يوصلون بهـــا هذه المناهج الى أذهان الناشئة ، حتى ابتكروا طرقا تعليمية لم تكن معروفـــــة ولا متداولة فى الفترة موضوع البحث ، ولهذا استطاعوا أن ينفذوا ما رسموه مـــــن أراء ونظريات فلسفية وتربوية ، وهذا يؤكد أن الشيعة لم يقفوا عند حد النظريات ، بل الحقوا بها طرق التنفيذ والتطبيق . وعلى هذا يتناول هذا الفصل مناهـــج وطرق التعليم .

أولا : " مناهج التعليم " :

يعد المنهج من أهم الوسائل التى تساعد المربى فى تحقيق الاهداف التربوية ، ولما كان الهدف الرئيسى للتربية الاسلامية هو التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، انعكس ذلك على مناهج التعليم حسب مراحله المختلفة وحسب مراحل النمو لدى المتعلمين .

والدين الاسلامى لا يخص دعوته لتعلم العلوم الدينية فحسب ، وانما يخص الفرض العين بها ، ويرغب فى تعلم كل علم فيه اسعاد الحياة ، ولا تفترق علوم الدين عن غيرها مما يحتاج اليه النوع فى اسعاد الحياة ويضطر اليه ، الا فى رجحان الدينية على غيرها ، وعينية الوجوب فيها على كل أحد وكفائيته فى غيرها (١) .

لقد كانت مناهج التعليم عند الشيعة تستهدف التوسع فى العلوم الهامة المقصودة بالذات ، كالشرعيات والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعيات والالهيات ، وكذلك العلوم الاجتماعية المختلفة (٢) . وفى ذلك يقول البحرانى : " . . . فان كثيرا من الجهال ممن يدعى العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلميه ، فأكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدرين للفتاوى والقضاء بين الخلق فى زماننا وما قبله ، فانهم يبالغون فى انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن أن أحدهم لا يستحق أن يسمى فقيها الا أن يكون له مادة من العلم العقلى المتكفل ببيان صدق الرسول (ص) ، واثبات النبوة الذى لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية التى يدعون أنها كل العلم الا بعد ثبوتها " (٣) . ومن هذا النص يظهر أن المنهج عند الشيعة يشمل العلوم العقلية والنقلية معا .

ولكن المناهج التعليمية عند الشيعة تختلف من مرحلة الى أخرى حسب النمو العقلى لدى الانسان ، ومن هنا فان مناهج تعليم الصبيان تختلف عن مناهج تعليم الشباب والكبار ، وذلك حسب نظرتهم الى القدرات العقلية لدى المتعلمين ومستوى ذكائهم.

---

(١) محمد الصادقى : على والحاكمون - بيروت - مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م - ص ٢٤٣ .

(٢) انظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٣) البحرانى : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ٣١٧ - ٣١٨ .

أما المرحلة الاولى فيبدو أن المعلمين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى اختيار مواد الدراسة الاولية . وبالرغم من ذلك يظهر أن مواد معينة كالخط وتعلم القرآن كانت من بين مواد منهج التعليم الاولى الرئيسية . وقد وردت اشارات الى وجود مادتى الحساب والشعر بين مواد المنهج . قال محمد بن أحمد ، قلت للصادق (ع) :" ان لنا جارا يكتب وسألنى أن أسألك عن عمله . فقال مره اذا دفع اليه الغلام أن يقول لاهله انى انما أعلمه الكتاب والحساب وأتجر عليه بتعليم القرآن كى يطيب له كسبه "(١) . وجاء عن الصادق أيضا :" . . فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة . . . فلابأس بتعليمه وتعلمه وأخذ الاجر عليه . . . "(٢) .

ولا يختلف الشيعة عن أهل السنة فى أن القرآن هو أول العلوم التى ينبغى أن يدرسه الصبيان ، بل هو المحور الذى يدور عليه التعليم ، لانه مرجع المسلمين فى معرفة العبادات والمعاملات ، ولا سبيل الى معرفة الحدود الشرعية الصحيحة للديانة الا بمعرفة الاصل الاول من أصول الدين ، وهو القرآن (٣) . وقد وردت اشارات كثيرة عن أئمة الشيعة فى تعليم الصبيان القرآن الكريم ، وما يتعلق به من حلال وحرام ، كما حثوا الاباء على تعليم صبيانهم ذلك . دخل الفرزدق مع أبيه على الامام على ، فقال الامام على لابيه : من هذا الذى معك ، قال : ابنى وهو شاعر وان شئت أنشدك ، فقال الامام على علمه القرآن فهو خير له من الشعر (٤) وجاء فى وصية الامام على لابنه الحسن :" . . . وأن أبدأك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك الى غيره "(٥) وجاء عنه أيضا قوله :" . . علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها اذا بلغوا ثمان سنين "(٦) .

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة - رسالة دكتوراه مطبوعة - بغداد - مطبعة أسعد - ١٩٧٢ - ص . ص ٢٤١ - ٢٤٢ .
(٢) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص . ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٣) أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - مرجع سابق - ص ١٤٤ .
(٤) الشيخ علاء الدين على المتقى الهندى : كنز العمال من سنن الاقوال والافعال - ط ٢ - حيدر اباد - مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - جـ ٢ - ص ١٨٥ .
(٥) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩ . وأيضا الحرانى: تحف العقول - مرجع سابق - ص ٤٣ الى ٥٨ .
(٦) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٢٦ .

ويبدو من ذلك أن مناهج التعليم فى هذه المرحلة تشمل أيضا كل مايتعلق بأمور الدين . قال رجل للصادق : " ان لى ابنا قد أحب أن يسألك عن حلال وحرام لايسألك عما لايعنيه ، قال : فقال : وهل يسأل الناس عن شيىء أفضل من الحلال والحرام" (١) . ولهذا ذهب الشيعة الى أنه يحسن تعليم الاطفال الوضوء والصلاة ، وقراءة بعض سور القرآن فى سن مبكرة ليرتاضوا عليها (٢) . بل زادوا على ذلك بأن جعل الامام على للطفل الذى ولد فى الاسلام وقرأ القرآن نصيبا من بيت المال فى كل سنة مائتى دينار يأخذها (٣) . وعلى هذا فتعليم الاطفال عند الشيعة يبدأ أولا بالعلوم الاسلامية التى تتعلق باخرته ، ثم بالعلوم الاخرى التى تتعلق بدنياه . وقد ورد ذكر الشعر والرسائل بمثابة مواد تعلم بالكتاب فى حديث بين الصادق وحساب المعلم ، كما أوصى ابن طاووس ابنه محمدا قائلا : أوصيك بتعلم الخط على التمام فانه معونة لك على السلوك الى الله جل جلاله ، ثم بتعلم العربية بمقدار ما يحتاج اليه مثلك من الطالبين للمراضى الالهية ، واحياء السنن النبوية ، ثم تتعلم من القرآن الشريف ما تحتاج اليه لاقامة الصلاة وما يتعلق بمراد الله جل جلاله من تفسير تلك الايات بعاجل الحال ، واحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والاجلال." (٤) . وقد جاء عن الامام الصادق فى حثه على تعلم العربية قوله : ". . . تعلموا العربية فانها كلام الله الذى يكلم به خلقه . . . " (٥) .

أما منهج التعليم عند الشيعة فى المرحلة الثانية ، فهو يختلف عن مناهج التعليم فى المرحلة الاولى . والعلوم التى كانت تدرس ، أشار اليها الشهيد الاول فى قوله (*) : ". . لايخفى أن الغرض الوحيد من طلب مثل هذه العلوم الدينية الوصول الى مرحلة العمل للفوز برضى الله تعالى والدار الاخرة ، فالعلوم الدينية غير خفية على من طلبها وارادها ، فمنها علم التوحيد والمعارف الالهية والفقه والحديث والتفسير ، لغاية العمل وتعليم الغير من كل مكلف ، والوقوف على هذه العلوم وفهمها على الحقيقة متوقف على بعض العلوم الادبية والعربية والمنطق . . . فلهذا مست الحاجة الى أخذ قدر الحاجة من هذه العلوم

---

(١) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٦ .
(٢) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠ .
(٣) المتقى الهندى : كنز العمال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢١٩ .
(٤) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢٤٢ .
(٥) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢١٢ .
(*) انظر الفصل السابع من هذا البحث .

مقدمة على تلك وتمهيدا للوصول الى أغوارها ، والوقوف على مقاصدها الحقة ، لانها هى العمدة ، وهى الهدف الاسمى ، . . . فوجب علينا أولا الاخذ بهذه ونعنى بها النحو والصرف وعلمى الفصاحة والبلاغة ، والمعانى والبيان والتفسير ، واللغة والمنطق قدر الحاجة ، وهو أن لا يدع فنا ونوعا من أنواعها الا ونظر فيه نظر من يطلع فيه على مقاصده وغاياته ، دراسة وفهما صحيحا بدراسة كتاب من الفن أو كتابين مع الاتقان ، ثم بعد ذلك ان ساعده العمر ونهض به التوفيق ، طلب التبحر فيه بالتدريس للغير أو المطالعة بامعان ، أو الكتابة ، وهى للوقوف على الحقيقة والتحصيل الواقعى . . . "(١) .

ويبدو أن منهج تعليم العلوم عند الشيعة فى الفترة المبكرة من تاريخهم ، لم يكن مقسما الى مواضيع معينة مستقلة ، كالفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية وانما كان الطلبة يدرسون هذه العلوم على أئمتهم أو على شيوخ الشيعة من كتب توارثها الائمة صاغرا عن كابر ، أو ألفها أولئك الشيوخ فى العلوم الشرعية التى تلقوها مباشرة أو بالواسطة من أئمتهم. وأن طائفة من الكتب التى ألفها الشيوخ واعتمدوها بمثابة أصول يدرسون منها . وكانت تشمل على مواضيع شتى لا تمت للعلوم الشرعية بصلة . أما الاصول التى تبحث فى العلوم الشرعية فكان عددها حتى أواخر عصر الائمة أربعمائة أصل : قال الشيخ المفيد : " صنف الامامية من عهد أمير المؤمنين على عليه السلام الى عهد أبى محمد الحسن العسكرى صلوات الله عليه أربعمائة كتاب تسمى الاصول وهذا معنى قولهم أصل" (٢) .

أما تعليم الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة وغيرها من العلوم المهنية فهى داخلة فى منهج التعليم عند الشيعة . وقد مر الكلام عنها فى مبحث التعليم المهنى . بالاضافة الى العلوم الطبيعية والعلوم العقلية (٣). وتبدو الغاية الدنيوية فيها واضحة فى قول الامام الصادق التالى : " من الله عز وجل على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ، ولولا ذلك لتغالطوا " . ويظهر من ذلك أن الخط والحساب من العلوم الضرورية لتنظيم حياة الناس مع قطع النظر عن تقواهم أو عدمها (٤) .

---

(١) عبد الصاحب الحسنى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق ص. ص١٧٠ - ١٧١ .
(٢) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢٤٣ .
(٣) انظر الفصل السابع من هذا البحث .
(٤) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢٢١ .

وقد أخذ شيوخ الشيعة فى عهد مبكر يؤلفون الكتب التى أصبحت موضع درس لطلبة الشيعة فى مختلف العلوم ، خصوصا الشرعية منها . وقد وردت اشارات يستدل منها على وجود تلك الكتب ، وعلى ضرورة العناية بها ، روى عبيد الله بن زرارة أن الصادق (ع) قال : " احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها" ، وقال أيضا للمفضل بن عمر " اكتب وبث علمك فى اخوانك . . فانه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم" (١) . ومن أهم الكتب التى كانت موضع درس الشيعة فى العصر المبكر من الاسلام صحف الامام على بن أبى طالب ، فيها أحاديث دونها عن النبى (ص) وكانت تلك الصحف من بين الاصول التى اعتمدها الائمة لتدريس شيعتهم منها (٢) . "وكانت كتب على جامعة للعلوم الالهية كما يعتقد الامامية . . . " (٣) .

أما مناهج البحث العلمى عند علماء الفقه الشيعى ، فقد اختصت بخواص طبعته بطابعها وانفرد بها ، ولعل أول ما يلفت النظر فى هذه المناهج ويكون الظاهرة البارزة للفقه الشيعى ، عملية استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، حيث تتميز عن غيرها بأنها ديناميكية دائبة الحركة لا تتوقف عند حد ، بفضل فتح باب الاجتهاد واستمراريته داخل اطار العناصر المشتركة لادلة الاحكام الشرعية ، وهى تبعا لذلك تدرجت وتطورت لتشمل المواقف السلوكية للمكلفين كافة فى متطلبات الحياة وحاجاتها كلها . ومن طبيعة مناهج البحث عند علماء الفقه الشيعى الا يأخذوا بحجية الخبر الذى لا يكون فى سنده واحد من أئمتهم . ومن خواص مناهج الفقه الشيعى أنها مقسمة الى أربعة أقسام :

القسم الاول : يضم العبادات : وهى معاملات خاصة يشترط فيها نية القربة ، وأول كتب هذا القسم الطهارة وتنتهى بكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتشمل الصلاة والزكاة والحج والخمس والصوم وغيرها من العبادات.

أما القسم الثانى : فهو العقود ، ويسمى المعاملات أيضا ، وهى تشريعات ذات صيغ توجب الالتزام بين طرفين من المكلفين ، وأول كتب هذا القسم التجارة وتنتهى بكتاب النكاح .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٥ . وأيضا الكلينى - الكافى - مرجع سابق جـ ١ - ص ٠ ص ٦٦ - ٦٧ ٠

(٢) عبد الله فياض: المصدر السابق - ص ٢٤٣ ٠ وانظر أمر الصحيفة من الفصل السابع من هذا البحث .

(٣) عبد الله فياض : المصدر السابق - ص ٢٤٤ ٠

والقسم الثالث : الايقاعات : وهى تشريعات ذات صيغ توجب الالتزام من طرف واحد بعد تحقيق الايجاب دون القبول ، وأول كتب هذا القسم كتاب الطلاق والعتق وينتهى بكتاب النذور .

والقسم الرابع: الاحكام : وهى تشريعات توجب الالتزام بتحقق موضوعها دون تحقق الايجاب والقبول . وأول كتب هذا القسم كتاب الصيد وينتهى بانتهاء كتب الفقه وهو كتاب الديات .

ومن طبيعة مناهج البحث العلمى فى أساليب تأليف الفقه الشيعى ، وكنتيجة للتطور الحياتى الذى ضمت أغلب العلوم ، فانها تنحصر بالتخطيط المنهجى التالى :

١ - مجاميع الحديث الفقهية .
٢ - مجاميع فقهية استدلالية .
٣ - مجاميع فقهية محضة .
٤ - مجاميع فقهية مقارنة .
٥ - رسائل عملية (١) .

ويمكن اعتبار هذه المناهج للمرحلةالعليا من سلم التعليم عند الشيعة ، وهى مرحلة الاجتهاد .

ثانيا : " مراحل التعليم عند الشيعة" :

اهتم الشيعة بالجوانب المؤدية الى ازدهار التربية والتعليم ، وكان من بينها تحديدهم لسن التعليم ، فقد حددوها بما يتفق والنمو العقلى للطفل، فقد جاء عن الامام على بن أبى طالب أنه قال :" يرخى الصبى سبعا ، ويؤدب سبعا ، ويستخدم سبعا ، وينتهى طوله فى ثلاث وعشرين ، وعقله فى خمس وثلاثين وما كان بعد ذلك فبالتجارب" (٢) . وجاء عن الامام جعفر الصادق :" دع ابنك يلعب سبع سنين ، ويؤدب سبعا ، والزمه نفسك سبع سنين ، فان فلح والا فلا خير فيه " (٣) .

(١) انظر صالح مهدى الهاشم: الاجتهاد - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢) الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق - ص ٢٢٣ . وأيضا الكلينى : الكافى - مرجع سابق جـ ٦ - ص ٤٧ .

وعلى ضوء هذه النصوص ، فقد قسم الشيعة مراحل التعليم الى :

المرحلة الاولى : مرحلة الطفولة - من سن الميلاد حتى سن السابعة :

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة فى التربية . حيث ان عملية التربية تستمد منذ لحظة الولادة الاولى لتنتهى بانتهاء حياة الانسان . فان كل انسان مهما كان عمره ،يعد متعلما . غير أن ذلك لايعنى أن دور الطفولة لايمتاز بكونه المرحلة المهمة فى عملية التربية أكثر من غيره ،وذلك لاعداد الناشىء للحياة وتكيفه لها (١) . فمنذ الاسابيع الاولى ،ومن حين الرضاع،حيث الطفل يعيش فى المهد ، تبدأ مشاعره بالعمل ،فهو يتأثر بالحدة والغلظة ،أو اللين والحنان، وتنعكس فى روحه النتائج الطيبة أو السيئة لافعال الاخرين . وقد أخذ الشيعة تعاليمهم عن الرسول الاعظم فى تربية الاطفال فى هذه المرحلة ،حيث كان النبى (ص) يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه فيأخذه فيضعه فى حجره تكرمة لاهله ،فربما بال الصبى عليه فيصيح بعض من رآه حين بال ،فيقول(ص): لا تزرموا بالصبى فيدعه حتى يقضى بوله ،ثم يفرغ من دعائه وتسميته ،فيبلغ ذلك سرور أهله فيه ،ولايرون أنه يتأذى ببول صبيهم ،فاذا انصرفوا غسل بوله (٢) . وذلك لان الاضطرابات الانفعالية والاجتماعية لها تأثير سيىء على نمو الطفل خصوصا النمو اللغوى ،بينما يساعد جو الحب والحنان على النمو السوى (٣) . ولهذا جاء عن النبى (ص) ، قوله :" أحبوا الصبيان وارحموهم. . . وجاء عن أئمة الشيعة قولهم: وحق الصغير رحمته فى تعليمه والعفو عنه . . والرفق به . . والمبالغة فى تأديبه . . الى غير ذلك من الوصايا التى كانوا يوصون بها والتى تملاء نفس الطفل شعورا بالعطف والحنان والرحمة ،وهذا غاية ما تدعو اليه التربية. وفى ذلك جاء عن أئمة الشيعة :" أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" (٤) .

وتمتاز هذه المرحلة من التعليم عند الشيعة باهمية اللعب للطفل ،حيث ان اللعب يبعث القوة فى عضلاته ،والمتانة فى عظامه ،كما أنه ينمى فيه القدرة على الابتكار ،ويخرج قابلياته الكامنة الى حيز الفعل ،وهكذا فاللعب يشغل شطرا

(١) على محمد الحسين الاديب : منهج التربية عند الامام على - المطبعة الحيدرية- فى النجف الاشرف - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - ص ٣٥ .
(٢) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ٢ -ص١٠٢ وأيضا محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق -جـ ٦- ص١٥٣ .
(٣) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو - مرجع سابق - ص ١٨١ .
(٤) الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .

كبيرا من حياة الاطفال ، ولم يفت أئمة الشيعة أمر التنبيه على هذه النقطة . فهى أساس تكامل جسد الطفل وروحه . فعن الامام الصادق :" الغلام يلعب سبع سنين . " وعنه أيضا :" دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا . . " وعنه أيضا :" احمل صبيك حتى يأتى عليه ست سنين ، ثم أدبه فى الكتاب ست سنين . . . "(١).

ولقد اهتم أئمة الشيعة بهذا الامر التربوى وأوصوا المسلمين بارشادات مهمة فى هذا الصدد . ان اللعب مع الاطفال من الامور المستحبة فى الشريعة الاسلامية ، وقد أورد علماء الحديث نصوصا فى كتبهم تحت عنوان" استحباب التصابى مع الولد وملاعبته" منها قول النبى (ص) :" من كان عنده صبى فليتصاب له ". وقول الامام على :" من كان له ولد صبا" (٢) .

ولم تقتصر هذه المرحلة من مراحل التعليم عند الشيعة على اللعب فقط ، بل تناولت بعض الارشادات التعليمية للاطفال ، ففى هذه المرحلة نصح أئمة الشيعة الاباء أن يعلموا أطفالهم بعض المفردات اللغوية حسب التدرج فى السن كما سبق ذكره - فبالاضافة الى اعطاء الطفل الحرية الكاملة فى هذه المرحلة ، ولكن الى جانبها التوجيه السليم لكى تنمى فيه القدرات العقلية واللغوية مع نموه الجسمى . ولهذا يقوم الاب بتعليمه الوضوء وبعض أفعال الصلاة وتوجيهه الى القبلة .

وتلتقى هذه النظرة فى التعليم عند الشيعة أيضا مع النظرة الحديثة فى التربية . فقد اعتبر " روسو" أن المرحلة الاولى للتعليم هى التى تبدأ من الميلاد الى سن الخامسة ، وفى هذه المرحلة نصح روسو بأن يترك الطفل على سجيته وأن تتاح له الحرية التامة لكى تتفتح مواهبه كما تتفتح الزهرة ، والاب هو المعلم الطبيعى فى هذه المرحلة . كما أشار الى أن طريقة التربية فى هذه المرحلة يجب أن تخالف الطرق الشائعة المتبعة فى تربية الطفل مثل التحكم فى حريته (٣) . كما أن من المبادىء التربوية فى هذه المرحلة أيضا عدم محاولة تلقين الطفل مفردات لغوية كثيرة حتى يمكن أن يتمشى نموه اللغوى مع نموه الفكرى (٤) . كل ذلك دعا اليه أئمة الشيعة قبل ثلاثة عشر قرنا . كما مر .

---

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ٦ - ص ٤٧ . وأيضا الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص. ص ١١٦ - ١١٧ .

(٣) سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى - مرجع سابق ص. ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٧٨

المرحلة الثانيـة : مرحلة الصبـا :

تعتبر مرحلة الصبا - التى تبدأ من سن السابعة - المرحلة الثانية من مراحل التعليم عند الشيعة ،فقد عنوا بهذه المرحلة عناية كبيرة ،وحثوا المسلمين على أن يعلموا ابناءهم أساسيات الثقافة الاسلامية ،من قرآن كريم ،وقراءة وكتابة وحساب وخط . وهذه المرحلة من التعليم عام للجميع . فقد جاء عن معاوية بن وهب قال :" سألت أبا عبد الله عليه السلام : فى كم يؤخذ الصبى بالصلاه ؟ فقال : بين سبع سنين وست سنين" (١) . وجاء عن الامام محمد الباقر :". . فاذا تم له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك وكفيك ، فاذا غسلهما قيل له صل" (٢) وفى ذلك يقول الامام على :". . علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها اذا بلغوا ثمان سنين" (٣) . والتعليم فى هذه المرحلة يكون عن طريق الكتاب . ولهذا جاء عن الامام الصادق :". . ثم أدبه فى الكتاب ست سنين" (٤) .

والتعليم فى هذه المرحلة حق لجميع الناس على السواء ،ولهذا يجب على أولياء الامور أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم رعاياهم على اختلاف مللهم ،مادامـوا يتصفون بالمواطنة الاسلامية . فقد جاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين فى النصف الثانى من القرن الاول للهجرة قوله :". . وأما حق رعيتك بالعلم ،فان تعلم أن الله قد جعلك لهم قيما ،أتاك من العلم وفتح لك من خزانة الحكمة ، فان أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه فى عبيده ،الصابر المحتسب الذى اذا رأى ذا حاجة أخرج له من الاموال التى فى يده كنت راشدا وكنت لذلك آملا معتقدا ،والا كنت له خائنا و لخلقه ظالما ولسلبه وعزه متعرضا" (٥) .

ويظهر من هذا النص أن أئمة الشيعة اهتموا بالتربية والتعليم اهتماما كبيرا حيث بين الامام أن التعليم حق لكل فرد من أفراد المجتمع ،كما بين أن الدولة ملزمة بالانفاق على التعليم . فقد بين أن المتعلم اذا كان محتاجا الى النفقة على التعليم وجب عليه أن يبذل له الاموال التى تكون فى يده ، فمتى حقق ذلك

(١) محمد تقى فلسفى : الطفل بين الوراثة والتربية - مرجع سابق- جـ٢-ص١٧٨ .
(٢) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٠ . وأيضا الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٣) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٢٦ .
(٤) الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٥) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٨٨ .

كان ولى الامر راشدا . ولا كان الحاكم ظالما جائرا مستخفا فى خلق الله . ولهذا جاء عنه أيضا :" . . . فان أحسنت فى تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله عز وجل من فضله ، وان انت منعت الناس من علمك أو خرقت بهم عند طلبهم منك كان حقا على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك" (١) . وبهذا المعنى جاء عن الامام على بن أبى طالب فى بيان ما للرعية على الحاكم :" . . أما بعد : فان لى عليكم حقا ، ولكم على حقا ، أما حقكم على فالنصيحة فى ذات الله ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا" (٢) وجاء عنه أيضا :" من دخل فى الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله كل سنة مائتا دينار فى بيت مال المسلمين . . " (٣) . وقوله :" . . من ولد فى الاسلام فقرأ القرآن فله فى بيت المال كل سنة مائتا دينار ان أخذها فى الدنيا والا أخذها فى الاخرة" (٤) . وهذا نوع من التعزيز فى عملية التعليم فى هذه المرحلة .

واذا كان القابسى قد اعتبر أن التعليم حق لكل صبى وواجب على الدولة (٥)، فان الشيعة توسعوا فى ذلك حتى اعتبروا التعليم حقا لكل انسان منذ الصدر الاول من الاسلام . ولهذا جاء عن الامام على بن الحسين - اضافة لما تقدم - قوله :" وأما حق أهل ملتك عامة . . . وتآلفهم واستصلاحهم . . . فعمهم جميعا بدعوتك" (٦) . ولا شك أن استصلاح الرعية بالتربية والتعليم من أهم الحقوق التى تقع على عاتق الدولة ، بالاضافة الى ذلك أن من شروط الامام أو الفقيه عند الشيعة - وهو الحاكم - أن يقوم بعملية التعليم لكل فرد من أفراد رعيته ، اما مباشرة أو بالواسطة . كما يستفاد من النصوص المتقدمة وغيرها أن التعليم فى هذه المرحلة ملزم لكل طفل . ومن ذلك قولهم :" . . . ويؤدب سبعا" وأيضا " احمل صبيك حتى يأتى عليه ست سنين ، ثم أدبه فى الكتاب ست سنين . . " الى غير ذلك .

---

(١) الشهيد الثانى : معالم الدين - مرجع سابق - ص ١٣ .
(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة - مرجع سابق - جـ١ - ص ١٥٠ .
(٣) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٦٠٢ .
(٤) المتقى الهندى : كنز العمال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩ .
(٥) الاهوانى : التربية فى الاسلام - مرجع سابق - ص ١١ .
(٦) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٩٥ .

المرحلة الثالثة : مرحلة التكليف :

أما المرحلة الثالثة من مراحل التعليم عند الشيعة ، فتبدأ من سن الخامسة عشر ، أى عندما يكون الانسان مكلفا . وفى ذلك يقول الكلينى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ " . . وجعلهم جل ذكره صنفين : صنفا منهم أهل الصحة والسلامة ، وصنفا منهم أهل الضرر والزمانة ، فخص أهل الصحة والسلامة بالامر والنهى بعد ما أكمل لهم آلة التكليف ، ووضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر اذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم ، وجعل عز وجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلام . بالادب والتعليم ، فلو كانت الجهالة جائزة لاهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم . . . " (١) .

ويظهر من ذلك أن التعليم عند الشيعة فى هذه المرحلة واجب على كل مكلف قادر على التعليم. وفى ذلك يقول الكلينى أيضا : " . . فلما لم يجز بقاؤهم الا بالادب والتعليم وجب أنه لابد لكل صحيح الخلقة كامل الالة ، من مؤدب ودليل ومشير وآمر وناه وأدب وتعليم وسؤال ومسألة" (٢) . ولهذا ورد عن الامام الصادق قوله : " لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا" (٣) . وقوله: " أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم" (٤) . وقال الامام محمد الباقر : ليت السياط على رؤوس اصحابى حتى يتفقهوا فى الحلال والحرام" (٥) وقول الامام الصادق : " لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لايتفقه لادبته" وفى رواية عن محمد الباقر : " لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لايتفقه فى الدين لاوجعته " (٦) .

والذى يبدو من ذلك أن التعليم فى هذه المرحلة يشمل كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا ، لان التفقه هو التعلم ، ولهذا جاء عن الامام الصادق قوله : " لست أحب أن أرى الشاب منكم الا غاديا فى حالين : اما عالما أو متعلما ، فان لم يفعل فرط فان فرط ضيع ، فان ضيع أثم ، وان أثم سكن النار" (٧) .

---

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦ .
(٣) المصدر السابق : ص ٣٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٤١ .
(٥) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢١٣ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢١٤ .
(٧) المصدر السابق : ص ١٧٠ .

ويظهر مماتقدم أن التعليم فى مراحله المختلفة عند الشيعة تعليم الزامى فهو حق لكل طفل فى مراحله الاولى ، وواجب شرعى على الاباء أن يعلموا أبناءهم أما المرحلة الثالثة فهى ،شمل جميع المكلفين ،فمادام الانسان مكلفا كان التعليم واجبا .

وقد يستنتج من الحديث التالى أن الشيعة ذهبوا الى القول بأن تربية الاولاد من الامور الملزمة شرعا . روى الكلينى أن الفضل بن شاذان قال :ان الصادق (ع) قال :" لو أن رجلا ضرب ابنه غير مسرف فى ذلك يريد تأديبه فقتل الابن من ذلك الضرب ورثه الاب ولم تلزمه الكفارة لان ذلك للاب ،لانه مأمور بتأديب ولده . لانه فى ذلك بمنزلة الامام يقيم حدا على رجل فمات فلا دية عليه ولا يسمى الامام قاتلا" (١) .

ولم يقف التعليم عند الشيعة على هذه المراحل ،وانما يستمر طول حياة الفرد ،وعلى هذا فلا يمكن أن يقال بأن هناك سناتنتهى عنده هذه العملية التربوية ،وقد أخذ الشيعة ذلك عن رسول الله (ص) حيث قال :" . . . واعلم أن قليل العلم يحتاج الى كثير العمل لان علم الساعة يلزم صاحبه طول عمره" (٢) وقال الامام محمد الباقر : فى حديث طويل عن رسول الله (ص) :" . . .ولا يسأم من طلب العلم طول عمره " (٣) . بالاضافة الى ذلك أنه مكلف وكل مكلف يجب عليه معرفة الاحكام الشرعية ،وتعلمها اما اجتهادا ،أو تقليدا للمجتهد . فالمجتهد هو الذى يبذل وسعه لاستنباط الحكم الشرعى من الادلةالتفصيلية والمقلد كل من لم يصل الى هذه المرتبة ،يجب عليه الرجوع الى المجتهد فى معرفة الحكم الشرعى عن طريق التعليم ،اما مباشرة ،أو بالواسطة ،سواء كان بتعليم الغير ،أو مما كتبه المجتهد . ولهذا تستمر العملية التعليمية مدى الحياة . وقد جاء عن أئمة الشيعة وأمرهم لشيعتهم قولهم :" تفقهوا فى دين الله ولا تكونوا أعرابا، فانه من لم يتفقه فى دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا" (٤) والمراد بالنظر هنا الرحمة .

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص١٧٨ . نقلا عن الكافى للكلينى - جـ ٧ - ص ١٤٢ .
(٢) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٢ .
(٣) المصدر السابق : جـ ١ - ص ١٠٨
(٤) المصدر السابق : ص ٢١٤ .

المرحلة الرابعة : مرحلةالاجتهاد :

يعتبر الاجتهاد مرحلة عليا من مراحل التعليم عند الشيعة ، والاجتهاد من الواجبات الكفائية عند هم ، والواجب الكفائى هو : أن الامر يتعلق بكل مكلف فاذا قام به البعض ، وحصل الغرض الذى من أجله شرع الواجب الكفائى ، سقط الامر عن الاخرين ، واذا لم يحصل الغرض كان المكلفون جميعا محاسبين عن ذلك حتى يتحقق الغرض . فاذا أكمل المتعلم مقدماته العلمية التى يتوقف عليها الاجتهاد ، مثل العربية والمنطق والفلسفة والاصول والمعانى والبيان والحديث وعلم الرجال ، وغيرها من العلوم ، ورغب فى مواصلة تحصيله العلمى فى استنباط الاحكام الشرعية ، فانه - والحالة هذه - يواصل دراسته ، وذلك عن طريق حضور حلقات المجتهدين . وهذه المرحلة لاتقف عند حد ، وانما تستمر طول حياة الانسان .

كما أن هذه المرحلة تتوقف أيضا على خبرات أخرى ، أهمها مراجعة الكتب الاستدلالية المطولة فى الفقه وأصوله ، ودراستها دراسة متقنة ، اضافة لما يتعلمه من المجتهدين فى حلقاتدروسهم ، كى تحصل له ملكة الاستنباط. والملاحظ أن هذه المرحلة يدخلها كثير من رواد العلم ، والراغبين فى تحصيل الاجتهاد ، الا أن الذين يقطعون هذا الشوط الطويل والمعاناة الجادة فى تحصيلهم هذه المرتبة قليل جدا [1] .

ثالثا : طرق التعليم:

عنى المربون المسلمون بطرائق التعليم ، وكانت لهم أنظارهم ومذاهبهم فى ذلك.هذه الطرق والاساليب التى انتهجها المربون فىالتعليم ليست منفصلة عن ثقافة العصر ونظمه الاجتماعية ، لان التعليم نشاط اجتماعى تنعكس عليه كافة الانشطة الاجتماعية ، وما فيها من قيم ومعايير ونظم ، كما تعكس وجهة نظر الفيلسوف والاهداف التى ترمى اليها فىالعملية التعليمية . ولهذا عنى الشيعة بطرق التعليم، واعتبروها من الاسباب التى يوصلون بها المعارف والعلوم الاسلامية الى المتعلمين . وأهم هذه الطرق هى :

١ - المناظرة وتطبيقها التربوى :

من أظهر طرق التعليم عند الشيعة ، طريقةالمناظرة ، وقد كانت هذه الطريقة من أهم الطرق التربوية فى ذلك العصر ، لما لها من الاثر الكبير فى شحذ

(١) انظر مبحث الاجتهاد من الفصل الاول من هذا البحث .

الذهن وتقوية الحجة ، والتمرن على سرعة التعبير ، وترتيب الافكار ، وتجديد نشاطها كما تساعد التلاميذ على تنمية قدراتهم العقلية (١) . ولهذا أولاها المسلمون عناية كبرى فى طرق تعليمهم . ويبدو أن الشيعة أول من فتق الكلام فى المناظرة، وجعلوها طريقالايصال المعارف والعلوم الى الناشئة ، وتتلمذ عليهم عدد كبير من متكلمى الفرق الاسلامية وتأثروا بمنحاهم فى هذا الاتجاه . ولهذا يمكن أن يقال بأن هذه الطريقة من طرق التعليم من محض انتاجهم (٢) .

ويعتبر الشيعة أن من الشروط التى يجب أن تتوفر لدى المناظر سعة الصدر، والسماح مع الخلق الحسن فى مقام المناظرة ، وافساح المجال لمن يتناظر معه ، كما أن المناظر لابد أن يبتغى من وراء مناظرته طلب الحق الواقعى ، وأن يكون مستقلا بالعلم ذا قوة واقتدار ومعرفة تامة ودراية صادقة كى يستفيد منه (٣) . أى أن يكون معدا اعدادا علميا لهذه الطريقة ، ولهذا كان أئمة الشيعة يجيزون لاصحابهم فى المناظرة اذا كانوا مهيئين لها مع العلم وقوة الاحتجاج . ومن هذا قول الامام الصادق للكابلى حين رأى مؤمن الطاق يناظر المخالفين : " يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وانت اذا قصوت لن تطير" (٤) .

ولاريب أن هذه الطريقة من أبرز المؤثرات التى تعمل على شحذ القرائح ، ودفع الانسان الى بذل جهد عقلى مضاعف لكى يستنبط أساليب من الاستدلال والنظر جديدة ، ليبنى معتقده ، وهذا يجعل من المناظرة والمجادلة سببا من أسبابازدهار الفكر لاخموده (٥) ولهذا يعزو ابن خلدون الركود الفكرى الذى شاع فى البلاد بعد ذلك الى رداءة طرق التدريس التى أهملت فيها المناقشة والمذاكرة ، فيقول : " وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورةوالمناظرة فى المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها . . . " (٦) .

ومن شرائط المناظرة عند الشيعة ، أن يكون المناظر عالما مطلقا ذا قوة وملكة على رد الفروع الى الاصول ، عارفا بقواعد وأدلة الاحكام ، صاحب نظر

---

(١) سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٣٧ - ١٣٨ . وأيضا عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ - بيروت دار العلم للملايين - ١٩٧٣ - ص ١٧٨ .

(٢) انظر مبحث علم الكلام من الفصل السابع من هذا البحث.

(٣) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الوسول - مرجع سابق - ص ٣١٤ .

(٤) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٠٨ .

(٥) محمد جعفر شمس الدين : دراسات فى العقيدة الاسلامية - مرجع سابق ص ٢٣ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة - مرجع سابق - ص ٤٥٨ . وأيضا عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ - مرجع سابق - ص ١٨٨ .

واجتهاد حتى اذا ظهر الحق على يد خصمه وعرفه تراجع وسلم وانتقل اليه وتبعه وترك ما عنده (١) .

والتطبيق التربوى لهذه الطريقة ،ما كان يعقده الامام الصادق من مناظرات ،وكان يناظر فيها أهل الفرق المختلفة ، وكان كثير من الناس يحضرون هذه المناظرات ، حتى صار مقصد طلاب العلم العلوى (٢) . استأذن عبد الله الديصانى الامام الصادق بالدخول عليه ، فأذن له ،فلما قعد قال له :" ياجعفر بن محمد ،دلنى على معبوى ؟ فقال له أبو عبد الله (ع) ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه ، فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ فقال : لو كنت قلت له : عبد الله كان يقول : من هذا الذى أنت له عبد ، فقالوا له : عد اليه وقل له : يدلك على **معبودك** ولا يسألك عن اسمك ،فرجع اليه فقال له : يا جعفر بن محمد دلنى على معبودى ولا تسألنى عن اسمى ؟ فقال له أبو عبد الله (ع) : اجلس واذا غلام له صغير فى كفه بيضة يلعب بها ،فقال له أبو عبد الله : ناولنى يا غلام البيضة ، فناوله اياها ،فقال له أبو عبد الله : يا ديصانى : هذا حصن مكنون له جلد غليظ ،وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ،ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ،فهى على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها ،ولا يدرى للذكر خلقت أم للانثى ، تنفلق عن مثل**ألوان** الطواويس أترى لها مدبرا ؟ قال : فأطرق مليا ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ،وأنك امام وحجة من الله على خلقه . . " (٣)

ويبدو أن المناظرة عند الشيعة من الطرق التعليمية التى تحتاج الى قوة فكرية ناضجة ،والى تدريب عقلى مستمر ،ولهذا عنى أئمة الشيعة بتدريسها الى شيعتهم وتلاميذهم ،والمناظرة التى وقعت بين هشام بن الحكم أحد متكلمى الشيعة وبين عمرو بن عبيد ثانى شخصية اعتزالية تدل على مدى استخدام الشيعة للحجج

---

(١) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص ٣١٢ .
(٢) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص . ص ٦١ - ٦٢ .
(٣) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ١٠٣-١٠٤-١٠٥ . وأيضا أمالى الصادق : مرجع سابق - جـ ٤- ص ١٧٠ - ١٧١ . وأيضا حسون الدلفى : فضائل ال الرسول فى المعقول والمنقول - بيروت - موءسسة الاعلمى - ١٩٧٣ - ص ٦٥ .

العقلية بالاضافة الى الحواس فى هذه الطريقة ،حتى قيل فى هشام انه ما ناظر أحدا من الفرق المختلفة الا وكان النجاح بجانبه (١) . كما ناظر أصحاب الاديان الاخرى (٢) . ولهذا كان يلزم المعتزلة فى مناظراته وحجاجه (٣) . كل ذلك من أجل الدفاع عن العقيدة الاسلامية وتعليم الغير حسب اعتقادهم.

٢ - طريقة الدعاء :

ومن الطرق التى استخدمها الشيعة فى التربية والتعليم الدعاء ، وهذه الطريقة مما انفرد بها الشيعة . يقول المظفر :" وفى الحقيقة أن الادعية الواردة عن النبى وال بيته عليهم السلام خير منهج للمسلم ،اذا تدبرها تبعث فى نفسه قوة الايمان ،والعقيدة وروح التضحية فى سبيل الحق وتعرفه سر العبادة ،ولذة مناجاة الله تعالى والانقطاع اليه ،وتلقنه ما يجب على الانسان أن يعمله لدينه وما يقربه الى الله تعالى زلفى . ويبعده عن المفاسد والاهواء والبدع الباطلة. وبالاختصار أن هذه الادعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس ، ومن ناحية العقيدة الاسلامية ،بل هى من أهم مصادر الاراء الفلسفية والمباحث العلمية فى الالهيات والاخلاقيات" (٤) .

وأول من استخدم هذه الطريقة فى التعليم الامام على بن الحسين ، حيث جعل يداوى النفوس المريضة بالصرخات الاخلاقية والايات السامية وكان فى عصر لم تسمح له السلطة القائمة أن يرتقى المنابر ويرشد الناس ،ولم يتسن له أن يبث ما طمسه بنو أمية من أحكام الدين الاسلامى ، فجعل يوضح ذلك بطريق الدعاء ، فبعث بالصحيفة السجادية ،وهى حاوية على أربعة وخمسين دعاء فى الصلاة والصيام والحج ،وأدعية تذكر العباد بما عليهم من واجبات ،اذ تذكرهم بحق الله وحق النفس وحق الجوارح وحق السلطان ، وحق العلم ،وحق الرعية وحق الاب والابن وحق المستشير وحق المستشار الى غير ذلك من الحقوق التى تقتضيها المعاملات.(٥) ومن هنا تنوعت أشكال الدعاء وألوانه ومضامينه وأساليبه فيما لدى الشيعة من أدعية الانبياء والائمة المعصومين كعلاج نفسى أو روحى أو تربوى (٦) .

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٣٧٣ .
(٢) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص١٥٤ . وأيضا أحمد كمال زكى : الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن الثالث الهجرى- القاهرة دار المعارف - ١٩٧١ - ص٩٩ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٥ . وأيضا المسعودى :مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٠٤ .
(٤) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص ٧٤ .
(٥) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٣٥٠ .
(٦) محمد حسين فضل الله : خطوات على طريق الاسلام - مرجع سابق- ص٣٢٣ .

فالامام على بن الحسين اضطر ان يتخذ من أسلوب الدعاء ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الاسلام ، وتلقين الناس روحية الدين والزهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والاخلاق ، وهذه طريقة مبتكرة فى التلقين والتعليم لا تحوم حولها شبهة المطاردين له ، فلذلك أكثر من الادعية فجمعت بعضها الصحيفة السجادية وجاءت فى أسلوبها ومراميها فى أعلى أساليب الادب العربى، وأصبح طريقة لتعليم الاخلاق الاسلامية ، وكانت فى مختلف الموضوعات التربوية ، فهى تعليم للدين والاخلاق فى أسلوب الدعاء ، أو دعاء فى أسلوب تعليم للدين والاخلاق (١) ." بل يكاد يكون أسلوب الدعاء عند بعضهم (ع) الاسلوب الوحيد للقيام بأعباء رسالتهم فى شد الامة بقيمها وتراثها . . فقد تضمنت فى كل فصل منها توجيهات اجتماعية واخلاقية واقتصادية وتربوية ونفسية وعقائدية" (٢) .

يقول محمد جواد مغنية :" وقد توسع أهل البيت (ع) فى المناجات والدعاء، وأدخلوا فيه فلسفة العقيدة وصفات الجلال والكمال للذات القدسية . . . وأيضا استوعبت أدعية أهل البيت الاخلاق النظرية والعملية الكثير من الحكم الخالدة وتحديد الدين والمتدين الحق . . . وأيضا اتخذوا من المناجاة وسيلة للتربية الفاضلة والتوجيه الى العمل من أجل حياة أفضل والتحرر من كل ما يوجب التخلف ويعانى منه الفرد والمجتمع" (٣) . وقد أكثر الشيعة من حفظ هذه الادعية وتعلمها وتعليمها للناشئة على مر العصور ، واستنسخ الناس منها نسخا كثيرة ، كما طبعت فى عصر الطباعة (٤) .

والتطبيق التربوى للدعاء ما جاء فى دعاء الافتتاح عن أئمة الشيعة يذكر الباحث نصا منه :

" . . . اللهم انا نرغب اليك فى دولة كريمة تعز بها الاسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة ، اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم المم به شعثنا ، واشعب به صدعنا ، وارتق به فتقنا وكثر به قلتنا واعزز به ذلتنا واغن به عائلنا واقض به عن مغرمنا ، واجبر به فقرنا وسد به خلتنا ويسر به عسرنا . . . وبلغنا به من الدنيا والاخرة آمالنا . . . " (٥) .

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - مرجع سابق - ص١٨٠

(٢) انظر مقدمة الصحيفة العلوية المباركة لعلى بن أبى طالب - ط٣ - بيروت دار التعارف للمطبوعات - بدون تاريخ - ص ٠ ص ٨ - ٩ - ١٠ ٠

(٣) محمد جواد مغنية : فى ظلال الصحيفة السجادية - مرجع سابق - ص١٠-١١ ٠

(٤) محمد باقر الصدر : على بن الحسين زين العابدين - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص٠ص ٦٦ - ٦٧ ٠

(٥) السيد محمد حسين الطالقانى : مفتاح الجنان فى الادعية والزيارات والاذكار النجف الاشرف - مكتبة دار المعارف - ١٣٨٩ هـ - ص ٢٠٥ ٠

والتطبيق التربوى الثانى للدعاء ما جاء عن الامام على بن الحسين: ". . اللهم صلى على محمد وآله ، وحلنى بحلية الصالحين وألبسنى رتبة المتقين فى بسط العدل وكظم الغيظ واطفاء الثائرة وضم أهل الفرقة واصلاح ذات البين وافشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض الجناح وحسن السيرة. . . وطيب المخالقة والسبق الى الفضيلة وايثار التفضل وترك التعيير والافضال على غير المستحق والقول بالحق وان عز ، والصمت عن الباطل وان نفع واستقلال الخير وان كثر من قولى وفعلى . . "(١).

٣ - طريقة الاملاء :

وهذه الطريقة فى التدريس كانت مشهورة بين العلماء والمربين حتى سميت بعض الكتب فى ذلك بالامالى . وعندما تطورت الحركة العلمية وبلغت ذروتها واستخدم الورق ، أصبح الاملاء من أعلى مراتب التعليم(٢) . حيث كان المستملى يجلس على مرتفع ، وينصت له الحاضرون من التلاميذ ويبتدىء المدرس درسه بذكر الله والصلاة على النبى (ص) . ثم يملى ما يريد تعليمه ، ويكتب الطلاب خلف المدرس ، وبعد الانتهاء يعرج على الشرح والايضاح والتفسير للفقرات الغامضة ، ويدون الطلاب هذه الشروح على هامش الاوراق التى كتب عليها الاصول (٣) .

وقد استعمل أئمة الشيعة وشيوخهم هذه الطريقة فى التعليم. وكان لهم كتب عدة فى الامالى ، وهى عبارة عن محاضرات يمليها الشيخ على تلاميذه فى مجلس أو فى مجالس ، وفى أيام معينة ، أو فى مواسم خاصة (٤) . فقد أملى الامام الصادق على تلاميذه فى مختلف العلوم . وله كتاب يسمى " أمالى الصادق " يقع فى أربعة أجزاء مطبوع(٥) . كما أملى الامام الرضا على تلاميذه أيضا . يقول محمد بن زيد ، جئت الى الرضا أسأله عن التوحيد فأملى على . . . " (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٢) ادم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١٦ .
(٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - ط ٦ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ - ص ٣٧٤ .
(٤) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى أبو جعفر محمد بن الحسن - رسالة ماجستير مطبوعة فى التاريخ الاسلامى فى جامعة بغداد - النجف الاشرف مطبعة الاداب - ١٩٧٥ - ص ٤٧٨ .
(٥) انظر أمالى الصادق - مرجع سابق .
(٦) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - ص ١٤٠ .

وقد ألف علماء الشيعة طائفة من كتب الامالى ، منها كتاب الامالى للشيخ الصدوق القمى ، وأمالى الشيخ المفيد ويحتوى على اثنتين وأربعين مجلسا تحتوى على مائتى مطلب فى شتى البحوث مع اسنادها الموثوق بصدورها عن النبى(ص) وال بيته . ومن كتب الحسن بن خالد البرقى" تفسير العسكرى من املاء الامام عليه السلام ماية وعشرون مجلدة" (١) . كما أملى الشيخ الطوسى دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الامالى الا محاضرات القاها فى النجف (٢) .

أما أمالى السيد المرتضى ، فهى عبارة عن مجالس أملاها فى ازمان متعاقبة ، وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الايات كما اختار أيضا طائفة من الاحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها ، ويبدو التعارض فيما بينها ، وحاول تفسيرها وتأويلها بالمنهج الذى عالج به تأويل اى القرآن ، وقد أملى الشريف هذه المجالس فى داره على تلاميذه ومريديه ، فى أزمنة مختلفة ، لم يصل العلماء الى التاريخ الذى بدأها فيه ، ولكن الثابت أنه فرغ من املائها يوم الخميس الثامن من شهر جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة واربعمائة (٣) . كما أن ابن الجعابى أحد شيوخ الشيعة فى بغداد ، كان يملى على تلاميذه (٤) . قال الخطيب البغدادى : كان ابن الجعابى يملى الاحاديث فتمتلىء السكة التى يملى فيها والطريق . . ولم يكن الجعابى يملى الاحاديث كلها بطرقها الا من حفظه"(٥) وقعد الصاحب بن عباد للاملاء ، وحضر كثير من طلاب العلم عنده بحيث كان له ستة مستملين (٦) .

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص.ص٢٢٦-٢٢٧ .
وأيضا اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - ط٢ - طهران ١٩٦٨ - جـ ٢ - ص ٣١٣ .

(٢) محمد بحر العلوم: موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف - مقالة بعنوان "الدراسة وتاريخها فى النجف " - بيروت - مطابع دار الكتب - ١٩٦٥ - جـ٢ - ص ١٨ .

(٣) محمد أبو الفيض ابراهيم : مقدمة كتاب" أمالى المرتضى" للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى - دار احياء الكتب العربية - ١٩٥٤ - ص . ص ١٨ - ١٩- ٢٠ .

(٤) انظر مراكز العلم عند الشيعة - بغداد - من الفصل الخامس من هذا البحث.

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق- جـ ٣ - ص١٢٨ .

(٦) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى البابى الحلبى - ١٩٦٥ - جـ ١ - ص ٤٤٩ . وأيضا ادم متز : الحضارة الاسلامية مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١٧ .

٤ - طريقة الوعظ :

ولطريقة الوعظ أهمية عظيمة فى التربية الاسلامية ، حيث تقوم بتنشئة المسلم العابد الصالح . فالموعظة من الاساليب التربوية الرائعة ، لانها تؤدى الى كمال الانسان وتنمية خلقه ، ولهذا ينبغى أن يتمثلها المعلم والمتعلم(١) .

والموعظة المؤثرة هى التى تفتح طريقها الى النفس عن طريق الوجدان وتثير عواطفه لحظة من الوقت، وتهز مشاعره ، لذلك لا تكتفى الموعظة وحدها فى التربية اذا لم يكن بجانبها القدوة . ولهذا تكون الموعظة من الضرورات اللازمة فى توجيه الدوافع الفطرية لدى الانسان (٢) . وهذه الطريقة تقوم على توضيح الامور النافعة والضارة للمتعلمين ، وتعظهم وترشدهم الى الخير ، وتحثهم على التحلى بمكارم الاخلاق (٣) .

يقول الكرمانى أحد شيوخ الشيعة : " وان المواعظ أكبر الاسباب فى صلاح النفس وتهيئها ونهوضها ، لتلقى أوامر الله تعالى بالامتثال ، فهى التى تنجمع فى القلوب ، وتحدث فيها رغبة ورهبة ، فتقبل على الطاعات والاخلاص فى العبادات. . . وتبعث النفس على ترك ما تهواه من ذاتها وبذل ما لها للفوت والموت جملة فى رضاء الله . . . واذا كان الامر فى امتناع النفس عن اتباع هواها متعلقا بالمواعظ التى فعلها فيها ، مثل هذا الفعل ، انبعاثا من ذاتها للقيام بالوقوف عند الاوامر والنواهى ، فقد ظهر مصداق قولنا ، فيما سبق ، نقضا لقول ابن زكريا ، فى تفويض الامر الى النفس ، فى اصلاح ذاتها ، بمجردها ، وأنه لا يصلح الا بما قلنا " (٤) . حيث ذهب ابن زكريا الى أن اصلاح النفس يكون بذاتها ومن غير مصلح ولهذا نقض عليه الكرمانى قوله هذا ، بأن صلاح النفس لابد له من موعظة تحرك الوجدان النفسى والمشاعر الفطرية نحو الكمال .

ان تأكيد الشيعة على هذا الاسلوب ينطلق من واقع الحقيقة الدينية التى تحاول أن تعمق فى نفس الانسان مسئوليته العملية فى الدنيا ، وتربطه بالدار

---

(١) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية فى القرآن الكريم - مرجع سابق ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية - ط ٤ - بيروت - دار الشروق - ١٩٨٠ جـ ١ - ص ١٨٧ .
(٣) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٢ .
(٤) الكرمانى : الاقوال الذهبية - مرجع سابق - ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

الاخرة من حيث تجسيدها لنتائج المسئولية ،فلم تنطلق القضية من خطة عملية لربط العمل بالاخرة ،من حيث سلامة العمل واستقامته ،بل من خلال تكامل التصور الاسلامى للايمان بالله وبالدار الاخرة ، مما يجعلنا فى حاجة الى تقوية هذا الايمان واستعادته فى كل فترة ،ليبقى حيا فى الاعماق (١) . وفى نفس الوقت يثير أسلوب الوعظ أمام الانسان قصة الدنيا والاخرة ،لكى يجعل من الدنيا دار عمل ،بكل ما للعمل من معنى فردى وجماعى ، يعنى حياة الناس بالفكر والعمل . فالاساليب الوعظية تحدث فى نفس الانسان تغييرا كبيرا فى نظرته الى العمل من خلال قضية المصير ، لان طبيعة الموت الذى يعتبر بداية الحياة الاخرى هى التى يواجهها الانسان لتحديد مسئوليته (٢) .

ومن أمثلة التطبيق التربوى للموعظة ما جاء عن سفيان الثورى ،أنه طلب من الصادق بن الصادق جعفر بن محمد (ع) أن يعظه ، فقال له الصادق : يا سفيان لا مروءة لكذوب ،ولا أخ لملوك ،ولا راحة لحسود ولا سؤدد لسيىء الخلق " فطلب أن يزيده ،فقال له :" ياسفيان ثق بالله تكن مؤمنا ، وارض بما قسم لك تكن غنيا ، واحسن مجاورة من جاورته تكن مسلما ،ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ،وشاور فى أمرك الذين يخشون الله عز وجل" . فقال سفيان زدنى ،فقال له الصادق :"ياسفيان من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان ،فلينقل من ذل معصية الله الى عز طاعته . . " (٣) .

والتطبيق التربوى الثانى للموعظة ، ما وعظ به الامام الصادق تلميذه المفضل قال :" فكر يا مفضل فيما أعطى الانسان علمه وما منع ،فانه أعطى جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه . فمما فيه صلاح دينه ،معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة فى الخلق ،ومعرفة الواجب من العدل على الناس كافة ،وبر الوالدين ، وأداء الامانة ،ومواساة أهل الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به فى الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة . وكذلك أعطى ما فيه صلاح دنياه ، كالزراعة والغراس واستخراج الارضين . . . ومعرفة العقاقير التى يستشفى بها من ضروب الاسقام . . . والتصرف فى الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب . . " (٤) .

---

(١) محمد حسين فضل الله : خطوات على طريق الاسلام - مرجع سابق - ص٣٠٩ .
(٢) المصدر السابق : ص . ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٣) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٦٩ .
(٤) آمالى الصادق : مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

ويبد و من هذه المواعظ التى كان يعظ بها أئمة الشيعة ،أنها تعد مناهج عامة لسلوكيات الانسان ،تحرك فيه الاحساس فى حالة الفكر وفى حالة العمل ، مما يجعل الانسان يعيش الاحساس بالله فى موقع المسئولية وبالتالى تحرك الانسان نحو العمل وكذلك الانضباط فى السلوك الى جانب تعميق الاعتقاد والايمان بالله فى فهم الحياة .

ه - طريقة الوسائل :

كانت الرسائل احدى طرق التدريس ، وكان الطالب يرسل مسائله الى استاذه ويتلقى منه الاجوبة عليها مكتوبة ،فاذا اشتهر أحد العلماء بعلم من العلوم أتته الرسائل من طلاب العلم تحمل اليه مسائلهم واستفساراتهم فيجيب عليهم، ثم يبعثها على هيئة أجوبة للسائلين (١) .

وهذه الطريقة فى التدريس كانت شائعة فى ذلك العصر عند الشيعة ،فقد استعملها الطلاب مع أئمتهم وشيوخهم . قال سهل : كتبت الى أبى محمد (ع) سنة خمس وخمسين ومائتين : قد اختلف ياسيدى أصحابنا فى التوحيد . . .فان رأيت ياسيدى أن تعلمنى من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولا على عبدك ،فوقع بخطه (ع) : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ،الله واحد أحد . . ." (٢) .

وقد كان يطلق على هذه الرسائل بكتب " المسائل " وهى عبارة عن أجوبة لمسائل أرسلها أو وجهها مباشرة طلبة للائمة أو لمشاهير الشيوخ ،كالمرتضى والطوسى وغيرهما . ويدل اقتران تلك المسائل ببلدان مختلفة ،أحيانا ،كما يظهر من النصوص المذكورة ،أنها ترسل ،على الاغلب ،للائمةأوالشيوخ عند تعذر لقائهم كما أن كثرة الكتب التى تحمل عنوان" المسائل" يدل على أن الشيخ بعد أن يجيب على تلك المسائل يجمع أجوبته أو يجمعها أحد طلبته ،خاصة عند صدورها عن الائمة فى كتاب يطلق عليه اسم المسائل مقرونا أحيانا باسم المكان الذى أرسلت منه أو الامام الذى أجاب عنها (٣) .

ومن الامثلة على طريقة المراسلة ما رواه ابن شهر آشوب من أن داود الصرفى كان ممن لقى زين العابدين عليه السلام ،له كتاب المسائل ، كما كان للحلبى

(١) حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى - رسالة ماجستير مطبوعة - دار الفكر العربى - ١٩٧٨ - ص ١٥٥ .
(٢) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٣٨ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢٣٣ .

كتاب المسائل عن الامام الصادق . وكذلك زكريا بن آدم القمى من أصحاب الامام موسى بن جعفر له مسائل . ولصفوان بن يحيى مسائل عن أبى الحسن موسى بن جعفر ، ولعلى بن يقطين " مسائل عن أبى الحسن" . بالاضافة الى المسائل التى كانت ترسل الى شيوخ الشيعة مثل المسائل الموصلية وغيرها للشريف المرتضى، وللشيخ الطوسى مجموعة من كتب المسائل منها " مسألة فى الاحوال" . . ومسألة فى تحريم الفقاع (١) . وكتاب " المسائل فى الفرق بين النبى والامام" ، وكتاب " مسائل الرازية فى الوعيد " وهو عبارة عن عشرة مسائل وردت من مدينة الرى الى الشريف المرتضى ، وقد أجاب عنها الشيخ الطوسى . وكتاب " مسألة فى الحسن والقبح " وكتاب " ثلاثون مسألة كلامية " (٢) .

٦ - التعليم عن طريق الكتب :

تعتبر الكتب من أهم أساليب التربية ، بل أصبحت مادة أساسية للمعرفة ، حيث تسجل فيها أمهات العلم وأصوله ، ولعل ذلك ما يفضل تلقينه وأخذه عن العلماء . يقول كاريل : " . . كذلك المكتبات والمعامل والكتب والمجلات وسائل مناسبة لتنمية العقل . . . وحتى اذا لم يوجد الاساتذة ، فان بالامكان الاكتفاء بالكتب لتحقيق هذه الغاية . . " (٣) .

وكان للكتب لدى المسلمين منزلة عظيمة وتقدير كبير ، ولهذا حث أئمة الشيعة على التعلم منها والاحتفاظ بها . يقول الامام الصادق : " القلب يتكل على الكتابة . وقال : أكتبوا فأنكم لا تحفظون حتى تكتبوا " (٤) . وجاء عنه أيضا : " احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها" وقال للمفضل بن عمر : اكتب وبث علمك فى اخوانك فان مت فأورث كتبك بنيك ، فانه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم" (٥) وبهذا المعنى جاء عن الامام الحسن بن على بن أبى طالب فى وصيته لابنائه وأبناء أخيه بأن يحتفظوا بكتبهم ويضعونها فى بيوتهم (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٢) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٢١ وأيضا حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٤٦ .
(٣) كاريل : الانسان ذلك المجهول - مرجع سابق - ص ١٧٥ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٦٧ . وأيضا المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق جـ ٢ - ص ١٥٠ .
(٦) المجلسى : المصدر السابق - ص ١٥٢ . وأيضا الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٩٩ .

ان التعلم من الكتب يحقق أعظم النتائج ،اذا ما ارتبط بخبرات مباشرة وسط علاقات اجتماعية . ولهذا فان الكتب تفتح أمام التلاميذ آفاقا واسعة ،كما تكون وسيلة لتفسير مواقف الحياة ،اذ ان الكتب توفر للتلاميذ العلوم التى توصل اليها العلماء والمفكرون ،وتساعد على تغذية العقل (١) . ومن هنا كانت الكتب من أعظم الوسائل التربوية ،لان الكتاب يقرأ فى كل مكان بخلاف العلماء . كما يبدو أن هذه الطريقة فى التعليم أول من نادى بها **واستخدمها** فى التربية الاسلامية أئمة الشيعة ،وذلك لان النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت ،تعتبر من أقدم النصوص فى هذا المجال . ولهذا كان أقدم كتاب يتعلم منه الشيعة هو الصحيفة التى كتبها الامام على من املاء رسول الله (ص) . حتى روى عنه أنه قال :" ما عندنا كتاب نقروءه عليكم الا ما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة" (٢) .

ويرسم لنا الامام الصادق فى أوائل القرن الثانى الهجرى ما للكتب من قيمة علمية وأدبية فى قوله :" وكذلك الكتابة التى بها اخبار الماضين للباقين ،واخبار الباقين للاتين ،وبها تخلد الكتب فى العلوم والاداب وغيرها ،وبها يحفظ الانسان ما يجرى بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ،ولولاها لانقطع أخبار بعض الازمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ،ودرست العلوم وضاعت الاداب ،وعظم ما يدخل على الانسان من الخلل فى أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من أمر دينهم ،وما روى لهم مما لايسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الانسان من خلقه وطباعه . . . " (٣) .

٧ - **التعليم عن طريق الاسئلة والمذاكرة** :

ومن طرق التدريس عند الشيعة السوءال . وقد قررت التربية الحديثة هذه الطريقة واعتبرت أن التدريس السليم لايتحقق أبدا بغير قدر كاف من المناقشات الحرة ،كما أنها ترى أن الاسئلة ضرورة واجبة ،لانها وسيلة الاتصال بين المعلم

---

(١) محمد الهادى عفيفى : الاصول الفلسفية للتربية - مرجع سابق - ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢) المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٧١ . وأيضا كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار - ط ٢ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٩ - جـ ١ - ص١٨٣ . وانظر عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٢٤٣ . وانظر أمر الصحيفة من الفصل السابع من هذا البحث .

(٣) آمالى الصادق : مرجع سابق - جـ ١ - ص. ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

والمتعلم، ويعرف بواسطتها استعداد تلاميذه ومبلغ تحصيلهم ، ويستطيع قيادتهم وتوجيههم ، كما أنها تقدر أهمية المناقشة بالاسلوب الذى اتبعته التربية العربية لانها تكون عملية تبادل حر للاراء ، لايقصد منه انتصار أحد أو هزيمته ، وانما تهدف الى الوصول بالمناقش الى ادراك أفضل لكل ما يحيط بالقضايا المعروضة من ظروف وملابسات وأسباب ومسببات (١) .

ان طريقة أئمة الشيعة وعلمائهم فى التعليم ، تنطوى على كثير من القواعد الحديثة فى التربية ، هذه الطريقة التى حددوها بالتكرارات ، ودعوا فيها المعلم الى القاء المسائل على المتعلم ، كما دعوا المتعلم بأن يكثر مسائله على معلمه . وفى ذلك جاء عن الامام الصادق قوله لحمران بن أعين فى شيء سأله :" انما يهلك الناس لانهم لايسألون . . وقال أيضا : ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة . وقال : لايسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم ويسعهم أن يأخذوا بما يقول . . " (٢) .

وقد نادت بهذه الطريقة أو الاسلوب فى التعليم مدرسة التساؤل ، ففلسفة التربية عندها جزء من فلسفة السؤال المستمر ، والتساؤل الذى لايفتر . . وعلى هذا الاساس تتحول فلسفة التربية الى طاقة للسؤال ، ومنبع للاستفهام لايتوقف عن مناقشة العملية التعليمية ، والكشف عن معانيها ، وبذلك لايبدأ التعليم أو يستمر من غير أسئلة تناقش أسسه ومسلماته ، ولهذا فان نجاح العملية التربوية يكون على مدى قدرة الطلاب على السؤال (٣) .

والذى يبدو هو أن التربية الاسلامية سبقت مدرسة التساؤل هذه بحوالى أربعة عشر قرنا ، فقد ورد عن أهل البيت عن رسول الله (ص) قوله :" تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فان الحديث جلاء القلوب ، ان القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤه الحديث" (٤) . وعن الامام محمد الباقر قال :" العلم خزائن والمفاتيح السؤال ، فاسألوا رحمكم الله . فانه يؤجر أربعة : السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم" (٥) . وبهذا المعنى جاء عن أئمة الشيعة أيضا ، يقول الامام جعفر

(١) محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها - دار الفكر العربى - ١٩٧٧ - ص ٠ ص ٣٩-٤٠ .
(٢) الكليني : الكافي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٩ - ٥٠ .
(٣) حسان محمد حسان : فلسفة التربية - دراسات فى فلسفة التربية - مرجع سابق ص ٤٢ .
(٤) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٥٢ . وأيضا الكلينى الكافي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٠ .
(٥) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٤٥

الصادق : " تلاقوا وتحادثوا العلم، فان بالحديث تجلى القلوب الرائنة" (١) . ويقول أيضا : " رحم الله عبدا أحيا العلم ، قال : قلت : وما احياؤه ؟ قال : ان يذاكر أهل الدين وأهل الورع" (٢) . وقال الامام محمد الباقر : " تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة" (٣) . ولهذا كان الشيعة يكثرون من الاسئلة على أئمتهم لاجل التعلم منهم. مثال ذلك عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا جعفر (ع) - يعنى محمد الباقر - ما حق الله على العباد ؟ قال : أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لايعلمون " (٤) . قال الشهيد الثانى : " . . . أن يتأمل - أى الطالب ويهذب مايريد أن يورده ، أو يسأل عنه قبل ايراده والتفوه به ، ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم وانعكاس فهم ، فيصير له بذلك ملكة صالحة ، وخلاف ذلك اذا اعتاد الاسراع فى السؤال والجواب ، فيكثر سقطه ، ويعظم نقصه ، ويظهر خطوءه ..." (٥).

هذه أهم الطرق التى استعملها الشيعة فى التعليم منذ القرن الاول للهجرة وما بعده ، بالاضافة الى الحلقات العلمية التى كان يعقدها أئمة الشيعة وشيوخهم فى المساجد وغيرها من أماكن التعليم.

رابعا : المعلمون والتلاميذ :

يعد المعلم فى جميع مراحل الدراسة من العوامل المهمة فى عملية التعليم ، وما العملية المذكورة فى الواقع الا نتيجة اتصال المعلم بالتلميذ ، فالعلاقة بين المعلم والتلميذ تلعب دورا كبيرا فى بناء شخصياتهم لدرجة يمكن اعتبارها المفتاح الموصل الى نجاح العملية التعليمية أو فشلها ، حتى أن سمات الشخصية لدى المعلم لها تأثير كبير على التلاميذ ، فان منظره وطريقته فى التعليم تثير انتباه التلاميذ ، ومن هنا يأتى تقليده أو رفضه للمعلم. وعلى هذا يمكن اعتبار التلميذ كالمريض، فانه يحتاج الى رعاية وعناية تختلف عن رعاية الاخرين ، وقد يكون التلميذ انعكاسا لشخصية المعلم (٦) . فهم يتأثرون بحالة المعلم النفسية واستعداداته الانفعالية ، فاذا هو أظهر روح الاستبشار والتفتح للحياة ، كان جديرا

(١) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٠٢ .
(٢) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٠ .
(٣) المصدر السابق : ص ٥١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٥٣ .
(٥) عبد الصاحب الحسينى العاملى : الاخلاق عند الرسول وأصحابه - مرجع سابق - ص ١٣٥ .
(٦) Ramyont. T, "The Principles of Education", Longmans, green and Co. London. 1922, PP.351-352.

بتلاميذه أن يظهروا الابتهاج وروح الود والتحاب والتجاوب معه [١] .

ومن هنا تكون الحاجة الى شخصية المعلم الواعى البصير بشئون المجتمع الذى يعالج شخصية التلميذ ويبنيها من جميع جوانبها ويوجهها فى طريق الجماعة ويستطلع الاتجاهات قبل أن تتحقق ، سواء أكانت مرغوبا فيها أو غير مرغوب ، ويعالج التلميذ على أساسها ، فهو اما يعرضه لها أو يكسبه المناعة ضدها [٢] . وبهذا المعنى ورد عن الامام الصادق : " . . . واعلم أن المتلبس بالعلم منظور اليه ومتأس بفعله وقوله وهيئته ، فاذا أحسن سمته وصلحت أحواله وتواضعت نفسه وأخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه الى غيره من الرعية ونشأ الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم . . " [٣] .

وقد أدرك المسلمون أهمية المعلم بالنسبة للعملية التعليمية ، كما تنبهوا الى أن العلم وحده لايكفى ليكون سلاح المعلم ، بل لابد أن يضاف الى العلم فن التربية ليتمكن المدرس من معرفة نفسية التلميذ ، والنزول الى مستواه ، والاتصال العاطفى به ليكون جسرا يوصل خلاله العلم الى عقله [٤] . وعلى هذا فشخصية المعلم فى الاسلام لها أثر عظيم فى عقول التلاميذ ونفوسهم ، اذ يتأثرون وهم فى تلك السن الصغيرة بمظهره وشكله وحركاته وسكناته ، واشاراته وألفاظه التى تصدر عنه ، وسلوكه الذى يبدو منه ، وهكذا سادت فى المعلمين شخصية علمية وخلقية نابعة من روح الاسلام ، عرفت عنهم واشتهروا بها ، وسرت منهم الى الصبيان بطريق الايحاء والتقليد والمحاكاة ، مما هو فطرى فى النفس الانسانية ، بالاضافة الى أن شخصية المعلم بارزة فى العلم بحيث تسمو الى مرتبة الادباء أو الشعراء أوالنحاه أو الفقهاء ، فهو يحفظ القرآن وما يتصل به من العلوم الضرورية لفهمه وحسن نطقه [٥] .

ان نظرة الشيعة الى المعلمين لاتختلف فى جوهرها عن نظرة الاسلام ، بل هى نابعة من صميم تعاليمه وارشاداته ، لاسيما اذا لاحظنا أنهم مارسوا عملية التعليم بمختلف أساليبها ، وفى مختلف الاماكن ، وهذا لايتم عادة الا عن طريق الاحتكاك والاتصال بين العالم والمتعلم ، أو بين المعلم والتلميذ ، ومن هنا

---

(١) سعيد اسماعيل على : أوضاع المربين العرب - دار الثقافة - ١٩٧٩ - ص١٩ .
(٢) المصدر السابق : ص٢٣ .
(٣) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول وأصحابه - مرجع سابق - ص٩٣ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢١٠ .
(٥) أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - مرجع سابق - ص١٧١-١٧٢ .

تعرض الشيعة الى المعلم ومدى علاقته بالتلاميذ ، وما الصفات التى يجب أن يتحلى بها كل منهما لكى تستمر العملية التعليمية على خير وجه .

وقد اعتبر الشيعة أن حاجة غير العالم للعالم من الضرورات التى تتوقف عليها العملية التربوية ، ولهذا قالوا - كما مر - :" فلما لم يجز بقاؤهم الا بالادب والتعليم وجب أنه لابد لكل صحيح الخلقة ... من مؤدب ..... وأدب وتعليم . " (١) . ومن هنا كان العلم والتعليم عندهم ثمرة اتصال المعلم بالتلميذ . يقول العيناثى :" ... واعلم أن المعلم والاستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها . . " (٢) .

وقد أشار أئمة الشيعة الى أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه فى عملية التعليم ، وأنها ينبغى أن تقوم على أساس من الارتباط بين العالم والمتعلم لنجاح العملية التعليمية ، منذ أوائل القرن الاول للهجرة . من ذلك قول الامام على بن أبى طالب : " اذا جلس المتعلم بين يدى العالم فتح الله له سبعين بابا من الرحمة . . . " (٣) . وبهذا جاء عن الامام محمد الباقر : " ان الذى يعلم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلم وله الفضل عليه ، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه اخوانكم كما علمكموه العلماء " (٤)

وقد تكلم أئمة الشيعة وشيوخهم عن الصفات التى يجب أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم . ولهذا فان للعالم المعلم ادابا فى نفسه ، وادابا مع طلبته ، كما أن للمتعلم ادابا مع معلمه .

أولا : آداب العالم فى نفسه :

١ - أن لاينصب نفسه للتدريس حتى يكون مؤهلا لذلك ، ويشهد له بصلحاء شيوخه . قال الامام على :" انما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم ، ان يتكلم فى دين الله بما لايعرف ، فان الله عز وجل يعذر على الخطأ أن أجهدت رأيك" (٥) . وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال : قال لى أبو عبد الله (ع) - يعنى الصادق - :" اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك : اياك

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٠
(٢) العيناثى : آداب النفس - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٤٦ .
(٣) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - ص ٢٢ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٢ .
(٥) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٤٩ .

أن تفتى الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم" (١) . وبهذا يقول الشهيد الثانى : "كما وأنه اذا تصدى للتدريس من ليس بأهل لذلك قبل اتقانه للمطالب ونضوجه ، وعلم من له الامر والحل والنفوذ من الاساتذة ، وأنه قاصر وغير صالح للتدريس نصحه وردعه سرا وخفية وشدد عليه النكير ، فان لم ينجح ولم يرتدع ، أنبه علانية وهدده وخوفه بطرق يرتدع بها ويقنع ويرجع الى الاشتغال ويتأهل للكمال" (٢).

٢ - صيانة العلم . وعلى العالم أن يصون العلم ، كما صانه علماء السلف ، وأن لا يذله فيبذله لغير اهله ، والا يذهب الى مكان المتعلم مهما كبر قدره الا أن تدعو اليه ضرورة ، أو تكون هناك مرجحات دينية تلزمه بذلك . قال الامام على: كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالانسان أن يسعى الى" أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا" (٣) .

٣ - أن يكون العالم عاملا بعلمه . قال الامام على : " تعلموا العلم تعرفوا، واعملوا به تكونوا من أهله" (٤) . وقال الامام الصادق : " ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا" (٥) .

٤ - بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، وذلك ان الله أخذ على العلماء من العهود ما أخذ على الانبياء ليبينوه للناس ولا يكتمونه . قال الامام على : " ان الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال" (٦) . وقال الامام الحسن بن على : " علم الناس علمك ، وتعلم علم غيرك فيكون قد أتقنت علمك وعلمت مالم تعلم " (٧) . وقال الامام محمد الباقر : " زكاة العلم أن تعلمه عباد الله" (٨) .

٥ - أن يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ، ولم يكن له فيه باعث دنيوى من طمع مالى ، أو جاه ورئاسة أو شهرة بين الناس ، بل يكون الباعث مجرد التقرب الى

---

(١) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٢ . وأيضا الكلينى : الكافى مرجع سابق - جـ١ - ص ٥٢ .
(٢) عبد الصاحب الحسينى العاملى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق ص ١٥٤ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص١٤٩ . وأيضا عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص١٣٥ .
(٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٥٢ .
(٥) الكلينى : الكافي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٦ .
(٦) المصدر السابق : ص ٥١ .
(٧) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق في حديث واحد - مرجع سابق - جـ١ - ص١٨ .
(٨) الكلينى : الكافي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥١ .

الله تعالى والوصول الى المثوبات . قال الامام الصادق :"من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم لله دعى فى ملكوت السموات عظيما" (١) . وقوله :" اذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فان كل محب للشيىء يحوط ما أحب" (٢) وقال الامام موسى بن جعفر :"... وما أوتى عبد علما فازداد للدنيا حبا الا ازداد من الله بعدا ..." (٣) .

٦ - أن يقول ما يعلم ويسكت عما لايعلم حتى يرجع اليه ويعلمه ، ولا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع ، وهذا الشرط لايختص بالمعلمين فقط ، بل يعم كل من تصدر عنه المسائل العلمية ، كالمفتى والقاضى وغيرهما . قال الامام الباقر :" حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عند مالا يعلمون"(٤) وقال أيضا :" ما علمتم فقولوا ، ومالم تعلموا فقولوا : الله أعلم" . وقال الصادق :"للعالم اذا سئل عن شيىء وهو لايعلمه أن يقول : الله أعلم وليس لغير العالم أن يقول ذلك " (٥) . وقال الامام على بن أبى طالب :" خذوا عنى كلمات لو ركبتم المطى فانضيتموها لم تصيبوا مثلهن : الا يرجو أحد الا ربه ، ولايخافن الا ذنبه ، ولايستحى العالم اذا لم يعلم أن يتعلم ، ولايستحى اذا سئل عما لايعلم أن يقول الله أعلم " (٦) .

كما وينبغى عليه أن يبدأ أولا بتهذيب نفسه حتى يقتدى به ، يقول الامام على بن أبى طالب : " من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس وموئد بهم" (٧) .

٧ - ومن صفات العالم عدم اتباع السلطان : قال الشهيد فى منية المريد :" واعلم أن القدر المذموم من ذلك ليس هو مجرد اتباع السلطان كيف اتفق ، بل اتباعه ليكون توطئة ووسيلة الى ارتفاع الشأن والترفع على الاقران وعظم الجاه

---

(١) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - جـ١ - ص٣٣ .
(٢) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص ٨٢ .
(٣) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٥٦ .
(٤) محمد مهدى النراقى : جامع السعادات - طـ٤ - العراق - مطبعة الاداب فى النجف الاشرف - ١٩٦٧ - جـ ١ - ص ٠ ص ١٤٤ -١٤٥ .
(٥) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص٠ ص ٥٢-٥٣ .
(٦) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١٥ . وأيضا ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١١٩ .
(٧) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٦ .

والمقدار وحب **الدنيا** والرياسة ونحو ذلك ، ولو اتبعه ليجعله وصلة الى اقامة نظام النوع واعلاء كلمة الدين وترويج الحق وقمع أهل البدع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحو ذلك ، لكان هو من أفضل الاعمال فضلا عن كونه مرخصا" (١) وبهذا جاء عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله (ص) : الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا . قيل : يارسول الله ماد خولهم فى الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم " (٢) .

ثانيا : آداب المعلم مع تلاميذه :

١ - الشفقة على المتعلمين : من واجبات المعلم المرشد فى الاسلام الشفقة على المتعلمين . قال الامام على بن الحسين :" . . وحق الصغير رحمته فى تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به" (٣) . وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يركه لها . قال ابن عباس : أكرم الناس على جليسى الذى يتخطى الناس حتى يجلس الى ، لو استطعت الا يقع عليه الذباب لفعلت (٤) .

٢ - التواضع فى تعليم العلم : ومن الواجب على العالم المعلم التواضع للمتعلمين وأن يبين لهم ولسائر الناس ، أن التواضع من السنن الاكيدة ، وان كان لازما لكل من الناس ، خصوصا المؤمنين ، لكن للمتعلمين أوجب ، لانهم بمنزلة الاولاد ، مع ما هم عليه من ملازمته واعتمادهم عليه فى طلب العلوم النافعة ولمكان حق الصحبة وشرف المحبة ، وعليه التلطف بهم والبشاشة وطلاقة الوجه ، واظهار الشفقة والاحسان اليهم ، وأن يخاطبهم بأحسن أسمائهم من الكنى والالقاب الموجبة للتعظيم والتوقير ، كما كان يفعله النبى (ص) واهل بيته واصحابه ، وهى موجبة للمحبة وانشراح الصدر والسرور ، ولقوله (ص) :" ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض لكى يتفقهوا فى الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا" (٥) . وقال الامام الصادق :" اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار

---

(١) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص.ص١١١-١١٢.
(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٦ .
(٣) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٧٠ .
(٤) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٥١ .
(٥) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص.ص١٤٣ - ١٤٤ .

وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علمـــــاء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم" (١) .

٣ - ومن الحقوق اللازمة على العالم للطلبةوكل من يستفيد منه ،أن يراعـى أحوالهم وتصرفاتهم فى المعاشرة والمعاملة وطرق الاستفادة والتحصيل ، وأن يكون همته تهذيبهم واستقامتهم ، ويبعدهم عن مساوى الاخلاق ، وكل ما ينافى الكمـال والمروءة والادب ، والاشتغال فى تحصيل العلم واقتناء معالى الصفات ، ويوصـى تلامذته ببذل السلام وحسن التخاطب فى الكلام والتجاوب والتعاون على البـــر والتقوى (٢) . وأن يتفقد الغائب بعد أن كان ملازما للحضور معه وفى مجلسه ، فـان كان مريضا عاده ، وان كان مشغولا بما هو أهم وتمكن من الاعانة له أعانه ، ولا أقـل من أن يتفقد أحواله بالسؤال أو الارسال اليه (٣) .

٤ - وينبغى أن لايفضل الاستاذ أحدا على أحد مع التساوى بينهـــم فضلا وسنا ودينا ، الا أن يكون هناك جهة تقتضى ذلك ، كالجد فى التحصيـل والورع والادب وماشابه ذلك ، ويلاحظ هذه الجهة فيكبره ويشجعه ويكرمه ولا بـأس بذلك ، والا فخلاف الحكمة والعدالة وهو سوء فى المعاملة ، لانه يؤدى الـى وغر الصدور وايحاش القلوب ونفرتها (٤) .

٥ - أن يكون المعلم حريصا على تعليم طلابه باذلا وسعه فى تفهيمهـم وتقريب الفائدة الى اذهانهم وأفهامهم ، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ، ولا يعطيه ما لايحتمله ذهنه ، ولا يبسط الكلام بسطا ، ويخاطب كل واحد على قـدر درجته وحسب فهمه (٥) .

٦ - اذا تكمل الطالب وتأهل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعليـم ، فينبغى أن يقوم المعلم بنظام أمره فى ذلك ويأمر الناس بالاشتغال عليه والاخـذ عنه . فقد أذن الامام الباقر لابان بن تغلب أن يفتى ويجلس فى مسجد المدينـة ، وكانت الاجازات التى يمنحها شيوخ الشيعة لمن درسوا عليهم من الوسائل التـى

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٤ . وأيضا الشهيد الثانـى : معالم الدين - مرجع سابق - ص ١٦ .
(٢) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص.ص١٤٢ - ١٤٣ . وأيضا عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابـق ص ١٥١ .
(٣) عبد الصاحب الحسينى : المصدر السابق - ص ١٥٠ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٥٠ .
(٥) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص١٥١ . وأيضـا عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٠ ص ٤١-٤٢ .

يعبر فيها أولئك الشيوخ عن رايهم فى مقدرة طلبتهم العلمية (١) .

وقد ظهرت طائفة من مشاهير المعلمين عند الشيعة ،أمثال أبان بن تغلب الذى كان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق وأخليت له سارية النبى (ص) . ومحمد بن مسلم الثقفى الذى سمع من الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق (ع) ثلاثين ألف حديث . وهشام بن الحكم (ت١٩٩ هـ) الذى فتق الكلام فى الامامة . وأبى على النحوى المعروف بقطرب (ت٢٠٦ هـ) والعياشى من علماء القرن الثالث ، صاحب الدار التى كانت كالمدرسة على قول ابن داود الحلى ، أو كالمسجد على قول النجاشى ،وابن الجندى واحمد بن محمد بن عمران من شيوخ النجاشى، والشيخ الصدوق القمى صاحب الامالى الذى كان من المعلمين الكفاه . والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) شيخ الشريف المرتضى والطوسى ،والشريفين المرتضى والرضى ، وشيخ الطائفة الطوسى (٢) ."... وقد كان له تلاميذ كثيرون ، وقد ولد .. سنة ٣٨٥ فى طوس" (٣) وأبى زيد البلخى حيث كان معلما للصبيان، ثم رفعه العلم الى مرتبة علية ،وكان قائما بجميع العلوم (ت٣٢٢ هـ) (٤) . ويعقوب بن السكيت وكان يؤدب مع أبيه بمدينة السلام فى درب القنطرة صبيان العامة ، وقد ألزمه المتوكل العباسى تأديب ولده المعتز ، ثم قتله لتشيعه (٥) . وابن الجعابى الذى كان يملى مجلسه فتمتلىء السكة والطريق الذى يملى فيه (٦) . وأبى الاسود الدؤلى (ت٦٩ هـ) والخليل بن أحمد ،وأبى زيد النحوى ، وكانت له أعظم حلقة تدريس فى البصرة ،والفراء ، حيث كان من كبار المعلمين ،وغير هؤلاء (٧) .

---

(١) عبد الله فياض: المصدر السابق - ص .ص ١٥١-١٥٢ . وأيضا عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص ١٥٤ .
(٢) عبد الله فياض : المصدر السابق - ص . ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس - ترجمة الطاهر أحمد مكى - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧ - ص ٥٥ .
(٤) ياقوت: معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٣ - ص . ص ٦٤-٦٥ .
(٥) المصدر السابق : جـ٢٠ - ص . ص ٥٠-٥١ . وأيضا ابن خلكان :وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص .ص ٤٤١-٤٤٣ . وانظر بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٥ .
(٦) انظر الفصل الخامس - مراكز العلم - بغداد - من هذا البحث .
(٧) انظر المدارس النحوية من الفصل السابع من هذا البحث .

ثالثا : آداب الطالب مع معلمه :

وردت توصيات عامة عن أئمة الشيعة ، يوصون بها المتعلمين ، وما ينبغي أن يتصفوا به تجاه المعلمين ، يشير الباحث الى بعض منها :

عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال : كان أمير المؤمنين(ع) يقول :ان من حق العالم أن لاتكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه ، واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحية دونهم ، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول : قال فلان وقال فلان ، خلافا لقوله ، ولا تضجر بطول صحبته . . " (١) . وجاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين قوله :" وحق سائسك بالعلم : التعظيم له ، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع اليه ، والاقبال عليه ، وأن لاترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحدا يسأله عن شيئ حتى يكون هو الذى يجيب ، ولا تحدث فى مجلسه أحدا ولا تغتاب عنده أحدا ، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدوا، ولا تعادى له وليا ، فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس " (٢) . ولهذا وردت مجموعة من التوصيات والارشادات لطلبة العلم تعكس وجهة نظر الشيعة فيما ينبغى أن يكون عليه طالب العلم من صفات وأهمها ما يأتى :

١ - اختيار المعلم : ينبغى للمتعلم أن يختار " الاعلم والاورع والاسن ، وينبغى أن يشاور فى طلب العلم لايتعجل فى الاختلاف الى العلماء ، وأن يصبر شهرين حتى كان اختياره للاستاذ لم يؤد الى تركه والرجوع الى الاخر فلا يبارك له ، فينبغى أن يثبت ويصبرعلى أستاذ وكتاب حتى لايتركه . . " (٣) قال العيناثى: " ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخى معلم رشيد عارف بحقائق الامور مؤمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين . . . فاسأل ياأخى أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا قد أخذ علمه من العلماء الاخيار ، عن الائمة الاطهار عليهم السلام" (٤).

---

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٦ . وأيضا الصدوق : الخصال مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٠٤

(٢) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٢ . وأيضا الشهيد الثانى : معالم الدين - مرجع سابق - ص ١٣ .

(٣) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص١٨٩ . نقلا عن آداب المتعلمين .

(٤) العيناثى : آداب النفس - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٤٦-١٤٧ .

٢ - يجب على طالب العلم التحلى بمكارم الاخلاق . فقد جاء عن الامام الصادق : قال : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : ياطالب العلم ، ان العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، واذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الاشياء والامور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاه ، وعافيته العافية . . . وجيشه محاورة العلماء ، وماله الادب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، وماوءه المواعدة ، ودليله الهدى ، ورفيقه محبة الاخيار" (١) ويبدو من هذا النص أنه يشمل معظم الصفات التى يجب أن يتصف بها المتعلم.

٣ - ينبغى على طالب العلم الجد والاجتهاد فى تحصيل العلوم دراسة وتفهما وسوءالا ، قاصدا الاسترشاد والحفظ والضبط ، ويعتمد بعد التوكل على الله سبحانه على المطالعة بتوجيه وشوق واقبال لايفوته معها الا ماكان معقدا ومجملا يتوقف فهمه على مقدمات مطوية ، أوكان من قبيل الرموز والالغاز ، أو الالفاظ المشتركة ، مما تحتاج الى سوءال ومسألة ، فعليه المبادرة الى تفهمها والسوءال عنها وحل غوامضها (٢) .

٤ - يجب على المتعلم تعظيم العالم زيادة على تعظيم الوالد ، لان العالم بيده سعادته . يقول النراقى : " أن يحافظ شرائط الخضوع والادب للمعلم ، ولا يرد عليه شيئا بالمواجهة ، ويكون محبا له بقلبه ، ولا ينسى حقوقه ، لانه والده المعنوى الروحانى ، وهو أعظم الاباء الثلاثة" (٣) . قال الامام محمد الباقر : " اذا جلست الى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه" (٤) . ولهذا أوجب أئمة الشيعة على طالب العلم تعظيم المعلم وتوقيره والاقبال على مجلسه والتعلم منه (٥) .

٥ - أن يجتهد الطالب فى أن يسبق غيره من الطلاب للحضور الى مجلس المعلم قبل حضوره ، وكان أبو على النحوى المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) من

---

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٠ .
(٢) عبد الصاحب الحسينى : الاخلاق عند الرسول - مرجع سابق - ص ١٢٣ .
(٣) محمد مهدى النراقى : جامع السعادات - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٤ .
(٤) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٢ .
(٥) الصدوق : الخصال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٥٦٧ .

أشهر تلامذة سيبويه ،وكان حريصا على الاشتغال والتعلم ،وكان يبكر الى سيبويه قبل حضور أحد من التلاميذ ،فقال له يوما ما أنت الا قطرب ليل ،فبقى عليه هذا اللقب . وكان قطرب ممن رووا عن الامام جعفر الصادق (١) .

٦ - أن يكون تعلمه لمجرد التقرب الى الله والفوز بالسعادات الاخروية ، وأن لايكون فيه شيىء من المراء والمباهاة والمفاخرة ، والوصول الى جاه أو مال أو لمجرد التفوق على الاقران . قال الامام الباقر : " من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء ،أو يصرف به وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ، ان الرئاسة لاتصلح الا لاهلها" (٢) . وقال الامام الصادق : " طلبة العلم ثلاثة ، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ،صنف يطلبه للجهل والمراء ،وصنف يطلبه للاستطالة والختل ،وصنف يطلبه للفقه والعقل . فصاحب الجهل والمراء موءذ ممار، متعرض للمقال فى أندية الرجال يتذاكر العلم ،وصفه الحلم ،وقد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع ،فدق الله خيشومه وقطع منه حيزومه . وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق ،يستطيل على مثله من أشباهه ،ويتواضع للاغنياء من دونه ،فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم ،فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره . وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ،قد تحنك فى برنسه وقام الليل فى حندسه يعمل ويخشى ،وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه ،مستوحشا من أوثق اخوانه ،فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانة" (٣) .

٧ - وينبغى لطالب العلم أن يحمل معه أدوات الكتابة ،روى عباد البصرى أنه جاء لابى عبد الله (ع) ومعه أناس من أصحابه فسأله حديثا فأخبره به " فكتب القوم الحضور عنه ذلك الحديث" (٤) . كما أن اصحاب الامام الكاظم كانوا يحضرون مجلسه ومعهم ألواح أبنوس لطاف وأميال يثبتون فيها ما يسمعونه عن الامام (٥) .

٨ - الا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ،ولا نوعا من أنواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته . قال الامام على :" العلم كثير فخذوا من كل أحسنه" . وقال الامام موسى بن جعفر :" . . فلاتشغلن بعلمها لايضرك

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق- ص ١٩٣ .
(٢) محمد مهدى النراقى : جامع السعادات - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٤١ .
(٣) المصدر السابق : ص . ص ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ .
(٤) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص١٩٣ . نقلا عن الكلينى : الكافي - جـ ٧- ص ١٨٢ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٩٣ .

جهله ، ولا تغفلن عن علم ما يزيدك فى جهلك تركه" (١) .

٩ - ومن آداب المتعلم متابعة العالم ، وملازمته فى طلب العلم . . وأخذ العهد من المتعلم أولا ، وعدم معصيته للمعلم ، والصبر على مالم يحط علمه به من ذلك ، وعدم المبادرة الى انكار ما يراه من المعلم (٢).

هذه جملة من الصفات التى أوردها الشيعة ، والتى ينبغى لطالب العلم التحلى بها لكى ينجح فى دراسته وحياته العلمية . فالشيعة عرفوا الحياة ومايحتاجه الانسان ، ولذا عنوا بناحيته الروحية عنايتهم بالناحية الجسمية ، فأعطوا الروح غذاءها من العلم والدين والفضيلة ، كما أعطوا الجسم ما يحتاج اليه من غذاء صحى وحثوا الطالب على صيانة روحه وجسمه وعقله . لان العلم فيه صلاح القلب .

"الحالة الاجتماعية للمعلمين "

أ - الحالة المالية :

لم أقف على أدلة تفيد أن أئمة الشيعة وشيوخهم الذين تصدروا للتدريس كانوا يأخذون أجرا على التعليم . بل ذهب أكثر فقهاء المسلمين على عدم جواز أخذ الاجرة على العلوم الدينية ، لانها من فروض الكفاية ، وأن تعلمها وتعليمها لابد أن يكون الباعث فيه رضى الله سبحانه . ويمكن أن يقال عن النظام التربوى الاسلامى عامة فى هذه الناحية ، فهو أكثر انطباقا على النظام التربوى عند الشيعة لانهم نظرا للظروف السياسية السيئة التى عاشوا فيها خلال معظم فترات تاريخهم كانوا لايجنون فى الغالب ، مكاسب دنيوية عندما يقومون بتعليم علوم ال البيت (ع) وتعلمها . ولهذا كان الائمة من أهل البيت يعلمون - كما يعتقد الشيعة - على سبيل التبليغ لرسالة أوكل اليهم النبى (ص) تبليغها بأمر من الله . ويترتب على ذلك أنه لامجال للبحث عن أخذ الائمة أجرة على التعليم ، ولم ترد أية اشارة فى المصادر عن أخذ أحد الائمة أجرة على تعليم علم من العلوم . أما حالة الائمة المالية فيظهر أنها كانت جيدة ، لانهم كانوا يمثلون السلطة الشرعية فى نظر الشيعة ، ولهذا كانوا يستوفون الحقوق الشرعية من شيعتهم ، ويستوفون فضلا عن ذلك ، مبالغ من موارد مختلفة كالوقف والايصاء (٣) .

---

(١) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٤.
(٢) محمد باقر المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص.ص. ٤٠-٤١ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربيةعند الامامية-=مرجع سابق - ص١٦١ -١٦٢ .

أما شيوخ الشيعة فليس هناك دليل على أنهم كانوا يأخذون أجرة على تعليم العلوم الدينية . ويؤيد ذلك أن عددا كبيرا من شيوخ الشيعة قد امتهن مهنا مختلفة بالاضافة الى اشتغالهم بالعلم والتعليم ، فكان ميثم التمار أحد تلامذة الامام على يبيع التمر فى الكوفة ، وكان الفقيه على بن الحسين الطاطرى يبيع ثيابا يقال لها الطاطرية ، وأن نصر بن مزاحم مؤلف كتاب صفين كان عطارا ، وكذلك داود بن يزيد الكوفى (١) . وكان لابى عبد الله الجلاب دكان يبيع فيه ، وقد قتل على باب دكانه ، وهو من كبار علماء الشيعة (٢) . ولهذا كان شيوخ الشيعة يسدون معظم نفقاتهم من المهن الحرة التى يمتهنونها ، وربما تلقى بعض الشيوخ من الائمة أو من وكلائهم بعد نهاية عصرهم معونات مالية من الحقوق الشرعية التى كان يستوفيها الائمة فى حياتهم . كما أن الائمة كانوا يساعدون بعض طلبة علوم ال البيت. وهذه تعد سنة واجبة الاتباع من قبل الوكلاء الذين تعد رعاية المشتغلين بتلك العلوم من أهم واجباتهم (٣) .

وقد يعتمد علماء الشيعة وطلابهم - بعد عصر الائمة - على الحقوق الشرعية أيضا التى يدفعها المسلمون الى مراجع التقليد وعلى بعض الموقوفات الاهلية (٤) وهؤلاء بدورهم يقومون بتوزيعها على طلبة العلم . فكان السيد المرتضى يجرى على تلامذته رزقا ، فكان للشيخ أبى جعفر الطوسى كل شهر اثنا عشر دينارا، وللقاضى بن البراج كل شهر ثمانية دنانير ، كما وقف قرية على كاغد الفقهاء (٥) - بالاضافة الى ما يحتاجه الطالب من الامور المادية (٦) . كما كان يجرى على تلاميذه حقوقا تختلف حسب مكانة الطالب وموءهلاته (٧) . يضاف الى ذلك أن بعض المتمكنين اقتصاديا كانوا يقدمون مبالغ محترمة لتمويل التعليم عند الشيعة ، أمثال العياشى الذى أنفق أمواله على العلماء ، وكانت ثلاثمائة ألف دينار (٨) .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦٢ - ١٦٣ .
(٢) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٧٨ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٦٥ .
(٤) عبد الهادى الفضلى : دليل النجف الاشرف - مطبعة الاداب فى النجف بدون تاريخ - ص ٧٥ .
(٥) المجلسى : بحار الانوار - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٣٠ . وأيضا محمد أبو الفضل ابراهيم : مقدمة آمالى المرتضى - مرجع سابق - جـ١ - ص٨ .
(٦) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٧-٤٨ .
(٧) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية - لمحمد بن جمال الدين العاملى النجف - ١٣٨٦ هـ - جـ ١ - ص ٥٦ - ٥٧ .
(٨) عبد الله فياض : دور الكاظم والرضا فى التربية والتعليم - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨٩ .

ويبدو أن الحالة المالية كانت جيدة بالنسبة للعلماء وطلبة العلم ،فقد أهدى الوزير المهلبى لطلبة الشريف الرضى هدية على كره من الشريف ،فلم يمد أحد من طلبته يدا الى شيىء منها ،لانه كان مكفى المئونة غنى النفس(١).

هذا وقد قام بعض الامراء والوزراء بجعل الصلات والارزاق الى العلماء والفقهاء الذين مارسوا عملية التعليم . فقد أجرى سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب على أبى نصر الفارابى الفيلسوف أربعة دراهم كل يوم فاقتصر عليها (٢) كما كان يعطى عطاء لكل عمل ، فكان عيسى الرقى يأخذ أربعة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ورزقا بسبب ترجمة الكتب ورزقين بسبب علمين آخرين (٣).

أما البويهيون ،فكانوا يقدمون الهبات السخية للمشتغلين بعلوم آل البيت. فكانوا يكرمون العلماء والادباء ، ويغدقون عليهم . فكان عضد الدولة يدر الاموال على الائمة والعلماء والقراء ،كما أجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه وغيرهم من أهل العلم(٤).

وفى العهد الفاطمى كان العلماء ، وطلبة العلم فى حالة مالية جيدة ، حيث أجرى الفاطميون الجرايات ، ورتبوا الارزاق للاساتذة ،كما أوقفوا عليهم الاوقاف (٥) . فقد سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق وأمر لهم بشراء داروبنائها (٦) . كما جعل الحاكم رواتب للفقهاء وغيرهم من أهل العلم(٧). وجعل ابن كلس للعلماء والقراء أرزاقا وعين لهم الرواتب(٨) .

أما من حيث سكنى أئمة الشيعة وشيوخهم ،فيبدو أنهم كانوا يتمتعون بمنازل خاصة بهم . فكان للامام على بن الحسين منزل يزدحم فيه طلاب العلم والعلماء (٩)

(١) انظر ترجمة الشريف الرضى من كتاب حقائق التأويل للشريف الرضى - قم ايران - دار الكتب الاسلامية - بدون تاريخ - جـ ٥ - ص ٨٥ .
(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٢١ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٤) ابن الاثير : الكامل - مرجع سابق - جـ ٧ - ص ١٠٠ - ١٠١ ، وأيضا أحمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - ط ٢ - القاهرة - مطبعة نهضة مصر - بدون تاريخ - ص . ص ٣٩ - ٤٠ .
(٥) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى - ط٣ - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٥ ص ٢١٠ .
(٦) خطط المقريزى : مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٥٧ .
(٧) المصدر السابق : ص . ص ٥٨ - ٥٩ .
(٨) المصدر السابق : ص ٢٧٤-٢٧٥ . وأيضا حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٢٦ .
(٩) محمد باقر الصدر : على بن الحسين - دائرة المعارف الشيعية- مرجع سابق جـ ٢ - ص ٦٦ .

كما كان للامام محمد الباقر أيضا دار يجتمع فيها رواد المعرفة[١] . بالاضافة الى دار الامام الصادق . ويحكى لنا المفضل الجعفى أحد تلامذته عن هذه الدار، أن الامام الصادق كان يلقى دروسه على تلامذته وشيعته فى داره[٢] . وهكذا كان يتمتع أئمة الشيعة بمنازل خاصة بهم ،فالامام على الهادى حينما هجم عليه الترك ليحضروه الى المتوكل ،وجدوه فى بيت مغلق وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن [٣] .

وكان لشيوخ الشيعة منازل خاصة بهم يسكنون فيها ،وذلك لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من مكانة كبيرة عند الشيعة . فكان منزل الشيخ المفيد ندوة عامرة بالدرس والتدريس[٤] . وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة وخير كثير وثروة واسعة ، وقد تمكن بفضل هذه الثروة أن يعيش فى داره مكفول الرزق منصرفا الى العلم والتعليم[٥] . كما أن للشيخ الطوسى دارا خاصة به يقوم فيها بتدريس تلاميذه ،كما يوجد فيها كرسى يجلس عليه للتدريس[٦] . بالاضافة الى دار محمد بن مسعود العياشى التى كانت مملوءة بالناس ما بين عالم ومتعلم[٧] . الى غير ذلك من المنازل التى كان يسكنها أئمة الشيعة وشيوخهم ، وهذا يدل على ما يتمتع به هؤلاء الائمة من مكانة اجتماعية مرموقة عند شيعتهم.

أما طلبة العلم ،فكانت لهم مدارس خاصة يسكنون فيها ،وتجرى عليهم الجرايات، قد أنشأها لهم مراجع التقليد عند الشيعة . فقد أنشأ الشريف الرضى مثلا دارا للعلم جعلها مكانا يسكن فيها الطلبة ،وقد وفر لهم فيها كل مايحتاجون اليه[٨] كما كانت دار الحكمة التى أنشأها الحاكم مكانا لسكنى طلاب العلم[٩] .

---

(١) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص ٦٨٨ .
(٢) آمالى الصادق : مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٨ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٣٥ - جـ٥ - ص٢٨٧ .
(٤) مقدمة بحار الانوار للمجلسى : مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧١ .
(٥) محمد أبو الفضل ابراهيم : مقدمة كتاب آمالى المرتضى - مرجع سابق - جـ١ - ص٨
الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - ص ٥٩ . وأيضا حسن الحكيم
(٦) الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٥٧ .
(٧) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٧٧ .
باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - مرجع سابق - ص٢٣١ وأيضا
(٨) حسن الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٧ .
(٩) خطط المقريزى : مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢١٨

هذا وقد استمر مراجع التقليد عند الشيعة ، وبعض الموسرين ، من عهد الشيخ الطوسى حتى الوقت الحاضر ، فى انشاء المدارس الخاصة لسكنى طلبة العلم الوافدين من أماكن بعيدة ، مثل المدارس الموجودة فى مراكز العلم عند الشيعة . كالنجف الاشرف ، وكربلاء فى العراق ومدينتى قم وخراسان فى ايران ومازالت هذه المدارس عامرة بالطلاب ، وهى أماكن خاصة لسكناهم.

ب - لباس المعلمين :

قد وردت اشارات متفرقة عن لباس الائمة وشيوخ الشيعة ، ربما أعانت على التعرف على لباس المعلمين ، ولكن يصعب علينا استنتاج قاعدة عامة منها ، وذلك نتيجة التطورات الاجتماعية التى صاحبت التشيع منذ نشأتهم حتى وقت متأخر من حياتهم ، ولهذا اختلف لباس العلماء من عصر الى آخر . فهناك اشارات تدل على ان الشيعة اتخذوا البياض شعارا لهم فى الفترة المبكرة من حياتهم ، واعتبروا ذلك سنة ، لان النبى (ص) قال : " البسوا البياض فانه أطيب وأطهر" . وعند ما التقى الامام الصادق مع المنصور فى " الهاشمية " لبس ثيابا بيضاء ، فلما دخل عليه قال له المنصور : " لقد تشبهت بالانبياء ، فقال الصادق : وأنى يبعدنى عن أبناء الانبياء (١) .

أما اللون الاخضر الذى يتميز به العلويون فلم يكن شعارا لهم الا فى أواخر القرن الثامن الهجرى (٢) . ومع ذلك فقد وردت اشارات تدل على أن الائمة لبسوا الطيلسان والدراعة ، فقد روى الكلينى أن سلمان بن راشد روى عن أبيه قال :"رأيت على بن الحسين (ع) وعليه دراعة سوداء وطيلسان أزرق" (٣) ولبس الامام الصادق ملحفة وردية . دخل أحد تلامذته عليه ، فوجده فى بيت منجد وعليه ملحفة وردية . . وكان الامام الصادق يلبس جبة (٤) .

ومع هذه الاشارات ، لايمكن أن يكون ذلك قاعدة عامة يمكن الركون اليها ، وذلك لان الائمة من آل البيت عرف عنهم العزوف عن مباهج الدنيا ، ومع ذلك ، فأنهم كانوا يراعون تطورات الزمن فى لباسهم. فذات مرة سأل أحدهم الامام الصادق فقال : " ذكرت أن على بن أبى طالب كان يلبس الخشن ، يلبس القميص بأربعة

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٦٨ .
(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٩ .
(٣) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ٦ - ص ٤٤٩ .
(٤) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٦٩-١٧٠ .

دراهم وما أشبه ذلك ، ونرى عليك اللباس الجديد . فقال له ان على بن أبـــــى طالب كان يلبس ذلك فى زمان لا ينكر ولو لبس ذلك اليوم شهر به ، فخير لبـــــاس كل زمان لباس أهله " (١) . وذات مرة هجم الترك على دار الامام على الهـــــادى فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مدرعة شعر (٢) .

وقد وردت اشارات الى أن شيوخ الشيعة كانوا يلبسون القميص والرداء . قال المفضل بن شاذان ، كنت مع أبى رحمه الله " اذ جاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسى ورداء نرسى . . . قلت من هذا الشيخ ؟ فقال هذا الحسن بن على بن فضال . . " (٣) ولما عزم الصاحب بن عباد على املاء الحديث وهو وزير " خرج يوما متطلسا متحنكا بزى أهل العلم . . . ثم خرج وقعد للاملاء وحضر الخلق الكثير" (٤) وهذا الاختلاف فى لباس اهل العلم يجعلنا لا نطمئن بوجود لباس موحد لهم.

أما الفاطميون ، فقد أوجدوا خزانة الكسوة التى كان يخرج منها أكسية لجميع الامراء وكبار الدولة ، وقد تنوعت هذه الاكسيات بتنوع طبقات الناس ، وكانت كســـــوة رجال التعليم مذهبة ، تتكون من ستقطع أهمها القلنسوة والطيلسان ، وأصبحـــــت الخضرة شعار الفاطميين ، ومن هنا لبس رجال العلم فى هذا العهد عمامـــــة خضراء (٥) .

ومما تقدم يمكن لنا أن نستنتج أن القلنسوة والطيلسان كان شعارا عنـــــد أكثر العلماء من الشيعة ، أما بقية لباسهم فكان يختلف من مكان لاخر ، ومن عصر الـــى عصر ، حتى استقر أخيرا على العمامة والجبة والعباءة . فالذى ينتسب الى أهـــــل البيت يكون شعارهم العمامة السوداء ، أما الذين لا ينتسبون الى أهل البيـــــت ، فيكون شعارهم العمامة البيضاء ، وهذا ما عليه العلماء حتى الوقت الحاضر .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٦٩ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٣٥ . وجـ ٥ - ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
(٣) عبد الله فياض : تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ١٧٠ .
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٢١ .
(٥) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٧٧ .

الفصل الخامس

اهم المراكز العلمية عند الشيعة

ويشمل :

المقدمة :

أولا : المدينة المنورة :

- الحركةالعلمية عند الشيعة فى المدينة بعد عهد الامام على .
- مدرسة المدينةودور الامام الباقر والصادق فى تأسيسها .
- نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت فى المدينة .
- المحتوى الفكرى لمدرسة أهل البيت .

ثانيا : العراق :

١ - الكوفة .

٢ - بغداد .

- الشيخ الطوسىومدرسة النجف .
- الدراسة فى مدرسة النجف .
- جماعة اخوان الصفاء الشيعية .

ثالثا : بنو حمدان فى حلب والموصل :

رابعا : قم والرى فى ايران .

خامسا : الادارسة فى المغرب والاندلس.

سادسا : الدولة الفاطمية في مصر :

مقدمـــة :

ان الدراسة العلمية كظاهرة لايمكن فصلها عن الحياة الاجتماعية والمحيـط والعوامل المحيطية ، ولايمكن عزل العلوم عن المؤثرات التى تتدخل فى تكويـن التاريخ البشرى . وانما يجب ربط هذه الظاهرة بغيرها من الظواهر والعوامـل المحيطية والزمنية ليتاح لنا أن نتعرف على العوامل التى أدت الى انتشـــار التشيع ،واذاعة العقيدة الشيعية فى المجال التعليمى .

والعوامل التى يجب أن تلحظ فى تطوير المراكز العلمية عند الشيعة لنشـر مذهبهم والتى تتدخل فى تكوين الدراسة العلمية والبحث العلمى ثلاثة :

١ - الزمان : ولا يقصد بالزمان عادة ، مرور الدقائق والساعات، فذاك شيـىء لايهم الباحث ، وانما يقصد به العمل الذى أنجز الى حد زمنى معين .

٢ - المحيط : ولاشك فى تأثر البحوث والدراسات والعلوم بـ " المراكـــز الثقافية" التى كان ينتقل اليها ، فكل واحد من المراكز العلمية التى ينقل فيها ويحول اليها " العلوم الشيعية " كان له طابع الثقافة الخاص ، وكان له تأثير بالغ فى تكوين الدراسات العلمية وتطويرها . فحينما انتقلت الدراسة العلمية الشيعية من المدينة الى الكوفة اصبحت الكوفة مركز الاشعاع فـــى البحث العلمى الشيعى ، فتأثر البحث العلمى كثيرا بهذا المحيط الجديد المزدحم بعلماء الشيعة - كما تأثر حينما وجدت المدارس الشيعية فـــى البصرة ثم بغداد وايران والنجف وغيرها ، وكون هذا الاطار الحضـــارى والفكرى الجديد الذى كانت تزدحم جوانبه بمختلف المدارس الثقافيـــة والعلماء والفقهاء ، من مختلف المذاهب الاسلامية .

٣ - شخصية العلماء : وهذا عامل ثالث فى تطوير العلوم ومراكزها عند الشيعـة لانستطيع أن نغضى عنه ، فلموءهلات العالم أو الفقيه أو الامام عند الشيعـة الفكرية وبعد نظره وعمق تفكيره وطموحه الفكرى للتجديد أثر كبير فى تطويـر العلوم الانسانية والاسلامية ، فما جدده العلماء الشيعة مثلا فى مختلـف العلوم لايرتبط كليا بتأثير المحيط والعصر ،وانما كان يرتبط أيضا بموءهلات علماء الشيعة الشخصية وقابليتهم ونبوغهم[1] .

---

(١) انظر محمد مهدى الاصفى فى تقديمه لكتاب اللمعة الدمشقية لمحمد بن جمال الدين العاملى - مرجع سابق . وايضا الفصل السابع من هذا البحث.

وعلى ضوء هذه العوامل الثلاثة يحاول الباحث القيام بدراسة لاهم المراكز العلمية عند الشيعة والكشف عن مدى تأثير العقيدة الشيعية فى تطويرها .

أولا : المدينة المنورة :

تعتبر المدينة المنورة المنطلق الاول للرسالة الاسلامية ، فلاغرو اذا كانت المدرسة الاولى للاشعاع العلمى عند أئمة الشيعة . ولهذا كانت المدينة المنورة الوطن الاول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم . فكان من فقهاء الصحابة بعد الامام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ،الذين تولى رسول الله (ص) تربيتهم وتعليمهم ، ابن عباس حبر الامة وفقيهها ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر الغفارى وأبو رافع ابراهيم مولى رسول الله . بالاضافة الى وجود جمع كثير من التابعين من شيعة على بن أبى طالب حفظوا السنة النبوية وتداولوها فيما بينهم ونقلوها الى الاجيال التى تليهم بأمانة وصدق حتى قال : الذهبى فى ميزان الاعتدال :" فهذا - أى التشيع - كثر فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء - أى الشيعة - لذهبت جملة الاثار النبوية وهذه مفسدة" (١) .

وليس غريبا من الامام على أن يتجه الى العلم والمعرفة بكل ألوانها وأشكالها ، ويكون الرائد الاول بعد النبى (ص) فى الدراسات الاسلامية ، وهو الذى غذاه الرسول (ص) فنون العلم والحكمة : حتى قال فيه (ص) : "أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب " (٢) . فلا غرو اذن أن يتجه اليه الكل ليأخذوا العلم والعرفان من باب مدينة العلم . ولهذا كان الامام على يقول للمسلمين : سلونى فوالله لاتسألونى عن شيىء يكون الى يوم القيامه الا حدثتكم به ، سلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل نزلت أم فى جبل . . " (٣) قال سعيد بن المسيب " لم يكن

(١) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص٤ . وأيضا محمد مهدى الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية - مرجع سابق - جـ ١ - ص.ص٢٧-٢٨ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٤ - ص٣٤٨ . وأيضا السيوطى : تاريخ الخلفاء - مرجع سابق - ص١٧٠ . وأيضا المحب الطبرى: الرياض النضرة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص . ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) المتقى الهندى : كنز العمال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٣٥٧ . وأيضا المحب الطبرى : الرياض النضرة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص١٩٨ . وأيضا ابن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة - مرجع سابق - ص ٢٢٧ . والقندوزى :ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٨ . وأيضا السيوطى : تاريخ الخلفاء مرجع سابق - ص ١٨٥ - وكذلك سبط بن الجوزى : تذكرة الخواص - مرجع سابق ص ٢٧ - وأيضا العسقلانى : الاصابة - مرجع سابق - جـ٤- ص٥٦٨ . وأيضا القاضى النعمان بن محمد : اختلاف أصول المذاهب - تحقيق مصطفى غالب بيروت - دار الاندلس- ١٩٧٣ - ص ٣٢ .

أحد من أصحاب رسول الله (ص) يقولها الا على بن أبى طالب (ع)." (١) .

وقد حلق الامام على فى العلم حتى تناول ما فى الكون من عجائب خلق الله بحثا وتعليما وتدريسا ، ولهذا كان يقول :" سلونى عن طرق السموات فانى أعرف بها من طرق الارضين ، ولو كشف لى الغطاء ماازددت يقينا" (٢) . فكان عليه السلام وعاء مُلِىءَ علما ، ولهذا كان يقول لتلميذه كميل :" . . . ها ، ان ههنا لعلما جما (واشار الى صدره ، لو أصبت له حمله . . ." (٣) . وفى ذلك يقول ابن عباس :"قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعة ، ولسائر الناس جزء شاركهم عليه فيه فكان أعلمهم به . . ." (٤) . هذه الموءهلات جعلته يوءم مدرسة المدينة الكبرى مدة أربع وعشرين سنة ، وهى مدة خلافة الخلفاء الثلاثة ، وقد أبعد فى حينه هو وجميع بنى هاشم عن مباشرة المسئولية السياسية ، ولكن مدرسته التوجيهية والتربوية بقيت قائمة لتضم الافا من الناس مسلمين وحتى غير مسلمين. هذه السنوات اذا أضيفت الى سنوات خلافته الفعلية ألفت لدينا منهاجا ضخما . ودستورا دقيقا لكل الامور التربوية . فكان يقف على الناس خطيبا فى أغلب الاحيان ليوجههم فى أمور حياتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وروابطهم الروحية ، ولهذا يحق لنا أن نتخذه معلما فى التربية الخلقية والروحية والاجتماعية ، وحين كان يوجه ارشاداته للناس على اختلاف مللهم ونحلهم ثم يأمر ولاته أن يأخذوا جانب الانصاف والعدل مع الناس دون تفريق وتمييز ، انما كان يمثل لنا شعارا حيا من شعارات التربية الانسانية الوطنية (٥) .

" وساعة كان يختلى فى ضيعة له ليزرعها ويحصدها ليعيش على محصولها دون أن يكون اتكاليا أو كسولا ، انما كان يرسم لنا مخططا شاملا للتربية المهنية وساعة كان يختلى بأولاده وعياله ليلقنهم ارشاداته وأحكامه أراد لنا أن يكون مثالا فى تربية عياله . ويوم برز للناس يعلمهم ويبصرهم بشئون نفوسهم وحقائق خلقتهم انما كان يوضح طبيعة الانسان القادرة على التغيير والتبدل والتكيف" (٦) .

---

(١) سبط بن الجوزى: تذكرة الخواص - مرجع سابق - ص ٢٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٧ .
(٣) محمد عبده : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٣٦ .
(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٠٠ .
(٥) على محمد الحسين الاديب : منهج التربية عند الامام على - المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - ص ٢٤ .
(٦) المصدر السابق : ص . ص ٢٤-٢٥ .

يقول عمر أبو النصر :" كان على بن أبى طالب يصرف جهوده فى المدينة ، لتوجيه نشاط العنصر الناشىء الى الناحية العلمية ، فشرع مع ابن عمه عبد الله بن العباس ، فى القاء محاضرات اسبوعية فى المسجد الجامع ، فى الفلسفة والمنطق ، والحديث والبلاغة والفقه ، بينما تفرغ غيرهما الى القاء محاضرات فى شئون أخرى . وهكذا تألفت نواة الحركة العلمية ، التى ترعرعت وزهت بعد حين فى (بغداد) عاصمة العباسيين" (١) . ولهذا " كان على فى أيام عزلته منقطعا لدراسة تعاليم الدين فى ضوء العقل ، ويقول أحد المؤرخين الفرنسيين" لولا اغتيال على ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامى تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتوفيق بين العقل والشرع ووضع المبادىء الاولى للفلسفة الحقة موضع التنفيذ" (٢) .

يقول أبو زهرة :" ثم ان هناك على بن أبى طالب الذى مكث نحوا من ثلاثين سنة بعد أن قبض الله تعالى رسوله اليه يفتى ويرشد ، ويوجه ، وقد كان غواصا طالبا للحقائق ، وقد أقام فى الكوفة نحو خمس سنوات ، ولا بد أنه ترك فيها فتاو وأقضية ، وكان فيها المنفرد بالتوجيه والارشاد ، وأنه قد عرف بغزارة فى العلم كرم الله وجهه وعمق وانصراف الى الافتاء فى مدة الخلفاء قبله ، والمشاركة فى كل الامور العميقة التى تحتاج الى فحص وتقليب للامور من كل وجوهها ، مع تمحيص وقوة استنباط" (٣) . وفى ذلك يقول العسقلانى :" . . . ولم يزل بعد النبى (ص) متصديا لنصر العلم والفتيا" (٤) .

وقد نفذت تعاليم الامام على وارشاداته فى نفوس جميع المسلمين ، فكان الملجأ وقت الشدة والحيرة ، فيما اذا عجزت العقول الانسانية المحيطة به ، فيتداركها بعقلية الامام الخبير حتى قال فيه عمر بن الخطاب :" عجزت النساء أن يلدن عليا ، ولولا على لهلك عمر . وقال : اللهم لا تبقنى لمعضلة ليس لها على حيا . . . . " (٥) . وهكذا كان الامام على مؤسس مدرسة المدينة والمعلم

---

(١) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٠١ .
(٢) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص.ص٢٤٨-٢٤٩ .
(٣) أبو زهرة : الامام الصادق : مرجع سابق - ص ١٦١ .
(٤) العسقلانى : الاصابة - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٥٦٦ .
(٥) القندوزى : ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٧٤ . وأيضا ابن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة - مرجع سابق - ص١٢٦-١٢٧ . والسيوطى : تاريخ الخلفاء - مرجع سابق - ص ص ١٧٠ - ١٧١ . والمحب الطبرى : الرياض النضرة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩٣-١٩٤ . والعسقلانى : الاصابة مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٥٦٨ .

الاول بعد النبى (ص) ، وواضع أسس العملية التربوية فى الاسلام بعد رسوله الكريم ، وسار من بعده أبناؤه وشيعته فى تغذية هذه المدرسة ونشر العلوم الانسانية والدفاع عن العقيدة الاسلامية .

الامام على وجمع القرآن :

ان نظرة الامام على الفكرية الشاملة فى قضايا الشريعة وحكومة العقل ، لم تدع مجالا من مجالات الحياة الا وكان له القدم الراسخ فى تأصيله والكشف عن خباياه . ومن هذا المنطلق سارع الى جمع القرآن بعد أن انتقل الرسول (ص) الى الرفيق الاعلى ، ليحفظ هذا التراث الاسلامى من التغيير والتبديل على حسب ما أنزله الله . يقول السيوطى :" وعلى - رضى الله عنه - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد العلماء الربانيين . . . . وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبى عليه الصلاة والسلام . . . " (١) . وعن أبى داود عن محمد بن سيرين قال :" لما توفى النبى (ص) أبطأ على عن بيعة أبى بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ فقال : لا ، ولكن اليت أن لا أرتدى بردائى الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه على تنزيله ، فقال محمد : لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه العلم" (٢) . والمراد من قوله كان فيه العلم ، أى أن الامام قد فسر القرآن مع جمعه حسب ما جاء عن النبى (ص) من حيث التنزيل والمعنى - وهذا مصداق ما أخرجه ابن سعدون وغيره عن أبى الطفيل قال : قال على : سلونى عن كتاب الله ، فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفى سهل أم فى جبل" . وقوله : " والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربى وهب لى قلبا عقولا ، ولسانا صادقا ناطقا " (٣) .

يقول ابن أبى الحديد :"وأما قراءته القرآن والاشتغال به فهو المنظور اليه فى هذا الباب ، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء - مرجع سابق - ص ١٦٦ . وأيضا المتقى الهندى: كنز العمال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٧٣ . وابن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة - مرجع سابق - ص ١٢٨ .

(٢) السيوطى : المصدر السابق : ص ١٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٥ . وأيضا المتقى الهندى : كنز العمال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٥٧ . وأيضا المحب الطبرى : الرياض النضرة - مرجع سابق جـ ٢ - ص ١٩٨ .

أبى بكر . . تشاغل بجمع القرآن ، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن . . " (١) .

يقول أبو رية فى موضوع كتابة القرآن الكريم ، وعما جاء فى هذا الامر الخطير الذى تشعبت فيه الرواية . " ومن شاء أن يقف على كل ما قيل فى هذا الامر فليرجع الى كتاب " الاتقان" للسيوطى، وكتاب " البيان" للجزائرى ، والجزء الاول من " البيان فى تفسير القرآن" للعلامة المحقق الكبير السيد أبو القاسم الخوئى ، وهذا الكتاب وحده كاف فى بيان هذا الامر ، لان مؤلفه الجليل قد درسه درسا وافيا ، وفصل فيه القول تفصيلا بحيث لاتجد مثله فى كتاب آخر حتى ليجب على كل مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علما ومعرفة . ثم يستطرد فى القول : من أغرب الامور ، ومما يدعو الى الحيرة أنهم لم يذكروا اسم على (رض) فيمن عهد اليهم بجمع القرآن وكتابته ، لا فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عثمان ، ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة فى العلم والفقه ، فهل كان على لا يحسن شيئا من هذا الامر ؟ أو كان من غير الموثوق بهم ؟ أو ممن لا يصح استشارتهم أو اشراكهم فى هذا الامر ؟ . اللهم ان العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون على أول من يعهد اليه بهذا الامر ، وأعظم من يشارك فيه وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ لغيره من بين الصحابة جميعا . . . فاذا لم يدع الى هذا الامر الخطير فالى أى شيء يدعى ؟ . واذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطيهم اياه فى امر خلافة أبى بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها ، فبأى شيء يعتذرون من عدم دعوته لامر كتابة القرآن ، فبماذا نعلل ذلك ؟ وبماذا يحكم القاضى العادل فيه ؟ حقا ان الامر لعجيب. . . " (٢) . ولهذا يقول جرجى زيدان : " ومع تشديد الصحابة فى التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف على" (٣) . وفى ذلك يقول دونلدسن :" وتؤكد بعض الروايات أنه كان عند على نسخة من القرآن جمعها بنفسه وعلق عليها بعض الحواشى حسب ما كلم الرسول (ص) به . . " (٤) .

---

(١) ابن أبى الحديد : شرح النهج - مرجع سابق - جـ ١ - ص٩ . وأيضا القندوزى : ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٤٩ . وأيضا احمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى : أنساب الاشراف - تحقيق د . محمد حميد الله دار المعارف بمصر - ١٩٥٩ - جـ ١ - ص ٥٨٦-٥٨٧ . وأيضا ابن النديم : الفهرست - القاهرة - مطبعة الاستقامة - بدون تاريخ - ص ٤٧-٤٨ .

(٢) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص.ص٢٢١-٢٢٢ .

(٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٦٦ .

(٤) دوايت م. دونلدسن : عقيدة الشيعة - تعريب ع.م - مصر - مطبعة السعادة - ١٩٤٦ - ص ٦٣ .

" الحركة العلمية عند الشيعة في المدينة بعد عهد الامام علي " :

ان أول ما يواجهنا من شيعة على الذين قاموا بدور كبير في الحياة الدينية والفكرية عبد الله بن عباس ." . . فقد كان واسع الاطلاع في نواح مختلفة ، يعرف الشعر والانساب وأيام العرب ، ويجتهد في تعرف ما عند الصحابة من حديث وعلم" (١) . كما كان من أخص تلاميذ الامام علي ، وفي ذلك يقول :" انه ما انتفع بكلام بعد كلام رسول الله (ص) كما انتفع بكلام علي بن أبي طالب. . " (٢) .

استمر عبد الله بن عباس في حياة الامام علي وبعد وفاته في تشجيع الحركة العلمية ، فكان هو بنفسه مع أبناء علي وشيعتهم يقودون الحركة العلمية ، حتى بلغت الذروة في عهد الامام الصادق ، حيث فتح هو وأبوه الامام محمد الباقر مدرسة المدينة الكبرى . ولهذا فقد اشتهر عدد قليل من الصحابة بالقول في تفسير القرآن ، وأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب . يقول أحمد أمين :"ولنقصر قولنا على الاربعة الاولين لانهم أكثر من غذى التفسير في مدارس الامصار المختلفة. والصفات العامة التي مكنت هؤلاء الاربعة الاولين من التبحر في التفسير قولهم في اللغة العربية واحاطتهم بمناحيها واساليبها ، ومخالطتهم للنبي (ص) مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التي نزلت فيها آيات القرآن ." (٣) . ولهذا قام ابن عباس بعملية التعليم في المدينة ومكة ، بما أوتي من علم في التفسير والحديث والفقه والادب - وحساب الفرائض وأسباب النزول ، والمغازي ، كما كان على علم ببعض الكتب الاخرى كالتوراه والانجيل . وكان أكثر حياته حياة علمية يتعلم ويعلم ، والى عبد الله بن عباس وأصحابه يرجع الفضل كذلك لمدرسة مكة من شهرة علمية . (٤)

وقد ترأس مدرسة المدينة بعد ذلك الامام علي بن الحسين ومحمد بن الحنفية ، يقول أبو زهرة :". . ان عليا (رض) قد استشهد وقد ترك وراءه من ذريته أبرارا أطهارا كانوا أئمة علم الاسلام ، وكانوا ممن يقتدى بهم. . . وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية ، فأودعهم (رض) ذلك العلم" (٥) . وقد "أدت نكبة كربلاء كما أدى نهب المدينة الى انقطاع حلقة الدروس التي كان يلقيها أئمة اهل البيت ، ثم عادت الحياة الى هذه الحلقة بظهور جعفر الصادق الذي كان ميالا الى حرية الرأي والفكر كما كان عالما . . . وحكيما وملما فيما يظهر ببعض اللغات الاجنبية . . . " (٦) .

---

(١) أحمد أمين : فجر الاسلام - مرجع سابق - ص ١٤٨ .
(٢) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص١٦٣ .
(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام - مرجع سابق - ص٢٠٢ .
(٤) المصدر السابق : ص . ص ١٧٣-١٧٤ .
(٥) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص١٦٣ .
(٦) السيد أمير علي : روح الاسلام ، ص

فعلى بن الحسين يعتبر الموءسس الثانى للمدرسة الاسلامية الشيعية ، حيث أن جده على بن أبى طالب هو الموءسس الاول ، ولهذا "كان عميد آل البيت بعد استشهاد الامام الحسين . . . وقد اختار على زين العابدين أن يعلم الناس وأن يفقههم بأمور دينهم ، وأخذ أولاده بالنظر فى علوم الدين ، وأعدهم ليكونوا من بعده أئمة صالحين" (١) .

وقد التزم الامام على بن الحسين باسلوب بليغ فى توعية الناس وارشادهم ، ذلك هو الدعاء ، حيث كان السلاح الوحيد الذى يملكه فى نشر العلم والعرفان وبث الدعوة الاسلامية ، والتغلغل فى صفوف الناس وتوجيههم الوجهة الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ، مما جعله يكسب أهمية بالغة من هذه النواحى (٢) . حتى ألف رسالة الحقوق وهى من الاعمال الفكرية السامية فى الاسلام تحتوى على توجيهات وتعليمات وقواعد فى السلوك العام والخاص من أدق ما يعرفه الفكر الانسانى (٣) . يقول السيد محمد باقر الصدر : " وكما اتخذ جده من المسجد ومن بيته مكانا يلتف حوله فيه طلاب العلم الوافدون من كل مكان ، وكما كانت مجالس جده درسا فى شتى المعارف الاسلامية ، فكان بذلك الموءسس الاول للدراسات الاسلامية كذلك كان حفيده زين العابدين على بن الحسين ، فمنذ سنة ٦١ الى سنة ٩٥ ، أى طيلة خمس وثلاثين سنة كان منزله وكان المسجد مدرسته يزدحم فيها الطلاب عليه ، فبينما كانت الدولة مشغولة باستبدادها واستنزاف دماء الشعب وسلب أمواله واضطهاد أحراره ، كان على بن الحسين مشغولا بنشر العلم وبعث الثقافة وانارة الافكار ، وتهذيب الاخلاق فكثر تلاميذه والاخذون عنه فى أنواع العلم ، وأصبح أولئك التلاميذ وتلاميذهم بناة الحضارة الاسلامية ورجال الفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى والادب الاسلامى" (٤)

" فعلى زين العابدين كان امام المدينة" (٥) . وقد كان للمسلمين عموما تعلق عاطفى شديد بهذا الامام وولاء روحى عميق له ، وكانت قواعده الشعبية ممتدة فى كل مكان من العالم الاسلامى ، وقد قدر للامام زين العابدين أن يستلم

(١) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ١٦ .
(٢) نافع الخفاجى : فى رحاب الامام زين العابدين - بغداد - دار الانوار ١٩٧٨ - ص ٥٩-٦٠ .
(٣) محمد باقر الصدر : على بن الحسين زين العابدين - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٦٦-٦٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ٦٦ .
(٥) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص ٦٨٨ .

مسئولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه ، فمارسها خلال النصف الثانى من القرن الاول للهجرة ، وكان الخطر يحيط بالامة الاسلامية نتيجة الفتوحات وما نجم عنها من انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة ، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التى دخلت فى دين الله أفواجا ، وكان لابد من عمل على الصعيد العلمى يؤكد فى المسلمين اصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنة ، وكان لابد من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الاطار لكى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير والممارس الذكى الذى يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده فى كل ما يستجد له من حالات ، كان لابد اذن من تأصيل للشخصية الاسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد (١) . وهذا ما قام به الامام على بن الحسين عليه السلام ، فقد بدأ حلقة من البحث والدرس ، يحدث الناس بفنون المعرفة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه ، ويفيض عليهم من علوم آبائه ، ويمرن النابهين منهم على التفقه والاستنباط ، وقد تخرج من مدرسته عدد مهم من فقهاء المسلمين ، وكانت هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه والاساس لحركته الناشطة . وقد استقطب الامام عن هذا الطريق الجمهور الاعظم من القراء وحملة الكتاب والسنة حتى قال سعيد بن المسيب :" ان القراء كانوا لايخرجون الى مكة حتى يخرج على بن الحسين فخرج وخرجنا معه ألف راكب" (٢) وفى ذلك يقول ابن شهاب الزهرى الذى تتلمذ لزين العابدين " ما رأيت أفقه من على بن الحسين (رض) وكان ابن شهاب لمحبته وكثرة استفادته من مجالسه يكثر الجلوس اليه ،وكان يقول :" كانت أكثر مجالستى لعلى بن الحسين" (٣) .

يقول الدكتور أحمد صبحى :" . . ولكن زين العابدين قد أقدم على مازعزع التركيب الاجتماعى للمجتمع الاسلامى الذى أراد له الامويون أن يقوم على العصبية وذلك لانه زوج جارية سندية أرضعته وكفلته وأصبحت فى مكانة أمه المتوفاه ، زوجها من مولاه وأعتق جارية له وتزوجها ، وليس هذه الحادثة من امام عملا شخصيا ، وليس أدل على خطورتها من أن عبد الملك بن مروان انزعج لذلك وأرسل اليه يعيره ، فكان رده عليه : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لقد اعتق رسول الله جاريته صفية وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت

(١) محمد باقر الصدر : الصحيفة السجادية - دار التبليغ الاسلامية - بدون تاريخ ص١١-١٢ .

(٢) المصدر السابق : ص. ص ١٢-١٣ . وأيضا عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٦٠ .

(٣) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص١٥٧ . وأيضا سبط بن الجوزى : تذكره الخواص - مرجع سابق - ص٣٣١ .

جحش" [١] ." وهذا هو على بن الحسين ورث امامته من انتسابه الى فاطمة الزهراء ، ورسم للشيعة طريق الامامة الروحية" [٢] .

وهكذا كانت العملية التربوية والتعليمية تتجسد فى كيان الائمة ، وهكذا تتحول من الناحية النظريةالى سلوك عملى ، لتتضح أمام شيعتهم ومريديهم ، حتى يكونوا القدوة فى السلوك العملى ، حفاظا على روح العقيدة الاسلامية .

" مدرسة المدينة ودور الامام الباقر والصادق فى تأسيسها" :

تأسست مدرسة أهل البيت فىعهد الامام محمد الباقر فى وقت كانت الدولة الاموية تحيط بها الاخطار من جميع جهاتها ، واتسعت لاكثر من أربعة الاف طالب . يقول الدكتور صبحى الصالح :" وبلغ عدد الرواة الثقات من أصحابه ـ أى الصادق ـ أربعة الاف رجل . ولسنا نستغرب هذا ، بل قد كان ممكنا أن نستغرب عكسه لو وقعونقل ، لان النزاع حول الامامة والعصمة كان قد بلغ فى عصر الصادق أشده ، . . واهل البيت . . . . أعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه ، فلاعجب اذا اتجهوا الى التعليم والمناظرة والتدريس. ." [٣] .

فعلى زين العابدين كان امام المدينة ، وكان ابنه محمد الباقر وريثه فى امامة العلم ،ولهذا كان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى ، ومازار أحد المدينة الا عرج على بيتمحمد الباقر يأخذ منه ،كما أن أئمة الفقه كانوايقصدونه كسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ،وأبى حنيفة شيخ فقهاء العراق ، وكان يرشد كل من يجيىء اليه ، ويحاسبهم على ما يبدر منهم ليحملهم على الجادة وهم يقبلون منه طائعين ، ولهذا ثبتت امامته للعلماء ،يأخذون منه ويتعلمون مختلف العلوم والفنون الاسلامية فى مدرسته [٤] ." نطق بالحكمة الرائعة ورويت عنه عبارات فى الاخلاق الشخصية والاجتماعية ،مالو نظم فى سلك لتكون منه مذهب خلقى سام يعلوا بمن يأخذ به الى مدارج السمو الانسانى" [٥] .

---

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة ـ مرجع سابق ـ ص.ص ٣٥٦-٣٥٧ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٥٧ .
(٣) صبحى الصالح : معالم الشريعة الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص.ص.٥٠-٥١ .
(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص.ص٦٨٨ - ٦٨٩ .
(٥) المصدر السابق : ص ٦٩٠ .

يقول ابن حجر :". . . أبو جعفر محمد الباقر - سمى بذلك : من بقـــــر الارض أى شقها واثار مخبآتها ومكامنها ، فلذلك هو أشهر من مخبآت كنـــــوز المعارف وحقائق الاحكام والحكم واللطائف . . . ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلـــم وجامعه وشاهر علمه ورافعه . صفا قلبه وزكا علمه وعمله " (١) . ولهذا شمر عن ساعدى الجد لاستكمال ما بدأه أبوه على بن الحسين فى عمله التغييرى من خلال تبنيـــــه السياسة التعليمية ومارس نشاطا تثقيفيا على أعلى المستويات من أجل دفع الحركـــة العلمية والتغييرية بمزيد من الكوادر الرسالية العالية ، وعلى هذا استقطـــــب نشاط الامام الباقر الكثير من رواد المعرفة الاسلامية وشدت اليه الرحال من جميـــع أطراف الدولة الاسلامية المترامية ، تلامذة ومحاورين وطالبى علم ، وقصده أغلـــب رجالات الفكر للاصابة من فيض علمه المتدفق (٢) .

ولقد امتازت مدرسة أهل البيت فى عصر الباقر بمعارفها وسعتها وذلـــك لما يقتضيه المستوى الفكرى الذى يحظى به الامام الباقر (ع) تتجلى بعمق خـــلال تصريح عبد الله بن عطاء حيث يقول :" ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما منهـــم عند أبى جعفر ، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب ، ويعنى بالحكم ، الحكم بـــن عيينه وكان عالما . . " (٣) ولهذا بلغت المدينة فى عهد الباقر الذروة فى العلـــم والافتاء ، حتى أن الحاكم عمر بن عبد العزيز كان ينشر علم أهل المدينة بيـــن الناس (٤) . بالاضافة الى ذلك فان مدرسة المدينة التى ازدهرت فى عهد محمـــد الباقر وجعفر الصادق ، من الاسباب التى أدت الى ظهور الاتجاهات الفلسفيـــة بين العرب ، ولهذا نبغ فى أواخر عهد الامويين عدد كبير من المفكرين المسلميـــن ، مما أدى الى اقبال الناس على سماع محاضراتهم التى كانت تعالج من المسائـــل ما يشغل بال الناس ، كما أثرت أفكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا فى افكار الاجيـــال المتعاقبة (٥) . ولهذا اجتمع حول الامام جعفر الصادق نجوم لامعة من العلمـــاء الموهوبين ، وكان اجتماع هذا العدد الكبير من العلماء ذوى الثقافات المختلفـــة مما شجع الحركة العلمية والادبية فسرى منها تيار الى دمشق (٦) .

(١) ابن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة - مرجع سابق - ص ٢٠١ .
(٢) لجنة التاليف فى دار التوحيد : الامام الباقر - الكويت - دار التوحيد - ١٩٨٢ ص ٣٠ .
(٣) سبط بن الجوزى : تذكرة الخواص - مرجع سابق - ص ٣٣٦ .
(٤) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ١٥٩ .
(٥) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥١ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٥٠ .

وكما تعددت المضامين والحقول المعرفية عند الامام الباقر ، كذلك تعددت أساليب عرضه للفكر الاسلامى ،فتارة بطريقة الحلقات العلمية ، كما فى التدريس لتلاميذه ورواد فكره وتارة أخرى من خلال المناظرات ، وتارة فى اللقاءات العامة كمراسم الحج ، واخرى فى المحاورات والاحاديث والوصايا والوعظ وسوى ذلك من اساليب وطرق التدريس(١) . ومن هنا أعطيت لتلك الحلقات المختلفة التى كانت تجتمع فى مسجد المدينة الى الامام الباقر بالذات اسم " الجامعة " لانها كانت تجمع بين الحين والاخر المئات من مختلف الاقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم ، وتخرج منها منذ أسسها الامام محمد الباقر حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها فى عهد ولده الامام الصادق الافالعلماء فى مختلف العلوم.(٢) .

فى هذه المدرسة تعلم جل علماء المسلمين ورواد الحركات العلمية من الشيعة وغيرهم ، حتى " كان عددهم أربعة الاف من مشهورى أهل العلم" (٣). وأن أئمة الشيعة " كان لهم أصحاب لازموهم وأخذوا العلم عنهم فأودعوهم بطون الكتب وصدور الرجال" (٤) . كما تخرج منها كثير من العلماء من غير الشيعة ، فهذا الحسن البصرى كان يعيش فى ذلك الوقت ، " وقد ولد بالمدينة وتلقى العلم على يد حكماء ال البيت، فتشبع بآرائهم الحرة. . " (٥) . " وسار واصل على نهج علماء العلويين ، واحتضن المبادىء التى وضعوها والاراء التى نادوا بها" (٦) . وهكذا كانت هذه المدرسة العلوية فى آخر القرن الاول ونصف القرن الثانى للهجرة أكبر مصادر النور والعرفان بالمدينة المنورة ، وكانت تضم علماء من الذين يتشيعون لال البيت ، وعلماء من اهل السنة . . . وكان يقصدها من أئمة الفقه والحديث كثيرون ، منهم سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، ومنهم أبو حنيفة فقيه العراق(٧).

---

(١) لجنة التاليف فى دار التوحيد : الامام الباقر - مرجع سابق - ص ٣٢ . وانظر دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص.ص١٢٤-١٢٣ .

(٢) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢١٠.

(٣) رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة - مرجع سابق - ص٦١ - هامش ٤٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦١ .

(٥) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٠٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٠٤ .

(٧) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٢ . وأيضا عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٤٠ .

يقول السيد أمير على :" ولكن أئمة آل البيت كان لهم - على الرغم من انصراف الحكام عن العلم والفلسفة - تأثير غير يسير فى تنشيط الحياة العقلية عند العرب والشعوب الخاضعة لسلطانهم ، فبينما كان الامويون يثبطون الهمم عن طلب العلم كان أبناء فاطمة يشجعون على تحصيله ، ولم يتعلقوا بالماضى ، وتقليد السلف ، بل اهتدوا بنبراس الرسول ، ووضعوا نصب أعينهم تطور الانسانية وعكفوا على دراسة سائر فروع المعرفة والعلم" (١) .

ففى هذا العصر الذى أسست فيه المدرسة العلمية ، والتى كانت امتدادا لمدرسة على بن الحسين المؤسس الثانى لمدرسة المدينة بعد جده الامام على كان يقود الحركة العلمية فى هذه المدرسة محمد الباقر وابنه جعفر الصادق واخوه زيد بن على، وكان مع هؤلاء فى المدينة أيضا عبد الله بن الحسن ، وكل هؤلاء أئمة اخذ عنهم فقهاء العصر ، وائمة الفقه (٢) . وهكذا كان أساس الحركة العلمية فى الاسلام هم أئمة الشيعة . ولهذا " أثرت افكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا فى أفكار الاجيال المتعاقبة" (٣) .

امتدت هذه المدرسة واتسعت اتساعا كبيرا فى عهد الامام الصادق ، فقد عاش الصادق مع أبيه محمد الباقر مؤسس المدرسة نحوا من خمسة وثلاثين عاما ، أدرك منها فى مطلع شبابه بوادر الانحلال الذى كان يهدد دولة الامويين بالانهيار ، وفى تلك الفترة وما تلاها من الفترات رافق تلك الحلقات العلمية التى كانت فى مسجد المدينة وخارجه باشراف أبيه الباقر ، وتتألق كما تؤكد المصادر الموثوقة من مئات الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الاسلامية . وهو الى جانب أبيه يلقنه من علوم الدين وأسرار الكون وغير ذلك مما ورثه عن آبائه عن النبى (ص) . وظل الى جانب أبيه الباقر الى آخر حياته ، ومدرسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية توالى نشاطها فى مختلف المواضيع فيما يخدم مصلحة الاسلام الى أن وافت المنية الامام محمد الباقر سنة ١١٤ هـ(٤) .

وقد بلغت تلك المدرسة فى عهد الصادق - وكان هو نفسه من نتاجها الغنى بالبذل والعطاء - بفضل جهوده ، ذروة نشاطها فى شتى فنون العلم ، فقد

(١) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : الامام زيد ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه - دار الفكر العربى - ١٩٧٤ - ص ٣١ .
(٣) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥١ .
(٤) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥٢ .

أخذ على عاتقه بعد وفاة أبيه أن يتابع المسيرة من حيث انتهى والده الباقـــــر ، فحارب الجهل والفساد والظلم ، وفرض على دعاة الخير من أصحابه أن يكونـــوا القدوة الصالحة بأعمالهم قبل أقوالهم ، لان الناس انما ينظرون الى القادة مـــن خلال سلوكياتهم ، أما الاقوال التى تصدر من الوعاظ والدعاة الى الخيـــــر فليس بأشد تأثيرا منها ، وهى مسطورة فى الكتب أو منقوشة على الجدران ، وحتى تتحقق دعوته الغاية المنشودة كان يقول لاصحابه : أوصيكم بتقوى الله واداء الامانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وأن تكونوا لنا دعاة صامتين . . .

وقد وقع هذا القول عندهم موقع الاستغراب ، وكيف يكونون صامتين وهـــــم يدعون الى الخير ، فقالوا : يا ابن رسول الله كيف ندعو الى الله ونحن صامتون ، فقال (ع) : تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعـــدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الاعلـــى خير ، فاذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا اليه . . "(١) .

يقول السيد محمد باقر الصدر : " ان مدرسة الصادق (ع) كانت امتدادا لمدرسة أبيه وجده . وهذه المدرسة كانت من الاحداث الخطيرة ، فهى لم تكن بأى حـــال من الاحوال مدرسة خاصة فيها لون خاص من المعارف والعلوم ، وانما كانت تبنـــى عقولا وتنشىء أجيالا ، وتؤسس صروحا من الثقافة ، ودنيا من التوجيه ، وتضـــع دستورا شاملا لاصلاح الحياة وتطويرها وتقدمها فى جميع الميادين "(٢) . " وهـــداه هذا التفكير الى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب والنبات والادويـــة لانها علوم تحقق مصالح الناس ، وتحرر الفكر ، وتهديه الى الايمان العميق الحـــق الراسخ "(٣) . ولهذا كان الامام الصادق ، " . . أكثر أئمة المذهب - كما يراه الدكتور أحمد صبحى - آراء فى كل لون من ألوان المعرفة آنذاك ، ولا تقف معرفته عنـــد علوم الدين فحسب ، بل تجاوز ذلك الى الكيمياء والطب وغير ذلك من العلوم التـــى تبدو بعيدة الصلة عن الامامة الدينية "(٤) . وهكذا درس الصادق كل العلوم التـــى كانت شائعة فى عصره ، كما قام بتدريسها وتعليمها لطلاب العلم(٥) . ولهـــذا

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٢٣٩ - ٢٤٠ . وأيضا ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١١ .
(٢) محمد باقر الصدر : الامام الصادق - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابـــق جـ٢ - ص ٧٦ .
(٣) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٤٠ .
(٤) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ٣٦٢ .
(٥) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٦٦ .

" أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم . . " (١) .

ولد الامام جعفر الصادق سنة ثمانين للهجرة ، وتوفى سنة مائة وثمان واربعين ، ومن مميزات هذا العصر انتشار العلوم الاسلامية فيه من تفسير وفقه وحديث وعلم الكلام والجدل والانساب واللغة والشعر والادب والكتابة والتاريخ وغيرها . وكان الصادق أشهر أهل زمانه علما وفضلا ، قال مالك بن أنس امام المذهب : " مارأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد فضلا وعلما وعبادة وورعا ، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد " (٢) . ويقول فيه الشهرستانى : " وهو ذو علم غزير فى الدين ، وأدب كامل فى الحكمة ، وزهد بالغ فى الدنيا ، وورع تام عن الشهوات" (٣) .

وقد اختار الصادق المدينة دار الهجرة ، ومهبط الوحى ، فجعلها معهده الكبير ومدرسته العظمى وقد ازدهرت المدينة بهذه المدرسة العلمية واستعادت نشاطها فى توجيه الركب الاسلامى نحو الخير والسعادة (٤) . " . . . ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته فى جميع البلدان ، وروى عنه الائمة الاكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانيين وأبى حنيفة وأيوب السختيانى . . . " . كما يقول ابن حجر الهيتمى (٥) .

وقد فتح الامام جعفر الصادق معهده ومدرسته لجميع المسلمين ، والتحق بها جمع غفير من رواد العلوم على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، فكان عددهم من اضخم ما ضمته المدارس العلمية فى ذلك العهد ، وفيهم من كبار العلماء والمحدثين الذين أصبحوا فيما بعد أئمة ورؤساء لبعض المذاهب الاسلامية (٦) .

وكان الامام الصادق يحث تلاميذه ومريديه على دراسة علوم الحياة المختلفة ، وكان يزود بعض تلاميذه لما يحتاجون اليه من أدوات فى بحوثهم العلمية ، فقد زود تلميذه جابر بن حيان بمعمل وأمره أن ييسر كتاباته لينتفع بها الناس ، كما

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١١٥ .
(٢) محمد باقر الصدر : الامام الصادق - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٧١ . وأيضا محمد أبو زهرة - الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٧٧ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١١٥ .
(٤) القندوزى : ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٠ ص ٧٦-٧٧ .
(٥) ابن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة - مرجع سابق - ص ٢٠١ .
(٦) محمد باقر الصدر : الامام الصادق - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٧٧ . وايضا صبحى الصالح : معالم الشريعة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٠ ص ٥٠-٥١ . وأيضا السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٢٥ .

خصص له وقتا فى كل يوم يدرسه فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب ، وكشف لـــــه من تبصره بالفقه كثيرا من المعارف العلمية ، وهداه بالمعارف العلمية الـــــى التمكن من الفقه (١) .

وسارع للانتمام لمدرسة أهل البيت فى المدينة جميع عشاق الفضيلة والعلـــــم من شتى الاقطار الاسلامية ، عربا وغير عرب ، ويحدثنا الاستاذ عبد العزيز سيـــــد الاهل عن مدى ذلك النشاط فى الالتحاق بمدرسة الامام أو جامعة أهل البيـــــت بقوله :" وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جعفر بن محمد أفلاذ اكبادها من كل قبيلة من بنى أسد ومن غنى ومخارق ، وسليم ، وغطفان ، وغفار ، والازد ، وبنى ضبه ، ومن قريش ، ولاسيما بنى الحارث بن عبد المطلب ، وبنى الحسن بن على" (٢).

وقد حاول المنصور أن يحرج الامام الصادق ، فاستدعى أبا حنيفة النعمـــــان وقال له : فتن الناسَ جعفرُ بن محمد فهيىء له من المسائل الشداد . . ثـــــم استدعى الامام الصادق وأبا حنيفة وجلس الناس ، ما انفك أبو حنيفة يسأل الامـــــام فى الاربعين مسألة ، والامام يجيبه عن كل مسألة ، فيقول فيها رأى فقهاء الحجـــاز ، ورأى فقهاء العراق ، ورأى فقهاء ال البيت ورأيه هو . وطرب أبو حنيفة وقال عـــــن الامام جعفر : " انه أعلم الناس فهو أعلمهم باختلاف الفقهاء" وصحبه أبو حنيفـــــة النعمان بعد ذلك مدة سنتين يتلقى عنه العلم (٣) . ولهذا قال الخليفة المنصـــور فيه يوم علم بوفاته :" ان جعفرا كان ممن قال الله فيه :" ثم أورثنا الكتاب الذيـــــن اصطفينا من عبادنا " . وكان ممن اصطفى الله ومن السابقين بالخيرات" (٤) .

التقى الامام الصادق مرة بابن العوجاء ، وهو داعية من دعاة الزندقة بالعراق ، فلما رأى الصادق واسترعاه ما عليه من سمت ، وأخذ الصادق يتكلم لم يحر جوابـــــا ، حتى تعجب الصادق والحاضرون ، فقال له ما يمنعك من الكلام ؟ ويقول الزنديـــق : " بدا جلال لك ومهابة ، وما ينطق لسانى بين يديك ، فانى شاهدت العلمـــــاء ، وناظرت المتكلمين ، فما داخلنى هيبة مثل ما داخلنى فى هيبتك " (٥) . بالاضافـــة

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص٤١ . وانظر المنهج التجريبى من الفصل السابع من هذا البحث .

(٢) محمد باقر الصدر : الامام الصادق - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٧٧ . وأيضا هاشـــم معروف الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ٢ - ص ٢٠١ .

(٣) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٤٩ . وأيضـــــا محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٩٥ .

(٤) صبحى الصالح : معالم الشريعة الاسلامية - مرجع سابق - ص-ص٥٠-٥١ .

(٥) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٨٦ .

الى ذلك ، فقد كان الصادق " على علم دقيق بالفلسفة وعلى علم بمواضع التهافت عندهم ، وأنه كان مرجع عصره فى رد الشبهات ، وقد كان بهذا جديرا ، وذلك لانصرافه المطلق الى العلم ، ولانه كان ذا أفق واسع فى المعرفة ، لم يتسن لغيره من علماء عصره ، فقد كانوا محدثين أو فقهاء أو علماء فى الكلام أو علماء فى الكون ، وكان هو كل ذلك . . " (١) . كل ذلك مما ساعده كثيرا على املاء العلوم ، وتوضيح الغوامض وتربية العلماء القادرين على حمل هذه الافكار بأمانة ، وتطويرها بعمق ، ومن ثم جعلها المنطلق نحو بناء الحضارة الاسلامية المنشودة (٢) .

" نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت فى المدينة" :

لابد لنا ونحن نتحدث عن الامام محمد الباقر وجعفر الصادق ودورهما فى تأسيس هذه المدرسة ، أن نشير الى بعض من تخرج منها وحمل آثارها الى مختلف الاقطار ، سواء أكانوا من شيعتهم أم من غير الشيعة على السواء .

أما الذين تخرجوا من هذه المدرسة من غير الشيعة ، وأصبحوا رؤساء مذاهب منهم الامام مالك وأبو حنيفة والشافعى . فقد " أفاد الامام مالك من صحبة الامام جعفر وأخذ عنه كثيرا من طرق استنباط الحكم ووجوه الرأى وأخذ عنه الاحكام فى المعاملات . . . وكما أخذ من الامام الصادق جعفر بن محمد أخذ من أبيه الامام الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب . لزم مالك مجلس الامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر وتعلم منهما على الرغم من أن رأيه فى الامام على بن أبى طالب (رض) لم يُرْضِ آل البيت وشيعتهم . . " (٣) . بالاضافة الى هؤلاء فقد تتلمذ مالك على تلاميذهم أيضا ، يقول بروكلمان : " وأخذ مالك بن أنس عن نافع القارئ ، وكان يتشيع " (٤) . يقول السيد أمير على : " كانت حلقة الامام جعفر الصادق يشهدها رجلان أصبحا فيما بعد من أركان المذهب السنى أحدهما أبو حنيفة ، والاخر مالك بن أنس . . . " (٥)

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٩ . وانظر السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥٠ .
(٢) محمد باقر الصدر : جعفر الصادق - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٧٤ .
(٣) الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٨٧ . وأيضا أبو زهرة : الامام زيد - مرجع سابق - ص ١٦ .
(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٧٤ .
(٥) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٢٥ .

أما الشافعى فيقول أبو زهرة :" واذا كان الشافعى لم يمكنه الزمان من الاتصال بأولئك الائمة ، فقد اتصل (رض) بالصفوة من تلاميذهم . . . وأنه قد صرح بأنه أخذ عن مقاتل بن سليمان الشيعى . . . واعتبره اماما فى التفسير" (١) كما التقى الشافعى بغيره من تلاميذ الامام الصادق ،" وتعلم منهم بعض فقه الامام الصادق . . . وتعلم من مذهب الامام الصادق أن العقل هو أقوى أدوات الاستنباط حين لايكون نص - العقل وحده هو أداة فهم النصوص لا الاتباع ولا التقليد . . . وتعلم من تلاميذ الامام الصادق رأى الامام فى حقيقة العلم. فليس حفظ القرآن والحديث ومعرفة الآثار فحسب ، ولكنه يشمل كل العلوم الطبيعية والرياضية التى تفسر ظواهر الكون وتكشف عن قدرة الخالق . . " (٢) . " وجلس الى بعض شيوخ الشيعة باليمن فتلقى منهم" (٣) . أيضا . كما " وجد فى اليمن كثيرا من الطالبيين ، وحضر مجالس العلم معهم ولكنه كان يستمع ولا يتكلم فاذا سئل فى ذلك قال : لا أتكلم فى مجلس يحضره أحد هم وهم أحق بالكلام منى ولهم الرياسة والفضل" (٤) . كما أن حمادا استاذ أبى حنيفة تلقى العلم على تلاميذ الائمة (٥) . وغير هؤلاء من علماء السنة الذين تخرجوا من مدرسة أهل البيت وتتلمذوا للامام الصادق (٦) .

أما من تخرج من الشيعة من هذه المدرسة فعدد كبير جدا - كما مر - يقتصر الباحث على ذكر اثنين ممن كان له الاثر الكبير فى الحركة العلمية والعقلية فى الفكر الشيعى ، أحدهما محمد بن على بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق . والاخر هشام بن الحكم أكبر متكلمى الشيعة الامامية فى ذلك العصر .

أما مؤمن الطاق : فقد نص أبو العباس النجاشى : أنه اخذ العلم عن ثلاثة من الائمة ، على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد ، وجاء عن أبى خالد الكابلى أنه قال : رأيت أبا جعفر صاحب الطاق فى الروضة وقد قطع

---

(١) محمد أبو زهرة : الامام زيد - مرجع سابق - ص ١٦ .
(٢) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ١٣٤ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٣٧ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨ .
(٥) أحمد محمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس - ط ٣ - القاهرة دار نهضة مصر - ١٩٧٨ - ص ٢٤٤ .
(٦) انظر محمد أبو زهرة : مالك - حياته وعصره ، اراؤه وفقهه - ط ٢ - القاهرة الانجلو مصرية - ١٩٥٢ - ص ٠ ص ٣٨ - ٣٩ .

أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه ، فدنوت منه وقلت له ان أبا عبد الله نهانا عن الكلام ، فقال : لقد أمرك أن تقول لى ، فقال لا والله ، ولكنه أمرنى أن لا أكلم أحدا ، قال : فاذهب وأطعه فيما أمرك . قال الكابلى : فدخلت على أبى عبد الله الصادق (ع) فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلته له وما أجابنى به ، فتبسم أبو عبد الله (ع) وقال : يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وأنت اذا قصوت لن تطير (١) .

ويبدو من ذلك أن مؤمن الطاق كان قوى الحجة كثير الجدل ينهزم أمامه الخصم مهما بلغ من العلم ، لذلك فان الامام الصادق لم يمنعه من الجدل والمناظرة (٢) . وفى ذلك يقول الشهرستانى :" وهو - أى مؤمن الطاق - تلميذ الباقر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ، وأفضى اليه اسرارا من أحواله وعلومه ، وما يحكى عنه من التشبيه فهو غير صحيح " (٣) .

يقول ابن النديم :" وهو - أى مؤمن الطاق - من أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) . . ولقى على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ، وكان حسن الاعتقاد والهوى ، حاذقا فى صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب . وله مع أبى حنيفة مناظرات . . " (٤) .

أما هشام بن الحكم : فيقول فيه ابن النديم :" . . من جلة أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) . وهو من متكلمى الشيعة الامامية . . وممن دعا له الصادق (ع) فقال : أقول لك ما قال رسول الله (ص) التحيات : لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، وهو الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج . وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب" (٥) . فهو" شيخ الامامية فى وقته وكبير الصنعة فى عصره" (٦) . وكان فقيها وروى حديثا كثيرا . . وبلغ من مرتبته وعلوه عند الامام الصادق (ع) أنه دخل عليه بمنى وهو غلام وكان فى مجلس

---

(١) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٠٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٠٨ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٦ .
(٤) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٥٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .
(٦) المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٨٠ .

الامام الصادق شيوخ الشيعة كحمران بن أعين ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب وأبو جعفر الاحول وغيرهم ، فرفعه على جماعتهم وليس فيهم الا من هو أكبر منه سنا ، فلما رأى الصادق أن ذلك الفعل كبر على أصحابه قال : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده (١) .

يقول الدكتور أحمد صبحى : " وأهم تلاميذ الصادق فى علم الكلام عامة والامامة خاصة هشام بن الحكم وزرارة بن أعين . أما الاول فهو أول من فتق الكلام فى الامامة . . بالنظر . وصفه الرشيد بقوله : ان صارم مقوله فى الدفاع عن الامامة أمضى من مائة ألف سيف ، وقد حاور الزنادقة وأصحاب الديانات ، كما حاور المعتزلة وخصوم المذهب . . . اذ كان يحظى برضى الصادق ، اذ قال له لاتزال ياهشام مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ودعا له الصادق فما قهره أحد بعد فى التوحيد " (٢) .

وكان هشام بن الحكم يناظر أهل الملل والاهواء وينتصر عليهم ، ففى عيون الاخبار : دخل الموبذ فقيه الفرس وحاكم المجوس على هشام بن الحكم : فقال: هما فى القوة سواء ؟ قال نعم ، قال : فجوهرهما واحد : قال الموبذ لنفسه - ومن حضر يسمع - ان قلت : ان جوهرهما واحد عادا فى نعت واحد ، وان قلت: مختلف اختلفا أيضا فى الهمم والارادات ولم يتفقا فى الخلق ، فان أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ، قال هشام : فكيف لاتسلم ، قال هيهات" (٣) . وفى ذلك يقول الدكتور أحمد كمال زكى : " . . فاذا انتقلنا الى القصة التالية وجدنا فيها نوعا من الارتقاء الفكرى ، فقد دخل أحد المجوس من الفرس على هشام بن الحكم - وهو رافضى لزم البصرة وتعمق الفلسفة . . " (٤) .

وجاء رجل ملحد فقال لهشام : أنا أقول بالاثنين وقد عرفت انصافك فلست أخاف مشاغبتك ، فقال هشام وهو مشغول بثوب ينشره ولم يقبل عليه : حفظك الله ، هل يقدر أحدهما أن يخلق شيئا لايستعين بصاحبه ؟ قال نعم . قال هشام: فما ترجو من اثنين ، واحد خلق كل شيء أصلح لك ، فقال : لم يكلمنى بهذا أحد قبلك " (٥) .

---

(١) عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - مرجع سابق - جـ١ - ص ١٦ .
(٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٣٧٣ .
(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٥٣ .
(٤) أحمد كمال زكى : الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن الثالث الهجرى - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧١ - ص ٩٩ .
(٥) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٥٤ .

وكان هشام بن الحكم أستاذ متكلمى المعتزلة ، منهم ابراهيم النظام [١] . كما كان يلزم المعتزلة فى مناظراته وحجاجه ، فقد ألزم العلاف فيما يعتقده [٢]. كذلك ألزم عمرو بن عبيد [٣] . كما أن أبا الحسين البصرى كان تلميذا لهشام وهو أحد رجالات المعتزلة [٤] .

ولهشام بن الحكم من الكتب ، الدلالات على حدوث الاشياء ، كتاب الرد على الزنادقة ، كتاب الرد على أصحاب الاثنين ، كتاب التوحيد ، كتاب الالفاظ ومباحثها [٥] ، كتاب فى نقد أرسطاليس ، وهو أول كتاب ظهر فى زمن مبكر من الاسلام [٦] .

وقد أحصيت مؤلفات المتخرجين من تلك المدرسة فبلغت ستة الاف كتاب ، منها أربعمائة كانت تعرف بالاصول على لسان محدثى الشيعة ، ولعل أكثر محتويات الكتب الاربعة ، الكافى ، ومن لايحضره الفقيه ، والوافى ، والاستبصار مأخوذة منها [٧] . وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست جملة منها عند حديثة عن مصنفى الشيعة وعلمائهم [٨] . وفى ذلك يقول الدكتور رشدى عرسان عليان :" وقد أثر عن أصحاب الائمة كتب كثيرة فى السنن سميت بالاصول عرف منها أربعمائة أصل جمعت ونقحت بعد ذلك فى أربع كتب " [٩] .

---

(١) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٢٣٥ . وأيضا على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٨ وأيضا أبو محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى : الفصل فى الملل والاهواء والنحل - بغداد - مكتبة مثنى - بدون تاريخ - جـ ٥ - ص ٦٦ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨ . وأيضا المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٠٤ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق - جـ ٤ - ص ١٠٥ . وأيضا دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص ٠ ص ٣٠٩-٣١٠ .

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨٥ .

(٥) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٦٤ .

(٦) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٨ .

(٧) هاشم الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٢ .

(٨) انظر ابن النديم : الفهرست - عند كلامه عن مصنفى الشيعة .

(٩) رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة الامامية - مرجع سابق ص ٦١ - هامش ٤٦ .

المحتوى الفكرى لمدرسة أهل البيت:

ان المحتوى الفكرى لمدرسة أهل البيت يمتاز بالتماسك الفكرى الوثيق، والترابط فيما بين أفكارها واتجاهاتها . ومثل هذا التماسك يشد اتجاهات المدرسة بعضها الى بعض ، ويؤدى الالتزام بأى جزء منه الى الالتزام بالجزء الاخر، فهذه المدرسة مثلا فتحت باب الاجتهاد للعلماء ، وقد كان لهذا العامل تأثير كبير على نمو المدرسة فيما بعد عصر الصادق ، واقبال الناس عليها لمسايرتها للاوضاع الاجتماعية المتجددة ، ولذلك فان هذه الميزة فى المذهب الشيعى تعتبر ضمانا من الداخل لحياة المذهب وبقائه .

وتناولت هذه المدرسة بالبحث والتدريس جميع الفنون العلمية التى لها الاثر التام فى التقدم الاجتماعى ، والرقى الفكرى ، ومن أبرز العلوم التى تناولتها بالتبسيط والتحليل الفقه الاسلامى بجميع أبوابه من العبادات والمعاملات ، ولم تقتصر على الناحية العلمية ، فقد توسعت حتى شملت أصول الاداب والقيم الاجتماعية من مكارم الاخلاق والاصلاح الشامل فى جميع المجالات.

ومدرسة أهل البيت التى أسسها الامام الباقر والصادق لها طابع خاص انفردت به عن بقية المدارس والمؤسسات العلمية . فقد كان طابعها هو الاستقلال وعدم خضوعها للدولة ، فلم يكن لولاة الامور بأى حال من الاحوال مجال للتدخل فيها ، فهى منفصلة عن الهيئة الحاكمة ، لان الامتزاج بها معناه تدخل السلطة فى شئونها . وقد استمر هذا الطابع حتى شمل جميع الجامعات الشيعية والمؤسسات العلمية ومدارس الدرس والتعليم . وهذا ما عليه جامعة النجف الاشرف حتى اليوم فانها منذ تأسيسها لم ترتبط بالدولة ، وعلى هذا المنهاج تسير جامعة قم فى ايران (١) .

فالمحتوى الفكرى لهذه المدرسة هو المحافظة على المقياس العقائدى والرسالى فى المجتمع الاسلامى ، لهذا حرص الائمة من أهل البيت على أن لا يهبط الى درجة تشكل خطرا ما حقا ، وهذا يعنى ممارستهم جميعا دورا ايجابيا فعالا فى حماية العقيدة وتبين مصالح الرسالة والامة (٢) . ولهذا كان الامام الصادق يحث على الجدية فى الحياة ، والكفاح من أجل العيش الكريم ، فكان من

(١) محمد باقر الصدر: الامام جعفر الصادق - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨٠.
(٢) محمد باقر الصدر: دور الائمة فى الحياة الاسلامية - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٩٥.

أقواله :" أن الله يحب الجمال والتجمل ويبغض البوءس والتباوءس ،فان الله اذا أنعم على عبده نعمة أحب أن - يرى - أثرها عليه . فقيل له كيف ذلك؟قال : ينظف ثوبه ويطيب ريحه ويجصص داره ويكنس أفنيته " . وكان يقول لاصحابه وتلاميذه : كونوا زينا لنا ولاتكونوا شينا علينا ليقول الناس : رحم الله جعفر بن محمد لنعم ما أدب أصحابه "(١) .

ثانيا :"العراق" :

١ - الكوفة:

تعد الكوفة أحد المراكز الاساسية للثقافة الاسلامية فى ذلك العصر، وكانت هى وأختها البصرة أهم مركزين لهذه الثقافة فى اقليم العراق ،أعنى الاقاليم الاسلامية فى هذه الفترة من الناحية الثقافية . والباحث سيرجىء الكلام عن البصرة الى الفصل السابع عند حديثه عن المدارس النحوية التى أسسها الشيعة .

ان أول من بذر الثقافة الاسلامية بصورتها الواسعة هو الامام على ،وذلك بعد خروجه من المدينة أيام خلافته متوجها الى العراق ،وهناك بنى عاصمته الاسلامية فى الكوفة . يقول أبو زهرة :" وكذلك كان الامر فى عهد على رضى الله عنه ،وهو نفسه خرج من المدينة الى الكوفة ،وكان ملازموه الاصل العلمى لمدرسة الكوفة ،بما تلقوه عليه من فتاوٍ وأقضية ،وما رووه عنه من أحاديث نبوية" (٢) .

قام الامام على فى الكوفة بتعليم سائر فروع المعرفة التى تتناسب مع مطالب الدولة الاسلامية الناشئة ،ومما يوءثر عنه قوله " رتبة العلم أعلى الرتب" ، " ما مات من أحيا علما " ،" عليه بالحكمة فانها حلة فاخرة " ومن الطبيعى أن تؤدى مثل هذه الروح الى تشجيع روح البحث وبعث الرغبة فى طلب العلم(٣) . بالاضافة الى موقف الامام على من شيعته من غير العرب ، وكان فيهم العلماء " أن ينهضوا بالعلم نهضة واسعة ،وأن يسجلوا فيه تفوقا رائعا ،ونبغ منهم علماء كبار تدين لهم الثقافة الاسلامية بكثير مما بلغته من نهضة وتقدم ،كسعيد بن جبير مولى بنى والبة الذى يعد من أشهر علماء الكوفة ،والذى قال فيه أستاذه ابن عباس عند ما أتاه أهل الكوفة يسألونه : تسألونى وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعنى سعيد بن جبير" (٤) .

(١) محمد باقر الصدر : الامام جعفر الصادق - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨٠ .
(٢) محمد أبو زهرة : مالك - مرجع سابق - ص ١٤٩ .
(٣) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٠ص٢٤٧-٢٤٨ .
(٤) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص ٢٣٦ .

هذه حالة الكوفة قبل أن ينتقل اليها الامام الصادق ، فهى مسرح لعلماء الشيعة وفقهائهم ،كما كانت منطلق الحركات العقلية فى العصر الثانى من عصور تاريخ الفقه الشيعى ومبعث هذه الحركة ومركز الاشعاع ،وظلت مع ذلك من أهم مراكز الفقه الشيعى ،وظلت البعثات الفقهية الشيعية تقصد هذه المدينة بالذات ولهذا احتل فقهاء الشيعة مركز الصدارة فى التدريس والبحث الفقهى رغم كل العقبات التى اصطدم بها أئمة الشيعة من أهل البيت وفقهاؤهم ورواة الحديث من ضغط الجهاز الحاكم حتى كان بعضهم اذا رأى الامام فى الطريق يعرض عنه لئلا يتهم بالتشيع ،وبعضهم يلتقى بالامام ليلا خوفا من عيون الرقابة المسلطة على بيوت أئمة أهل البيت (١) .

فى مثل هذا الوقت انتقل الامام الصادق الى الكوفة أيام أبى العباس السفاح ، واستمر بقاء الامام الصادق فى الكوفة مدة سنتين ،اشتغل فيها بالخصوص فى نشر المذهب الشيعى لعدم وجود معارضة سياسية قوية فى البين ، فقد سقطت فى هذه الفترة الحكومة الاموية وظهرت الحكومة العباسية وبين هذا السقوط وهذا الظهور اغتنم الصادق الفرصة للدعوة الى المذهب ونشر أصول هذه المدرسة فازدلفت اليه الشيعة من كل فج زرافات تستقى منه العلم وتروى عنه الاحاديث فى مختلف العلوم ،وكان منزله فى بنى عبد القيس من الكوفة (٢) .

" وقد عقد - الامام الصادق - وهو فى العراق عدة مناظرات كان يناظر فيها أهل الفرق المختلفة ،وكان كثير من الناس يحضرون هذه المناظرات . . وقد آلت اليه رياسة البيت الحسينى ،وصار مقصد طلاب العلم العلوى . . وفى العراق التقى بأصحاب المذاهب العقلية كالمعتزلة ،وقد جرت مناظرات بينه وبين بعضهم مما يدل على أنه التقى بهم " كما يراه أبو زهرة (٣) .

والظاهر أن الامام الصادق لم يلتق بالمعتزلة على أساس المناظرة ،وانما تلاميذه الذين أعدهم اعدادا خاصا للوقوف فى وجه المعتزلة وغيرهم من الفرق ،هم الذين كانوا يلتقون بهم . فهشام بن الحكم أحد تلاميذه تصدى مثلا لاراء المعتزلة بالرد والتفنيد . ومن أمثلة ذلك المناظرة التى وقعت بين هشام بن الحكم وعمرو بن

---

(١) محمد مهدى الاصفى : مقدمة اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ص٣٤-٣٥ .
وأيضا هاشم الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٢ .
(٢) محمد مهدى الاصفى : المصدر السابق - ص . ص ٣٢-٣٣ .
(٣) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص . ص ٦١-٦٢ .

عبيد المعتزلى تبين مدى عمق التفكير عند تلاميذ الامام الصادق : سأل الامام الصادق هشام بن الحكم وكان دون العشرين من عمره ما وقع بينه وبين عمرو بن عبيد ثانى متكلمى المعتزلة بعد واصل بن عطاء : قال هشام : بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه فى مسجد البصرة ،فعظم ذلك على ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزرا بها من صوف . . . والناس يسألونه ،فاستفرجت الناس فأفرجوا لى ، ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت : أيها العالم انى رجل غريب تأذن لى فى مسألة ،فقال لى : نعم ،فقلت له ألك عين ؟ فقال يابنى أى شيىء هذا من السؤال وشيىء تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت هكذا مسألتى ، فقال : يابنى سل وان كانت مسألتك حمقاء ،قلت : أجبنى فيها ،قال لى : سل ، قلت : ألك عين : قال : نعم، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أرى بها الالوان والاشخاص ، قلت : ألك أنف ، قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشم به الرائحة ، قلت ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت فما تصنع به ؟ قال : أذق به الطعم ، قلت : ألك اذن ؟ قال:نعم ، قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت ، قلت ألك قلب ؟ قال : نعم ،قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس ،قلت : أوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال : لا ،قلت : وكيف ذلك وهى صحيحة وسليمة ؟ : قال : يا بنى ، ان الجوارح اذا شكت فى شيىء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك ، قال هشام : فقلت له : فانما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال : نعم ، قلت : لابد من القلب والالم تستيقن الجوارح ؟ قال : نعم فقلت له : يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك الخلق كله فى حيرتهم وشكهم ، واختلافهم ،لايقيم لهم اماما يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك ؟ قال : فسكت ولم يقل شيئا ، ثم التفت الى فقال لى : أنت هشام بن الحكم ، فقلت : لا ، قال : أمن جلسائه ؟ قلت : لا ،قال فمن أين أنت ، قلت : من أهل الكوفة ،قال : فأنت اذن هو ، ثم ضمنى اليه وأقعدنى فى مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت (١) .

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ١ - ص . ص٢٣٨-٢٣٩ . وأيضا المسعودى: مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٠٥ . وأيضا أحمد محمود صبحى: نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ١٤٤ . وأيضا حسون ملارجى الدلفى : فضائل آل الرسول فى المعقول والمنقول - مرجع سابق - ص. ص١٤١-١٤٢ . وأيضا هاشم الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - مرجع سابق - ص ١٩٧ وأيضا دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص . ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

من هذا الموقف يظهر لنا مدى قوة احتجاج الشيعة ، ومدى أثر العقيدة عندهم على فكرهم التربوى ، ويتجلى ذلك فى هذه المناظرة التى تعتبر احدى طرق التعليم ، ولهذا أصبح مفكرو الشيعة أساتذة العلماء والمحدثين من بقية الفرق الاسلامية . فمثلا عبد الله بن موسى العبسى الفقيه وكان شيعيا وهو من مشايخ البخارى فى صحيحه (١) . وعلى بن الجعد أبو الحسن الجوهرى البغدادى وهو أحد شيوخ البخارى أيضا وقد عده ابن قتيبة من رجال الشيعة فى كتاب المعارف (٢) . واسماعيل بن أبان الازدى الكوفى الوراق ، شيخ البخارى حدث عنه يحيى وأحمد . وقال البخارى : صدوق ، وقال غيره : كان يتشيع (٣) .

أما الامام مسلم فكان شيوخه وأساتذته كذلك من علماء الشيعة ، فقد تتلمذ على يد عبد الله بن عمر بن محمد الكوفى الملقب مشكدانه ، فهو شيخ مسلم وأبى داود ، والبغوى ، وخلق من طبقتهم أخذوا عنه (٤) . يقول الذهبى : " عبد الله بن عمر بن أبان القرشى الكوفى مشكدانه . صدوق صاحب حديث . . . قال أبو حاتم صدوق ، ويروى عنه أنه شيعى ، فقال بكر بن محمد الصيرفى الذى ذكره الحاكم ، فقال : محدث خراسان فى عصره ، سمعت صالح بن محمد جزرة يقول : كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن أصحاب الحديث ، وكان غاليا فى التشيع " (٥) .

ومن علماء الشيعة الذين أثروا الفكر الاسلامى بمختلف المعارف ، كما كان لهم الفضل فى نمو مدرسة الكوفة الفقهية ، بالاضافة الى البيوتات العلمية الكوفية التى عرفت بانتسابها الى الامام الصادق واشتهرت بالفقه والحديث ، كبيت ال أعين وبيت ال حبان التغلبى ، وبيت عطية ، وبيت بنى دراج وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية التى عرفت بالتشيع واشتهرت بالفقه والحديث (٦) . يذكر الباحث منهم على سبيل المثال :

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢١٧ . وأيضا الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٦ .

(٢) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - مرجع سابق - ص ١٠٧ .

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢١٢ .

(٤) عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - مرجع سابق - ص ٩٨ .

(٥) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٦٦ . وأيضا شرف الدين : المدرالسابق - ص ٩٨ .

(٦) محمد مهدى الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٣ ، ٣٤

١ - أبان بن تغلب بن رباح البكرى : كان مقدما فى كل فن من العلوم منها الفقه والحديث والادب واللغة والنحو، وأنه ألف كتبا كثيرة منها كتاب فى تفسير غريب القرآن (١) . وقد وثقه علماء السنة ومحدثوهم مع اعترافهم بتشيعه ، ووصفه الذهبى فى ميزان الاعتدال بالصلابة فى تشيعه وصدق الحديث وقال : أبان بن تغلب الكوفى شيعى جلد ، ولكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته (٢) . وقد عدّ له ابن النديم فى الفهرست ثلاثة كتب ، كتاب فى القراءات ، وكتاب فى معانى القرآن ، وكتاب فى أصول الحديث على مذهب الشيعة ، توفى سنة مائة واحدى وأربعين للهجرة (٣) .

٢ - عبد الرحمن بن خراش الحافظ : قال ابن عدى : كان يتشيع، وقال أبو زرعة كان رافضيا . قال الذهبى : . . فانه كان حافظ زمانه ، وله الرحلة الواسعة ، والاطلاع الكثير والاحاطة ، وبعد هذا فما انتفع بعلمه ، فلا عتب على حمير الرافضة . وقد سافر فى طلب العلم الى العراق والمدينة وخراسان والشام ومصر . . . وكان أحفظ أهل زمانه ، لايذكر له شيئ من الشيوخ والابواب الا مر فيه . . مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٤) .

٣ - عبد الرازق بن همام بن نافع الامام ، أبو بكر الحميرى : أحد الاعلام الثقات ، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكتب شيئا كثيرا ، وصنف الجامع الكبير ، وهو خزانة علم ، ورحل الناس اليه : أحمد واسحاق ويحيى ، والذهلى والرمادى . وقال ابن عدى . . ونسبوه الى التشيع وسأل عبد الله بن أحمد أباه : عبد الرازق يفرط فى التشيع ، وقد اعتبروا تشيعه من المناكير (٥) . وقال أحمد بن صالح لاحمد بن حنبل : رأيت أحسن حديث من عبد الرازق : قال : لا . مات سنة احدى عشرة ومائتين (٦) .

٤ - شريك بن عبد الله النخعى ، أبو عبد الله الكوفى ، القاضى ، الحافظ الصادق ، أحد الائمة . وقال سعدويه : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : شريك

---

(١) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٥
(٢) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤ .
(٣) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٣٢٢ .
(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال : مرجع سابق - جـ ٢ - ص . ص ٦٠٠-٦٠١ .
(٥) المصدر السابق : ص . ص ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ .
(٦) المصدر السابق : ص ٦١٤ .

أعلم بحديث الكوفيين من سفيان . وقال الحلبي : كنا بالرملة فقالوا : من رجل الامة ؟ فقال قوم : ابن لهيعة . وقال قوم : مالك . فسألنا عيسى بن يونس، وكان قدم علينا ، فقال : رجل الامة شريك ، وكان يومئذ حيا [1] . وقد ولد شريك سنة خمس وتسعين ، فقال عبد الله بن ادريس لما بلغه هذا : الحمد لله الذى نطق به لسان حفص ، فوالله انه لشيعى ، وان شريكا لشيعى . قال الذهبى : قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه اسحاق الازرق تسعة الاف حديث - وقال النسائى : ليس به بأس . . ومات سنة سبع وسبعين ومائة [2] .

٢ - بغداد :

انتقلت الحركة العلمية فى العراق من الكوفة الى بغداد بعد أن أسسها العباسيون ، فأصبحت حاضرة العالم الاسلامى ، وانتقل اليها أكثر العلماء من جميع الاقطار الاسلامية ، وانتقل معهم الامام موسى الكاظم بن الامام الصادق ، وابنه على بن موسى الرضا . وكان دور الامامين المذكورين ، رغم أهميته وخطره ، لا يقارن من حيث الاهمية ، بدور الامامين الباقر وابنه الصادق فى تاريخ الفكر عند الشيعة وذلك لان دور الباقر والصادق كان دور تأسيس وانتشار للفكر الاسلامى ، كما أنه لا يقارن أيضا بدور التوسع والانتعاش الذى بدأ بعد نهاية عصر الائمة ، قبل نهاية القرن الثالث للهجرة ، والذى قام به شيوخ الشيعة ، أمثال محمد بن مسعود العياشى من علماء القرن الثالث الهجرى ، والذى يقول فيه ابن النديم : "العياشى أبو النضر محمد بن مسعود العياشى من أهل سمرقند . . . من فقهاء الشيعة الامامية أوحد دهره وزمانه فى غزارة العلم ، ولكتبه بنواحى خراسان شأن من الشأن" [3] . وله أكثر من مائتى مصنف أوردها النجاشى وابن النديم فى فهارسهم وابن شهر أشوب فى معالمه أسماءها [4] . والذى يهمنا منها فى هذا البحث كما فى الفهرست : كتاب العالم والمتعلم . . . كتاب القضايا واداب الحكام . . . كتاب فرض طاعة العلماء . . . كتاب البر والصلة ، كتاب محاسن الاخلاق ، كتاب حقوق الاخوان ، كتاب عشرة النساء . . . كتاب معرفة البيان . . الى قوله : وذكر حيدر أن كتبه مائتان وثمانية كتب ، وأنه ظل عنه من جميعها سبعة وعشرون كتابا [5] . وقد

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٢٧٠ - ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق : ص . ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٣) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٨٨
(٤) انظر ترجمة العياشى فى كتاب بحار الانوار لمحمد باقر المجلسى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٩٧ الى ٩٩ .
(٥) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص . ص ٢٨٨ الى ٢٩١ .

أنفق العياشى على العلم والحديث تركة أبيه كلها ، وكانت ثلثمائة ألف دينار وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارىء معلق مملوءة من الناس[1]. وامثال الشيخ الصدوق القمى (ت ٣٨١ هـ) والشريف الرضى (ت٤٠٦ هـ) والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وغيرهم . ويمكن أن نجمل الاسباب التى دعت الى ذلك كما ذكرها الدكتور عبد الله فياض وهى :

١ - كانت رقابة خلفاءبنى العباس المعاصرين للامام موسى الكاظم (ع) شديدة على الشيعة عامة وامامهم موسى الكاظم خاصة فضلا عن المدة الطويلة التى قضاها موسى الكاظم فى السجن . قال هشام بن سالم: " كنا بالمدينة بعد وفاة جعفر الصادق ، فقعدنا فى بعض **أروقة** المدينة . . . فنحن كذلك اذ رأيت شيخا يومىء الى بيده فخفت أن يكون عينا من عيون أبى جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينةجواسيس على من يجتمع اليه الناس بعد الصادق فيؤخذ فيضرب عنقه ، وذات مرة جاء أحدهم يسأل الامام موسى الكاظم كما كان يسأل أباه قال له الامام : " سل تخبر ولا تذع فان أذعت فهو الذبح" وسأل أحدهم الامام موسى الكاظم عن مسألة فقال : " اذا هدأت الرجل وانقطع الطريق فأقبل"وذات مرة عاتب أحد الشيعة على الرضا لانه فتح باب بيته للافتاء ، خلافا لخطة أبيه موسى الكاظم ، فقال انه ليس عليه من هارون الرشيد بأس ،كما كان على أبيه .

٢ - انشغال الامام على الرضا لفترة من حياته بسياسة أمور الامة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد واستقدمه لخراسان حيث توفى هناك .

٣ - تجديد رقابة الخلفاء العباسيين ، وخاصة المتوكل على أئمة الشيعة المتأخرين ، وحمل المتوكل الامام العاشر من المدينة الى سامراء ، وكان هدفه أن يمنع اتصال الشيعة به . وبالرغم من كل ذلك ،فان الامامين الكاظم والرضا قاما بدور فعال فى التعليم والتربية [2] . واشتغل الامام على الرضا مدة بقائه فى بغداد ، وهى ثمان سنوات ،بالتدريس[3] .

ومن هنا كانتمسئولية الامام الكاظم والرضا تنحصر فى التمهيد لوجدان القاعدة الشعبية الموجهة والواعية وذلك لايتم الا بامتلاكهم لحرية التوجيه

---

(١) عبد الله فياض: دور الكاظم والرضا فى التربية والتعليم - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٩ .

(٣) دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص ٢٠١ .

والتوعية بين مختلف طبقات الامة [١] . وللاسباب المتقدمة كانتحركاتهم العلمية وتحركاتهم تحصى عليهم من قبل السلطات . ومع ذلك فقد تخرج من مدرستهم علماء كانوا أساس الحركة العلمية فى بغداد . لان بغداد مركز ثقافى كبير من مراكز الحركة العقلية فى العالم الاسلامى ،يقطنها الالاف من الفقهاء والمحدثين، وتنتشر فيها كثير من المدارس والمكاتب والمساجد التى كان يحتشد فيها جماهير الطلاب والمدرسين والعلماء كل يوم للدرس والمطالعة والبحث والمناقشة . فكان لانتقال المدرسة الى هذا الجو الفكرى على يد علماء كبار أمثال المدينى والجعابى وابن عقده والمفيد والمرتضى والطوسى أثر كبير فى الحركة الفكرية القائمة فى ذلك العصر . والباحث سيقتصر على ذكر هؤلاء للمثال ،وما قاموا به من دور هام فى استمرار وتنمية الحركة العلمية من الشيعة :

١ - على بن عبد الله بن جعفر، أبو الحسن الحافظ ،أحد الاعلام الاثبات وحافظ العصر . . . قال أبو حاتم ،كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل ،وكان أحمد لايسميه ،انما يكنيه تبجيلا له . وكان يتصدر للتدريس فى بغداد ،وجاء يحيى واحمد بن حنبل والمعيطى والناس يتناظرون فاذا اختلفوا فى شيىء تكلم فيه على ،يقول يحيى بن معين ،كان على بن المدينى اذا قدم علينا أظهر السنة ،واذا ورد البصرة أظهر التشيع[٢]. وهذا نتيجة الاضطهاد الذى كان يلاقيه علماء الشيعة فى ذلك العهد .

يقول الخطيب البغدادى : " على بن عبد الله . . ويعرف بابن المدينى ،وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ،والمقدم على حفاظ وقته . . " [٣] . ولهذا يقول عباس العنبرى : " لعله كان تقدم على الحسن البصرى ،كان الناس يكتبون قيامه ،وقعوده وكل شيىء يقول ويفعل " [٤] . ويقول البخارى :" ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى" [٥] . ولهذا كان أعلم الناس فى وقته بالحديث وعلله [٦]." مع كمال المعرفة بنقد الرجال ،وسعة الحفظ والتبحر فى هذا الشأن لعله فرد زمانه فى معناه وصنف التصانيف ،ويقال : لابن المدينى نحو مائتى مصنف" [٧] كما يقول

---

(١) محمد جواد فضل الله : الامام الرضا تاريخ وداراسه - مرجع سابق - ص١٨١ .
(٢) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص.ص١٣٨-١٣٩ . وأيضا الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١١ - ص.ص٤٥٨-٤٥٩.
(٣) الخطيب البغدادى : المصدر السابق - ص ٤٥٨ .
(٤)،(٥) المصدر السابق : ص ٤٩٢- ٤٦٣ .
(٦)،(٧) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص .ص ١٣٩-١٤١ . .

الذهبى ، ومع ذلك فقد أعرض بعض المحدثين من علماء السنة عن الاخـــــــذ بروايته (١) . لتشيعه . مات سنة أربع وثلاثين ومائتين بسامراء (٢) .

٢ - محمد بن عمر ، أبو بكر الجعابى الحافظ: من أئمة هذا الشـــــأن ببغداد على رأس الخمسين وثلثمائة . ولى القضاء بالموصل . . وكان أحد الحفاظ المجودين . . . وله مصنفات كثيرة . . وهو شيعى . . وكان أحفظ أهل زمانـــه . روى التنوخى عن أبيه ، قال : ما شاهدنا أحفظ من أبى بكر بن الجعابى ، وكـــان يفضل الحفاظ بأنه يسوق المتون بألفاظها ، ولم يبق فى زمانه من يتقدمه فـــــى الدنيا . . وقال الدارقطنى : شيعى . . مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة (٣) .

يقول ابن الاثير : " وفيها - أى سنة ٣٥٥ - توفى أبو بكر محمد بن عمر . . . المعروف بالجعابى الحافظ البغدادى بها وكان يتشيع" (٤) . وكان حافظا مكثـــرا يقال أنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها . . ويحفظ المراسيل والمقاطيع والحكايات قريبا من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقـــات وفياتهم ومذاهبهم حتى تقدم على أهل زمانه وفاق سائر أقرانه ، صنف الابـــواب والشيوخ والتاريخ . كما يقول شارح الكامل (٥) . ومهما يكن من المبالغة فى هـــذا العدد الضخم ، فانما يدل على سعة علم الجعابى وكثرة ما يحفظ من الاحاديـــث ولهذا كان اماما فى معرفة علل الحديث ، وثقات الرجال من معتليهم وضعافهـــم وأسمائهم وأنسابهم ، وكناهم ومواليدهم ، وأوقات وفاتهم ، ومذاهبهم ، وما يطعـــن به على كل واحد . وما يوصف به من السداد (٦) . و" كان ابن الجعابى يملى مجلسه فتمتلىء السكة التى يملى فيها والطريق ، ويحضره ابن المظفر ، والدارقطنى ، ولـــم يكن الجعابى يملى الاحاديث كلها بطرقها الا من حفظه" (٧) . وقد نص على تشيعـــه أيضا الخطيب البغدادى (٨) .

والـذى يدل على سعة علم ابن الجعابى وكثرة ما يحفظه من الاحاديث ، مـــا رواه الخطيب البغدادى عن الازهرى قال : وعد ابن الجعابى أصحاب الحديث يومـــا يملى فيه ، فتعمد ابن المظفر الاملاء فى ذلك اليوم وألزمنى الحضور عنده ففعلت ، ثم انصرفت من المجلس ، فلقينى ابن الجعابى وقال لى ذهبت الى ابن المظفر وتنكبت

(١) المصدر السابق : ص ٠ ص ١٣٨ - ١٤٠ ٠
(٢) المصدر السابق : ص ١٤١ ٠ وأيضا الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - مرجع سابق جـ ١١ - ص ٤٧٢ - ٤٧٣ ٠
(٣) الذهبى : المصدر السابق جـ ٣ - ص ٠ ص ٠ ٦٧٠ - ٦٧١ ٠
(٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٧ - ص ٠ ص ٠ ٢٠-٢١ ٠
(٥) انظر هامش الكامل لابن الاثير - المصدر السابق - ص ٠ ص ٠ ٢٠ - ٢١ ٠
(٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٨ ٠
(٧) المصدر السابق : ص ٢٨ ٠
(٨) المصدر السابق : ص ٢٦ ٠

الطريق التى تؤديك الى للاستحياء منى ؟ فقلت : قد كان ذاك . .فقال : كم عدد الاحاديث التى أملاها ؟ فقلت : كذا وكذا . فقال : أيما أحب اليك ؟ تذكر اسناد كل حديث ،وأذكر لك متنه ،أو تذكر لى متنه وأذكرلك اسناده . فقلت : بل أذكر المتون . فقال : افعل ذاك فجعلت أقول له روى حديثا متنه كذا ، فيقول :هو عنده عن فلان عن فلان ،وأقول أملى حديثا متنه كذا ،فيقول : حدثكم به عن فلان حتى ذكرت له متون جميع الاحاديث واخبرنى بأسانيدها كلها . فلم يخطىء فى شيىء منها أو كما قال (١) .

ويقول الخطيب البغدادى : " سألت أبا بكر البرقانى عن ابن الجعابى ، فقال حدثنا عنه الدارقطنى وكان صاحب غرائب ،ومذهبه معروف فى التشيع . قلت قد طعن عليه فى حديثه وسماعه ؟ فقال : ما سمعت فيه الا خيرا" (٢) .

٣ - الشيخ المفيد ، أبوعبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد البغدادى :

ولد الشيخ المفيد فى عكبرا وانتقل منها فى أيام صباه الى بغداد بصحبة والده ، ونشأ فى بغداد وتفرغ منذ صغره لطلب العلم ، فعرف - وهو بعد صغير يرتاد حلقات الدراسة - بالفضل والنبوغ ، وقد لقبه " الشيخ أبو ياسر" من مشايخ علماء السنة بالمفيد لظهوره عليه فى مجلس بحثه وعرف من ذلك الوقت بالمفيد (٣) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر " الشيخ المفيد " فى مدة قليلة على أقرانه ،وحفه شيوخه وأساتذته كالشيخ الصدوق وغيره ،بعنايتهم لما لمسوا فيه من مؤهلات وقابليات تندر وجودها فى غيره .

واستقل الشيخ " المفيد " بالتدريس فى بغداد وهو بعد لم يتجاوز سن الشباب ، وتفرغ للفقه والكلام ،وكان يحضر مجلس درسه الاف الطلاب من الشيعة والسنة ، وبرز من تلاميذه رجال كبار : أمثال السيد المرتضى ، والشيخ الطوسى ،وقد تابعوا أستاذهم " المفيد " فى توسعة المدرسة ، وتطويرها وادخال تغييرات جديدة عليها ،ولهذا قدر للشيخ المفيد أن يكون رائدا فكريا لهذا العصر من عصور الفقه الاسلامى ، وأن يدخل تغييرات وتحسينات كثيرة على الفقه ،ويطور من مناهجه

(١) المصدر السابق : جـ ٣ - ص ٢٩ .
(٢) المصدر السابق : ص. ص ٣٠-٣١ .
(٣) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٣ . وأيضا مقدمة كتاب البحار للمجلسي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٨٠ .

وقواعده . ومن بعده كان تلاميذه وتلاميذ تلاميذه يعترفون له بهذا الحق . يقول العلامة الحلى فى شأنه :" من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية" (١).

يقول ابن النديم : " أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ،فى زماننا ، اليه انتهت رياسة أصحابه من الشيعة الامامية فى الفقه والكلام والاثار ،ومولده سنة ثمان وثلاثين وثلثمائةوله من الكتب . . " (٢) . ويقول فيه أبو حيان التوحيدى :"وما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل ، صبور على الخصم ،كثيرالحيلة ،ظنين السر ، جميل العلانية" (٣) .

وقد اجمع المسلمون فى عصره على فضله وثقافته وتبرزه فى العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والادب وقوة العارضة فى الظهور على الخصم أثناء المناظرة ، قال اليافعى فى مرآة الجنان فى وقائع سنة ٤١٣ : وفيها توفى عالم الشيعة وامام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة ، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم البارع فى الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة فى الدولة البويهية . . " (٤) . قال الذهبى :" محمد بن محمد . . .الشيخ المفيد ،عالم الرافضة . . . صاحب التصانيف البديعة ، وهى مائتا مصنف . . . وله صولة عظيمة بسبب عضد الدولة شيعته ثمانون ألف رافضى . مات سنة ثلاث عشرة واربعمائة" (٥) . وقد ذكرت مؤلفاته فى كتب التراجم وقد طبع كثير منها . . وقد قال فيه ابن حجر : عالم الرافضة صاحب التصانيف البديعة . وهى مائتاتصنيف . . وكان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم ، تخرج به جماعة وبرع فى المقالة الامامية حتى يقال : له على كل امام منه ، وكان أبوه معلما بواسط . . (٦) .

أما الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ المفيد فعلماء كثيرون كان لهم صولة فى تطوير الفكر الاسلامى ،منهم السيد المرتضى علم الهدى على بن الحسين

(١) الاصفى : المصدر السابق - ص .ص ٥٣-٥٤ . وأيضا مقدمة كتاب البحار - مرجع سابق - ص ٨٠ .
(٢) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٩٣ .
(٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاعوالموءانسة - بيروت - مكتبة الحياة - بدون تاريخ جـ ١ - ص ١٤١ .
(٤) مقدمة كتاب البحار للمجلسى - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ٧١-٧٢ . وأيضا الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - ص ٥٥ .
(٥) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٣٠ .
(٦) مقدمة البحار للمجلسى : مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧٢ . نقلا عن ابن حجر : ميزان الاعتدال - جـ ٥ - ص ٧٩- ٨٠ .

الموسوى . والشريف الرضى محمد بن الحسين الموسوى . وشيخ الطائفة الشيعية محمد بن الحسن الطوسى . والشيخ أبو العباس أحمد بن على النجاشى ، والشيخ الفقيه أبو يعلى سلار بن عبد العزيز الديلمى . والشيخ أبو الفرج المظفر بن على بن الحسين الحمدانى . . وغير هؤلاء كثيرون . وكل واحد منهم له مدرسة خاصة تتلمذ عليهم كثير من طلاب العلم والمعرفة (١) .

وكان الشيخ المفيد يحاضر وفق المذاهب الاسلامية المختلفة المتعبد بها فى زمنه ، وكان له مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء (٢) .

٤ - الشيخ الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسن. ومدرسة النجف :

ولد الشيخ الطوسى سنة ٣٨٥ هـ ، بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق ، وهاجر الى العراق ، فهبط بغداد سنة ٤٠٨ هـ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت زعامة المذهب الشيعى يومذاك لمحمد بن محمد بن النعمان الشهير بالمفيد ، فلازمه ملازمة التلميذ لاستاذه ، وعكف على الاستفادة منه ، وبقى على اتصاله بشيخه حتى وفاته ، فانتقلت زعامة المذهب الشيعى الى أكبر تلاميذ الشيخ المفيد ، وهو علم الهدى السيد المرتضى ، فانحاز شيخ الطائفة الطوسى اليه ولازم الحضور تحت منبره ، وعنى به المرتضى ، وبالغ فى توجيهه وتلقينه ، واهتم به أكثر من سائر تلاميذه ، وعين له كل شهر اثنى عشر دينارا ، واستمر فى ملازمته طيلة ثلاث وعشرين سنة ، حتى توفى السيد المرتضى عام ٤٣٦ ، فاستقل شيخ الطائفة بالامامة ، وظهر على منصة الزعامة ، وكانت داره فى الكرخ مأوى الشيعة ومقصد الوفاد بأنواعها لحل المشاكل وايفاء المسائل ، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتلمذة عليه ، وقد قصده من كل بلد ومكان ، وبلغت عدة تلاميذه ثلثمائة من مجتهدى الشيعة ، ومن غيرهم عدد كبير ، وهكذا استمر بعد استاذيه الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، فى تطوير المدرسة بعد أن بلغت فى حياة المرتضى دور المراهقة (٣) . وأوصلها الى قمة مجدها وازدهارها بعد وفاته ، حتى أن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، يمنح الشيخ الطوسى كرسى الكلام ، وهذا له دلالته على بلوغ هذه المدرسة الفكرية مرتبة عالية حتى اعترف بها رسميا ، ولهذا كان

---

(١) انظر ترجمة الشيخ المفيد من كتاب بحار الانوار للمجلسى - مرجع سابق جـ ١ - ص ٧٨ .

(٢) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٠-٩١ .

له الفضل فى وضع مناهج البحث والاستنباط الاصولى فى الفقه ، ووضع كتابا فى أصول الفقه المقارن (١) .

وكانت حياة الشيخ الطوسى فى مرحلتى التلمذة والتدريس ، سلسلة طويلة من المحاولات التجديدية لتطوير علم الفقه وصياغته من جديد ، وتجديد أصول الصناعة والصياغة الاستدلالية فيه ، وقد كانت فى متناول الشيخ الطوسى مكتبتان كبيرتان يستعين بهما فى التأليف والمطالعة والالمام بأمهات الكتب الفقهية احداهما : مكتبة الشيعة التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى ، وثانيهما : مكتبة استاذه السيد المرتضى التى كانت تحتوى على ثمانين ألف كتاب ، والتى لازمها ثمانى وعشرين سنة . كل ذلك أدى الى نشوء الشيخ الطوسى وتكوين ذهنيته وثقافته الواسعة (٢) . مما جعله ولاول مرة يفتح باب الاجتهاد المطلق والنظر والرأى على مصراعيه واسعا ، وأن ينظم مناهج الاستنباط والاجتهاد ، ويؤصل الاصول ، ويضع مناهج البحث للاصول ويفرع المسائل ، ويضع أصول الدراسة المقارنة والخلافية فى الفقه ، وعشرات من أمثالها ، مما أسدى الشيخ الطوسى الى المدرسة الفقهية من خدمات . وقد ذكر الشيخ اغابزرك فى كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة اسم **سبعةواربعين** مؤلفا للطوسى مما وصل اليه من أسماء مؤلفاته (٣) .

وقد انتقل الشيخ الطوسى الى النجف سنة ٤٤٨ ، بعد أن استمرت الفتن المذهبية ، مما أدى الى الهجوم على داره وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسى كان يجلس عليه للتدريس والكلام (٤) . وفى ذلك يقول ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٤٨ : وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره . ثم قال فى حوادث ٤٤٩ : وفى صفر من هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسى كان يجلس عليه للكلام وأخرج الى الكرخ . . (٥) . وظل بالنجف يمارس مهمته .

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٠-٩١ . وأيضا رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة - مرجع سابق - ص ٦٠ .

(٢) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٩ . وأيضا حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٩ .

(٣) الاصفى : المصدر السابق : ص ٦٠ .

(٤) المصدر السابق : ص . ص ٥٩-٦٠ . وأيضا حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٥٧ . وأيضا حسن الامين : دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢ .

(٥) حسن الامين : المصدر السابق - ص ٢٢ . وأيضا الاصفى : المصدر السابق ص ٦٠ .

فى زعامة الشيعة والتدريس والتأليف وتطوير مناهج الدراسة الفقهية اثنتى عشرة سنة ، حتى توفى سنة ٤٦٠ هـ [١] .

والظاهر أنه كان فى مدينة النجف قبل وصول الشيخ الطوسى اليها ، نواة حركة علمية ، فرأى الشيخ الطوسى أن ينميها ، ويجعل من النجف مدرسة علمية جديدة متخصصة فى دراسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية الاخرى بوجه عام ، ولهذا أصبحت النجف بعد فترة قصيرة من وصول الشيخ الطوسى اليها ، حاضرة العلم والفكر الشيعى ، وأخذ الناس يهاجرون اليها من مختلف المناطق ، وباشر الشيخ الطوسى بعد اقامته بها بالتدريس ، فكان يملى دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الامالى الا محاضرات ألقاها هناك [٢] . وربما كان هذا الوجود للحركة العلمية ، والتى تعهد اصلاحها ورعايتها الشيخ الطوسى البذرة الاولى لهذه الحركة وعليه فقد عرف بأنه مؤسس مدرسة النجف ، حيث أعطى للحركة العلمية المذكورة مركزها العلمى وطابعها الجامعى الذى حولها الى معهد للدراسات الاسلامية يؤم اليها طلاب العلم من مختلف البلاد الاسلامية [٣] .

يقول الدكتور غانم سعيد العبيدى : " . . وكانت النجف دارا للعلم ومركزا هاما للتدريس على المذهب الجعفرى ، عام ٤٤٨ هـ . وظلت تؤدى واجبها العلمى والدينى رغم انتقال مركز الدراسة الى غيرها كالحلة وكربلاء فى فترات متعددة . . . ولقد اعتبر النجف منذ عهد يناهز الالف عام معهدا للدراسات الاسلامية العالية فى حقول الفقه والاصول والتفسير والفلسفة الاسلامية الى غير ذلك من العلوم العقلية والنقلية . وفى الوقت نفسه اصبحت نواة للجامعة العلمية التى عاشت الاجيال ، وقطعت شوطا بعيدا فى مسيرتها الجامعية " [٤] . ولهذا " أصبحت محط أنظار الراغبين فى تحصيل العلم والاجتهاد من شتى أقطار العالم الاسلامى " [٥] . حتى تخرج منها عدد كبير من العلماء والمجتهدين فى مختلف العصور [٦] ، وذلك لان هذه المدرسة فتحت باب الاجتهاد ولم تغلقه

(١) الاصفى : المصدر السابق - ص ٦٠ . وأيضا حسن الحكيم : الشيخ الطوسى مرجع سابق - ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) محمد بحر العلوم : موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف - مرجع سابق جـ٢ - ص . ص ١٧-١٨ .

(٣) عبد الهادى الفضلى : دليل النجف الاشرف - مطبعة الاداب فى النجف بدون تاريخ - ص . ص ٣٩-٤٠ .

(٤) غانم سعيد العبيدى : التعليم الاهلى فى العراق - تطوره ، ومشكلاته بغداد - مطبعة الجمهورية - ١٩٧٠ - ص . ص ٣٨-٣٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٩

(٦) عبد الهادى الفضلى : دليل النجف - مرجع سابق - ص ٧ . وأيضا حسن الحكيم الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ١٧٢ .

فى وجه رواد العلم والمعرفة ، ولم تحجر عليهم نعمة الله فى التفكير. وقد تجاوز تلاميذه فيها ثلثمائة من مختلف المذاهب الاسلامية" (١) .

وقد بقى تلاميذ الشيخ الطوسى وتلاميذ تلاميذه يتناقلون مدرسة الشيخ فى الفقه والحديث والتفسير قرونا متطاولة ، حتى كثر فيها التجديد والتغيير ، ومن ألمع العلماء الذين تعهدوا رعاية الحركة العلمية فى مدرسة النجف بعد الشيخ الطوسى خلال الفترة المذكورة ، هم آل الشيخ الطوسى ، وآل شهريار ، ومن أشهر من قام بذلك من آل الشيخ الطوسى : أبو على الحسن بن الشيخ الطوسى . أما آل شهريار فمن أشهرهم أحمد بن شهريار ، من معاصرى الشيخ الطوسى ، ومحمد بن أحمد بن شهريار ، صهر الشيخ الطوسى وتلميذه (٢) . وقد صنف الشيخ الطوسى فى جميع علوم الاسلام (٣) .

الدراسة في مدرسة النجف :

أما دراسة مدرسة النجف فهى لاتختلف فى مناهجها وطابعها العام ومختلف أنماطها عن الدراسات الدينية وغيرها ، وأهم العلوم التى كانت تدرس هى:

١ - العلوم : أما العلوم المقررة التى تعارفت دراستها وتعلمها فى هذه المدرسة منذ نشأتها هى :

أ - علوم الشريعة الاسلامية وهى : الفقه - أصول الفقه - التفسير - الحديث علم الرجال - الفلسفة والكلام .

ب - علوم اللغة العربية : والذى يدرس منها : النحو ، الصرف ، البلاغة المعانى والبيان والبديع ، متن اللغة ، العروض والقوافى .

جـ - الادب العربى : والذى يتعلم منه : الشعر ، الكتابة ، الخطابة .

د - مايلابس العلوم المذكورة وهى : المنطق اليونانى - الهيئة القديمة " الفلك العام" الرياضيات القديمة ، الحساب والهندسة ، ولا زالت هذه العلوم تدرس فى النجف حتى اليوم (٤) .

---

(١) حسن الحكيم : المصدر السابق - ص ١٧٢ . وأيضا دونلدسن : عقيدة الشيعة مرجع سابق - ص ٢٨٥ .

(٢) عبد الهادى الفضلى : دليل النجف - مرجع سابق - ص ٤١ . وأيضا جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : ماضى النجف وحاضرها - ط ٢ - مطبعة الاداب - ١٩٥٨ - جـ ١ - ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٣) دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص ٢٨٥ .

(٤) عبد الهادى الفضلى : دليل النجف - مرجع سابق - ص ٠ ص ٥٣-٥٤ .

٢ - مراحل الدراسة :

وهى على مرحلتين: الاولى وتسمى بالمقدمات والسطوح . وهى دراسة المواد السابقة تمهيدا للمرحلة الثانية وهى مرحلة الاجتهاد. أما طريقة السطوح فهى أن يتكلم الاستاذ والتلميذ على سطح كتاب مفتوح ،اذ يبدأ الاستاذ بقراءة عبارة الكتاب ويفسرها للتلميذ ،وتقتصر هذه المرحلة على دراسة اللغة والادب - والمنطق وبعض الكتب الفقهية المبسطة - غير الاستدلالية - فاذا أتقن التلميذ هذه المقدمات أو السطوح ، ينتقل الى المرحلة الثانية ،وهى مرحلة دراسة علم الاصول والفقه الاستدلالى والكلام والفلسفة لتوءهله من حضور حلقة المجتهدين وهى مرحلة التخصص التى توءهله للاجتهاد . يقول الشيخ عبد الهادى الفضلى : "ويتخصص الطالب فى جامعة النجف بدراسة الفقه ،ومرحلة التخصص بالفقه تسمى مرحلة الاجتهاد . ويعنى بالاجتهاد - هنا - حصول القدرة لدى الفقيه على استنباط أحكام التشريع الاسلامى من أدلتها . وطبيعة التخصص بالفقه تستدعى التخصص بأصول الفقه ،وذلك لان الفقيه لايبلغ درجة الاجتهاد فى الفقه مالم يكن مجتهدا فى أصول الفقه . والفقه الذى يتخصص به فى جامعة النجف هو " فقه أهل البيت(ع)" . وهناك تخصصات أخرى يتوفر عليها الطالب حسب رغبته وهوايته وهى فى العلوم التالية : المنطق والفلسفة ،الكلام والعرفان،التفسير، الحديث الرجال ،متن اللغة العربية ،النحو ،الصرف ،البلاغة[1] .

وتعتمد مدرسة النجف فى ماليتها التى تنفقها على الطلاب وفى شئونها الاخرى على الحقوق الشرعية التى يدفعها المسلمون الى مراجع التقليد وعلى بعض الموقوفات الاهلية . وليس لمدرسة النجف أى مورد مالى حكومى من أية حكومة منذ أسسها الشيخ الطوسى حتى اليوم[2] .

وقد أخذت مدرسة النجف منذ عام ٤٤٨ هـ " فى التقدم والتوسع حتى أصبحت أوسع وأهم جامعات العالم الدينية" [3] .

ومن خصائص مدرسة النجف العلمية أنها آحادية المذهب تقوم بتدريس علوم آل البيت عليهم السلام . ولم يكن ما ينافس المذهب الجعفرى من المذاهب الاسلامية

(١) المصدر السابق : ص ٦٩ . وأيضا غانم سعيد العبيدى : التعليم الاهلى فى العراق - مرجع سابق - ص ٤٠ .
(٢) عبد الهادى الفضلى : المصدر السابق - ص ٧٥ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ١٠٣ .

الاخرى فى النجف ، ولذا اختلفت هذه المدرسة عن مدارس بغداد المعاصرة لها اذ كان بعضها ثنائى المذهب أو أكثر من ذلك ، ولكن هذا لايعنى أن مدرسة النجف لاتتعرض لآراء المذاهب الاسلامية الاخرى ، فالشيخ الطوسى ألف" كتاب الخلاف " الذى يعتبر فى حقيقته موسوعة فقهية عظيمة فى الفقه المقارن ، وقد ناقش فيه آراء المذاهب الاسلامية كافة (١) . وهكذا انفصل الشيخ الطوسى عن تلامذته ، وحوزته العلمية فى بغداد ، نتيجة مطاردته ، مبتعدا عن الفتن والاضطرابات ، متجها الى النجف ، حيث تجددت حوزته فيها وأسس مدرسته العلمية بها (٢) .

" جماعة اخوان الصفاء الشيعية" :

نشأت جماعة اخوان الصفاء فى البصرة فى القرن الرابع الهجرى ، وكان لها فرع فى بغداد ، وقد نشأت هذه الجماعة نتيجة الاوضاع الاجتماعية وما قام به الحكام العباسيون من تنكيل واضطهاد بالشيعة مما أدى بجماعة منهم أن يستتروا تقية من السلطان ورجال الدين ، وأخذوا يتبادلون الرسائل العلمية التى عرفت باسم رسائل اخوان الصفاء . وقد اشتهر أعضاؤها بالاراء العلمية الحرة شأنهم شأن كل الشيعة فى ذلك العصر . وقد دعوا الى تثقيف العقول والنفوس ونشر العلم والعرفان ، بمذهب يجمع بين الفلسفة والدين ، ولهذا فقد تقول عليهم الناس كما تقولوا على أسلافهم من الشيعة ، ولكن هذا لم يمنعهم من مواصلة المسيرة العلمية لنشر عقيدتهم والدفاع عنها ، وكانت وسيلتهم فى ذلك عن طريق العلم والمعرفة بكل أشكالها وفنونها ، و" من حسن حظهم أن الامراء كانوا يتنافسون فى تقريب العلماء والاغداق عليهم . . . وكان من مبادئ أعضاء هذه الجماعة أن لايعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتابا من الكتب ، وأن لايتعصبوا لمذهب من المذاهب ، وأن يجمعوا العلوم جميعا وينظروا فى الموجودات بأسرها "(٣) كما كانت عليه مدرسة الباقر والصادق من قبل ، ومدرسة المفيد والطوسى التى جمعت مختلف العلوم وحضر فيها من مختلف المذاهب .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٠٣ .
(٢) محمد باقر الصدر : المعالم الجديدة للاصول - النجف - مطبعة النعمان ١٣٨٥ هـ - ص ٦٣-٦٤ .
(٣) عبد الحليم منتصر : اخوان الصفاء - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق جـ ٣ - ص ١٠٩ - ١١٠ .

وكان اخوان الصفاء جماعة سرية ، لم يفصحوا عن أسمائهم ،أو عن حقيقة اتجاههم واكتفوا بأن سموا انفسهم اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ،وقد عاشوا خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى . والغالب أنهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م كما ويظهر من رسائلهم أنهم كانوا شيعة ،وأن هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم والفلسفة ،ولهذا تعتبر هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية لاتزال الى الان مشكلة من مشاكل تاريخ الفلسفة ، فهى أول دائرة معارف فلسفية ظهرت فى التاريخ . .ولاجل هذا تعتبر مظهرا من مظاهر الموسوعية فى ثقافتنا (١) . يقول موسى السبتى :"ان هذه العصابة الطاهرة التى حاولت نشر الثقافة باسلوبها السائغ العذب وتيسير سبل التفكير للطبقات المتعلمة هى التشييع والعمل على بث هذه الفكرة بمختلف الوسائل والسبل" (٢) . ولهذا يقول أحمد أمين :" كما نرى بوضوح فى رسائل اخوان الصفاء وهم شيعيون . . . " (٣) .

وقد بلور اخوان الصفاء عقيدتهم وتطلعهم الاجتماعى والثقافى ، وبنوا نظامهم التعليمى الذى طمعوا أن يكون وسيلتهم الى عالمهم الامثل ،وما رسوا نفوذهم كقوة اجتماعية لها خطرها ولها ثقلها فى تقرير الاحداث وتوجيه مسيرة التاريخ ، ولهذا الغرض ألفوا رسائلهم المشهورة ،وعددها احدى وخمسين ، أو ثلاث وخمسين رسالة ، تناولوا فيها كل نواحى المعرفة التى يحتاجها الفرد المثقف فى القرن الرابع الهجرى ،وأن الرسائل لها لون " شيعى علوى واضح" .كما أن من أهم ما يجلب الانتباه فيها هو عناية دعتهم الى رفض النسب الدموى مقياسا اجتماعيا فى تصنيف طبقات المجتمع والاستعاضة عنه بالتصنيف المادى للناس حسب أعمالهم ودخولهم (٤) .

وتعتبر جماعة اخوان الصفاء من أشهر فلاسفة هذا العصر ، وكانت ذات نزعة شيعية متطرفة - كما يقول الدكتور حسن ابراهيم - ولهذا اشتهروا بآرائهم وأفكارهم الحرة.وتدل رسائل اخوان الصفاء على أن مؤلفيها نالوا حظا موفورا من الرقى العقلى . وتبدأ فلسفتهم بالنظر فى الرياضيات ،وبالتلاعب بالاعداد والحروف

(١) حسين مؤنس : اخوان الصفاء - المصدر السابق - ص ١١٢ .
(٢) موسى السبتى : اخوان الصفاء - المصدر السابق - ص ١١٢ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ١ - ص ١٩٠ .
(٤) محمد جواد رضا : اخوان الصفاء - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق ص ١١١ - ١١٢ .

ثم تنتقل الى المنطق والطبيعيات ، فترد كل شيىء الى النفس ومالها من قـــوى ، وتنتهى أخيرا الى الاقتراب من معرفة الله سبحانه [١] ." وهكذا استطاع اخـــوان الصفاء ،أن يقدموا أبرع تحليل فلسفى يدعمون به القضية الرئيسية التى يقوم عليهـــا البنيان الشيعى كله ،ألا وهى حلقة الاتصال بين النبوة وخلافة الله" [٢] . . ومـــع هذا،فهناك من يشكك فى كون اخوان الصفاء من الشيعة [٣] . .

وقد أصبحت هذه الجماعة من أشهر المدارس الفكرية فى الاسلام [٤] . ويكفـــى أن تكون فى عصرها لسانا معبرا عن أشياء كثيرة حولها . فأولا : قد لخصت لنـــا كما يقول الدكتور زكى نجيب ـ أجود تلخيص حياة العلم والعلماء فى عصرها . وثانيـــا: يمكن اعتبارها طليعة تقدمية اذا قسناها بتيارات كثيرة حولها أرادت أن تشـــد الناس شدا الى الوراء [٥] .وقد تأثر بمنحاهم الفكرى أكثر مفكرى الاسلام. فالمعتزلـــة مثلا ومن جرى مجراهم كانوا يتناقلون رسائلهم ويتدارسونها ويحملونها معهـــم سرا الى بلاد الاسلام ،ولم تمض على كتابتها مائة سنة حتى دخلتالاندلس على يـــد أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى ، وهو من أهل قرطبة ، رحل الى المشـــرق للتبحر فى العلم على جارى عادة الاندلسيين ،فلما عاد الى بلاده حمل معـــه الرسائل المذكورة ، وهو أول من أدخلها الاندلس ، فما لبثت ان انتشرت هنـــاك حتى تناقلها أصحاب العقول الباحثة وأخذوا فى درسها وتدبرها [٦] . بالاضافـــة الى ذلك ،فقد وضع اخوان الصفاء دستورا متكاملا للبحث العلمى والفلسفى . وقـــد انعكست هذه النزعة العقلية الخالصة على فكرهم التربوى ،ولهذا نظروا الـــى التعليم والتربية نظرا عقليا ،معتمدين فى ذلك على الحواس بالاضافة الى العقل [٧].

وقد دفع اخوان الصفاء الى كتابة رسائلهم أمران : احداهما هو تأكيـــد روابط الاخاء التى رأوا أنها سر الحياة الانسانية . والامر الثانى : يعود الـــى

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص . ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٢) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨٠ .
(٣) نادية جمال الدين : فلسفة التربية عند اخوان الصفاء ـ طبعة ١٩٨٣ ـ ص١١١.
(٤) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٥
(٥) زكى نجيب محمود : المعقول واللامعقول ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥ .
(٦) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص. ص١٩٩ - ٢٠٠ وأيضا محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ـ بدون معلومات ـ ص ٢٥٤ .
(٧) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٦ .

ما رأوا أنه يتهددهم من اضطهاد الامراء لهم وسفك دماء بعضهم فى سبيل تلك الدعوة ، ولهذا كانوا يعملون لتغيير الواقع والنظام القائم ، وكانت وسيلتهم الى ذلك هى تغيير النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين (١) . وهذه الوسيلة هى امتداد لمدرسة أهل البيت منذ أن أنشأها الامام الباقر والصادق (٢) .

وصفوة القول فى آرائهم كما يقول الدكتور حسن ابراهيم ،أنها مذهب جماعة مضطهدة ،تبدو النزعات السياسية فى جميع أجزائه ،وترى من خلاله بعض ما عاناه أصحاب هذه الرسائل من الام وما قاموا به من كفاح ،وما استهدفوا له هم واسلافهم من ظلم ،ونتبين منه ما كان يختلج فى نفوسهم من أمل ،وما تواصوا به من الصبر . وهم يلتمسون فى هذه الفلسفة الروحية سلوى لنفوسهم أو تطهيرا لها ، وهذه الفلسفة هى دينهم ، وشعارهم المذكور أن يكون الواحد منهم مخلصا حتى الموت ، لاعتقادهم أن ملاقاة الموت فى سبيل صلاح الاخوان هى الجهاد الصحيح . فأوجبوا على الانسان أن يساعد اخاه فى هذه الحياة بكل ما يتسع له جهده ،فيجب على ذى المال أن يجعل للفقير حظا من ماله ،وعلى ذى العلم أن يعلم أخاه الجاهل . . (٣) .

وهكذا اتخذ الشيعة مختلف الوسائل والطرق العلمية لتغيير الواقع الذى عاشه المسلمون فى ذلك العصر ،حتى لاقوا من التنكيل والاضطهاد فى سبيل اعلاء كلمة الحق وتخليص الانسانية من الاستبداد والحرمان ، مما حدى بهم أن يخفوا أنفسهم عن السلطات ورجال الدين الذين ساروا فى ركابهم طمعا فى الدنيا ، وحب الحياة . وهكذا كانت حياة الشيعة سلسلة كفاح وجهاد من أجل المحرومين والمضطهدين ،حتى أثروا العقل الانسانى بتراثهم العلمى الضخم وبأفكارهم الحرة .

ثالثا : بنو حمدان فى حلب والموصل :

امتدت الحركة العلمية لدى الشيعة الى مراكز عديدة ،كانت كعبة العلماء والفقهاء والفلاسفة والمتكلمين والشعراء والادباء ،فشملت الموصل وحلب أيام الدولة الحمدانية ، وسرى نفوذهم الى بغداد . يقول آدم متز :" وكان الحمدانيون

---

(١) محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب - مرجع سابق - ص ٨٤ .
(٢) انظر مدرسة وجامعة اهل البيت من هذا الفصل .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص. ص٤٦٥-٤٦٦.

أول أسرة شيعية تدخلت فى أمور بغداد" (١) . ومهما يكن ،فقد كان الحمدانيون عربا خلصا ،وكانوا شعراء ،وحسبنا أن سيف الدولة كان امل الادباء والعلماء فى عصره ،وقد زان قصره بمختلف العلماء والادباء والشعراء (٢) .

يقول الدكتور حسن ابراهيم:" بلاد الحمدانيين فى الموصل وفى حلب خاصة : فقد كانت حضرة سيف الدولة مقصد الوفود وموسم الادباء وحلبة الشعراء ويقال أنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر. وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاعتزاز لما يمدح" (٣) .

وينقل الدكتور أحمد شلبى عن Gibb قوله :" وانتقل تيار الادب العربى لمدة بضع سنين الى شمالى سوريا واتخذ مقرا له مدينة حلب عاصمة الدولة الحمدانية الشيعية المذهب ،وقد استطاع سيف الدولة أن يجمع حوله فى مملكته الصغيرة ، جماعة قل أن تضارع ،اذ كانت متعددة النواحى فى العبقرية ،وقد كان كرمه الفائق سببا فى أن يجذب نحوه ذوى الرياسة من أدباء العصر وعلمائه فأحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة" (٤) . ولهذا يقول بروكلمان :" . . استطاع الامير العربى سيف الدولة الحمدانى ،والذى كان يتشيع للعلويين ، أن يؤسس مرة أخرى دولة عربية استرعت الاهتمام ،ونالت الاجلال والاعظام . وقد أقام سيف الدولة دولته فى شمال الشام . . فقد أمكنه أن يبعث فى عاصمة ملكه نهضة عقلية ، وكانت قصيرة الاجل . . فى دائرة مجموعة من كبار الرجال" (٥) .

وتعتبر الحركة العلمية والعقلية التى قامت فى بلاط الحمدانيين من أكبر الحركات العلمية وأعظمها ، كما يقول أحمد أمين ،فى الادب واللغة وعلومها ، حتى تخرج من المدرسة الحلبية التى أسسها سيف الدولة ،أبو بكر الخوارزمى ،والقاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ،مؤلف الوساطة بين المتنبى وخصومه. والذى أدى الى نهوض الحركة العلمية هذه ، المميزات التى اتصف بها سيف الدولة ،والتى شجعت على النهوض بالشعر والادب والعلم الى غاية بعيدة (٦).

(١) ادم متز: الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١١٨ .
(٢) أحمد محمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - ط ٢ - القاهرة - نهضة مصر بدون تاريخ - ص ٣٩-٤٠ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٢٣ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٠ ص ٩١-٩٢ .
(٥) بروكلمان :تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨١ .
(٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٠ ص ١٧٧-١٧٨ .

ثم كان فى بلاط سيف الدولة الفيلسوف الشيعى الكبير الفارابى [١]. درس فى بغداد ، ثم عاد الى دمشق وأقام بها فى حضرة سيف الدولة بن حمدان فأحسن اليه ، يقول ابن خلكان :" ورأيت فى بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء فى جميع المعارف ، فأدخل عليه وهو بزى الاتراك . . " [٢] وكان يعلم طلابه فى الحدائق التى حول حلب ، ويكتب كتبه فى المنطق والالهيات والسياسة والرياضة والكيمياء والموسيقى . وقد بقى فى بلاط سيف الدولة فى الشام الى أن مات سنة ٣٣٩هـ [٣] .

وكان حول سيف الدولة أطباء يعنون بالطب والفلسفة ، اذ كان الطب فرعا من فروعها . ويذكر ابن أبى أصيبعة فى طبقات الاطباء ، أن سيف الدولة كان له أربعة وعشرون طبيبا منهم عيسى الرقى ، وكان سيف الدولة يعطى عطاء لكل عمل ، وكان عيسى الرقى يأخذ أربعة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ، ورزقا بسبب ترجمة الكتب من السريانى الى العربى ، ورزقين بسبب علمين آخرين [٤] .

وهكذا كان بلاط سيف الدولة يزخر بالشعر **والشعراء** والمناظرات اللغوية والنحوية ، ويزينه الفارابى بفلسفته ، ويشع هذا النتاج فى المملكة الاسلامية كلها وخاصة الشام ، ومنه يستنشق أبو العلاء المعرى أول عهده بالدراسة ، فقد ولد سنة ٣٦٣ هـ بالمعرة ، واخذ علومه من بلاط الحمدانيين ، ولئن كان سيف الدولة قد مات قبل ولادته بثمان سنين ، الا أن الحركة العلمية والادبية لم تمت ، فشعر الشعراء يروى ، وتلاميذ ابن خالويه وابن جنى يروون علمهما باللغة والادب والنحو والصرف ، وتلاميذ الفارابى يروون فلسفته ، وقد أقام أبو العلاء فى حلب نحو عشر سنوات ينهل من موارد العلم ، فحركة الادب واللغة والفلسفة التى أحياها سيف الدولة لها فضل على أبى العلاء وغيره من العلماء والادباء [٥] .

وهكذا كانت هذه الدولة الشيعية [٦] ، مركزا من مراكز الحركة العلمية عند الشيعة حيث زخرت بالعلم والعلماء نتيجة تشجيع الشيعة وأمرائهم وعلمائهم أمثال سيف الدولة ، حتى بلغت القمة فى الثقافة الاسلامية والمعارف الانسانية . وأصبحت حلب مركزا علميا يتوافد اليه طلاب العلم والمعرفة .

---

(١) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ ص ٣٣.
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٧ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٦ .
(٤) المصدر السابق : ص . ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٥) المصدر السابق : ص . ص ١٨٦-١٨٧ .
(٦) المصدر السابق : ص . ص ٧٤ - ٧٥ .

رابعا : قم والرى فى ايران :

انتقلت الحركة العلمية لدى الشيعة الى ايران ، وقد بدأت هذه الحركة فى مطلع القرن الرابع الى النصف الاول من القرن الخامس للهجرة ، وفى هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث الى مدينتى (قم) و(الرى) . وظهر فى هذه الفترة شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعى ، فى مدينتى (قم) و(الرى) كان لهم أكبر الاثر فى تطوير الفقه الشيعى ، فقد كانت قم منذ ايام أئمة الشيعة بلدة شيعية ومدينة كبيرة من أمهات المدن الشيعية ، وكان الرى فى هذا التاريخ بلدة عامرة بالدرس والمكاتب وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين ، وكان أحد أسباب انتقال " مدرسة أهل البيت من العراق الى ايران" هو الضغط الشديد الذى كان يلاقيه (فقهاء الشيعة) وعلماؤهم من العباسيين ، فقد كانوا يطاردون من يظهر باسم الشيعة بمختلف ألوان الاذى والتهم ، فالتجأ فقهاء الشيعة وعلماؤهم الى (قم) و (الرى) ووجدوا فى هاتين البلدتين ركنا آمنا يطمئنون اليه لنشر فقه اهل البيت عليهم السلام وحديثهم (١) .

وكانت قم والرى تحت حكومة سلاطين آل بويه (٢) . وقد عرف آل بويه فى التاريخ بنزعتهم الشيعية وولائهم لاهل البيت ، على أن مدرسة قم كانت فى هذه الفترة من أوسع **المدارس** الشيعية فى الفقه والحديث وأضخمها ، وكانت تضم مئات المدارس **والمساجد** والمكاتب وندوات البحث والمناقشة ومجالس الدرس والمذاكرة (٣).

ومهما يكن من أمر فقد حفلت قم والرى فى هذه الفترة القرن الرابع الهجرى ، بشيوخ كبار فى الفقه والحديث : أمثال الشيخ الكلينى المقتول سنة ٣٢٨ . يقول ابن الاثير فى حوادث هذه السنة : " وقتل محمد بن على أبو جعفر الكلينى وهو من أئمة الامامية وعلمائهم" (٤) . وابن بابويه والد الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وابن قولويه استاذ الشيخ المفيد المتوفى سنة ٣٦٩هـ ، وابن الجنيد المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، وغيرهم من كبار مشايخ الشيعة فى الفقه والحديث كالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ . ولهذا نشطت فى هذه الفترة حركة

---

(١) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٠ ص ٤٢-٤٣ ٠
(٢) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام - مرجع سابق - ص ٤٥٠ . وأيضا أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢١٧ ٠ وأيضا أحمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - مرجع سابق - ص ٢٢ ٠
(٣) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - ص ٤٤ ٠
(٤) ابن الاثير : الكامل - مرجع سابق - جـ ٦ - ص ٢٧٤ ٠

التأليف والبحث الفقهى وتدوين المجاميع الحديثية الموسعة ،كالكافى ،ومن لايحضره الفقيه ،وغيرهما من المجاميع والكتب الفقهية (١) .

يقول أحمد أمين :" ان دولة بنى بويه كانت دولة شيعية تتظاهر بشعار الشيعة جهارا وتحتفل بالاعياد الشيعية . . . وكان أهم أمرائهم وألمعهم عضد الدولة . وقد كان يقيم فى شيراز ولكن لم يمنعه ذلك من اصلاح بغداد وانشاء عدد كبير فيها من المساجد والمستشفيات . . وقد كان يرعى العلم والادب . . " (٢). ولهذا نبغ فى عهده جماعة من الفلكيين وعلماء الطبيعة والرياضة ،منهم : الكوهى وأبو الوفاء . أما الكوهى فدرس حركات الكواكب السيارة ،وألف فيها ،وأضافت اكتشافاته بشأن الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى جديدا الى المعرفة البشرية (٣)، بالاضافة الى أن عضد الدولة نفسه كان عالما ورياضيا ،ولهذا أكرم العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل مكان ،كما ساهم فى مجالسهم العلمية (٤) . وكان يشاركهم فى علومهم ، كما شارك الشعراء فى شعرهم وأدبهم (٥).

وقد اشتهر آل بويه بالعلم والادب ،فكان عز الدولة بن المعز شاعرا ، وكان عضد الدولة وابنه تاج الدولة أديبين ،وكذلك كان أبو العباس بن ركن الدولة، على أن عضد الدولة كان نابغا فى عدة علوم ، لذلك ظهر ميلهم فى اختيارهم وزراءهم والمقربين اليهم ، فكان أكثر وزرائهم كتابا أو شعراء أو علماء ،فمعز الدولة استوزر الحسن المهلبى ،وركن الدولة استوزر ابن العميد ،وموئيد الدولة وأخوه استوزرا ابن عباد ،وصمصام الدولة استوزرابن سعدان ،وهو صاحب **المجلس** الذى كان يضم كثيرا من الادباء والعلماء مثل أبى حيان وابن مسكويه وابن زرعة ،وكان نشاطهم فى تشجيع العلماء والادباء محمودا ،وكان هؤلاء يغمرون العلماء والادباء بعطاياهم، وكان مجلس عضد الدولة يزخر بالمباحثات والمناقشات وقد ألف له أبو على الفارسى كتاب " الايضاح والتكملة فى **النحو**" . وألف له أبو اسحاق الصابى كتاب " التاجى" فى تاريخ آل بويه (٦) .

---

(١) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - ص ٤٥ .
(٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٤٣ .
(٣) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٦٢ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٦١ .
(٥) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٤٢ .
(٦) أحمد الحوفى : أبوحيان التوحيدى - مرجع سابق - ص ٠ ص ٢٨ - ٢٩ .

وكان " فناخسرو بن الحسن بن بويه عضد الدولة . . أحد العلمـــــــاء بالعربية والادب ، وكان كامل العقل غزير الفضل ، حسن السياسة ، شديد الهيبة بعيد الهمة ، ذا رأى ثاقب ، محبا للفضائل ، تاركا للرذائل ، باذلا فى أماكـــن العطاء ، ممسكا أماكن الحزم ، له فى الادب يد متمكنه ، ويقول الشعر الجيد " (١) .

أما وزراؤهم فقد استنوا سنتهم ، وعنوا بالعلم والعلماء ، وكان على رأسهم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والوزير المهلبى ، وابن سعدان . وقد كـــان كل عظيم الجاه ، يقصد اليه الادباء والعلماء ، وكان لكل واحد منهم ميزة ، فكـان الصاحب بن عباد ميزته الادب والبحث ، وهو فى مجالسه يعلم الادباء بالنقـــد ، ويقترح عليهم نظم الشعر فى موضوعات معينة أو اجازة بعض الابيات . وميزة ابـــن العميد العلم والادب ، وقد ضم اليه طائفة من المتخصصين فى هذا . وابـــــن سعدان كان يعنى بالفلسفة وبمجالس الفلاسفة ، أمثال أبى حيان التوحيدى ، ويثير فى مجالسه مسائل فلسفية ، أما الوزير المهلبى ، فكان يعنى بالادب الصرف وفـــى التأليف . ومن الاثار الادبية التى كان يعنى بها أشعار الشريف الرضى وما فـــى ديوانه مما يتعلق بالتشيع كثير ، وكان يدور فى فلكه مهيار الديلمى ، فيقـــول الاشعار والقصائد الشيعية المتعددة (٢) .

أما الصاحب بن عباد يقول فيه بروكلمان : " كافى الكفاة أبو القاسم اسماعيـــل بن عباد بن العباس ، الصاحب . . ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان أبوه كاتب ركن الدولـة وعضد الدولة ابن بويه ، كما كان يشتغل بالادب ويؤلف التأليف ، ويميل الى مذهب الشيعة غير الغلاة . . . " (٣) . وقد ذكر اغابزرك الطهرانى بعض مصنفاته فى كتابـــه الذريعة الى تصانيف الشيعة منها : " الابانة عن مذهب أهل العدل بحجـــــج من القرآن والعقل " لكافى الكفاة الصاحب بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ . أولـــه: " الحمد لله الواحد القديم العدل الكريم الرؤوف الرحيم " . الى قوله : هذا مختصر فى الابانة عن مذهب العدل (٤) ، وفى ذلك يقول الصاحب :

تعرفت بالعدل فى مذهبى ودان بحسن جد الى العـــراق (٥)

---

(١) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٤٧ .
(٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٤٢ .
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٦٨ .
(٤) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٦-٥٧ .
(٥) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى : نزهة الالباء فـــى طبقات الادباء - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - دار نهضـــــة مصر - بدون تاريخ - ص ٣٢٧ .

وقد اجتمع عند الصاحب من العلماء والشعراء مالم يجتمع عند غيره ، وكان حسن الاجوبة ، وقد صنف فى اللغة كتابا سماه " المحيط " . وهو فى سبعة مجلدات وكتاب " الكافى" فى الرسائل ، وكتاب الاعياد وفضائل النيروز ، وكتاب الامامة يذكر فيه فضائل على بن أبى طالب (١) . وكان شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فيها ، كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد (٢)."وكان الناس على ثقة فى علمه وأدبه ، ولذا تزاحموا على درسه . . وكانت فواضله تغمر من فى بغداد ومكة والمدينة من اهل الشرق والكتاب والشعراء واولاد الادباء والزهاد والفقهاء" (٣) .

أما ابن العميد فهو :" أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين الكاتب ، كان وزيرا لركن الدولة أبى على بن بويه الديلمى" . ٣٢٠-٣٦٦هـ" وكان يتشيع على مذهب الامامية . . " (٤) . وقد وصفه ابن الاثير فى قوله :" . . وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه مالم يجتمع فى غيره من التدبير ، وسياسة الملك والكتابة التى أتى فيها بكل بديع ، وكان عالما فى عدة فنون منها الادب فانه كان من العلماء به ، ومنها حفظ أشعار العرب ، فانه حفظ منها مالم يحفظ غيره مثله ، ومنها علوم الاوائل ، فانه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد الى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق . . . وبه تخرج عضد الدولة ، ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء" (٥) . " وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد ، وكان له فى الرسائل اليد البيضاء حتى قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد " (٦) .

وهكذا أنجبت بلاد فارس فى عهد الدولة البويهية ، بتشجيع - عضد الدولة البويهى والصاحب بن عباد وابن العميد ، وأمثالهم - نوابغ من العلماء والادباء، ففى الفلسفة كان على رأسهم أبو بكر بن محمد بن زكريا الرازى ، ثم ابن العميد وابن عباد ، كما أوجد هؤلاء فى هذا الاقليم حركة أدبية رائعة ، فكان ابن العميد كما يقول أحمد أمين: مولعا بالادب ، وله مذهب فى الكتابة أخذ عنه وقلد فيه . . . .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٠٧-٢٠٨ .
(٢) ابوحيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٤ .
(٣) أحمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - مرجع سابق - ص ٩٣ .
(٤) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١١٩ .
(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٧ - ص ٣٨ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٨٩ .

ولهذه العظمة المزدوجة قالوا : بدئت الكتابة بعبد الحميد . . . والناس بعد قد قلدوا هذا الاسلوب ، وعدوه المثل الذى يحتذى " (١) . وهكذا كان هؤلاء الاعلام الثلاثة عضد الدولة وابن العميد ، وابن عباد ، مصدر الحركة العلمية فى هذا القسم من بلاد فارس ، اذ كان كل منهم على امارته أو وزارته عالما أديبا يرى أنه أول ما يجب عليه أن يزين بلاطه ومجلسه بالعلماء والادباء (٢) . ولهذا كان لابن العميد والصاحب بن عباد أثر عظيم فى تشجيع الادباء ، وازدهار الشعر والنثر ، لانهما جمعا الى جاه الوزارة الادب والشغف به والتأليف فيه ، فكان ابن العميد يكرم العلماء والادباء ، ويغدق عليهم ويعقد مسابقات بينهم ، وأنشأ مكتبة كبيرة عين ابن مسكويه مديرا لها ، وسار على نهج الصاحب بن عباد (٣) .

يقول أحمد أمين : " وابن العميد تفوق فى علوم كثيرة منها الهندسة والمنطق وعلوم الفلسفة والالهيات والطبيعة والتصوير ، وكان أديبا واسع الرواية لاشعار العرب . . . كان هذا الرجل - ابن العميد - أكتب أهل عصره وأجمعهم لالات الكتابة حفظا للغة والغريب ، وتوسعا فى النحو والعروض ، واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية فالاسلام . فاما تأويل القرآن وحفظ مشكله وتشابهه ، والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار ، فكان منه فى أرفع درجة ، وأعلى رتبة ، ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ فى الهندسة والتعاليم لم يكن يدانيه فيها أحد ، فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات فيها خاصة ، فما جسر أحد فى زمانه أن يدعيها بحضرته . . ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة كعلوم الحيل (الميكانيكا) التى يحتاج اليها فى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الاثقال ، وعمل الات غريبة لفتح القلاع" (٤) .

ويعزو مصطفى جواد ، التقدم الشامل فى العهد البويهى الى الحرية التى كان العلماء يتمتعون بها فى ذلك العهد قائلا : " أخذت العلوم تزدهر ازدهارا سريعا ، حتى صارت أيامها من أزهر العصور العلمية الاسلامية ، وذلك لتوفر الحرية الفكرية ، والحرية العلمية ، وكانت هذه الحريات قبلهم مزمومة مكتومة وقد عوقب عليها قبلهم بالموت . . " (٥) .

---

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص٢٥٢ . وأيضا حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - ص ٣٣٣ .
(٢) أحمد أمين : **المصدر السابق - ص ٢٤٧ .**
(٣) أحمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - مرجع سابق - ص ٠٠ ص ٣٩-٤٠ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٤٨ .
(٥) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٠ ص ٣٤-٣٥ .

والذى مكن البويهيين من بعث الاستقرار والامن فى البلاد ، سياستهم الحكيمة المتسامحة تجاه جميع السكان [١] . وكان من نتائج هذه السياسة أن هدأت الاحوال ، واستقرت الامور فى أغلب الاوقات ، وانصرف الناس الى العمل من أجل ترقية الحياة المادية والروحية ، وعادت بغداد كعبة العلم والثقافة على النحو الذى كانت عليه فى العصر العباسى الاول (١٣٢-٢٣٢ هـ) [٢] . وهذا هو السر فى كثرة من نبغ فى العلوم والاداب فى تلك الفترة من مختلف المذاهب الاسلامية أمثال الكلينى ، وابن قولويه ، والصدوق ، والشيخ المفيد ، والشريف الرضى ، والشريف المرتضى ، والشيخ الطوسى ، والكثير من علماء المذاهب الاسلامية ، والفرق الكلامية أمثال : الماوردى ، والشيرازى الفيروزاباذى ، والجوينى امام الحرمين ، والباقلانى ، والبصرى ، وابن الصباغ ، والدامغانى ، والبغدادى ، وغيرهم من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين ازدهر بهم القرن الخامس الهجرى ، وان رجال الفكر والعلم كان الكثير منهم فى عهد الدولة البويهية فى مأمن من الفوضى والاضطراب [٣] .

" وعلى الجملة فقد خدمت الدولة البويهية العلم والادب خدمة كبرى ، ومع أنهم فرس الاصل وأكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ، فقد كانوا يتعصبون فى العلم والادب للسان العربى . . . وكل من هؤلاء كان عمادا عظيما للادب والادباء والعلماء ، وكانت لهم مجالس تموج بالعلم والادب" [٤] . واستمروا على ذلك الى سنة ٤٤٧ هـ . وامتد سلطانهم على جزء كبير من الوطن الاسلامى فى فارس وأهواز وكرمان وبغداد وغيرها ، وقد خدم البويهيون التشيع أيام حكمهم ونشروا المذهب فى ايران والعراق ، وخلفوا تراثا فكريا قيما من بعدهم [٥] .

خامسا : الادارسة فى المغرب والاندلس:

قامت دولة الادارسة على يد المولى ادريس بن عبد الله العلوى ، بعد أن نجا من مجزرة (فخ) ، حيث سار الى بلاد المغرب الاقصى مع مولاه راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوى فى موقعة فخ ، وقد استقبلته قبيلة -

---

(١) Mafizullah, Kabir:"The Buwayhid dynasty of Baghdad" (Calcutta, 1964). P.212.

(٢) William, Muir, "The Caliphatt": its rise decline and fall, (Beirut, 1963)P.504.

(٣) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٠ ص ٣٥-٣٦-٣٧ ٠

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٥٥ ٠

(٥) الاصفى : مقدمة اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٢٣ ٠

أَوْرَبَة البربرية - التى لقى منها العون والتأييد فى تأسيس دولة الادارسة التى كانت أول دولة مستقلة عملتعلى نشر الاسلام فى ربوع هذه البلاد (١) .

يقول جرجى زيدان :" قد علمت حال الشيعة فى أيام بنى أمية بالشام وما قاسوه من القتل والصلب ،ثم ما كان حالهم فى الدولةا لعباسية ،وخصوصا فى أيام المنصور والرشيد والمتوكل ،من الاضطهاد والقتل ، فحملهم ذلك على الفرار الى أطراف المملكة الاسلامية ،فهاموا على وجوههم شرقا وغربا . . . وكان فيمن جاء نحو الغرب ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى" (٢) .

وقد حاول العباسيون القضاء على كل دعوة شيعية بمختلف الاساليب ،ولكن دون جدوى . ومن هنا فقد حاولوا التوهين منهم ،حتى طعنوا فى نسبهم كما طعنوا فى نسب الفاطميين ليبعدوا الناس عنهم . وفى ذلك يقول ابن خلدون :" . . ولتعلم أن أكثر الطاعنين فى نسبهم انما هم الحسدة لاعقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أودخيل فيهم ،فان ادعاء هذا النسب الكريم دعوى شرف عريضة على الامم والاجيال من أهل الافاق . . . ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فارس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لايكاد يلحق" (٣) .

هذا وقد استطاع ادريس خلال خمس سنوات وهى مدة ولايته أن يوصل الاسلام الى الاماكن التى لم يكن قد وصل اليها ،وقد أقام ملكا وطيدا دعامته العدل وانصاف الناس ،وهكذا ازدادت الدولةتمكنا يوما بعد يوم ،واستقام أمر المغرب لادريس الثانى وعظم سلطانه ،فبنى مدينته فاس (٤) .

وقد قامت دولة الادارسة بدور هام فى نشر الاسلام وتعاليمه ،وفى ربوع المغرب ،وكان لانتسابهم الى الرسول الكريم (ص) أثر كبير فى توحيد القبائل المتعادية وتأييدهم لهم بعد أن كادت الفتن التى قام بها الخوارج أن تمزق شملهم، وهكذا استطاع المولى ادريس ولاول مرة أن يوحد بين اقليم السهول الساحلية المغرب الاقصى ،واقليم المراعى - أى بين اقليم الحضارات القديمة واقليم

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٢٤
(٢) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٢٣٠ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة - مرجع سابق - ص . ص ٢٥ - ٢٦ .
(٤) محمد رضا الشبيبى : الادارسة - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٤ .

البداوة - كما استطاع الادارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم الى حركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الاسلام فى البلاد ومحاربة العقائد الشاذة والقضاء على بقايا اليهودية والنصرانية التى كانت بين قبائل المغرب (١) .

"وتنافس الادارسة فى فاس وخلفاء الاندلس فى نشر الفنون والعلوم ودوى صوت الفلسفة والعلم من المحيط الاطلنطى الى المحيط الهندى ، بل المحيط الهادى ، كذلك بفضل توجيه المسلمين وارشادهم" (٢) .

وقد أنتجت المغرب ابن هانىء الاندلسى ، المولود سنة ٣٢٠ هـ ، وقد عده بعضهم أشعر شعراء الاندلس من المتقدمين والمتأخرين ، ولكن الناس غضبوا عليه لاتهامهم اياه بالفلسفة ، ويظهر ذلك من مزجه الدعوة الشيعية فى شعره بشيىء من الفلسفة ، وكانت الفلسفة فى تلك الفترة مكروهة (٣) ." والظاهر أنهم نقموا عليه دعوته الفاطمية ، وهم ذو نزعة أموية ، وتعددت نقمتهم عليه" (٤) . ومن هنا يظهر مدى حقيقة اتهامه فى بعض أشعاره من الغلو ، فالذين لايتحرجون من الطعن فى نسب آل الرسول - كما تقدم - كذلك لايتحرجون من وضع بعض الاشعار ونسبتها الى ابن هانىء . . ولهذا يضع الباحث هذه الظاهرة أمام الباحثين . هذا وقد وصف لنا الرحالة حالة الشيعة فى المغرب وما كان يلاقونه قبل تأسيس الدولة الادريسية حيث يقول :" . . وقد أذكرنى حال العلويين فى المغرب أيام على وابى بكر وعمر بن الخطاب (رض) من الصلاح والخير والبركة ، يتبعون الرسوم التى حفظوها عن النبى (ص) ولا يقيمون أبهة الملك الا ما تدعوهم اليه حاجة الخلافة ، وكذلك اهل الشيعة فى التزام الخير واتباع السنن العادلة ، والمحافظة على القراءة التى قرأها على عليه السلام الا أن الاغلبى . . . ينقم منهم أمر الدين والدنيا ، ولا ذنب لهم الا أنهم يحرصون على الخير والصلاح ، ويميلون مع اهل بيت السلالة الشريفة الطاهرة" (٥) . وفى ذلك يقول أحمد أمين:" ويظهر أن دعاة الامويين خافوا من دعوته الشيعية الفاطمية ، وكرهوا ذلك منه فقتلوه - أى ابن هانىء - وذلك سنة ٣٦٢هـ" (٦) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٢٦ .
(٢) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٥٧ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٣٥
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٥ .
(٥) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - مرجع سابق - ص ٢٤٢ .
(٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - ص ١٣٦ .

كما أنتجت المغرب أبا حنيفة النعمان المغربى قاضى القضاة :" وقد ترك ..فى مؤلفاته الرائعة الكثيرة ثروة ثمينة . . ولاغرو فان النعمان ضرب بسهم فى جميع النشاط العلمى" (١) وأيضا انتجت الشريف الادريسى واضع أقدم وأوضح خريطة جغرافية للدنيا القديمة ، ولم يكن كتابه " نزهة المشتقاق فى اختراق الافاق"الاشرحا لهذه الخريطة وتعليقا عليها ،وقد شرحت شروحا كثيرة قديما وحديثا . يقول الاستاذ ميللر فى آخر بحث أجراه لشرح الخريطة ما معناه :" ان رجار الثانى والادريسى بوصفهما لهذه الخريطة قد وضعا أهم حجر اساسى فى تاريخ انتشار العلم الانسانى" (٢) .

وهكذا كانت دولة الادارسة فى المغرب مركزا من مراكز العلم عند الشيعة ، حيث قامت بنصيب وافر فى اذكاء الحركة العلمية هناك ،فبهم انتشر الاسلام حتى يلغ أقاصى البلاد ،وازدهرت العلوم والحضارة ، وتحضر أهل البوادى والجبال ، فلقد أنشأوا المدن الواسعة ،وبنوا المساجد ،وأقاموا الجامعات والكليات. وعم فى عهدهم العدل والامن والرخاء (٣) . قال المستشرق" سيديوا" فى كتاب" تاريخ العرب العام" :" ظل الادارسة قابضين على ماملكوه من سنة ٨٠٣ الى سنة٩٤٩م - مقيمين فى البلاد التى هى مدينة لهم بجليل الاعمال ، فأسسوا مدينة فاس التى أضحى مسجدها مقدسا لدى جميع الاهالى المجاورين ، ونال شهرة عظيمة فى زمن قليل ،واشتملت مدينة فاس على مدارس ومكتبات تساوقت هى والحركة العلمية التى حمل لواءها بنو العباس فى المشرق ،وغدت مستودعا تجاريا واسعا بين عرب اسبانيا وعرب أفريقيا" (٤) .

سادسا : الدولة الفاطمية فى مصر :

لم يكن التشيع شيئا غريبا فى مصر ،بل وجد منذ الصدر الاول للاسلام،وخاصة فى خلافة علىبن أبى طالب . وكان حال الشيعة العلوية بمصر يتقلب بين الشدة والرخاء ،بتقلب أحوال الخلفاء فى بغداد ،فان تولى خليفة يكره العلويين ضيق على الشيعة واضطهدهم والعكس بالعكس ، فلما تولى المتوكل واضطهد الشيعة

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٧٦ .
(٢) عبد الله ماضى : الادارسة - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - ج ٤ - ص ٣٢ - ٣٣ .
(٣) محمد جواد مغنية : دول الشيعة فى التاريخ - ط ٢ - النجف - مطابع النعمان - ١٩٦٥ - ص ٢٢ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٣ . نقلا عن تاريخ العرب العام لسيديوا : ص٢٧٨ - ط ١٩٤٨

العلوية كتب الى عامله بمصر باخراج آل أبى طالب الى العراق فأخرجهم سنة ٢٣٦ هـ، ولما قدموا الى العراق ارسلوهم الى المدينة ،واستتر من بقى منهم فى مصر على رأى العلوية ،لان عمال المتوكل كانوا يبالغون فى اظهار الكره للشيعة تقربا للخليفة حتى وصلت الحالة بهم أن تتبعوا اثار العلويين ،فاذا علم بأحد منهم أن له دعاة وأنصارا قبض عليه ،وأرسل الى العراق مع أهله وضرب الذين بايعوه ،واذا كان بينهم وبين أحد الناس خصومة قبل قول خصمه فيه بغير أن يطالب ببينة ،فقاسى العلويون عذابا شديدا بسبب ذلك (١) .

ولما استقل أحمد بن طولون بامرة مصر سنة ٢٥٤ هـ اضطهد الشيعة ،لانه كان من الاتراك على رأى الخليفة العباسى ،فاقتص آثار العلويين وحاربهم مرارا حتى اذا ضعف أمر بنى طولون بمصر واختلت أحوال الدولة العباسية فى بغداد وتغلب بنو بويه عليها فى القرن الرابع للهجرة أخذ الشيعة يتنفسون ويقوون ،فلما جاءهم جند المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هجرية بقيادة جوهر الصقلى كانت الاذهان متأهبة لقبول دعوته (٢) .

هذه هى حالة مصر قبل أن يدخلها الفاطميون . أما نسبة الفاطميين الى الاسماعيلية ،فالباحث يقف منها موقف المتشكك ،وانه يترك للباحثين فى التاريخ تمحيص هذه الحقيقة ،حيث ان الباحث مسك بخيط ولو ضعيف ،لكنه يجلب الانتباه الى أن الدولة الفاطمية دولة شيعية اثنا عشرية . وذلك ان مؤسس هذه الدولة كما يقول المؤرخون هو :" أبو عبد الله الشيعى . . وكان أبو عبد الله يعتنق أول الامر عقائد الاثنا عشرية ،كما كان يعرف بالمعلم ،لانه كان يقوم بتعليم هذا المذهب قبل أن يعتنق مذهب الاسماعيلية . . " (٣) . فالثابت اذن ان أبا عبد الله الشيعى كان اماميا اثنا عشريا ، وكان يعلم هذا المذهب ،فاعتناقه لمذهب الاسماعيلية يحتاج الى دليل أو سند يدل عليه . ومما يؤيد هذا القول ان قاضى القضاة النعمان ، الذى كان مقدما فى الدولة الفاطمية وفى نشر المذهب الشيعى ، وتدريس الفقه ، قد ألف فيه كتابا كان يقرأه فى مجالس الفاطميين ، كما جعل هذا الكتاب مرجع القضاة فى الفتوى ،كما أفتى الناس به ودرسوه فى الجامع العتيق(٤) . هو من الشيعة الامامية الاثنى عشرية . وفى ذلك يقول بروكلمان :"محمد بن النعمان

(١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٤ - ص٢٣١ .
(٢) المصدر السابق : ص٢٣٢ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٧ .
(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٤ - ص٢٣٢-٢٣٣ .
وأيضا أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٣٩٥ .

بن منصور بن أحمد بن حيان التميمى القاضى ،الذى اشتهر بأبى حنيفة الشيعة التحق بالامامية الاثنى عشرية" (١) .

أما نسب الفاطميين ،فقد طعن فيه بعض الباحثين كما طعنوا فى الادارسة وقد رد هذا الطعن كثير من الباحثين . يقول ابن خلدون :" ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن فى نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون فى ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح . . " (٢) .

ويقول القلقشندى فى الرد على من ادعى أن أصل الفاطميين من اليهود :" . . وهذه أقوال ان انصفت تبين لك أنها موضوعة ،فان بنى على بن أبى طالب (رض) قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدل وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى ،أولابن يهودى ، فهذا مما لايفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف . وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين ،فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتى وسبعين سنة ،وملكوا من بنى العباس بلاد المغرب ومصر والشام. . . . . وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن فى نسبهم ، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم" (٣) . وفى ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم :" ولدينا من الحقائق التاريخية ما يؤيد قبول المذهب القائل بصحة نسب الفاطميين الى النبى . فقد ساعد اعتقاد الناس فى صحة هذا النسب على نشر سلطة الفاطميين الروحية والزمنية أو كليهما ، فى كثير من البلاد الاسلامية الى حد أن نجح الفاطميون الحصول على اعتراف الناس بهذه السلطة فى أكثر بلاد الدولة العباسية ،دون أن يجدوا معارضة فى الرأى العام فى ذلك الوقت" (٤) .

بالاضافة الى ذلك ، فان الاعمال التى قام بها الفاطميون تنبئ على عراقة نسبهم العلوى ،مع ما أوتوا من علم ومعرفة واصلاح . فما أن استقروا بالقاهرة واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة ، جعلوا ينافسون بغداد فى مظاهر الخلافة والابهة ، وفى الحفاوة بالعلماء والادباء (٥) . وهذا ما سار عليه الشيعة فى مختلف

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق- جـ ٣ - ص ٣٤١ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة - مرجع سابق - ص ٢١ .
(٣) خطط المقريزى : مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٥) أحمد محمد الحوفى : أبو حيان - مرجع سابق - ص ٣٠

العصور منذ ميلادهم مقتدين بأئمتهم من أهل البيت ،الذين أذكوا الروح العلمية في نفوس الناس . ففي " عهد المعز لدين الله . . اذكى لهيب المنافسة في نشر العلم بين العباسيين والفاطميين ،وكان مأمون الغرب الاسلامي وميسيناس أفريقية الاسلامية ـ كما يقول السيد أمير على . . . وفي عهد المعز وخلفائه الثلاثة الاولين ازدهرت العلوم والفنون بفضل ما أولوها من عناية خاصة ،وكانت جامعة القاهرة الحرة . . دار الحكمة . . التي أسسها المعز صورة حقيقية للمثل الاعلى الذي تخيله بيكون فيما بعد " (١) .

ويصف ابن الاثير المعز لدين الله بقوله :" وكان المعز عالما فاضلا جوادا شجاعا جاريا على منهاج أبيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وستر مايدعون اليه الا عن الخاصة ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره الا أنه لم يخرج فيه الى حد يذم به" (٢) .

وقد اهتم الفاطميون بنشر المذهب الشيعي اهتماما كبيرا ،وانه لابد للوصول الى هذا الهدف من بذل جهود كبيرة ،وكان من أهم هذه الجهود انشاء معاهد للعلم وتعيين الشيوخ ليجلسوا للناس ليعلموهم ويرشدوهم ،وهكذا بكر الفاطميون بانشاء الازهر أقدم جامعة اسلامية ،بل أقدم جامعة عالمية ذات شأن، وجاء بعد الازهر عدد من المساجد التي ضمت حلقات التعليم وضن الحاكم بالجهود أن توزع في المساجد بين العبادة والعلم فأنشأ دار العلم حيث يخلو العلماء للطلاب ،وحيث لايأوى الا الراغبون في الثقافة وتحصيل العلم ،ثم أعد الفاطميون ووزراؤهم قصورهم لتقوم بها مجالس منتظمة للثقافة الرفيعة ،وفي هذه أو تلك كان يجلس داعي الدعاة أو الوزراء للدعاية الصريحة أو المستترة للمذهب الجديد ،وكان القاضي النعمان يجلس بالمسجد ليقرأ للناس،ثم كان قاضي القضاة علي بن النعمان يجلس بالجامع الازهر ليقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت(٣) .

يقول ابن خلكان :" وقد ذكر القاضي النعمان بن محمد الامامي الامير المختار المسبحي في تاريخه فقال :كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على مالا مزيد عليه وله عدة تصانيف . . وقال ابن زولاق . . وكان أبوه النعمان بن محمد

---

(١) السيد أمير علي : روح الاسلام ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٧ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص . ص ٧٤-٧٥ .
(٣) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص . ص٣٩٤-٣٩٥ .

القاضى فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ،وعالما بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ،واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس ،مع عقل وانصاف ،وألف لاهل البيت من الكتب الاف أوراق بأحسن تأليف . . . . وله ردود على المخالفين ،له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج ، وكتاب " اختلاف الفقهاء" وينتصر فيه لاهل البيت رضى الله عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة " (١) .

ويقول ابن زولاق أيضا : :" ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ،ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقا ،لما فيه من العلم والصيانة ،والتحفظ ،واقامة الحق ،والهيبة" (٢).

هذا وقد اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالشعراء والكتاب وغيرهم من رجال الادب لنشر المذهب الشيعى واذاعة ما بلغته خلافتهم من أبهة وسلطان ،وكان من بين هؤلاء عدد كبير من الكتاب ومن طبقة الموظفين المتعلمين بديوان سر الخليفة ، أو بدار العلم، وكان الخلفاء يبذلون لهم الاموال الكثيرة ، ويجودون عليهم بالخلع وعلى رأسهم صاحب الانشاء ، ثم يليه صاحب القلم الذى كان يوقع على المظالم ويجالس الخليفة فى خلوته ،فيذاكره بما يحتاج اليه من كتاب الله أو سير الانبياء والخلفاء وعظماء الرجال ، كماكان يحدثه فى مكارم الاخلاق ويعلمه تجويد الخط . وكان الكتاب يختارون عادة ممن اشتهربسعة الاطلاع فى الادب ، ويمتازون بالمقدرة فى فن الانشاء كما كانوا من كبار رجال الدولة (٣) .

وكانت مجالس العلماء تموج بالحركة العلمية والثقافية من أول عهد النعمان داعى الدعاة ، حيث كان يجلس للدرس والمحاضرة الى عهد يعقوب بن كلس، **فقد كان يعقد درسا فى بيته كل اسبوع يقرأ عليهم مؤلفاته ،وخصص ديوانا من بيته لكل طائفة** من الادباء والعلماء (٤) . بالاضافة الى ذلك ،كان الجامع الازهر أيام المعز والعزيز والحاكم ،مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية ،التى كانت تتخذ صورة الدعوة الى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها ، وكانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات والاذهان ، فلايتلقى الكافة سوى مبادئها وأصولها العامة ،ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين الى مراتبها العليا (٥) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥٣ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق ص. ص. ٢٨٠-٢٨١.
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ٤ - ص١٤١ .
(٥) حسن الامين : الازهر- دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ٤ - ص٧٤ .

يقول السيد أمير على :" وفى عهد الفاطميين أصبحت القاهرة مركـــــــزا جديدا من مراكز العلم والفكر ، وتألق فى عهد العزيز بالله والحاكم بأمر اللـــــه علم من أعلام الفكر فى عصره وهو ابن يونس الذى اخترع البندول ، وقاس الزمـــــن بذبذبته ، على أن شهرته تستند الى عمله الجليل المنسوب الى مليكه ووليه وهـــــو "الزيج الحاكمى" الذى قام مقام كتاب كلوديوس بطليموس" (١) . ولهذا كان للشيعـــة فى زمن الفاطميين بمصر أعظم الاثر فى التعليم ، حيث اهتم الخلفاء الفاطميـــون بنشره ، وأقاموا المساجد وأجزلوا العطاء للعلماء والمعلمين ، كما أنشـــأوا مجالس الدرس فى القصور الزاهرة ، وأنشأ الحاكم بأمر الله دار العلم ونمى الجامع الازهر ليكون جامعة عالمية يؤمها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها (٢) .

وكان ليعقوب بن كلس جانب علمى ، بالاضافة الى الجانب السياســـــى والادارى ، فشجع العلماء ، ورتب المجالس ، وبذل العطاء لكل فروع العلم والمعرفة ، وربط بين العلم والتشيع ، وبين التشيع والفلسفة، **وله مجالس لعامة العلماء ومجالس لخاصة من العلماء، وهؤلاء هم الذين يفلسفون هذه الامور، ولهذا كان لابن كلس دور كبير فى تأسيس** الحركة العلمية ، على هذا الشكل وادماج الفلسفة فيها وتوجيهها الوجهة التـــى توجهتها . ولهذا كان الاشتغال بالفلسفة من شواغل الشيعة (٣) ." كما نرى ذلك بوضوح فى رسائل اخوان الصفاء وهم شيعيون باطنيون - حسب رأى أحمد أميـــن- ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن ، نرى ذلك فى العهد الفاطمـــى والعهد البويهى ، وحتى فى العصور الاخيرة كانت فارس أكثر الاقطار عنايـــــة بدراسة الفلسفة الاسلامية ونشر كتبها" (٤) .

يقول جوستاف :" وعلى حين يصعب أن يقال أن **الفاطميين** جلبوا لمصـــــر " العصر الذهبى السعيد" . فقد كان العيش فى ذلك القطر أبان القرن الحـــادى عشر أرغد وأسعد منه فى أية بلاد اسلامية بالمشرق ، حتى لقد بلغ من قوة تأثيـــر رخائه وازدهاره على السنى الفارسى ناصر خسرو " المتوفى ١٠٨٨" أن تحـــــول الى المذهب الاسماعيلى لاعتقاده أنه الصدق والحق الذى يعود اليه الفضـــــل المباشر فيما تنعم به مصر من رخاء" (٥) .

---

(١) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٦٢ .
(٢) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى - مرجع سابق - ص ٢١٠ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٩٠ .
(٥) جوستاف : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٥١ .

وكان الخلفاء الفاطميون قادرين على بلوغ أغراضهم بالسياسة ، وبما اشتهروا به من مظاهر الكرم والأبهة والعظمة فى كل العهد الفاطمى . من ذلك الهدايا النفيسة التى كانوا يبذلونها للشعراء والعلماء ، وكذلك الاحسان الى الفقراء . . . وكل ذلك كان جديرا بأن يستميل كثيرا من الناس الى اعتناق مذهبهم(١) " ولقد أدت هذه الاعمال الى تحول كثير من المصريين الى المذهب الفاطمى . . ومعنى هذا دخولهم فى المذهب الشيعى" (٢)..

اذن فالحركة العلمية التى أنشأها الشيعة فى مصر قد تضاءلت أمامها جميع الحركات العلمية غير الشيعية ، وهذه الحركة هى امتداد للحركات العلمية التى أقامها أئمة أهل البيت . يقول الدكتور أحمد شلبى :" وعلى كل حال فان مجالس الطولونيين والاخشيديين لتذبل وتتضاءل بالقياس الى صالونات الفاطميين الباهرة فلقد سار الفاطميون . كما يقول سيد أمير على ،أن يعقدوا مجالس علمية صاخبة من حين الى آخر ، وقوام هذه المجالس أساتذة دار الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات تبعا لمواد دراستهم وتخصصهم ، فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل . وهناك الفقهاء ، والمحدثون ، وفى مكان ثالث علماء الرياضة ، ويشغل الاطباء مكانا رابعا ، وهكذا كل واحد من هؤلاء يرتدى الخلعة الجامعية التى تشبه الروب الذى يرتديه حملة الدرجات العلمية العليا فى العهد الحاضر" (٣).

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور طه أحمد فى كتابهما "المعز لدين الله " :" أبلى الفاطميون بلاء حسنا فى اصلاح حال رعيتهم وفى النهوض بدولتهم ، ليس فقط فى بلاد المغرب بل فى مصر أيضا ، فقد كانوا يتوخون الاصلاح ويهدفون الى توحيد كلمة العالم الاسلامى بوجه عام وكلمة العالم العربى بوجه خاص ، الامر الذى يجعلنا نقطع بأن المعز لدين الله يعتبر من أكبر المصلحين ، ومن أكبر أنصار ـ الوحدة العربية والاسلامية ـ وفى الحق أن فكرة جمع العالم الاسلامى وتوحيده تحت راية العلويين فكرة متأصلة فى نفوس هؤلاء منذ أيام على بن أبى طالب نفسه . فقد اعتقد على وأبناؤه ثم أحفاده من بعدهم وانصارهم من الشيعيين بأن عليهم رسالة تحتم عليهم جمع كلمة المسلمين ولم شملهم تحت لواء واحد ، لاسيما بعد أن بدأ التفرق يسود هذا العالم الكبير فى العصر العباسى الثانى . . لانهم لو استطاعوا توحيد العالم العربى لامكنهم توحيد سائر العالم

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٢٥ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٤ .
(٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ .

الاسلامى ولاعادوا للعروبة مجدها وللاسلام عزته" [١] . ولهذا أنشأ الحاكم سنة ٣٧٠ هـ مدرسة لتعليم المذهب السنى ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب، وعين أبا بكر الانطاكى ناظرا لها ،وخلع عليه وعلى مدرسى هذه المدرسة وأجلسهم فى مجلسه [٢] .

وخلاصة ما تقدم ،أن التعليم فى الدولة الفاطمية لم يكن مقتصرا على المذهب الشيعى ،وانما كان عاما لجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم . ولهذا رتب الحافظ لدين الله أربعة قضاة ،اثنان منهم من الشيعة ،احدهما امامى والاخر اسماعيلى ، واثنان منهم من السنة ، أحدهما مالكى والاخر شافعى ،فحكم كل منهم بمذهبه [٣] . ولهذا أخذ العرب كما يقول " سيديوا" يلقون أسطع الانوار فى القاهرة لامن بغداد حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والادب والفنون والعلوم فى عهد الفاطميين بمصر ،كما ازدهرت فى عهد خلفاء بنى العباس الاولين وكانت عاصمة الفاطميين تنافس أجمل مدن آسيا ،وسلك ابن يونس المصرى سبيل فلكى العراق ، فكان له مرصد ، ولم يقتصر الفاطميون فى صنع ما ينسى الناس به بغداد ،ولم يلبثوا أن صار لهم مثل دخل هارون الرشيد تقريبا [٤] .

وصفوة القول : ان المراكز العلمية التى أقامها الشيعة منذ فجر الاسلام ،قد أثرت الفكر والثقافة الاسلامية ،كما أدت الى نشاط الحركة العلمية فى تلك الفترة .

---

(١) حسن الامين : الازهر - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ٤ ص٦٢ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٣) خطط المقريزى : مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٧٩ .
(٤) محمد جواد مغنية : دول الشيعة فى التاريخ - مرجع سابق - ص ٨٦ .

الفصل السـادس

مؤسسات التعليم عند الشيعـة

ويتضمن :

أولا : المكتب أو الكتـاب

ثانيـا : المسجـد

ثالثـا : منازل العلماء والامراء .

رابعـا : مجالس العلـم والعلماء

خامسـا : دور العلـم .

سادسا : دور الكتـب .

سابعـا : المـدارس .

احدث الاسلام ثورة على الجهل ، ولهذا حث المسلمين على العلم والتعلم ، ولاشك أن عملية التعليم تحتاج الى أماكن خاصة تقوم بها . ففى أول ظهور الاسلام كانت الدور والبيوت مكانا للتعليم ، فقد اتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام دار الارقم بن أبى الارقم مكانا يعلم فيه أصحابه والتابعين له من المسلمين قواعد الدين الجديد .

ولما انتشر الاسلام ، وقويت شوكته ، أصبحت البيوت لا تصلح للتعليم ، فسارع المسلمون باتخاذ أماكن خاصة لهذه العملية ، فشيدت المساجد ، واتخذت مكانا للعبادة وتعليم الاسلام ، ولهذا كان المسجد أول مؤسسة تعليمية اسلامية اتخذها الرسول للتعليم وادارة شئون المسلمين من الناحية الفكرية والثقافية والاجتماعية .

هذا وقد شارك المسلمون جميعا فى ايجاد أماكن التعليم على السواء ، فأهل السنة كانت لهم أماكن للتعليم والتدريس كما هى موجودة عند الشيعة ، لا فرق فيما بينها ، وكل منهم قام بجهود تربوية فى هذه الاماكن وتخرج منها كبار العلماء والمفكرين . بالاضافة الى وجود أماكن أعدت للتعليم يشترك فيها المسلمون جميعا توجد أماكن أخرى خاصة بالشيعة لتعليم علوم آل البيت ، وذلك للظروف السياسية التى مروا بها ، وعلى هذا فالعملية التعليمية كانت تقوم عند جميع المسلمين عادة فى الكتاتيب والمساجد ومنازل العلماء ودور العلم ودور الكتب . كما كانت تعقد مجالس خاصة للعلم والعلماء . ولما اتسعت الحركة العلمية وازداد طلاب العلم فتحت المدارس لهذا الغرض . وهذا الفصل يتناول أهم الاماكن التى كانت تقام فيها الجهود التربوية العملية عند الشيعة .

أولا : المكتب أو الكتاب :

وجد هذا النوع من الكتاتيب قبل ظهور الاسلام ، وكان يعلم فيها القراءة والكتابة ، وبعد ظهور الاسلام زيد عليهما تحفيظ الاطفال القرآن الكريم ، وتعليمهم اساسيات الدين الاسلامى والخط والحساب ومبادىء اللغة ، ولهذا يعتبر الكتاب أو المكتب المعهد الاول الذى يتعلم فيه المبتدئون القرآن الكريم ، والقراءة والكتابة ومبادىء الدين واللغة والحساب والخط (١) . وعلى هذا فقد كان هذا النوع من الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التى كان يتعلم فيها الصبيان فى العالم الاسلامى (٢). وظلت تمارس دورها فى التعليم منذ أنشئت قديما مع ظهور الاسلام ، وكان نظامها حرا غير مقيد بالدولة ، وانما يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم (٣) .

وقد أسهم بعض المسلمين فى انشاء الكتاتيب لتعليم الاطفال ، وتنافسوا فى بنائها للتقرب الى الله ، ونشر التعليم بين الاغنياء والفقراء على السواء ، وربما كانت الكتاتيب تلحق بالمساجد ، وربما فصلت عنها (٤) . ولهذا وردت اشارات الى أن المساجد قد تتخذ بمثابة أمكنة لتعليم الاطفال . وذات مرة رأى خلف الاحمر " الكميت بن زيد يعلم الصبيان فى مسجد الكوفة" . وبالرغم من هذه الاشارة وغيرها يبدو أن المسجد لم يتخذ بمثابة موضع اعتيادى لتعليم الاطفال . فقد ورد عن الامام الصادق النهى من اتخاذ المسجد لهذا الغرض . قال (ع) :" جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم " ، وقال الشيخ الصدوق ينبغى" أن تجنب المساجد انشاء الشعر فيها ، وجلوس المعلم للتأديب فيها . . " ومن هذا يظهر أن منع تعليم الاطفال فى المساجد كان موضع رعاية من الشيعة ، وذلك لعدم تحرز الصبيان من القيام بأعمال تنافى قدسيه المسجد (٥) .

وليس من السهولة الجزم بوجود كتاتيب خاصة متميزة للشيعة ، فى الفترة موضوع البحث ، وذلك للظروف التى كانت تحيط بهم ، ولهذا كانت الكتاتيب موحدة لابناء الطائفتين من السنة والشيعة ، وذلك لتقارب المواد الدراسية فيها ، وانما

(١) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص٧١ .
(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٤٨ .
(٣) أحمد فؤاد الاهوانى : التربية فى الاسلام - مرجع سابق - ص ١٠ .
(٤) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٣ .
(٥) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٢ .

الفارق يظهر فى القضايا ذات الصلة بالعقائد ، كاهتمام الشيعة مثلا بذكر فضائل أئمتهم فى الكتاتيب الشيعية ، بينما لا يحدث هذا فى كتاتيب أهل السنة (١) .

" أما القضايا ذات الصبغة الفنية ، وتلك التى لها علاقة بالمعلومات التى يتعلمها الطفل كى تساعده على اكمال المرحلة الاولية للتعليم ، فالفروق فيها قليلة عند الطائفتين " (٢) . وذلك لان المسلمين على اختلاف طوائفهم لا يختلفون فى نظرتهم على أن القرآن الكريم ، وخاصة فيما يتعلق بتعلمه وحفظه ، بصورة تلقينية هو أول ما يطلب من الصبيان أن يقوموا به فى مرحلة التعليم الاولى . أما الاختلاف فى تفسير القرآن الكريم ، فيترك فى الغالب لمرحلة تعليم العلوم . ثم ان اللغة العربية وما يتصل بها من خط ونحو ، بحكم كونها لغة الدين الحنيف ، وبحكم كونها أهم لغة للثقافة الاسلامية ، هى أول ما يتعلمها الصبى . نظرا لاحتلال العلوم الدينية مركز الصدارة فى مناهج التربية الاسلامية منذ العصور الاولى ، بغض النظر عن معتقده والطائفة التى ينتمى اليها (٣) .

وقد وردت اشارات الى وجود كتاتيب كان معلموها من الشيعة . يقول الدكتور النشار : " ويهمنا الان أنه كان فى مكتب محمد بن الحنفية (المتوفى عام ٩٨ هـ) والحسن بن محمد بن الحنفية (المتوفى عام ١٠١ هـ) . . وصورته لنا المعتزله - أى أبو هاشم - على أنه منشىء الاعتزال فى المدينة ، وفى مكتب أبيه فيها يقول الكعبى : وكان واصل بن عطاء من اهل المدينة . . . وكان مع ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد فى الكتاب " (٤) . وأن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين تعلم " فى كتاب يقع فى بعض طرق المدينة " (٥) .

وكان كثير من معلمى الصبيان من الشيعة يعلمون فى الكتاتيب ، منهم عمير بن عامر الهمدانى الذى كان معلم كتاب فى الكوفة ، والكميت بن زيد الشاعر الشيعى يمتهن تعليم الصبيان فى الكوفة أيضا (٦) . وكان أحمد بن سهل وأبوه يعلمان الصبيان ببلخ (٧) . كما ان ابن السكيت وأباه كانا يؤدبان الصبيان بمدينة

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٦٢-٦٣ .
(٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر - ١٩٧٨ - ص ٨٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٨٨ .
(٤) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق - جـ١-ص٢٣٠
(٥) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٢ .
(٦) المصدر السابق : ص ٦٤ .
(٧) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٦٩ .

السلام[١] . وقد ورد عن الامام الصادق :" . . ثم أدبه فى الكتاب ست سنين . ." [٢] وهذه اشارة على وجود الكتاتيب عند الشيعة . ومما يؤيد ذلك ما عهد به المطيع لله البويهى الى أبى الحسن محمد بن الحسين العلوى نقيب الطالبيين فى بغداد ،وقد جاء فيه :

" وأمره - أى المطيع لله - بمراعاة متبتلى أهله . . . وأن يزوج الايامى ويربى اليتامى ، ويلزمهم المكاتب ليتلقوا القرآن ، ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ، ويتأدبوا بالاداب اللائقة بذوى الاحساب ، فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق ولاحمد لمن شرف نسبه ،وسخف أدبه . . . " [٣] . ويظهر من هذا العهد ، أنه يشتمل كذلكعلى بعض المواد التى تعلم فى الكتاب . كما يبدو ان هذه الكتاتيب خاصة قد أنشأها الشيعة ، لما عرف عن الدولة البويهية من تشيعها ومحاولة نشر المذهب بكل الوسائل الممكنة .

ثانيا : المسجد :

يعتبر المسجد أهم مؤسسة تعليمية فى الاسلام ، وان تاريخ التربية الاسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد ،ودراسة هذه المؤسسة تعنى دارسة المكان الرئيسى لاهم منابع الحياة العلمية والثقافية فى الاسلام ،ولهذا يعتبر المسجد أقدم مؤسسة تعليمية اسلامية ، فلقد قام الرسول (ص) بعد هجرته مباشرة بتأسيس المساجد ، وتابعه بعد ذلك المسلمون،ولعل السبب الرئيسى فى اتخاذ المسجد مركزا هاما لتعليم العلوم يرجع الى أن الدراسات الاسلامية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام كانت دراسات دينية تتضمن تعليم الدين الجديد وتفسيره وشرحه وتوضيح أسسه وأحكامه ، وكانت تلكالعلوم مرتبطة بالمساجد بل ربما كانت جزءا من العبادة ،ولذا كان من السهل على المسلمالتوجه الى المسجد للتفقه وأداء الفروض الدينية [٤] .

ولم يكن المسجد فى أصل بنائه وتأسيسه مقتصرا على العبادة وأداءالشعائر الاسلامية ،وانما كان المنطلق الاول لتثقيف المسلمين وتعليمهم الاحكام الشرعية

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٤٤١ .
(٢) الطبرسى : مكارم الاخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٣) القلقشندى : مآثر الاناقة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص١٥٧ الى ص١٦٥ .
(٤) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس - ط١ - رسالة دكتوراه مطبوعة - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٢ - ص ٢٢٦ .

وما يتعلق بشئون الحياة والمجتمع الاسلامى الناشىء - يقول جوستاف لوبون: "وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ، ومرجع للمرضى ، هى كذلك موئل للتعليم وفى أصغر المساجد يعلم الاولاد ، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التى لاتقل أحيانا عن جامعات أوربا أهمية" (١) . وكان أئمة الشيعة يحثون المسلمين على الذهاب الى المساجد ، لانها مكان للتعليم والتفقه . قال الامام الحسن بن على بن أبى طالب (ع) :" من ادام الاختلاف الى المسجد أصاب احدى ثمان : آية محكمة ، واخا مستفادا ، وعلما مستطرفا ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى ، وترك الذنوب حياء أو خشية" (٢) . ولهذا كان المسجد ". . مركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية" (٣) .

وازداد اهتمام الشيعة بالمساجد ، خصوصا فى الفترات التى يأمنون فيها من الاضطهاد ، كما حدث فى عهد الدولة البويهية ، حيث عهد المطيع لله لنقيب الطالبيين فى بغداد ، أن يراعى أمور المساجد بمدينة السلام واطرافها واقطارها وأن يوقف عليها الاوقاف ويتعهدها بالاصلاح (٤) . كما اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالمساجد ، وجعلوها مراكز لنشر الدعوة الشيعية ، حتى أصبحت أهم الاماكن التعليمية فى ذلك العصر لما أعطوها من المكانة الرفيعة . واذا وضعنا فى الاعتبار ان المساجد كان يدرس بها أكثر من معلم واحد ، بدليل أن عدد المجالس وحلقات الدرس كانت تعقد فيه مقسمة بين الفقهاء وغيرهم من معلمى العلوم ، وبالتالى فان حلقات المعلمين قد زادت كثيرا عن عدد المساجد التى كانت قائمة فى ذلك العصر . وحيث انه من الصعب حصر كل المعلمين الذين تولوا التدريس فى هذه المساجد ، فالباحث يقدم هنا بعض الامثلة على الجهود التربوية العملية فى المساجد التى كان يؤمها علماء الشيعة وتلاميذهم على سبيل المثال :

اتخذ الشيعة وأئمتهم المسجد مكانا لتعليم العلوم ، وكان على بن أبى طالب وابن عمه عبد الله بن عباس ، يلقيان محاضرات فى المسجد الجامع فى المدينة ، فى علوم كثيرة ، فى الفقه ، والحديث ، والفلسفة ، والمنطق ، والبلاغة

---

(١) عبد الوهاب حمودة : فضل المسجد على الثقافة الاسلامية - دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام - مرجع سابق - ص ٤٢٣ .
(٢) الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق - ص ١٦٦ .
(٣) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٥ .
(٤) القلقشندى : مآثر الاناقة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص١٦٧ .

وكان الامام على أيام عزلته بعد وفاة النبى (ص) منقطعا لدراسة تعاليم الدين فى ضوء العقل ، ولهذا كان يلقى دروسا فى مسجد المدينة فى شتى العلوم[١] وكان عبد الله بن عباس يجلس فى البيت الحرام، ويعلم الناس التفسير والحديث والفقه والادب [٢] . كما كان الامام على بن الحسين" يعظ الناس ويزهدهم فى الدنيا ، ويرغبهم فى أعمال الاخرة بهذا الكلام فى كل جمعة فى مسجد رسول الله (ص) وحفظ عنه وكتب " [٣] . قال ابن فاخته " سمعت على بن الحسين (ع) يحدث فى مسجد رسول الله (ص)" [٤] . فقد بدأ حلقته من البحث والدرس فى مسجد الرسول (ص) يحدث الناس بصنوف المعرفة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه ، وقد تخرج من هذه الحلقة التى كان يعقدها فى مسجد المدينة عدد كبير من فقهاء المسلمين [٥] . وكان ابن شهاب يكثر الجلوس فى حلقة الامام على بن الحسين ، وكان يقول : " كانت أكثر مجالستى لعلى بن الحسين" [٦] .

وكان الامام محمد الباقر (ت١١٤هـ) من بين الائمة الذين علموا فى المسجد النبوى فجلس اليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل [٧]. ولم يكن تدريسه مقتصرا على الفقه والحديث، بل كان هو وأصحابه يناظرون فى أصول الاسلام ، ويحاولون تركيزها فى النفوس حتى لا تتعرض لما أثير فى ذلك العصر من الجدل والنزاع فى أصول العقائد ، ولهذا كان الامام محمد الباقر يجلس فى مسجد المدينة ومن حوله طلابه يسألونه عن مختلف العلوم ويجيبهم عن أسئلتهم [٨] . يقول أبو زهرة : ". . محمد الباقر (رض) . فقد كان اماما فى عصره تلقى عنه أبو حنيفة وأخوه زيد وغيرهم. . . وانه كان على اتصال بكل علماء المدينة يجيئون اليه ، وان مسجد رسول الله (ص) كانت حلقات التابعين فيه تملوءه علما ورواية عن صاحب الروضة الشريفة ، فكان فيه مع بهاء النبوة ، علم النبوة ، ومع الحديث الطاهر آثار النبى (ص) تذاكر وتدرس" [٩] .

---

(١) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٤٨-٢٤٩ . وأيضا عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٠١ .
(٢) أحمد أمين : فجر الاسلام - مرجع سابق - ص ١٧٣-١٧٤ .
(٣) ورام : تنبيه الخواطر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٤ .
(٤) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٥ .
(٥) محمد باقر الصدر : مقدمة الصحيفة السجادية - مرجع سابق - ص.ص١٢-١٣ .
(٦) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ١٥٧ .
(٧) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٥ .
(٨) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢١١ - ٢١٢ .
(٩) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٨٨ .

وكان الامام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) من بين الائمة الذين علموا بالمسجد . وكان محل تدريسه والقاء محاضراته هو الجامع النبوى ، ففيه كان حملة الحديث ورواد العلم يزدحمون لاستماع دروس الامام وتسجيل أبحاثه [١]. روى المفيد " ان ابن أبى العوجاء وابن طالوت . . فى نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين فى الموسم الحرام وأبو عبد الله جعفربن محمد(ع) فيه اذ ذاك يفتى الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات " [٢] .

استمر الائمة من اهل البيت (ع) وعلماء شيعتهم على تعليم الشيعة فى المساجد . ومن شيوخ الشيعة الذين مارسوا التعليم فى المسجد أبان بن تغلب الجريرى ، وكان يجلس فى مسجد المدينة ليعلم الناس، وقال فيه الامام الباقر : " اجلس فى مسجد المدينة وافت الناس فانى أحب أن أرى فى شيعتى مثلك" [٣]. وكان الواقدى ممن تصدر للتدريس فى مسجد المدينة . قال السمتى :" رأينا الواقدى جالسا الى اسطوانة فى مسجد المدينة وهو يدرس . فقلنا له أى شيئ تدرس؟ فقال : جزء من المغازى" [٤] .

أما مسجد البصرة ،فكان يدرس فيه على بن زيد بن جدعان ، أحد علماء التابعين . قال منصور بن زاذان :" لما مات الحسن البصرى قلنا لعلى بن زيد اجلس مجلسه . . . وروى عن يزيد بن زريع قال : كان على بن زيد رافضيا . . . وقال أحمد العجلى : كان يتشيع . . مات سنة احدى وثلاثين ومائة" [٥] . وكان "المفجع محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب البصرى . . وكان شيعيا ، . . وكان يجلس فى جامع البصرة فيكتب الناس عنه ويقرأون الشعر . . . وتوفى سنة٣٢٧هـ . . . وعنه أخذ التبريزى" [٦] .

وكان فى بغداد عدة مساجد للشيعة يجتمعون فيها للدرس والتعليم ، ولكن العباسيين وضعوا عليهم العيون ، وأحصوا عليهم تحركاتهم ومنعوهم من التدريس فيها . ومن هذه المساجد مسجد براثا ، وكان فى الموضع المعروف ببرثا . قال الخطيب البغدادى :" وكان فى الموضع المعروف ببرثا مسجديجتمع فيه

(١) القندوزى : ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص. ص ٧٦-٧٧ .
(٢) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٥-٦٦ .
(٣) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٨ . وأيضا فياض: المصدر السابق - ص ٦٦ .
(٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٧ .
(٥) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص . ص١٢٨-١٢٩ .
(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق- جـ٢ - ص٢٣٦

قوم ممن ينتسب الى التشيع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع الى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون فى ذلك المسجد . . . فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة فكبس واخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبسا طويلا ، وهدم المسجد حتى سوى بالارض وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التى تليه ، ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة " (١) .

وكان ابن عقدة يجلس فى مسجد براثا ويحدث الناس ، كما انه كان يورق بالكوفة ويعلم القرآن والادب (٢) . وكذلك كان يعلم الناس فى مسجد الرصافة ويملى على تلاميذه فيه . قال الخطيب البغدادى : " أخبرنا أبو الحسين . . حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد . . بن عقدة . . املاء فى جامع الرصافة فى صفر من سنة ثلاثين وثلثمائة" (٣) . قال عبد الغنى بن سعيد : سمعت الدارقطنى يقول : " ابن عقدة يعلم ماعند الناس ولا يعلم الناس ما عنده " (٤) . قال الطوسى: "حدثنا أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ املاء فى مسجد الرصافة جانب الشرقى ببغداد فى ذى القعدة سنة احدى عشرة واربعمائة" (٥) . وكان أبو عبد الله الحسين بن أحمد البزار (ت٤٤٧هـ) يدرس بمسجد الشرقية بعد أن منع من تدريسه فى مسجد المنصور (٦) .

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرسون فيها طلبتهم ، لان المساجد العامة فى الفترة موضوع البحث ، لم تتخذ مكانا رئيسيا للتعليم عندهم ، لعدم توفر الحرية التامة لهم ، فى معظم فترات تاريخهم ، لان يعلموا علوم آل البيت فى المساجد العامة خاصة تلك التى تشتد عليها الرقابة من أهل السنة (٧) . ومن الادلة على حرمان الشيعة من حرية التعليم ما حصل لعلى بن محمد الفصيحى (ت٥١٦ هـ) لما أتهم بالتشيع فصل من النظامية حيث كان من مشاهير مدرسيها ، ولكن أفواجا من المتعلمين راحوا يقصدونه فى داره ليواصلوا القراءة عليه (٨) . كما ان البزار منع من التعليم فى جامع المنصور ، فلجأ الى مسجد الشرقية كما تقدم .

---

(١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٠٩ . وأيضا ادم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص١١٦ .
(٢) عباس القمى : الكنى والالقاب - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ص ٣٥٢-٣٥٣ .
(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٥ - ص١٥ .
(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٣٧ .
(٥) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٦ .
(٦) عباس القمى : الكنى والالقاب - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص٣٧٥-٣٧٦ .
(٧) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٦٧ .
(٨) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٠ .

مسجد الكوفة :

يعتبر مسجد الكوفة من المساجد التى لعبت دورا مهما فى اذكاء روح البحث ونشر الثقافة الاسلامية ، حتى تخرج منه كثير من حملة الفكر الاسلامى على اختلاف اتجاهاتهم وكونوا لهم مدارس علمية لها طوابع مختلفة ، وذلك لما أوتيه هذا المسجد من الفضل والمكانة من بين المساجد الاخرى ، مما أدى الى تزاحم العلماء للتعليم والتعلم فيه ، حتى أصبح من أهم الاماكن العلمية فى تلك الفترة المبكرة من الاسلام . وهو أحد المساجد الاربعة ، فعن الصادق قال : والله ان مسجدكم هذا - يعنى مسجد الكوفة - لاحد المساجد الاربعة المعدودة، المسجد الحرام، ومسجد المدينة والمسجد الاقصى ، ومسجدكم هذا . . " (١) قال البراقى : يتضح لك . . أن مسجد الكوفة قديم ، وفضله عظيم (٢) .

يقول ياقوت : وأما مسجدها - أى الكوفة - فقد رويت فيه فضائل كثيرة ، روى حبة العُرَنى قال : كنت جالسا عند على ، عليه السلام ، فأتاه رجل فقال : ياأمير المؤمنين ، هذه راحلتى وزادى أريد هذا البيت أعنى بيت المقدس ، فقال عليه السلام : كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد ، يعنى مسجد الكوفة ، فانه أحد المساجد الاربعة ، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد والبركة منه الى اثنى عشر ميلا" (٣) .

ولما مصرت الكوفة سنة ١٩ للهجرة - على خلاف فى ذلك - فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، بنى سعد بن أبى وقاص مسجدها (٤) . فكان موضعا للعبادة وتعليم الناس الاحكام الاسلامية . وحينما اتخذ الامام على الكوفة عاصمة له ، كان مسجدها مدرسته الاولى فى ذلك الاقليم. فكان يعلم الناس العلوم الاسلامية فيه ، وكان ملازموه الاصل العلمى لهذه المدرسة ، بما تلقوه عليه من فتاو وأحكام ، وما رووه عنه من أحاديث نبوية (٥) . ولهذا كان مسجد الكوفة أساس الدراسات الفكرية والمنطلق لتعليم سائر فروع المعرفة التى تتناسب مع مطالب الدولة الاسلامية (٦) .

---

(١) حسين أحمد البراقى النجفى : تاريخ الكوفة - النجف - المكتبة المرتضوية ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م - ص ١٣

(٢) المصدر السابق : ص ١٢ .

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان - بيروت دار صادر - ١٩٥٧ - جـ ٤ - ص ٤٩٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤٩١ .

(٥) محمد أبو زهرة : مالك - مرجع سابق - ص ١٤٩ .

(٦) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٤٧ - ٢٤٨

ومن هذا المنطلق ،كان مسجد الكوفة مجمع أهل العلم من الشيعة، باعتبارها من أهم المراكز الشيعية ، فهى حاضرة خلافة الامام على ، ومهد شيعته وشيعة أبنائه من بعده ، كما يقول الدكتور يوسف خليف [١] ، فلاغرو اذن أن تكون موطنا لعلماء الشيعة ،وأن يكون المسجد هو المكان الذى يقومون فيه بتعليم وتدريس علوم آل البيت . ولهذا يقول الحسن بن على الوشاء :" انى أدركت فى هذا المسجد - يعنى مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول : حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام" [٢] . ولهذا شهد هذا المسجد الكثير من مظاهر النهضة العلمية والادبية ، ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس." وكان الكميت الشاعر من أبرز معلمى العراق ، فكان يجلس فى مسجد الكوفة لتعليم الصبيان" [٣] .

وكان الكميت يلتقى فى هذا المسجد بحماد الراوية ،فيتذاكران أشعار العرب وأيامهم فاختلفا مرة فى شيىء ، فقال الكميت لحماد : أتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارهم ؟ فقال حماد : هذا والله هو اليقين . فغضب الكميت ومازال يناقشه ويسأله حتى أفحمه [٤] . ولهذا كان يشهد الجمعة بمسجد الجامع فيحيط به علماء الكوفة ورواتهم ، وفيهم حماد والطرماح فيأخذون بسوءاله ، حتى اذا فرغوا من سوءالهم أخذ هو يسألهم [٥] . وهكذا استطاع الكميت أن يصل الى مستوى من العلم بأخبار البادية ولغاتهم ،وعالمها العقلى والفنى بحيث سمح له بأن يجلس من الناس مجلس الاستاذية ، ولهذا يذكر صاحب خزانة الادب انه :" يقال ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت . . ." اذن فالكميت شاعر عالم متصل اتصالا واسعا عميقا بأخبار البادية وأيامها وأشعارها وأنسابها ،ولهذا أباح لنفسه أن يجلس مجلس الاستاذية، وأن يناظر راوية متخصصا فيها فيفحمه ويظهر قصوره ويتفوق عليه . ومن هنا كان الكميت فقيه الشيعة وشاعرها ، واتجه فى سبيل تحقيق هذه الغاية الى العلم والتحصيل،فمضى يشارك فى الحياة العقلية التى كانت مزدهرة فى مدينته مشاركة قوية ،متعلما حينا ومعلما حينا آخر [٦] . وهكذا كان مسجد الكوفة مكانا للكميت

---

(١) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص ٢٨٤ .
(٢) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - مرجع سابق - ص٢٣٩ .
(٣) على حسنى الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى - مرجع سابق ص ٢٣٩ . وأيضا أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق- جـ٣-ص٣٠٥ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١١ .
(٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٥٧ .
(٦) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق -ص ٧٠٥-٧٠٦

يعلم فيه ، ويلقى دروسه على من يلتف حوله من تلاميذه [١] .

وحينما انتقل الامام الصادق الى الكوفة أيام أبى العباس ، واستمر بقاء الامام فيها مدة سنتين ، اشتغل فيها بالعلم والتعليم ، وكان المسجد مكانه الذى يلقى فيه دروسه على تلاميذه ومريديه . وذات مرة شوهد الامام الصادق فى مسجد الكوفة بين خلق كثير من الشيعة يعظهم [٢] . وهكذا كان مسجد الكوفة مسرحا لعلماء الشيعة وفقهائهم . فكان عبد الله العبدى" قارئا يقرئ فى مسجد الكوفة ، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا" [٣] . وكان اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكوفى يدرس فى مسجد الكوفة ، روى شريك ، عن سلم بن عبد الرحمن ، قال " مر ابراهيم النخعى بالسدى ، وهو يفسر لهم القرآن ، فقال : أما أنه يفسر تفسير القوم ، روى عنه الشعبى مات سنة سبع وعشرين ومائة" . . . ورمى السدى بالتشيع [٤] . وكان برير بن خضير سيد القراء ، وكان يعلم الناس القرآن فى المسجد وقد استشهد مع الامام الحسين بن على ، ولهذا قال احدهم عندما أراد أن يحمل عليه كعب بن جابر : " ان هذا برير بن خضير القارئ الذى كان يقرئنا القرآن فى المسجد " [٥] . بالاضافة الى وجود مساجد أخرى فى الكوفة كان يدرس فيها علماء الشيعة . فكان عمرو بن عبد الله بن على الكوفى الهمدانى من أعيان التابعين . . . وكان من ثقات على بن الحسين (ع) . . . وكان له مسجد معروف بالكوفة قرأ ابن عساكر فيه الحديث ، وكان هو وأولاده يدرسون فيه الحديث ، توفى سنة ١٢٧هـ [٦] وكان للفراء مسجد بجانب منزله يجلس فيه للناس ليعلمهم العلم [٧] . الى غير ذلك من العلماء الذين تصدروا للتدريس فى مساجد الكوفة ، خصوصا المسجد الجامع ، منهم أبان بن تغلب ، وعبد الرحمن بن خراش الحافظ ، وعبد الرازق بن همام ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وهشام بن الحكم ، وحمران بن أعين ، وغير هؤلاء من شيوخ الشيعة [٨] . روى الصدوق أن على بن العباس قال : "حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان ، وحدثنا على بن أحمد بن عبد الله البرقى ، وعلى بن عيسى المجاور ، فى مسجد الكوفة" [٩] .

---

(١) المصدر السابق : ص٦٨٤ .
(٢) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص٦٦ .
(٣) المصدر السابق : ص٦٦ .
(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ٥ - ص٤٣٢-٤٣٣ .
(٦) عباس القمى . الكنى والالقاب - مرجع سابق جـ ١ - ص ٤ - ٥ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٢٨ .
(٨) انظر الفصل الخامس مراكز العلم من هذا البحث .
(٩) عبد الله فياض : تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٦٦ .

جامع الازهر :

منذ أن قدم جوهر الى مصر ، ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله ، أنشأ تلك المدينة ، وأطلق عليها " المنصورية " وذلك فى عام ٣٥٨ هـ ، وعندما انتقل المعز لدين الله الفاطمى من القيروان الى مصر ، للاقامة بها سنة ٣٦٢هـ غير اسم المدينة وسماها " القاهرة " المعزية نسبة اليه (١) . ولما كان أول ما ينشأ فى مدينة اسلامية انما هو الجامع الذى يجتمع فيه المسلمون لصلاتهم وادارة شئونهم ، ومايتعلق بشعائر دينهم ، أنشأ جوهر الازهر فى طليعة ما أنشأ ليكون مجلسا لهذا المظهر الدينى (٢) . وكان بناء الازهر سنة ستين وثلثمائة للهجرة (٣) .

ومن خصائص الازهر انه بدأ كغيره من المساجد لاقامة الشعائر الدينية ، ولم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواد المعرفة من كل مكان مختلف العلوم والفنون . ففى سنة ٣٧٨ هـ أشار الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بتحويل الازهر الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية ، وسرعان ما أصبح الازهر جامعة علمية تضم طلاب العلم من كافة أرجاء البلاد الاسلامية . وقد عمل الخليفة العزيز ومن جاء بعده من الخلفاء على تقديم كل ما يحتاجه الطلاب ، كما وفروا لهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة من غير أجر . وقد زاد فى بناء هذا الجامع كثير من الخلفاء والامراء ، وأنشأوا فيه مساكن للطلاب تحيط بالمقصورة والصحن من الجهات الاربعة ، كما حبسوا عليه كثيرا من الاوقاف (٤) .

ويعتبر جامع الازهر ، أكبر جامعة دينية وثقافية طوال العصور الوسطى يقول المقريزى : " هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة" (٥) . وقد أنشأه الفاطميون لنشر وتدريس المذهب الشيعى ، حتى لايزعجوا أهل السنة بدراسة المذهب فى المساجد (٦) . ولهذا فقد كان عامرا بتلاوة القرآن الكريم وتلقينه ودراسته والاشتغال بالتفسير والحديث وعلوم الفقه والنحو والبلاغة (٧) . ففى صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان بالجامع الازهر ، فقرأ

---

(١) محمد كامل الفقى : الازهر وأثره فى النهضة الادبية الحديثة - القاهرة المطبعة المنيرية - ١٩٥٦ - جـ ١ - ص ٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٨ .
(٣) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٠٥
(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٥٣٦ .
(٥) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٥٦ .
(٦) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٢٦ .
(٧) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٨ .

مختصر أبيه فى فقه آل البيت فى جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس تعقد بجامع الازهر [١] . وفى سنة ٣٧٨هـ عين العزيز بالله بالازهر جماعة من الفقهاء ، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، ويعتبر هؤلاء أول فوج من الاساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الازهر ، وقد باشروا مهمتهم العلمية تحت اشراف الدولة بطريقة مستقرة ومنظمة [٢] .

ويبدو أن الوزير ابن كلس كان له الدور الاكبر فى تحويل جامع الازهر الى معهد للدراسة المنظمة ، وهو فيما يظهر أول من فكر فى تنفيذ هذا المشروع الجامعى العظيم. ولهذا سأل ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى أن يعين بالازهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه . وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات حسنة ، كما أنشأ لهم دارا يسكنون فيها بجوار الازهر [٣] وكان ابن كلس نفسه أحد أساتذة هذه الجامعة ، ففى رمضان سنة ٣٦٩ للهجرة ، جلس أبو الفرج يعقوب ابن كلس فى صحن الجامع الازهر متصدرا حلقة العلم ، وقرأ على الناس كتابه المعروف باسم " الرسالة الوزيرية" [٤] . والى جانب ابن كلس كان جهابذة العلماء من بنى النعمان ، ومن أشهر ما قدمه هؤلاء الى مريديهم ومحبى الاستماع الى حلقات دراستهم بالجامع الازهر كتاب " دعائم الاسلام فى الحلال والحرام والقضايا والاحكام - من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله - وقد كتبه النعمان [٥] . وهكذا كان جامع الازهر مكانا للدراسات والابحاث العلمية ، وظل من ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر من أكبر الجامعات فى العالم الاسلامى [٦] .

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالازهر ، ولاسيما فى بداية عهدها ، وكان من الطبيعى أيضا أن تحتل علوم الشيعة الفاطمية وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الاول . بيد انه يمكن أن يقال من جهة أخرى ان هذه الصبغة المذهبية لم تكن مطلقة ، ولم تكن لزاما على الطلاب ، بالرغم من تمسكها

---

(١) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٣ - ص . ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٢) حسن الامين : الازهر - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ٤ ص٦٦ .
(٣) أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الجاحد : الاتجاه الاسلامي عند بعض مفكرى التربية فى مصر وأثره فى التطبيق التربوى من ١٨٠٥-١٩٥٢ - رسالة دكتورا الفلسفة فى التربية - رسالة غير مطبوعة - قسم أصول التربية - جامعة المنوفية - ١٩٨٣ - ص ١٠٢ .
(٤) سنية قراعة : تاريخ الازهر فى ألف عام - القاهرة - مكتبة الصحافة الدولية ١٩٦٨ - ص ١٠٢ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٠٣ .
(٦) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٠٥

بصبغتها المذهبية العميقة ، لم تحاول أن تجرى على سياسة الارغام فى طبع الشعب بطابعها ، بل كانت تلجأ فى ذلك الى سياسة الرفق والتسامح . ولنا فى ذلك دليل فى المرسوم الدينى الذى أصدره الحاكم بأمر الله وهو من غلاة الخلفاء الفاطميين - كما يقال - ففى سنة "٣٩٨هـ - ١٠٠٨م" وفيه يقرر بعض الاحكام ويفسرها ، على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف فى فهمها ، ويحاول أن يوفق فى ذلك بين المذاهب المختلفة ، وقد جاء فيه كما فى كتاب العبر لابن خلدون :

" . . يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، صلاة الخميس للذين بها جاءهم فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع منها ولا هم عنها يدفعون ، يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون ، يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ، ولا يؤذى من بها لا يؤذنون . . "(١) .

هذا وكانت الدراسة فى جامع الازهر حرة تدرس فيها علوم السنة الى جانب علوم الشيعة ، فمن الواضح اذن أن الدراسة بالازهر كانت حتى فى الوقت الذى يشتد فيه تيار الدعوة المذهبية ، تحظى دائما بقسط من الحرية يزيد أو ينقص وفقا للظروف والاحوال . وهذه علامة مضيئة فى تاريخ الدولة الاسلامية حيث تبنت الدولة الفاطمية تدريس غير مذهبها ، وأطلقت الحرية لكل المذاهب ، ولم تضطهد من لا يقول بقولها ، فكان للمالكية خمس عشرة حلقة ، وللشافعية مثلها ، ولاصحاب أبى حنيفة ثلاث ، وهذا من أعظم مفاخر هذه الدولة كما يقول مصطفى مشرفة(٢) .

يقول : Stanley Lane Pool وهو يتحدث عن الازهر : " وفى الازهر يجتمع جمهرة من الطلاب قدموا من البلاد المختلفة فى العالم الاسلامى ، ابتداء من الساحل الذهبى حتى جزر الملايو ، وقد حدد رواق خاص لكل قطر من الاقطار ويتلقى الطلاب دروسهم من شيوخ أجلاء ورعين . . وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل ان الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقاف معينة تسد حاجتهم ، فالازهر مثل نموذجى لمجانية التعليم ، تلك المجانية الممنوحة لجميع الطلاب على اختلاف

---

(١) حسن الامين : الازهر - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٧٠-٧١ . نقلا عن ابن خلدون فى كتاب العبر - جـ ٤ - ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧١ . وانظر المقريزى : الخطط - مرجع سابق جـ ٣ - ص ٢٧٩ .

جنسياتهم ولغاتهم من غير أى تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب". وهـذا فـى العهد الفاطمى (١) . ولهذا أطلق العزيز بالله للفقهاء والعلماء رزقا يكفى كل واحد منهم وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الازهر ، فاذا كان يـوم الجمعة حضروا الى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر (٢). كما جعل الرواتب لكل من يعمل بجامع الازهر من الفراشين والنساخ والكتاب والفقهاء وغيرهم ممن يعمل فى الجامع ، ولكل أعطياته الخاصة (٣) . فلما جاء الحاكم عمد الى الاوقاف يعينها للانفاق من ريعها على المساجد ، فقد أوقف على الجامع الازهر ، أوقافا عظيمة ذكرها فى سجل أشهد عليه قاضى القضاة مالك بن سعيد ، وقد أكد الحاكم أن هذه الوقفية دائمة للابد لايوهنها تقادم السنين (٤) .

وهكذا استمر الجامع الازهر يزداد شهرة فى الافاق ، يقصده طلاب العلم من جميع البلاد الاسلامية لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية على أيدى كبار العلماء والمتفرغين للدراسة والتعليم . وقد ازداد الاقبال عليه من المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام والسودان والمغرب وبغداد ، والتحق به الطلاب من جميع المذاهب الاسلامية للتبحر فى العلوم الفقهية وغيرها ، وظهر فيه طلبة بارعون، وعلماء عاملون . فهو الجامع الذى جمع الطلبة - كما يقول الابراشى - من جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وهو الازهر ، والجامعة الاسلامية الكبرى (٥) .

ويعتبر أبو على بن الهيثم من أكابر العلماء فى مصر فى الفترة موضوع البحث . وكان ابن الهيثم بصريا وأحد علماء الشيعة ، ثم انتقل الى مصر فى أيام الحاكم بأمر الله ، وأقام بها الى آخر عمره ، وقد برع فى الرياضيات والطبيعيات ، وله مشاركة فى الطب . وقد أتى مصر باستدعاء الحاكم. وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة ، وخاصة فى الطبيعيات والرياضيات ، وكان لايهمه المال أو الجاه ، بجانب ما يهمه العلم والوقوف على الحقيقة ، قال فى كتبه :" انى لم أزل منذ عهد الصبا مرويا فى اعتقادات هذا الناس المختلفة ، وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى ، فكنت متشككا فى جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه ، فلما كملت لادراك الامور العقلية انقطعت

(١) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٢٩٦ .
(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٨ . وأيضا المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ٣ - ص ١٥٧ .
(٣) المقريزى : المصدر السابق - ص . ص ١٥٨-١٥٩ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٥٧ . وأيضا احمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٣٦٨ .
(٥) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص . ص ٧٨-٧٩ .

الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحرصى الى ادراك ما به تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون" . وقد ألف ابن الهيثم فى مختلف العلوم الانسانية ، وبلغت كتبه التى ألفها نحو مائتى كتاب فى الرياضيات والطبيعة والفلسفة . ظلت - كما يقول أحمد أمين - عماد الناس فى الشرق والغرب ، وخاصة كتاب " المناظر " وما زال يؤلف ويلخص ويشرح فى حركة دائبة مستمرة ، وقد مات سنة ٤٣٠ للهجرة بعد ما ملأ الدنيا تآليف فى الهندسة والحساب والفلك والمساحة ومنطق آرسطو ، وكتابه فى الشعر والنفس، وفى الطب ، وفى البصر ، ووقوع الابصار به ، والضوء ، والبصريات ، والمرايا المحرقة ، يعكس على عمله هذا فى قبة على باب الجامع الازهر (١) . وبمثل ابن الهيثم وغيره كانت تزدهر جامعة القاهرة .

وهكذا لعب الازهر دورا كبيرا فى نشر العلوم والمعارف الانسانية ، حتى "كان مركز الاشعاع الدينى ، وظل الازهر من سنة الانتهاء من بنائه" ٣٦١هـ " الى اليوم يؤدى دوره فى الدعوة الاسلامية . . . وكان الخلفاء الفاطميون يزيدون فى عمارته ، حتى وصلت أعمدته ٣٧٥ عمودا التف حولها طلاب العلم ممن جاءوا يستمعون الى ما يدرس عن مذهب الفاطميين ، والى الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات. ووفد اليه طلاب من المشرق والمغرب ، قسموا الى طوائف ، وكان لكل طائفة رواق يعرف بهم" (٢) .

وكان فى مصر فى العهد الفاطمى مساجد أخرى كثيرة تمتلئ بالشباب ورواد - العلم والمتعلمين ، يفيضون، حماسة للدرس ، ويقبلون على دراسة علم جديد ، يمتزج فيه تراث كل الشعوب القديمة ، وربما فسر نشأة المؤسسات التى عرفها الشرق الاسلامى (٣) .

وكان لجامع عمرو نصيب موفور من عناية الفاطميين ، فقد ظل محتفظا بنشاطه العلمى . فكانت حلقاته العلمية والادبية تعقد بانتظام ويشهدها كثير من الاساتذة والطلاب والادباء . بالاضافة الى جامع الحاكم بأمر الله الذى اسسه أبوه العزيز بالله ، وكان - عدا هذه المساجد الجامعة الكبيرة - مساجد أخرى كثيرة فى المدن المصرية المختلفة التى أنشأها الفاطميون ، وكان التعليم بها شاملا وان كان يقل نشاطا عن التعليم فى الجامع الازهر أو جامع عمرو (٤) .

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٠ ص ٢٠٣-٢٠٤ .
(٢) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى - مرجع سابق - ص ٢١٣-٢١٤ .
(٣) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس - مرجع سابق - ص ٢٦٠ .
(٤) عبد الوهاب حمودة : فضل المسجد على الثقافة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٤٤٢ .

وكانت المساجد فى العصر الفاطمى مثابة للعلماء ، وخاصة فقهاء المذهب الشيعى [١] . وكان للمعلمين فى المساجد فى العصر الفاطمى مقام اجتماعى رفيع ، وكرامة واحترام كبير عند عامة القوم وخاصتهم ، فقد خرج المعز والحزن باد عليه يوم وفاة النعمان بن محمد سنة ٣٦٢ هـ ، وصلى عليه وأضجعه فى قبره بنفسه وفر الحاكم للقاء ابن الهيثم يوم وصل الديار المصرية وأمر بانزاله واكرامه واحترامه[٢]، وكان قاضى القضاة من الشيعة الامامية الاثنى عشرية[٣] وكذلك ابن الهيثم [٤] .

ثالثا : منازل العلماء والامراء :

من مميزات النظام التعليمى فى الاسلام ، أنه لم يتقيد بمكان معين فى نشر الثقافة والتعليم ، فكانت تعقد الحلقات العلمية فى بيوت العلماء وقصور الخلفاء والامراء ، ويحضرها الطلاب والراغبون فى العلم للتعليم والتعلم[٥] . كما كانت بعض الدور تعتبر بمثابة مؤسسات علمية متخصصة يتوافد اليها طلاب العلم المتخصصون فى فرع من فروع المعرفة من كل مكان [٦] .

وقد اتخذ أئمة الشيعة وشيوخهم منازلهم مكانا للدرس والتعليم ، فكان منزل الامام على بن الحسين يزدحم فيه طلاب العلم والوافدون عليه من كل مكان حيث يلتف حوله طلاب العلم والمعرفة[٧] . وكذلك كانت دار الامام محمد الباقر . يقول أبو زهرة :" فكان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى ، ومازار أحد المدينة الا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه "[٨] . ويحكى لنا المفضل بن عمر الجعفى أحد تلاميذ الامام الصادق ، ان الامام كان يلقى دروسه على تلامذته وشيعته فى جميع الفنون الاسلامية فى داره [٩] . حتى أصبحت تشبه الجامعة من كثرة من يؤمها من طلاب العلم ورواد الحديث من الاقطار النائية ليأخذوا عنه الفقه والتفسير

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٢٦ .
(٢) عبد الوهاب حمودة : فضل المسجد على الثقافة الاسلامية - مرجع سابق ص٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٣٤١ . وايضا اغابزرك الطهرانى : الذريعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٣١٠ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق جـ ٧ - ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٥) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٨٥ .
(٦) عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٣ .
(٧) محمد باقر الصدر : على بن الحسين زين العابدين - دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٦٦ .
(٨) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - مرجع سابق - ص ٦٨٨ .
(٩) امالى الصادق : مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٨

والحكمة والكلام والادب[١] . يقول أبو زهرة :" وهناك فى بيته فقه مستقى من فقه آل البيت وما عند هم من احاديث رسول الله (ص)" [٢] . وذات مرة روى أحد تلامذة الامام الصادق انه زار امامه فى منزله ،فقال له الامام :" أمعك شيى تكتب ؟ قال : نعم . قال أكتب . ." [٣] . وكان الامام على بن موسى الرضا يملى على تلاميذه فى داره ،فقد جاءه محمد بن زيد فأملى عليه [٤] .

ولم ينفرد أئمة الشيعة بالتعليم فى المنازل ، بل كان شيوخ الشيعة أيضا يعلمون فى منازلهم . فكان منزل الشيخ المفيد ندوة عامرة بحديث الفقه والكلام والنقاش والاخذ والرد ،وكان الفقهاء والمتكلمون يقصدونه من أقطار بعيدة . يقول العلامة الحلى :" من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم وكل من تأخر عنه استفاد منه . ." [٥] .

وكانت دار السيد المرتضى دار علم ومناظرة[٦] ." فكان منزله دارا للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة ،ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ،ويستروح فى رحاله الوافدون من شتى الجهات . . بل انه جعل للكثير من تلامذته مرتبات منظمة ،وحبوسا موقوفة عليهم. ." [٧] . وما كتابه الامالى الا مجالس أملاها على طلابه فى داره [٨] . ولما فصل الفصيحى من النظامية فان أفواجا من المتعلمين راحوا يقصدونه فى داره ليواصلوا القراءة عليه [٩] .

ولعل أهم دار استخدمت فى التعليم عند الشيعة هى دار محمد بن مسعود العياشى ،وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قار ، أو معلق مملوءة بالناس ويقول ابن داود الحلى ان محمد بن عمر الكشى من غلمان العياشى . . وصحب العياشى واخذ عنه وتخرج عليه فى داره التى كانت شريعة للشيعة وأهل العلم[١٠]

---

(١) محمد الخليلى : امالى الصادق - مرجع سابق - جـ ٤ - ص. ص١٦١-١٦٢ .
(٢) أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص . ص ٩٩-١٠٠ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٧٥ .
(٤) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٠
(٥) انظر مقدمة كتاب بحار الانوار للمجلسى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧١ .
(٦) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٨ .
(٧) محمد أبو الفضل ابراهيم : مقدمة كتاب الامالى للشريف المرتضى - مرجع سابق - ص ٨ .
(٨) المصدر السابق : ص ٢٠ .
(٩) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص. ٧٠ .
(١٠) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٧٧ .

وقد مارس التدريس بنفسه وتخرج عليه كثير من التلاميذ حيث كان له مجلسان للدرس مجلس للخاص، ومجلس للعام[١] . بالاضافةالى دار الشيخ الطوسى ، حيث فتح داره لتلاميذه ومريديه ، وكان يتمتع بمنزلة عالية عند الشيعة وغيرهم ، حتى ان الخليفة القائم بأمر الله جعل له كرسى الوفادة ، ولكنه انتقل الى النجف بعد أن كبست داره وأخذت دفاتره وكرسى كان يجلس عليه للتدريس[٢] .

وهناك دور الامراء من الشيعة التى كانت تموج بالعلم والعلماء ، منها قصر سيفالدولة الحمدانى ، الذى كان يحظى بالعلماءوالادباء والشعراء والفلاسفة و" لو لم يحظ بغير المتنبى يغرد فيه لكفى لتخليده ورفع شأنه" [٣] . ولهذا كان بلاطه أزهى بلاط فى عصره . يقول الخوارزمى ، حنينا لايام قضاها فيه :" قد رأيت فى هذه الحضرة " حضرة أبى محمد العلوى باصبهان" أقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب ، وذكرت بهم مآرب هنالك وأياما سلبتها سلبا ، ونزعت من يدى غصبا ، ودهرا كأنى كنت أقطعه وثبا" [٤] .

وقد ضم بلاط سيف الدولة أكبر علماء النحو فى عصرهم ، وكانوا من الشيعة[٥] وهم أشهر اللغويين والنحويين فى ذلك الزمان ، منهم أبو على الفارسى ، وابن جنى ، وابن خالويه ، فأما أبو على الفارسى فكان أكبر نحوى عالم بالعربية فى زمنه ، ويعد هو وتلميذه ابن جنى مؤسسىمدرسة فى النحو والصرف . وقد رحل أبو على الى حلب سنة ٣٤١ هـ ، ونزل فى بلاط سيف الدولة وشارك فى اجتماعاته الادبية وكان بينه وبين المتنبى مناظرات فى مسائل نحوية ولغوية[٦] . كما كان المتنبى يلقى شعره شاديا فى قصر سيف الدولة ، والظاهر ان كرم سيف الدولة ألف حوله قلوب أدباء عصره وعلمائه ، فهرعوا اليه فى حلب حيث اتخذها مقرا له [٧] .

ثم خطا الفاطميون فى هذا المجال خطوات أوسع ، وأنشأوا فى قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم وسراتهم ، ويسير المؤدبون فى تثقيف

(١) المصدر السابق : ص ٧٧ .
(٢) الاصفى : مقدمة اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٩ - ٦٠ .
(٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩١ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص.ص. ١٨٠-١٨١ .
(٥) انظر الفصل السابع - مدارس النحو من هذا البحث . وأيضا اغابزرك الطهرانى: الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٥ .
(٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٨٥ .
(٧) سعد مرسى أحمد : الفكر التربوى - مرجع سابق - ص ١٩٣ .

هؤلاء على منهج خاص يرمى الى اعدادهم لخدمة الدولة وشغل المناصب الرئيسية فيها [١] . بالاضافة الى المهمة الاولى التى من أجلها اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعية خاصة ، وألحقوا بها مكتبات تحتوى على مئات الالوف من المصنفات [٢] .

وتعتبر دار الوزير الفاطمى يعقوب بن كلس من أعظم وأشهر دور العلم فى ذلك الوقت ، فقد رتب فى داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين ، وأجرى لهم الارزاق ، وألف كتابا فى الفقه ، ونصب له مجلسا يجتمع فيه الفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل ، وتجرى بينهم مناظرات ، وكان يجلس فى يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ، فاذا انقضى المجلس من القراءة، قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه [٣] ." وانه كان يجمع الاجتماعات الكبيرة فى بيته . . . وكان يحضر هذه المجتمعات القضاة والفقهاء وأساتذة القراءة والنحاة وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة أصحاب المواهب الممتازة . . . وكان يجمع فى قصره عددا كبيرا من الموظفين . يشتغل بعضهم بكتابة نسخ من القرآن ، وبعضهم ينسخ شيئا من كتب الحديث والفقه والادب وبعض كتب العلوم حتى الطب . . وجعل ابن كلس فى قصره جماعة من القراء والائمة ، وعين لهم الرواتب . . " [٤] ." وكان يجلس عنده فى كل يوم الاطباء لينظروا فى حال الغلمان ، ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطاء دواء . . . " [٥] . وكان اذا جلس لقراءة كتابه فى الفقه الذى سمعه من المعز والعزيز ، لا يمنع أحدا من مجلسه ، فيجتمع عنده الخاص والعام [٦] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الشيعة لم يتخذوا دورهم مكانا للتعليم كيفما اتفق ، بل يوجد هناك موضع فى الدار نفسها يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى هذا الموضع مسجدا . قال أحدهم" دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام فى منزله فاذا هو فى بيت كذا فى مسجد له وهو يدعو . . . فقلت له جعلنى الله فداك . . فمن ولى الناس بعدك . . " [٧] . وهكذا اتخذ الشيعة من منازلهم أماكن للتعليم ، حيث

---

(١) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - ص٢١٧-٢١٨ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٣-ص٤٢٣ .
(٣) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٧٤-٢٧٥ .
(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص٤٢٦ .
(٥) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٩٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٩٦ .
(٧) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص٧٨-٧٩ .

كانت هذه المنازل ذات أهمية كبيرة عند الشيعة حينذاك ، لان التعليم كان يجرى فى أكثر الاحيان ، فى بيوتهم خوفا من رقابة السلطان ، ما عدا الفترة البويهية والفترة التى حكم فيها الفاطميون فى مصر .

رابعا : مجالس العلم والعلماء :

شجع أئمة أهل البيت أصحابهم وتلامذتهم على الجدل والمناظرة، وأمدوهم بالحجج والبراهين وأساليب الدفاع . قال الامام الصادق لعبد الرحمن بن الحجاج البجلى : ناظر اهل الآراء والبدع فانى أحب أن يروا فى شيعتى مثلك . وبلغ من عنايتهم بهذه الناحية انهم كانوا يعقدون مجالس للمناظرة فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم . فقد روى الكشى ان جماعة من أصحاب الامام الصادق منهم جميل بن دراج ، وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة يبلغون نحوا من خمسة عشر رجلا أو يزيدون ، اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فى التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين من أصحاب الامام الصادق (ع) فى الفقه والكلام والفلسفة ، فعقدوا مجلسا لهذه الغاية ، وكان مجلس الامام الصادق من أهم مجالس الدرس التى كان يجتمع فيها التلاميذ ، وكان مجلسه مفتوحا لكل من يريد التفقه والتعلم فى شتى علوم الاسلام (١) .

ومن خصائص مجالس العلم والعلماء ، انها تقوم على السؤال والجواب فى مختلف العلوم ، ولم تكن مخصصة لعلم من العلوم ، وانما كان المجلس الواحد يشتمل على علوم متعددة ، قال عطاء : " ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس، ولا أكثر فقها ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر من واد واسع " (٢) .

ومن أهم المجالس العلمية وأعظمها هو مجلس محمد بن عمر بن الجعابى ، حيث كان يحضر مجلسه عشرات المئات من الطلاب والعلماء يأخذون منه العلم. قال الخطيب البغدادى : " . . . وكان فى آخر عمره قد انتهى هذا العلم اليه . . كان ابن الجعابى يملى مجلسه فتمتلىء السكة التى يملى فيها والطريق . . " (٣) .

---

(١) هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٦٨ .
(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٧٤-١٧٥
(٣) المصدر السابق : جـ ٣ - ص ٢٨ .

ومن مجالس الشيعة مجلس الشيخ المفيد . يقول محقق الكامل لابن الاثير : ". . . وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف" (١) ويقول الاصفى : ". . وكان يحضر مجلس درسه الاف الطلاب من الشيعة والسنة " (٢) .

وهناك مجلس آخر كان يمتلىء بالطلاب والعلماء ، وهو مجلس السيد المرتضى الذى انتهت اليه زعامة الشيعة بعد الشيخ المفيد ، وكان مجلسه عامرا بالعلم والعرفان فى كل فن من فنون العلم ، من فقه وحديث وكلام وأدب (٣) . وكان لمحمد بن مسعود العياشى" مجلس للخاص ومجلس للعام" . وكان للامام الرضا مجلس أيضا (٤) .

ويعتبر مجلس أبى الفتح ابن العميد ، من أهم المجالس العلمية ، قال ياقوت : ". . ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوما ، وللادباء يوما . وللمتكلمين يوما ، وللمتفلسفين يوما ، ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ ووصل ووهب فجرت فى هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة . . . قال أبو حيان : وحضرت المجلس يوما آخر مع أبى سعيد وقد غص بأعلام الدنيا وبرد الافاق . . وبلغ المجلس أبا اسحاق فحضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر (٥) . . " .

وكان مجلس ابن سعدان وزير صمصام الدولة يجتمع فيه ابن زرعة الفيلسوف ومسكويه صاحب تهذيب الاخلاق ، وأبو الوفاء المهندس الرياضى ، وابن حجاج الشاعر وأبو حيان التوحيدى (٦) . " وكان هذا الوزير يباهى بمجلسه ويفخر به على مجالس الامراء المعاصرين له " (٧) .

وفى أيام الفاطميين عقدت المجالس العلمية النشطة لنشر عقائد الشيعة مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعى ، وقوام هذه المجالس أساتذة بيت الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات تبعا لتخصصهم ومواد دراستهم (٨) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٧ - ص ٣١٣ .
(٢) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - ص ٥٣-٥٤ .
(٣) انظر ترجمة السيد المرتضى من كتاب بحار الانوار للمجلسى - مرجع سابق جـ ١ - ص . ص ١٢٣-١٢٥ .
(٤) عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٨٠ .
(٥) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٢١٣-٢١٤ .
(٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٥٦ .
(٧) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٦١ .
(٨) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩٠ .

فكانت هذه المجالس التى عقدها الفاطميون مجالس علمية صاخبة من حين الى آخر، وكانت تتناول مختلف العلوم الاسلامية وغيرها (١) . منها مجلس الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس " وألف كتبا فى الفقه والقراءات ، ونصب له مجلسا فى داره يحضره فى كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء ، والمتكلمون . . . وكان يجلس فى يوم الجمعة أيضا ، ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه . . . " (٢) . " وكان داعى الدعاة يعقد المجالس ويقرأ على الناس مصنفاته فيحاضر الرجال فى الازهر ، بل كانوا يعقدون فى بعض الاحوال فى الازهر مجلسا خاصا للنساء يسمى مجلس الدعوة" (٣) .

أما مجلس سيف الدولة الحمدانى ، فقد كان مجلسا ممتازا ، حيث منح ذوقا وقدره على فهم الادب وادارة الحديث فى المجالس واستخراج أفضل ما عند العلماء والادباء بالعطاء والتنافس (٤) . وكان أحمد بن محمد النامى أحد شعراء الشيعة يزدان به مجلس سيف الدولة ، يقول ابن خلكان : " وكان من الشعراء المفلقين ومن فحولة شعراء عصره ، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان . . . وكان فاضلا أديبا بارعا باللغة والادب وله آمال أملاها بحلب" (٥) . وهكذا كانت المجالس عامرة عند الشيعة بالعلماء والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم من الادباء والشعراء .

خامسا : دور العلم:

اتسعت الحركة العلمية فى جميع أنحاء العالم الاسلامى اتساعا مذهلا خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، مما أدى الى ضيق المساجد بالطلاب ورواد العلم والمعرفة ، لذا سارع المسلمون الى انشاء دور للعلم ومعاهد للدراسة فى كثير من المناطق الاسلامية . وكان الشيعة من المساهمين فى انشاء هذه المعاهد العلمية التى تعتبر النواة الاولى للمدارس التى أنشئت بعد ذلك بفترة غير قصيرة .

وقد لعبت هذه المعاهد وبالخصوص دور العلم دورا مهما وبارزا فى انعاش الحركة العلمية والفكرية ، حيث تقوم هذه الدور بمهمة تعليمية ، لاسيما ان بعض

---

(١) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩٤ .
(٢) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٩٥-٢٩٦ . وانظر سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - مرجع سابق - ص ١١٥ .
(٣) سعيد اسماعيل على : المصدر السابق - ص ١٠٣ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨٠ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٧ .

روادها يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الدور وما تحتويه من خزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد (١) .

ومن أهم معاهد العلم التى أسسها الشيعة فى بغداد - دار العلم - ففى سنة ٣٨٣ للهجرة :" . . بنى أبو نصر سابور بن أردشير ببغداد دارا للعلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها" (٢) قال الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية :" وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة " (٣) . وكان فيها أكثر من عشرة الاف مجلد ، وقد نقل اليها أبو نصر سابور كتبا كثيرة اشتراها وجمعها ، وكان بها مائة نسخة من القرآن الكريم بأيدى أحسن النساخ ، ولم تكن فى الدنيا أحسن كتبا منها كلها بخطوط الائمة المعتبرة ، وقد أناط أمر هذه الدار ومراعاتها والاحتياط عليها الى رجلين من العلويين يعاونهما أحد الفقهاء (٤) .

وكانت دارالعلم هذه مركزا ثقافيا كبيرا للبحث والدراسة والاطلاع يجتمع فيها رواد العلم للمناظرة والمحاورة والمجادلة . وكان الفيلسوف الكبير أبو العلاء المعرى لايتركها ولا ينقطع عنها اذا ذهب الى بغداد ، كما كان معظم العلماء والادباء والفلاسفة يقفون ما عندهم من النسخ والكتب التى يملكونها أو يؤلفونها لدار العلم ببغداد لتخليدها (٥) . كما "كانت الدار محط الانظار يقصدها الادباء والشعراء والعلماء والفلاسفة من كل صوب حيث كانوا يتبارون فى ايداع نسخة من أصول كتبهم فى الدار" (٦) . وكانت هذه المؤسسة التى أنشأها سابور أول مؤسسة شيعية أطلق عليها اسم دار العلم . كما يراه الدكتور سعيد اسماعيل على (٧) .

وكانت دار علم سابور ذات موارد كبيرة لكثرة الاوقاف التى وقفت عليها . ومن المحتمل كما يرى الدكتور فياض ان قسما من موارد هذه الاوقاف يصرف لاغراض تعليمية لان الاصل فى الوقف أن يكون لاغراض دينية وان تعليم علوم آل البيت وتعلمها

---

(١) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤١ .
(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - مرجع سابق - جـ ٧ - ص ١٦٢ .
(٣) انظر الهامش من المصدر السابق - ص ١٦٢ .
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١١ - ٣١٢ .
(٥) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص٩٩ . وأيضا أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٨٨ .
(٦) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - مرجع سابق - ص٢١٦.
(٧) المصدر السابق : ص ٢١٨ .

من أهم الاغراض المذكورة . بالاضافة الى أن الدار المذكورة نشأت فى عصر أخذ التعليم فيه ينتقل من المساجد الى المؤسسات الجديدة مثل دور الكتب ودور العلم ، فيكون اسهامها بالتعليم من الامور المحتملة. وللاستاذ كوركيس عواد رأى يؤيد فيه وجود الوظيفة التعليمية لدار علم سابور ،يقول فيه ان تلك الدار كانت " موئلا للعلماء والباحثين ،يترددون اليها للدرس والمناظرة والمباحثة " (١) . يقول الدكتور شلبى :" وكانت خزانة سابور مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس. . . " (٢) . وهذا يؤكد على وجود التعليم فى دار العلم التى أسسها سابور .

ومن دور العلم التى أنشأها الشيعة ـ دار علم الشريف الرضى ـ حيث اتخذ الشريف (المتوفى عام ٤٠٦هـ) دارا سماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه (٣) . وكانت دار علم ودراسة ،كما كانت موضعا يسكن فيها طلبة العلوم . فالشريف الرضى أسكن طلبة العلم الملازمين له هذه الدار وعين لهم ما يحتاجون اليه ،وحدث أن أحد الطلبة احتاج الى زيت للاضاءة ولم يكن الخازن حاضرا فاقترض الطالب زيتا من حانوت مجاور ،فلما سمع الرضى بذلك أمر فى الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ،ودفع الى كل منهم مفتاحا ليأخذ منها ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازنا يعطيه. ومن هذا يظهر ان دار علم الشريف الرضى كانت أقرب مؤسسة الى المدرسة التى كان الطلبة عادة يدرسون ويسكنون فيها . وكان فى دار علم الشريف عدد من الطلبة كانت نفقتهم على صاحب الدار (٤) .

ولم تكن دار علم الشريف الرضى مدرسة فحسب ،بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الامور المادية ،وكانت تحتوى على خزانة للكتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم ،وكانت الكتب فيها منظمة تنظيما حسنا (٥) . وانه عندما اهدى لهم الوزير المهلبى هدية على كره من الشريف ،لم يمد أحد من طلبته

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ . وأيضا حسن الحكيم : الشيخ الطوسى ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ .

(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .

(٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٢ .

(٤) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية ـ مرجع سابق ـ ص٩٣ ، ٩٤ وأيضا حسن الحكيم : الشيخ الطوسى ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ . وأيضا باقر شريف القرشى ـ النظام التربوى فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ .

(٥) حسن الحكيم : المصدر السابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

يدا الى شيىء منها ، وهو مكتفى المئونة غنى النفس صادق النية فى طلب العلم[١] . كما ان الشريف الرضى مارس عملية التعليم بنفسه فى هذه الدار ، حيث كان يلقى دروسه ومحاضراته يوميا على طلابه فى هذه المدرسة[٢] .

أما دار الحكمة أو دار العلم التى أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٣٩٥ هـ فتعتبر من أعظم وأكبر دور العلم فى الفترة موضوع البحث ، فقد أنشئت هذه الدار لتكون جامعة مستقلة . وكانت تعقد قبل ذلك بالقصر وأحيانا بالازهر ، مجالس تسمى مجالس الحكمة ، وينظمها قاضى القضاة ، تقرأ فيها علوم آل البيت ويهرع الناس الى شهودها ، وتخصص فيها مجالس للخاصة ومجالس للعامة وأخرى للنساء ، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع مدى ، وأن تنظم فى سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمى واحد ، فأنشىء المعهد الجديد وأطلق عليه دار الحكمة أو دار العلم. ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفى الحر الذى أريد أن يتخذ منها ، ذلك لان دار الحكمة كانت جامعة تضم عدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وقسمت الى عدة أقسام أو مجالس لعلوم القرآن والفقه وعلوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيرها ، وعين لها أقطاب الاساتذة فى كل علم وفن ، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، ويمنح الطلاب والباحثون جميع أدوات الكتابة ، ولهم أن يقرأوا وينسخوا ما شاءوا من الدروس والمحاضرات[٣] .

يقول المقريزى : " وفى جمادى الاخرة من هذه السنة-ه ٣٩ - فتحت دار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها القراء ، وحملت الكتب اليها من خزائن القصور ، ودخل الناس اليها ، وجلس فيها القراء والفقهاء ، والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والاطباء ، وحصل فيها من الكتب فى سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعا .. "[٤]."فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التى لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها ، والخدمة لها من فقيه وغيره "[٥] .

---

(١)،(٢) انظر ترجمة الشريف الرضى من كتاب حقائق التأويل فى متشابه التنزيل للسيد الشريف الرضى - ترجمة عبد الحسين العلى ، دار المهاجر - بيروت بدون تاريخ - جـ ٥ - ص ٨٥ .

(٣) حسن الامين: الازهر - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق جـ ٤ - ص ٦٦ . وأنظر المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٣٤ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق - جـ ٣ - ص ٢٧٦ .

(٥) المصدر السابق : جـ ٢ - ص ٢١٨ .

وهكذا استطاعت دار الحكمة فى ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة ولم يمض سوى قليل حتى ازدهرت ، وهرع اليها الطلاب من سائر الاماكن ، وتبوأت مركزا كبيرا فى الدراسات العلمية والفقهية فى هذا العصر وكانت تقوم بنشر علوم آل البيت الى جانب تدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وغيرها ، بينما لبث الازهر محتفظا بطابعه الدينى الخالص ،أما دار الحكمة فقد تغلب عليها الصبغة الدينية والفلسفية [١] . " وكانت تلك الدار معهدا دراسيا عظيما للدراسة والتعلم والقراءة والاطلاع ونسخ الكتب . . . وأمر - الحاكم بفتح أبوابها لكل من يشاء الانتفاع بها ، والاستمتاع بما يلقى فيها من محاضرات ومناقشات علمية وأدبية ودينية ، واستمرت دار الحكمة بالقاهرة مفتوحة الابواب حتى أوائل القرن السادس الهجرى" [٢] .

ويظهر ان دور العلم التى أسسها الشيعة كانت معاهد علمية ذات صلة بالتعليم ،كما أنها كانت مستقلة عن المسجد . وقد أصبحت هذه المؤسسة تسهم بعملية التعليم . وتعتبر هذه الدور أصلح للتعليم عند الشيعة من المساجد العامة ، لوجود الكتب ووسائل المطالعة ، بالاضافة الى السكن والعيش فيها . هذا مع أن الشيعة لم يكونوا ، فى الغالب يتمتعون بالحرية الكاملة فى تعليم مذهبهم فى المساجد ،كما وتمتاز دار علم الشريف الرضى ،فى أن مؤسسها وأخاه السيد المرتضى كانا يمارسان تعليم العلوم بنفسيهما ، ولهذا كانا أكثر اهتماما بأمور العلم والتعليم من الحكام الذين أسسوا كثيرا من دور العلم عند الشيعة ،أمثال عضد الدولة ، والوزير شاه مردان ، وسابور ، حيث أسس هؤلاء دورا للعلم ، ولا تخلو أن تكون هذه الدور عرضة للابهة من قبل الحكام [٣] .

سادسا : دور الكتب أو المكتبات :

ان دور الكتب عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص أحد جوانبها للمطالعة والنسخ . كما كانت هذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يتناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع . بالاضافة الى قيامهم بمهمة التعليم فى بعض الاحيان . وكان يقصدها الطلاب من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الطلاب والوافدين عليها [٤] .

(١) حسن الامين : الازهر - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٢) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩٨ .
(٣) انظر عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٩٥-٩٦ .
(٤) المصدر السابق : ص ٨٧ .

ولم تكن المكتبات عند الشيعة بصورة خاصة وعند المسلمين عامة ،أقل أهمية من المساجد ودور العلم فى نشر الثقافة الاسلامية بين الناس وتحرير الافكار للنظر والمعرفة فى كل ما يتصل بالحياة الدينية والعقلية ،ولهذا بذل الخلفاء البويهيون والفاطميون ووزراؤهم مجهودات كبيرة فى زيادة عدد الكتب التى تتناول شتى فروع العلم . كما ان علماء الشيعة فتحوامكتبات أخرى يؤمها رواد الفكر وطالبو المعرفة .

وكمااهتم الشيعة بالكتب واقتنائها ، اهتموا بدور الكتب وخزائنها ،وحرصوا عليها وقدروها حق قدرها ،تقديرا للعلم والعلماء ،وكتبوا كثيراعن أثرها فى تهذيب العقول ،وبث البطولة فى النفوس ،وتزويد القراء بالافكار والاراء . قال الامام الصادق :" احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها" . وقال للمفضل :"اكتب وبث علمك فى اخوانك . . فانه يأتى على الناس زمان هرج لايأنسون فيه الا بكتبهم"(١) ولهذا نجد ابن العميد عندما هجم جنود من خراسان على داره وسرقوا ما فيها من اثاث وخزائن لم يفكر الا فى خزانة كتبه فقد كانت ثمينة ،فيهامن الكتب العلمية والادبية والدينية ما تبلغ مائة حمل ،فلما رأى ابن العميد ابن مسكويه خازن كتبه سأله عنها ،وعندما علم بحالها وانها لم تمسها يد ،زال عنه ذلك الهم وقال لابن مسكويه : أشهد أنك ميمون النقيبة ،أما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ،وأما هذه الخزانة فهى التى لاعوض لها (٢) . وينقل السيوطى" ان نوح بن منصور ،أحد ملوك بنى سامان كتب اليه ورقة فى السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته ،فكان من جملة اعذاره اليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة أربعمائة جمل" (٣) .

ومن اهم دور الكتب عند الشيعة :

١ - مكتبة سابوربن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى ، فقد أنشأها ببغداد سنة ٣٨٣ هـ، فى محلة بين السورين فى الكرخ ،وجمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق ،واستكتب تآليف اهل الهند والصين والروم ،وقد كان هذا الوزير من أهل الفضل والادب فأخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد (٤) . وكانت تحتوى على "١٠٤٠٠" مجلد فى العلوم

(١) الكلينى : الكافى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٧ .
(٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - مرجع سابق - ص ١٨ . وأيضا محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٠٠ .
(٣) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٥١ .
(٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢ .

المختلفة[١] . ولما أخذ السلاجقة عند وصولهم الى بغداد بايقاظ الفتن المذهبية كان من بعض نتائج ذلك أن أحرقت هذه المكتبة العظيمة فيما أحرقت من محال الكرخ . كما احرقت مكتبة أخرى من مكتبات الشيعة ، وهى مكتبة الشيخ الطوسى ، التى كان يستفيد منها تلاميذه وطلابه [٢] . وقد وصف ياقوت مكتبة سابور هذه بقوله " لم يكن فى الدنيا أحسن كتبا منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة وأصولها المحررة " [٣] . كما كانت " . . . مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالما عقدت فيها المناظرات والمناقشات " [٤] .

٢ - دار كتب عضد الدولة البويهى : وهذه الدار أنشأها عضد الدولة فى شيراز وقد وصفها المقدسى وهو شاهد عيان بقوله : " وبنى " عضد الدولة" بشيراز دارالم أر فى شرق ولا غرب مثلها . . . وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الا وجعله فيها وهو أزج طويل فى صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد ألصق الى جميع الحيطان الازج والخزائن بيوتا طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق . وعليها ابواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب لايدخلها الا وجيه . وطفت فى هذه الدار كلها سفلها وعلوها . . . " [٥] .

٣ - دور الكتب ببخارى : وهناك مكتبة أخرى للسامانيين لاتقل عظمة عن المكتبة التى بناها سابور فى بغداد ، وقد كتب ابن سينا يصف هذه المكتبة التى انتفع بها فى بخارى : " دخلت دارا ذات بيوت كثيرة فى كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها فوق بعض ، فى بيت ، منها كتب العربية والشعر ، وفى آخر الفقه ، وكذلك فى كل بيت كتب علم مفرد " . وكانت المكتبات غنية بالكتب ، مملوءة بكثير من الذخائر ، ولها فهارس منظمة ، ويحكى ابن سينا أنه رأى من الكتب فى مكتبة السامانيين مالم يقع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ، ولا رآه ايضا من بعد [٦] .

---

(١) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩٩ .
(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية الشيعية - مرجع سابق - جـ ١ - ص٢٢ . وأيضا جعفر الشيخ باقر - ماضى النجف وحاضره - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٤٧ .
(٣) أحمد امين: ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٥٧ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٨٨ .
(٥) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص٨٨ .
(٦) الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص ١٠٥ .

٤ - مكتبة السيد المرتضى : وقد كانت للشريف المرتضى ببغداد مكتبة كبيرة ، تحتوى على ثمانين ألف مجلد . وقال أبو القاسم التنوخى وهو صاحب الشريف المرتضى : "حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومخطوطاته ومفرداته" . حتى أصبحت مكتبته هذه ملتقى العلماء والادباء والباحثين ، ومن النادر أن يجتمع نظيرها عند أحد (١) . وقد استفاد منها كثيرا شيخ الطائفة الطوسى أثناء تحصيله العلم(٢) .

٥ - دار كتب ابن سوار كاتب عضد الدولة بمدينة رام هرمز والبصرة ، وهى من المكتبات المهمة فى الفترة موضوع البحث ، حيث كان التدريس فيها عنصرا هاما بجوار الكتب . قال المقدسى : " رام هرمز قصبة كبيرة . . . وبها دار كتب كالتى بالبصرة والداران جميعا اتخذهما ابن سوار وفيهما اجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ ، الا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا ، وفى هذه أبدا شيخ يدرس عليه علم الكلام . . . " . ويبدو من هذا ان هاتين الدارين تتوفر فيهما بعض مستلزمات المعهد التعليمى ، وبالاخص الدار التى فيها شيخ مقيم بصورة دائمة يدرس عليه علم الكلام . ومما يساعد المنتمين اليها على البقاء فترة طويلة فيهما ، ان صاحبهما وفر وسائل العيش والراحة لاولئك المنتمين (٣) . يقول الدكتور شلبى : " وفى المقامة الثانية من مقامات الحريرى وهى المسماة المقامة الحلوانية ذكره لهذه المكتبة ، قال الحريرى على لسان الحارث بن همام البصرى : فلما ابت من غربتى الى منبت شعبتى حضرت دار كتبها التى هى منتدى المتأدبين ، وملتقى القاطنين منهم والمتغربين ، فدخل ذو لحية كثة ، وهيئة رثة ، فسلم على الجلاس ، وجلس فى اخريات الناس ، ثم أخذ يبدى ما فى وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه" (٤).

٦ - دور الكتب فى القاهرة فى العصر الفاطمى :

من أشهر وأعظم دور الكتب فى الفترة موضوع البحث ، مكتبة الفاطميين التى أنشأوها بالقاهرة ، ونافسوا بها خلفاء بغداد ، وجعلوها فى القصر الفاطمى ، وكانت موضعا للدراسة . ويقال انها كانت من عجائب الدنيا ، ولم يكن فى جميع البلاد الاسلامية دار كتب أعظم منها . ويقال انها كانت تشمل على ١٬٦٠٠٬٠٠٠ كتابا ، وكان فيها الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة ، ومما يؤيد ذلك ان القاضى الفاضل

(١) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٨ .
(٢) المصدر السابق : ص ٤٩ . وأيضا الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٩ .
(٣) عبد الله فياض : تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٨٨-٨٩ . وأيضا أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٨٧ .
(٤) أحمد شلبى : المصدر السابق - ص ١٨٧ .

عبد الرحيم بن على ، لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، وجعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد ، وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام (١).

ولم تكن المكتبات فى نظر الفاطميين أقل أهمية من المساجد فى بث عقائد الشيعة بين الناس ، لهذا بذل الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم مجهودات عظيمة فى زيادة عدد الكتب التى تتناول شتى فروع العلم والمعرفة ، حتى فاقت مكتبة القصر كل المكتبات الاسلامية فى العالم فى ذلك الحين (٢) .

وقد ساعد على عظم وازدهار هذه المكتبة ما حمله المعز عند رحيله الى مصر من الكتب الكثيرة التى كانت فى مكتبته الخاصة ، وما كان من رغبة الفاطميين فى منافسة الدولة العباسية وتشجيعهم العلم والتعليم وسياستهم فى تقريب العلماء والادباء والشعراء ، كل ذلك أدى الى تشجيع الدرس والتحصيل والبحث والتأليف ونسخ الكتب ومعارضتها ونقدها وكتابة الذيول لها واقتناء المؤلفات والمخطوطات فضلا عن انتشار المكتبات فى ذلك العصر وادراك المسلمين فائدتها (٣) .

وقد ظلت مكتبة القصر محتفظة برونقها حتى اشتعلت الحرب الداخلية فى عهد المستنصر ، " وفى هذه الاثناء قام الاتراك الغوغاء بالسلب والنهب فى العاصمة واعتدوا على دار الخليفة فهدموا ما بها من نماذج الفن الرائع ، ثم عرجوا على المكتبة فاعتدوا على هذا التراث الجليل من العلم والمعرفة ، ومن المؤلم حقا أن تستعمل المخطوطات الثمينة والكتب النادرة لتشعل سجائر هؤلاء البرابرة ، وأن يقوم عبيدهم واماؤهم بأن يتخذوا من جلودها نعالا يلبسونها فى أرجلهم وقد ألقى عدد كبير من الكتب فى النيل ، وحرق عدد وافر منها ، وحمل بعضها الى سائر الاقطار ، وبقى منها ما سفت عليه الرياح والتراب ، فصار تلالا تعرف بتلال الدراسة بجوار الازهر . وقد حرص البرابرة الاتراك أن يقضوا على هذه الكتب لاعتقادهم أن فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم" (٤) .

يقول الدكتور أحمد شلبى : " ويعلم الله أنه ما كان لهم علم بكلام المشارقة ولا بكلام المغاربة ، ولا بأى لون من ألوان العلوم ، وانما هو الجهل والهمجية

---

(١) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ٩٩-١٠٠ . وأيضا المقريزى: الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٢٩ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٤٢٨ .
(٣) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - مرجع سابق - ص٢٠٧ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٩٨ .

دفعا هؤلاء الغوغاء أن يرتكبوا هذه الجريمة العظمى ، وأن يطعنوا المدنية الاسلامية فى أشرف مقوماتها . . . وحينئذ تقدم صلاح الدين ـ الايوبى ـ فقضى على هذه المكتبة . . ولكن المنصف لايستطيع هنا الا أن يلومه متسائلا : لماذا وقف صلاح الدين من الكتب هذا الموقف وبخاصة بالنسبة لما لم يتعارض منها مع مذهب أهل السنة" (١) . وفى ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم : " فالايوبيون السنيون الغلاة ، الذين كانوا أعداء ألداء للشيعة ، لم يحاولوا القضاء على الشعائر الشيعية فحسب ، بل عملوا على ازالة كل معالم الحضارة الفاطمية وثقافتها" (٢) .

وبمقارنة هذا الموقف من العلم والمعرفة ، يظهر بوضوح ان الشيعة بانحيازهم الى العلم وحرية الرأى ، وصلوا الى مكانة رفيعة خدمت الاسلام ، فقد أباحوا العلم لكل الطبقات ، ايمانا منهم بأن الاسلام يقوى وينتشر بالعلم ، وليس العلم وحده ، وانما ببذله ونشره بين الناس . وعلى هذا كانت مكتبة القصر تحوى على جميع الكتب الاسلامية التى تنسب الى مختلف علماء المسلمين بمختلف فرقهم . ولكن الجهل من البعض جعلهم يقضون على هذا التراث الضخم ، مما أدى الى تأخر المسلمين قرونا عديدة . ولا أغالى اذا قلت ، ان أسباب تأخر المسلمين بعد ذلك كانت نتيجة لما قام به اعداء العلم وحرية الفكر من اتلاف أهم مصادره .

وبجانب مكتبة القصر ، كانت هناك مكتبات أخرى فى مصر الفاطمية ، كمكتبة دار الحكمة ، ومكتبة دار العلم ، وكانت مكتبة دار العلم متصلة بمكتبة دار الحكمة التى أمدت بكثير من المؤلفات للاطلاع والنسخ والبحث والدراسة ، وكان يباح للناس الانتفاع بها ، فيأخذون ما يحتاجون اليه من المداد والاقلام والاوراق والمساند وكان مشهورو الاساتذة المتصلين بدار الحكمة يقيمون مناظرات يحضرها الحاكم فيصلهم لاجلها بالهبات ويخلع عليهم الخلع (٣) . " وقد اشتملت هذه الكتب على مصنفات فى الفقه فى جميع المذاهب واللغة العربية والحديث والتاريخ والسير ، والفلك والدين والكيمياء ، هذا عدا المصاحف التى احتوتها المكتبة " (٤) .

أما خزانة الكتب التى بالقصر ، فكانت تحتوى على الكتب الخطية النادرة فى مختلف العلوم ، حتى أنه ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر

---

(١) المصدر السابق : ص ١٩٨ - ١٩٩ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٣ .
(٣) المصدر السابق : ص ٤٢٨ .
(٤) المصدر السابق : ص٤٣٣ .

خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين ، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد ، **كما** حمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف **عن عشرين نسخة** من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه (١) .

وكانت عدة الخزائن التى برسم الكتب ، فى سائر العلوم بالقصر ، أربعين خزانه ، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة . وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ، ألفان وأربعمائة ختمة قرآن . . . . ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما.(٢) "وتحوى هذه الخزانة على عدة رفوف وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ، ويسير من المجردات : فمنها الفقه على سائر المذاهب(٣). ." "وقد أصاب هذه الخزائن من الاحن بتوالى الفتن . . . فألقى بعض كتبها فى النار ، والبعض الاخر فى النيل وترك بعضها فى الصحراء . . ." (٤) . " وقد ظلت مكتبة المعز الفاطمى مفتوحة ينتفع الجمهور بما فيها من الكتب الى سنة ٥١٦هـ" (٥).

ويخلص الباحث من كل ذلك الى أن دور الكتب أتخذت مكانا للدرس والتعليم والبحث عند الشيعة ، الى جانب كونها خزائن للكتب . فقد " كانت هذه المكتبات مجتمعات ثقافية يلتقى فيها العلماء للمناقشة والمجادلة فى المسائل العلمية" (٦). كما كانت مرتبة ترتيبا حسنا ، وفهارسها منظمة تنظيما دقيقا ، كى يسهل الحصول على الكتب التى يحتاجها القارئ من غير مشقة . وكان فى كل مكتبة أمين خاص بها يقوم على شئونها ، ويبدو أن بعضها كان مكانا لسكن الطلاب الوافدين من أماكن بعيدة (٧) . وقد تعرضت دور الكتب التى أنشأها الشيعة للتلف واحراق ما فيها من كتب قيمة فى أكثر فترات حياتهم ، مما أضاع أكبر ثروة علمية عند المسلمين .

وتوجد هناك مكتبات أخرى للشيعة ، أهمها دار الكتب الحيدرية فى النجف الاشرف ، وهى موجودة حتى الان فى ضريح الامام على بن أبى طالب . وقد جلب

(١) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٢٧ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٢٧ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٢٨ .
(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٣١ .
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٣٨٢ .
(٦) محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب - مرجع سابق - ص ١٨ .
(٧) الابراشى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٠٥ .

اليها من الكتب من سائر البلاد الاسلامية ، حيث يوجد فيها من الكتب القيمة النادرة الوجود ،كما يوجد فيها مخازن لكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة[١]. يقول الدكتور شلبى :" . . . والمكتبة الحيدرية هى خزانة المشهد الشريف الذى به قبر أمير المؤمنين الامام على بن أبى طالب، ويرجع تاريخها الى عهد بعيد . . . . وتبعية هذه المكتبة لهذا المشهد كانت السبب فى أن كثيرا من الوزراء والامراء وأعيان الشيعة اهتموا بها اهتماما كبيرا ،وأهدوا اليها كل غال وعزيز ،ومن أشهر هؤلاء عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢هـ . وهى تحوى مجموعة من الكتب الفارسية والعربية لانظير لها ،ولا تقدر بمال ،وأكثرها بخط المؤلفين ،أو على الاقل يحوى خطوطهم ،أما المصاحف التى بها فهى تحف بديعة . . . وكثير منها كتبه مشاهير الخطاطين كياقوت المستعصمى وأحمد التبريزى . أما المصحف الذى ينسب كتابته الى الامام على فلايوجد الان فى المكتبة وانما يوجد فى الضريح نفسه . . . وبجانب المصاحف توجد كتب كثيرة ذات قيمة أدبية عظيمة منها نسخة من الرسائل الشيرازية لابى على الفارسى . . . ومنها الجزء الاول من معجم الادباء لياقوت والتقريب لابى حيان الاندلسى ، وكل منها بخط مؤلفه . . . الى جانب نهج البردة المنسوب للامام على ، والى جانب عدد ضخم من كتب الشيعة وبخاصة التى تبحث عن الامامة والوصاية . . " [٢] .

سابعا : المدارس:

ذهب كثير ممن بحثوا فى نشوء المدارس عند المسلمين على اعتبارها من منشآت القرن الخامس للهجرة . قال المقريزى :" والمدارس مما حدث فى الاسلام، ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين ، وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سنى الهجرة ،وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية ،وبنى بها أيضا الامير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمد بن سبكتكين مدرسة ،وبنى بها أيضا المدرسة السعدية . . " [٣] ويرى الدكتور أحمد شلبى أن نشأة المدارس كانت على يد الوزير نظام الملك ،ونسبت هذه المدارس الى منشئها ، فعرفت باسم المدارس النظامية ، حيث كانت أول المدارس واهمها ، وقد بدأ العمل فيها سنة ٤٥٧هـ[٤] .

---

(١) جعفر الشيخ راضى : ماضى النجف وحاضره - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٨ .
(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١٨٦-١٨٧ .
(٣) المقريزى : الخطط - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣١٤ .
(٤) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٦ - ١١٩ .

ويبدو ان نظام الملك لم يكن أول من أسس المدارس ، بل كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك . وكان نظام الملك كما يقول السبكى " أول من قدر المعاليم للطلبة . . " . ولهذا يعد تنظيم المدارس من قبل نظام الملك بداية لعصر جديد ، قامت الخلافة بالاشراف على النظام التربوى ، بحيث أصبحت التربية منذ ذلك الوقت من أعمال الحكومة السنية لغرض مقاومة التيار الشيعى (١) . يقول الدكتور شلبى : " يعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد فى ٢٥ محرم سنة ٤٤٧ بدء انتصار أهل السنة على الشيعيين ، فقد توقفت منذ ذلك الحين سبل النشاط التى كان البويهيون يبذلونها لنشر التشيع بين الناس . . ووجد السلاجقة أنه لامناص من القيام بعمل مضاد . . . ونشأت المدارس لهذا الغرض" (٢) .

ويظهر ان المدارس كانت موجودة فى النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة وعلى هذا فهى من مستحدثات القرن الرابع لا الخامس . قال المقدسى المتوفى فى حدود سنة ٣٧٨ هـ فى معرض كلامه على تجواله فى العالم الاسلامى : "وأممت فى المساجد ، وذكرت فى الجوامع ، واختلفت الى المدارس" . وقال السبكى: ان محمد بن عبد الله خمشاد (٣١٦ - ٣٨٨هـ) " كان الى أن خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته" (٣) . وفى ذلك يقول آدم متز عن أبى بكر الصبغى المتوفى عام ٣٤٤ هـ " وقد أوصى الصبغى لاحد العلماء فى أمور مدرسته" (٤) . وقال الحاكم النيسابورى المؤرخ الثقة (ت٤٠٦هـ) صاحب تاريخ نيسابور ان أول مدرسة هى التى بنيت لمعاصره أبى اسحاق الاسفراييني (المتوفى عام ٤١٨هـ - ١٠٢٧م) - بنيسابور " (٥) . " أما المدرسة التى بنيت لابن فورك (المتوفى عام ٤٠٦هـ) فهى أحدث عهدا من تلك المدرسة بقليل " (٦) . على أنه كان بنيسابور رجل من كبار الائمة وأولى الرياسة ، وهو أبو بكر البستى المتوفى عام ٤٢٩هـ ، قد بنى لاهل العلم مدرسة على باب داره ، ووقف عليها جملة من ماله الكثير ، وكان هذا الرجل من كبار المدرسين والمناظرين بنيسابور (٧) .

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٩٧ .
(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية - مرجع سابق - ص ١١٦ .
(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ٩٨ .
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٣٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣١٨ .
(٦) المصدر السابق : ص ٣١٩ .
(٧) المصدر السابق : ص ٣١٩ .

وقد استنتج الدكتور سعيد اسماعيل على ، بعد عرضه للادلة المستمدة من بعض الكتابات التاريخية ، ان نشأة المدارس كانت أسبق عهدا من المدرسة النظامية التى أنشأها نظام الملك . وفى ذلك يقول : " ومن هنا نستطيع أن نرجع نشأة المدارس الاسلامية فى الربع الاخير من القرن الرابع على أساس المؤسسة التى اختصت باسم المدرسة" (١) .

هذا وقد بنى الشيعة المدارس قبل النظامية بمدة طويلة . يقول دونلدسن: "وأشهر أمراء البويهيين عضد الدولة . . . وحكم مدة ٣٠ سنة من ٩٤٩-٩٨٢ . . . فقد بذل أموالا طائلة لتعمير مشاهدهم - أى مشاهد الائمة - وبناء المساجد ورعاية المدارس الدينية" (٢) . ويظهر من ذلك ان المدارس كانت موجودة عند الشيعة قبل عضد الدولة ، خصوصا فى مشاهد الائمة ، وانما قام هو برعايتها وبناء مدارس أخرى . يقول جعفر الشيخ باقر : " وآل بويه كانوا جميعا شيعة . . . وبنوا جوامع ومدارس بعد أن مصروا النجف وعمروها . . " (٣) . وتعتبر دار العلم التى أسسها سابور بن أردشير " أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة " . كما يقول ابن كثير . ومن المعلوم ان تأسيس دار العلم كان عام ٣٨١ هـ ، فى حين أن المدرسة النظامية افتتحت عام ٤٥٩ هـ (٤) . بالاضافة الى وجود المدارس فى مصر فى العهد الفاطمى . يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : " وفى سنة ٣٧٠ هـ أنشأ الحاكم مدرسة لتعليم المذهب السنى ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب ، وعين أبا بكر الانطاكى ناظرا لها ، وخلع عليه وعلى مدرسى هذه المدرسة وأجلسهم مجلسه " (٥) . ولهذا كانت نهاية القرن الرابع الهجرى ومطلع القرن الخامس ، وقبل أن توجد المدرسة النظامية فى بغداد بستين عاما نشأت فى القاهرة وعلى ايدى الشيعة مدارس لها طابع أكثر شبها بتلك المدرسة التى يبحث عن اصولها وتدرس نشأتها الان (٦) .

وقد ذكرت مصادر أخرى وجود بعض المدارس عند الشيعة . قال ابن خلكان فى معرض ترجمته للشريف المرتضى : " كان هذا الشريف امام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ، اليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها وجامع

(١) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامي - مرجع سابق - ص ١٣٨ .
(٢) دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٣) جعفر الشيخ باقر : ماضى النجف وحاضره - مرجع سابق - ص ٢١٩ .
(٤) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٣ . نقلا عن ابن كثير : البداية والنهاية - جـ ١١ - ص ٣١٢ .
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - مرجع سابق - ص ٢٢٢ .
(٦) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس - مرجع سابق - ص ٢٦٠ .

شاردها وأنسها ، ممن سارت أخباره . . ". وقال ابن شهر اشوب : " أملا الشيخ أبو الفتوح فى مدرسة الناجية ان الحسين بن على (ع) . . " وذكر الامينى ان محمد الرويانى الطبرى (٤١٥ - ٥٠١ هـ) أنشأ مدرسة بأمل بطبرستان " (١)

ويبدو أيضا ان المدارس الشيعية قد اكتنفها الغموض ، فى الفترة موضوع البحث ، ويمكن أن نعزو ذلك الى الضعف العام الذى حل بحركة التشيع نتيجة للاضطهاد الذى أصابهم من السلاجقة . وقد نقل السيوطى القصة التالية عن على بن محمد بن على الاستراباذى المتوفى سنة عشرة وخمسمائة ببغداد : " . . ودرس النحو بالنظامية بعد الخطيب التبريزى ، ثم اتهم بالتشيع ، فقيل له فى ذلك ، فقال : لا أجحد ، أنا متشيع من المفرق الى القدم ، فأخرج ورتب مكانه أبو منصور الجواليقى فكان يقصده التلامذة للقراءة عليه . . " (٢) .

وأما مقاومة السلاجقة للتشيع على الصعيد الفكرى ، فتظهر فى تأييدهم وتبنيهم لسياسة الوزير نظام الملك حول انشاء المدارس النظامية فى المدن الاسلامية الكبرى ، واتخاذها وسيلة لمقاومة التشيع على الصعيد الفكرى (٣) . كل ذلك أدى الى ندرة وجود المدارس الشيعية فى أكثر فتراتهم.

ويخلص الباحث الى أن الشيعة كانت لهم جهود تربوية كبيرة ، فى الفترة موضوع البحث ، من حيث التعليم والتعلم. فقد اتخذوا أماكن خاصة لتعليم علوم آل البيت ، ايمانا منهم بأن هذه العلوم لابد من تعليمها ونشرها بين الناس ، ولهذا قاموا بتعليمها فى كل مكان ، فى المساجد والمنازل . كما أسسوا لهذا الغرض المكتبات الضخمة لتؤم كثيرا من الطلاب ، وان بعض دور العلم اتخذت بما يشبه المدن الجامعية لسكنى الطلبة . وقد توصل الباحث أيضا الى أن بعض هذه الاماكن التى أسسها الشيعة ، لاسيما فى العهد البويهى والفاطمى ، كانت مباحة لكل من يرغب فى التعليم والتعلم من جميع الفرق الاسلامية ، شعورا منهم بأن العلم للجميع ، فلابد وأن يتعلم الجميع . ولهذا أنشأ الحاكم بأمر الله الفاطمى مدرسة لتعليم المذهب السنى كما مر .

---

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص٩٩-١٠٠ نقلا عن ابن خلكان وفيات الاعيان - جـ٣ - ص ٣ - القاهرة - ط ١٩٤٨ .

(٢) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩٧ .

(٣) عبد الله فياض: تاريخ التربية - مرجع سابق - ص ١٠٢ .

الفصل السابـــع

أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة فى العالم الاسلامـــــــى

ويشمل :

المقدمة .

١ - دور الشيعة فى علم الكلام .
٢ - علم النحو ومدارســـــــه .
أولا : متى وكيف نشأ علم النحو.
ثانيا : الشيعة والمدارس النحوية.
أ - مدرسة البصرة النحوية .
ب - مدرسة الكوفة النحويـة .
جـ - مدرسة بغداد النحوية.
٣ - علم التصريـف .
٤ - علم اللغـــة .
٥ - علم المعانى والبيان .
٦ - علم العـــروض.
٧ - علم التفسيـــــر .
٨ - علم غريب القرآن .
٩ - علم معانى القرآن .
١٠ - علم أحكام القرآن .
١١ - اعراب القرآن .
١٢ - علم القـراءات.
١٣ - علم الحديـــث .
١٤ - علم غريب الحديث .
١٥ - علم الفقـــه .
١٦ - علم أصول الفقه .
١٧ - الفقه المقارن أو الخلافى .
١٨ - علم التاريخ والمغازى والسير.
١٩ - علم الجغرافيـة .
٢٠ - علم الاخلاق .
٢١ - الشعر التعليمى .
٢٢ - الشيعة والعلوم الكونيةوالطبيعية .
٢٣ - المنهج العلمى التجريبى .
٢٤ - الدراسات الفلسفية عند الشيعة .
خاتمـــــة .
مقترحات ببحوث أخرى قادمـــة .

مقدمـــة :

ان أى ابداع فى مجال العلوم الانسانية ،سواء كان فى مجال الفلسفـــة أو الآداب أو غيرهما من المجالات العلمية لابد أن يقوم على الذاتية ،والتفكير الحر المستقل ،وهذا على النقيض تماما مما نجده عند الشخص المقلد الذى لايستطيـــع أن يشعر بذاتيته العاقلة الخلاقة ،لانه تنازل عنها بحيث تلاشت فى خضم فكـــر الاخرين (١) .

ان الابداع والتجديد - فى أى علم من العلوم - يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقل، فهو كفيل بأن يحرز تقدما نحو التجديد ، بحيث يجعلنا نتقدم خطوات وخطـــوات فى سبيل ابداع المذاهب الفلسفية (٢) . ولهذا فان من " أكبر الموانع فى سبيـــل العقل عبادة السلف التى تسمى بالعرف ،والاقتداء الاعمى بأصحاب السلطـــة الدينية والخوف المهيمن لاصحاب السلطةالدنيوية" (٣) . وما ينطوى عليه الباحـــث من عصبية تبعده عن تحرى الواقع والوصول الى الحق .

ولقد توفر لدى علماء الشيعة من الوعى بهذا ما جعلهم يتركون ويؤلفون كتبا مفصلة . وان من يطلع على تلك المؤلفات النفيسة - كما ذكرها صاحب أعيان الشيعة والذريعة الى تصانيف الشيعة - يجد تراثا علميا ضخما فى التشريع الاســـلامى والعبادات والمعاملات وتحديد العلاقات الروحية والاجتماعية والعملية الخاصـــة بالانسان : ويدل ذلك التراث على عظمة علماء الشريعةالاسلامية ، وقدرتهم النادرة على البحث والتفكير والاستقراء والاستنباط والحكم الفقهية التشريعية التى تتفـــق مع الدين والعقل والمنطق ،حتى كانوا السابقين فى ميادين التأليف والتأسيـــس لهذه العلوم . فلميكتف الشيعة بما ألفوه من كتب قيمة فى الشريعة الاسلاميـــة بل وضعوا كثيرا منفنون الاسلام وأسسوا قوانين للغة العربية وقواعدها فى النحـــو والصرف والمعانى والبيان والبديع ،والعروض ،والقوافى والتفسير ،والحديـــث ، وغريب القرآن وعلم الكلام ،والعلوم الطبيعية والفلسفية ،واستنبطوا تلك القواعـــد والقوانين بطريقة مبتكرة دقيقة ،تدل على عقل منظم ،وتفكير سديد ورأى ناضـــج والمام تام بكل ما يتعلق باللغة العربية ،لغة القرآن الكريم من شعر ونثر (٤) .

---

(١) محمد عاطف العراقى : ثورة العقل فى الفلسفةالعربية - ط٤ - القاهـــرة دار المعارف - ١٩٧٨ - ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق : ص . ص ١٧ - ١٨ .

(٣) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص ١٧ .

(٤) انظر السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - شركةالنشـــر والطباعة العراقية المحدودة - بدون تاريخ .

ولم يكتف علماء الشيعة بما ألفوه من الكتب فى العلوم الدينية ، بل أسهموا فى تدوين آثارهم وأعمالهم العمرانية والسياسية والاجتماعية ، وتركوا آثارا خالدة فى كتب التاريخ والجغرافية ، وكان لهم أثر كبير فى تأسيس علم التاريخ ودراسة الشعوب والبلدان دراسة جغرافية واسعة . وقد تأثر بهم فلاسفة الاسلام وعلماؤهم وتتلمذوا عليهم وأخذوا منهم حتى كانوا تابعين لهم فى كل فن من فنون الاسلام وهذا الفصل خاص بتوضيح ذلك .

يقول شرف الدين :" وان الباحثين ليعلمون بالبداهة تقدم الشيعة فى تدوين العلوم على من سواهم ،اذ لم يتصد لذلك فى العصر الاول غير على وأولى العلم من شيعته ،ولعل السر فى ذلك اختلاف الصحابة فى اباحة كتابة العلم وعدمها ، فكرهها - البعض - خشية أن يختلط الحديث فى الكتاب ،وأباحه على وخلفه الحسن السبط المجتبى وجماعة من الصحابة ، وبقى الامر على هذا الحال حتى أجمع أهل القرن الثانى فى آخر عصر التابعين على اباحته . . (١)".

يقول جرجى زيدان :". . . فانقضى القرن الاول وبعض القرن الثانى للهجرة ، والمسلمون يتناقلون العلم بالتلقين ، ويعتمدون على الحفظ ، ولم يدونوا غير القرآن . اما ما خلا ذلك من التفسير والحديث والاشعار ، والاخبار والامثال فقد كانوا يتناقلونها فى صدورهم ،وأكثرهم يقرأون ولكنهم لا يكتبون ، وقد يكون بعضهم حافظا ومفسرا وهو لا يقرأ " (٢) .

ويتناول الباحث فى هذا الفصل أثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقافة فى العالم الاسلامى .

---

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات - مرجع سابق - ص ٣٠٥ .
(٢) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٥٥ .

١ - دور الشيعة في علم الكلام :

من العلوم المستحدثة فى الاسلام " علم الكلام" فهو علم اسلامى خالص، "فما كان لليونان علم بالحكم على فاعل الكبيرة ولا بصلة ذات الله بصفاته ولا بالنبوة ، انها موضوعات قد انبثقت عن ظروف البيئة الاسلامية ، وهى وليدة مشكلات اسلامية خالصة ، لقد اراد المسلمون أن يصوغوا معتقداتهم صياغة فكرية تمكنهم من مواجهة الاديان التى غزاها الاسلام ، ومن ثم فان نشأة علم الكلام تلتمس من موضوعات الخلاف بين الاسلام وماواجهه من أديان فى البلدان المفتوحة" (١) .

هذه وجهة نظر بعض الباحثين ، حيث ربط نشوء علم الكلام بالظروف العقائدية التى واجهها المسلمون دفاعا عن العقيدة الاسلامية من الانحراف ، وفى هذا يقول الغزالى :" فأنشأ الله تعالى ،طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام واهله" (٢) . ولهذا يقول الدكتور فيصل بدير عون :"وما كان بوسع المسلمين أن يقوموا بذلك الا بتأسيسهم لعلم الكلام وما يماثله من أبحاث أخرى كلها كانت بقصد المحافظة على الدين الجديد وتقويمه وتقديم آرائه وأفكاره بصورة واضحة وبأدلة عقلية مقنعة" (٣) .

ان موضوع علم الكلام ، يتالف من عدة قضايا وقع فيها الخلاف بين المسلمين والتى أدت الى تأسيس علم الكلام بأصوله وقوانينه المميزة ، وأول هذه القضايا مسألة حرية الارادة الانسانية ثم تلتها مسألة الصفات وهكذا . وعلى هذا لابد من الرجوع الى جذور هذه المسائل الفكريةالتى طرحت على الساحة الاسلامية ، لتتكشف لنا الحقيقة عن المؤسس الاول لهذا العلم ومدى أثره فى الفكر الاسلامى ، لكى يحسم النزاع بعيدا عن التكهنات اللاعلمية المخالفة لمنهجية البحث .

ان أول من تكلم فى مسألة حرية الارادة أو القضاء والقدر على بن أبى طالب(٤) ، وأبو ذر الغفارى وعبد الله بن عباس وجميع آل البيت والتابعين لهم ،يقول محمد أبو زهرة :" وقد كان ذلك القول رائجا فى آل البيت ، وفى التابعين ، فلم

---

(١) أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام - المعتزلة ،الاشاعرة - الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية - ١٩٧٨ - ص ١٠ .

(٢) أبوحامد محمد بن محمد الغزالى:المنقذ من الضلال - تحقيق عبد الحليم محمود - القاهرة - مطبعة حسان - بدون تاريخ - ص ٩٩ .

(٣) فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مرجع سابق - ص ٣٧ .

(٤) انظر مبحث العدل من الفصل الثانى من هذا البحث .

يكن اختيار زيد له بدعا فى آل البيت رضى الله عنهم ، حتى لقد نسب صاحب المنية والامل ذلك الرأى الى على زين العابدين رضى الله عنه" (١) . " وبهذا يتبين أن ذلك النظر كان رائجا فى آخر عصر الصحابة والعصر الاموى ، وينسب الى كل آل البيت " (٢) .

فالموءسس الاول لعلم الكلام هو على بن أبى طالب ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد صبحى : " وأما الحكمة فلم ينقل عن احد من أكابر العرب أو أصاغرهم شيىء من ذلك أصلا . . . وأول من خاض فيه من العرب على عليه السلام ، ولهذا نجد المباحث الدقيقة فى التوحيد والعدل فى كلامه وخطبه ، ولا نجد فى كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك . ولا يتعرض متكلمو أهل السنة كثيرا للرد على الشيعة فى هذا المجال ويبدو أنهم لا يمانعون فى التسليم لعلى بكفاءته العلمية وامامته للتراث الاسلامى . . " (٣) . ولهذا يرى السيد أمير على ، ان الامام عليا أول من تكلم بالفلسفة الاسلامية وعلم الكلام ، وان كل من جاء من بعده استقى منه ولهذا كان الامام ينكر كل معنى من معانى التشبيه فى عبارات قوية اذ قال ما نصه : ان الله تعالى لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذى ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أجل ممدود . . " (٤) .

يقول ابن أبى الحديد المعتزلى : " وأما الحكمة والبحث فى الامور الالهية فلم يكن من فن أحد من العرب . . . وأول من خاض فيه من العرب على عليه السلام . . ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا فى بحار المعقولات اليه خاصة دون غيره ، وسموه أستاذهم ورئيسهم ، واجتذبته كل فرقة من الفرق الى نفسها . . "(٥) و " كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الالهى لان شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام أقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ . . . وأما الامامية والزيدية فانتماؤهم اليه ظاهر" (٦) .

---

(١) محمد أبو زهرة : الامام زيد - مرجع سابق - ص ٢٠٥ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٠٦ .
(٣) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٢٦٩ .
(٤) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٤٨- ٣٠٥ .
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٢ - ص١٥٦- ١٥٧ .
(٦) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦ .

وأما ما قيل : من ان أول أصحاب مذهب الارادة الحرة فى الاسلام هو معبد بن خالد الجهنى ، فعلى فرض التسليم به ، وانه هو المؤسس لهذا المذهب، فهو أيضا من الشيعة التابعين ، وقد كان من تلامذة أبى ذر الغفارى وكان أبو ذر من المعارضين لعثمان ومعاوية ، وقد روى معبد عنه ، كما روى عن معبد مجموعة من علماء البصرة وزهادها ، وقد اجمعت كتب العقائد الاسلامية على ان معبدا الجهنى هو أول من تكلم فى القدر من المسلمين - حسب رأى النشار نشأ فى المدينة وتتلمذ على أبى ذر الغفارى ، وانه رحل معه الى الشام، فان الاخبار تروى أنه استمع الى أحاديث كان يرويها معاوية عن الرسول ، وهذا يدل على أنه كان فى صحبة أبى ذر فى رحلته المشهورة الى الشام حين أنكر على معاوية والاموية فى دمشق ثراءهم . . ولاشك ان معبدا كان يلحظ الاحداث مع أستاذه وحين نفى عثمان أبا ذر وأعاده الى الحجاز عاد معبد وعاش فى المدينة (١) .

يقول الدكتور النشار : " وفى المدينة نفسها ظهر معبد الجهنى" المتوفى عام ٨٠ هـ" . هل كان معبد الجهنى صدى لهذه المدرسة العلوية ، وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب حينئذ .كان معبد الجهنى مدنيا أولا ، وروى عن أبى ذر الغفارى ثانيا . ونحن نعلم ان أباذر الغفارى كان علويا ، يؤمن بأحقية على فى الخلافة ، كما كان ينادى بنظرية الكنوز . . . فلاشك اذن أن معبد الجهنى انما كان تلميذا واثرا لمدرسة محمد بن الحنفية . . " (٢) .

ومما تقدم يظهر ان أول من تكلم فى القدر ، هم أهل البيت وشيعتهم، ومن المعلوم ان من أهم مباحث علم الكلام القول بحرية الارادة أو القضاء والقدر الذى يتعلق بعدل الله . وان هناك ثلاثة من الاعلام يعتبرون العناصر الاولى فى نشأة علم الكلام كما يذكرهم الدكتور عمارة . قيل عن كل منهم: انه أول من تكلم فى القدر وأول هؤلاء الثلاثة : أبو الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو (ت٦٩هـ - ٦٨٨م) ، وهو أحد الموالى التابعين الذين صحبوا على بن أبى طالب فى حروبه ضد أصحاب الجمل وصفين ، ويروى الرواة فيقولون : كان" أول متكلم فى القدر أبو الاسود الدؤلى" وثانى هؤلاء معبد الجهنى" المتوفى سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٠هـ" . وقد شارك فى

---

(١) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١٧ - ٣١٨ . وأيضا الشيخ جمال الدين القاسمى : تاريخ الجهمية - مرجع سابق - ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) على سامى النشار : المصدر السابق - ص ٢٣٢ . وانظر السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٠٢ .

الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الاشعث ضد بنى أمية ، ووقع فى قبضة الحجاج فقتله صبرا . وثالث الثلاثة هو أبو مروان غيلان الدمشقى المقتول بعد سنة ١٠٦هـ [١] . وهكذا كان معبد الجهنى من أكبر الشخصيات الاسلامية الاولى ، وهو يمثل امتداد مدرسة أبى ذر الغفارى ، وان هذه المباحث القدرية الاولى ، انما نشأت عن بنية المجتمع الاسلامى حينئذ ، مع اجتهاد عقلى فى النص القرآنى وفى السنة [٢] .

وهكذا " أخذ الاهتمام بعلم الكلام ينمو نموا مطردا بعد أن قرت شقاشق الخمس والعشرين سنة الاولى بعد وفاة محمد (ص) . " كما يقول جوستاف [٣] وان الكلام فى حرية الارادة كان شائعا بين آل البيت وانهم أثبتوا للانسان قدرة [٤] . فهم على هذا واضعو علم الكلام.

وخطا علم الكلام خطوة أخرى على يد الكميت ، وذلك عن طريق المناظرة والجدال ، اذ كان شيعيا يدافع عن حق آل البيت ، فهاشميات الكميت مناظرات فى حقوق الهاشميين ، لاتعتمد على الاقناع العاطفى وانما تعتمد قبل كل شىء على الاقناع العقلى ، والكميت فيها مناظر من طراز ممتاز ، ولكنه يقف وحده ولايسمح لاحد أن يدخل معه فى المناظرة ، والواقع ان الكميت اذا كان - فى الظاهر - يقف وحده فى مناظراته فانه - فى حقيقة الامر - كان يفترض دائما وجود شخص آخر يجادله ويحاوره ويناظره ، ولعل هذا هو السر فى حدة الاسلوب الجدلى عنده وقوة محاولاته الاقناعية [٥] . وفى ذلك يقول أحمد أمين : " وهو أول من احتج فى شعره على صحة المذهب الشيعى وأقام حججه وقوى براهينه ، حتى قال الجاحظ فيه : انه أول من دل الشيعة على طريق الاحتجاج " [٦] .

ويكشف ديوان الكميت " عن مدى ما أصاب التفكير الفنى فى هذا العصر من تطور ، اذ نجد هذا التفكير يتحول الى جدال وطرق استدلال لم نكن نألفها فى القديم. فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة يؤمن بها ويجعلها محور شعره ، كما أصبح مثقفا بطرق الجدال والحوار المعاصرة وهو يطبقها فى شعره

(١) محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - مرجع سابق - ص ٠ ص ١٨٦-١٨٧ ٠
(٢) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣١٩ ٠
(٣) جوستاف : حضارة الاسلام - مرجع سابق - ص ١٣٢ ٠
(٤) محمد أبو زهرة : الامام زيد - مرجع سابق - ص ٥٣ ٠
(٥) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص ٧١٤ ٠
(٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٠٤ ٠

تطبيقا ، ويخضع نفسه وفنه لاساليبها اخضاعا" (١) . وهكذا "كان خطيب بنى أسد وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن وكان جدليا وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهرا بذلك " (٢) . ولهذا " تعد الشيعة من أقدم الفرق الكلامية وأهمها" (٣) . "والمتتبع لنشأة الفرق يجد أن الشيعة أقدم الفرق الاسلامية من الناحية السياسية والكلامية" (٤) .

وقد ارسى أئمة الشيعة وعلماؤهم أصول علم الكلام ، ونضجت قوانينه فى عصر الامام على بن الحسين ومحمد الباقر ، حتى تمت جميع مقوماته فى عهد الامام الصادق ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد صبحى : " وهكذا كان عصر الصادق حافلا بمتكلمى الشيعة الاثنى عشرية الذين لهم الفضل ليس فقط فى صياغة العقيدة الشيعية صياغة كلامية ، وانما فى وضع أسس علم النظريات السياسية فى الاسلام باعتبارهم أول من فتق الكلام فى الامامة ، ثم تابعهم بعد ذلك على مدى العصور متكلمون كثيرون للشيعة أظهرهم آل نوبخت . . " (٥) .

ومن مشاهير علماء الكلام من الشيعة فى القرن الاول الهجرى ، كميل بن زياد نزيل الكوفة تخرج على على بن أبى طالب فى العلوم ، فقتله الحجاج بالكوفة سنة ثلاث وثمانين تقريبا (٦) . وسليم بالتصغير بن قيس الهلالى التابعى طلبه الحجاج أشد الطلب وقد ذكره ابن النديم من فقهاء الشيعة وعلمائهم ومن أصحاب على بن أبى طالب ، وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالى (٧) . والحارث الاعور الهمدانى صاحب المناظرات فى الاصول أخذ عن على بن أبى طالب وتخرج عليه ومات سنة خمس وستين للهجرة (٨) . ومنهم مؤمن الطاق ، وقد أخذ عن الامام على بن الحسين والباقر والصادق ، يقول ابن النديم : " وهو من أصحاب أبى عبد الله جعفر الصادق ولقى على بن الحسين . . وكان . . حاذقا فى صناعة الكلام . . " (٩) وهشام بن الحكم : " الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل

---

(١) شوقى ضيف : التطور والتجديد في الشعر الاموى - مرجع سابق - ص ٨٠ .
(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : أعلام الادب في عصر بني أمية - دار العهد الجديد للطباعة - ١٩٥٤ - جـ ٢ - ص ٤٠ .
(٣)،(٤) فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مرجع سابق - ص ٧٠-٧١ .
(٥) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ص ٥١-٥٢ .
(٦) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص ٨٥ .
(٧) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٣٢١ .
(٨) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص ص ٨٥-٨٦ .
(٩) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٥٨ .

طريق الحجاج وكان حاذقا بصناعة الكلام" (١) . ويقول المسعودى عنه : " شيخ الامامية فى وقته وكبير الصنعة فى عصره " (٢) . ومن هنا يبدو ان علم الكلام كان صنعة له قوانينه وطرقه الخاصة منذ النصف الثانى من القرن الاول للهجرة . وان هذه القوانين أوجدها الائمة من آل البيت وشيعتهم . ومن هنا يظهر بطلان ما ذهب اليه آدم متز فى قوله : " ولم يكن للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاص بهم" (٣) وهذا القول يدل على مدى تشويه الحقائق التاريخية من قبل بعض المستشرقين .

اذن فاذا كان للشيعة فضل السبق فى مباحث علم الكلام ، فما هى اثارهم التى خلفوها فى الفكر الاسلامى ، ومن الذى تأثر بهذه الاراء ، والافكار ؟ وما القضايا التى تأثر بها مفكرو الاسلام ؟ .

ان اول من تأثر بآراء الشيعة الكلامية وتتلمذ على أيدى علمائهم هم المعتزلة فقد أجمعت المصادر - على أن واصل بن عطاء مؤسس مدرسة الاعتزال تتلمذ على أبى هاشم الحسن بن محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب . فواصل بن عطاء أخذ علم الكلام عن مدرسة أهل البيت (٤) . يقول طاش كبرى زاده : " وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع انما ظهر من واصل بن عطاء ، أخذ الاعتزال عن الامام أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب ، قيل كان أول من أحدث مذهب الاعتزال واخترعه كان الامام أبو هاشم المذكور واخوه الامام الحسن بن محمد بن الحنفية (٥) .

أما أبو عثمان عمرو بن عبيد فقد أخذ علم الاصول أولا عن أبى هاشم بن محمد بن الحنفية ثم اخرا عن واصل بن عطاء (٦) .

يقول محمد أبو زهرة : " وهنا نجد من الاخبار ما يذكر أن علماء آل البيت تكلموا فى العقائد ، وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء ، بل انا نجد من يقول ان واصلا تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت ، فقد كانوا على علم به . " (٧) . وهذا خلط بين التشيع والاعتزال ، فان آل البيت لم يدعوا الى الاعتزال ، وانما كانوا يدعون الى عقيدة الاسلام ، وأخذ واصل هذه العقيدة عنهم ، ولكنه خالفهم فى

(١) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٨٠ .
(٣) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٦ .
(٤) زهدى جار الله : المعتزلة - مرجع سابق - ص ١٣ . وأيضا ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦ .
(٥) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة - مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند - ١٣٢٨ هـ - جـ٢ - ص ٣٣ .
(٦) المصدر السابق : ص ٣٥ .
(٧) محمد أبو زهرة : الامام زيد - مرجع سابق - ص ٤١ .

قضايا كلامية أخرى .

وأما النظام ،فقد كان تلميذا لهشام بن الحكم ،كما ان أبا الحسين البصرى المعتزلى أخذ أو مال الى هشام بن الحكم أيضا كما يقول الشهرستانى : والرجل فلسفى المذهب ،الا انه روج كلامه على المعتزلة فى معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب(١) . ويقول أيضا" وهذا هشام بن الحكم. .لايجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة ، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهر من التشبيه ، وذلك انه ألزم العلاف . . ." (٢) . ولهذا يقول الدكتور أحمد صبحى :" انه قد تأثر بالشيعة الامامية ـ أى النظام ـ وبمتكلميهم مثل هشام بن الحكم" (٣) .

وأما مسألة الامامة ،والتى تعتبر من أهم مسائل علم الكلام ،فهى من المباحث المستحدثة التى استحدثها الشيعة ،وقد تأثر أهل السنة بالشيعة فى مصطلحات هذا العلم وموضوعاته ،على أن استحداث الشيعة لهذا العلم وتأثر أهل السنة بمصطلحاتهم لايعنى تماثل مفهوم الامامة لدى الفريقين (٤) . ولهذا كان" للشيعة فضل السبق الى البحث فى النظريات السياسية فى الفكر الاسلامى . ." (٥) . وفى ذلك يقول الدكتور عمارة : " فالذين دونوا هذه الاحاديث قد دونوها فى عصر شاع فيه مصطلح " الامام" واستخدمه الفكر الاسلامى والمفكرون المسلمون عامة لرئيس الدولة ،ورأس الامة ، تبعا وتأثرا بمباحث الشيعة فى هذا المجال . ." (٦) يقول الدكتور أحمد شلبى :" ومن الموضوعات التى طرقها علم الكلام موضوع عصمة الانبياء ، وقد اتبع علماء هذا اتجاه الشيعة" (٧) . وهذا ما يراه جولد تسيهر أيضا (٨) .

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص٨٠. وأيضا أحمد صبحى : فى علم الكلام ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ .
(٢) الشهرستانى : المصدر السابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ .
(٣) أحمد صبحى : نظرية الامامة ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٣ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٤ .
(٥) المصدر السابق : ص ٢٥ .
(٦) محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤ .
(٧) أحمد شلبى : تاريخ المناهج الاسلامية ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ص ٧٩ .
(٨) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٩ .

وهناك قضايا كثيرة من قضايا علم الكلام التى أسسها متكلمو الشيعة وأخذها عنهم مفكرو الاسلام ، كنظرية الجزء والروائح والطعوم والالوان [١] . وفى العصمة حيث يذكر دونلدسن : ان فكرة عصمة الانبياء فى الاسلام مدينة فى أصلها وأهميتها التى بلغتها بعد ئذ الى تطور علم الكلام عند الشيعة ، وانهم أول من تطرق الى بحث هذه العقيدة [٢] .

ويبدو مما تقدم ، ان الشيعة هم أول من أسس علم الكلام ، وقد أخذوا ذلك عن أئمتهم من أهل البيت ، وعلى رأسهم الامام على بن أبى طالب حتى استقر فى أيام الامام الصادق فى أوائل القرن الثانى الهجرى . وقد تأثر كثير من مفكرى الاسلام بهذا العلم وكانوا تلاميذ لهم فيه ، حتى نفد ما عند المعتزلة لعدم صمودهم فى وجه مفكرى الشيعة فمالوا الى التشيع وأخذوا بآرائهم ، وذلك " بسبب تشيع معتزلة بغداد " [٣] .

٢ - علم النحو ومدارسه :

أولا : متى وكيف نشأ علم النحو:

أجمع الرواة والنحويون ،ان أول من وضع علم النحو أبو الاسود الدؤلى أخذه عن الامام على بن أبى طالب ،ونما هذا العلم وتكونت مدارسه على أيدى الشيعة . يقول ابن الانبارى :" اعلم . . ان أول من وضع علم العربية ،وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رض) وأخذ عنه أبو الاسود ظالم بن عمر بن سفيان الدؤلى ." [٤] . ولهذا يقول القفطى :" الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه . قال أبو الاسود الدؤلى رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين على

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق - مرجع سابق - ص ٠ ص ٦٨-١٣١ . وأيضا الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٥٦ . وانظر ابن حزم الاندلسى : الفصل فى الملل والاهواء والنحل - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٦٦ . وأيضا على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى - مرجع سابق - جـ١- ص ٤٨٥ . وأيضا عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - حياتهم وآراؤهم - بيروت دار مكتبة الحياة - بدون تاريخ - ص ٣٣ .

(٢) دونلدسن : عقيدة الشيعة - مرجع سابق - ص ٣٢٨ . وأيضا أحمد صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ١٣٤ .

(٣) أحمد صبحى : فى علم الكلام - مرجع سابق - ص ٢٨٧ .

(٤) ابن الانبارى : نزهة الالباء فى طبقات الادباء - مرجع سابق - ص ٤ .

ـ عليه السلام ـ فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، فقلت له : ان فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى الى صحيفة فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم" . الكلام كله اسم وفعل وحرف . . " (١) يقول القفطى : " ورأيت بمصر فى زمن الطلب بأيدى الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو ، يجمعون على أنها مقدمة على بن أبى طالب التى أخذها عنه أبو الاسود الدوءلى " (٢) .

ويقول السيوطى : " ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الاسود الدوءلى ، وكان أبو الاسود اخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب . . " (٣). ولهذا يقول طاش كبرى زاده : " . . ان أول من وضع النحو كان من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رايا وأسدهم عقلا شيعيا شاعرا سريعا فى الجواب ثقة فى حديثه . . " (٤) . قال محمد بن اسحاق : " زعم أكثر العلماء ان النحو أخذ عن أبى الاسود الدوءلى ، وان أبا الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام . . " (٥) . ولهذا قال المبرد : " أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الاسود الدوءلى " (٦) . وقال أيضا : " أجمعت العلماء باللغة ان أول من وضع العربية أبو الاسود الدوءلى وانه لقن ذلك عن على بن أبى طالب (رض) " (٧) .

ثانيا : الشيعة والمدارس النحوية :

أما المدارس النحوية التى وجدت فى الاسلام ، فهى : مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ومدرسة بغداد التى مزجت بين المدرستين . والباحث يعرض لهذه المدارس والعلماء الذين أسسوها للكشف عن جهد الشيعة فيها .

---

(١) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى : انباه الرواة على أنباء النحاة ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط١ ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ ـ ص ٤ .
(٢) المصدر السابق : ص ٥ .
(٣) عبد الرحمن جلال الدين السيوطى : المزهر ـ مطبعة عيسى البابى بمصر بدون تاريخ ـ جـ ٢ ـ ص ٣٩٧ .
(٤) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٥ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ .
(٦) ياقوت : معجم الادباء ـ مرجع سابق ـ جـ ١٦ ـ ص ١٤٧ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٣٥ .

١ - مدرسة البصرة النحوية :

تعتبر مدرسة البصرة من أقدم المدارس النحوية فى الاسلام." وكان أبو الاسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التى تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة وأشهر منها" (١) . ولهذا ". . كان الرائد الاول فى الدراسات اللغوية والنحوية باعتراف الجميع هو أبو الاسود الدوءلى" (٢) . وفى ذلك يقول السيوطى :" اختلف الناس الى أبى الاسود يتعلمون العربية ،وفرع لهم ما كان أصله ،فأخذ ذلك عنه جماعة " (٣) .

ويروى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى انه قال :" اختلف الناس الى أبى الاسود الدوءلى يتعلمون منه العربية ، فكان أبرع أصحابه عنسبة بن معدان المهرى ، واختلف الناس الى عنسبة ،فكان أبرع أصحابه ميمون الاقرن" (٤) .

وهكذا بدأت المدرسة النحوية تتكون على أيدى الشيعة منذ عصر أبى الاسود الدوءلى ، الموءسس الاول لمدرسة النحو فى الاسلام ،وقد تتلمذ عليه الرعيل الاول من اللغويين والنحويين . يقول القفطى :" وهذه الطبقة حسب ما حصر الرواة ،ممن أخذ عن أبى الاسود : عنبسه بن معدان ،وميمون المعروف بالاقرن ، وعطاء بن أبى الاسود ، وأبو نوفل بن أبى عقرب ،ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسى وعبد الرحمن بن هرمز ، ونصر بن عاصم، وكل هوءلاء أخذوا عن أبى الاسود وتتفاوت مقاديرهم فى العلم بهذا النوع من العربية" (٥)

ولم يقتصر عمل أبى الاسود على تأسيس علم النحو وانشاء مدرسته ،وانما قام بعمل آخر له من الاهمية الكبرى فى تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى وهو اعراب القرآن ، وذلك عن طريق تنقيطه . يقول السيوطى :" وهو أول من نقط المصحف . قال الجاحظ : أبو الاسود معدود فى طبقات الناس ،وهو فى كلها مقدم مأثور عنه فى جميعها ،معدود فى التابعين ، والفقهاء ،والمحدثين ،والشعراء والاشراف ،والفرسان والامراء ،والدهاة ،والنحاة ،والحاضرى الجواب، والشيعة" (٦) .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٢ - ص٣٣٨ .
(٢) عز الدين اسماعيل : المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربى - بيروت دار النهضة العربية - ١٩٧٦ - ص ٢٩٣ .
(٣) السيوطى : المزهر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٩٨ .
(٤) ابن الانبارى : نزهة الالباء - مرجع سابق - ص ١٣ .
(٥) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٣٨٢ .
(٦) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٢ .

قال المبرد :" أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الاسود الدؤلـــــى ثم أخذ النحو عن أبى الاسود عنسبة . . ثم أخذه عن عنسبة ميمون الاقرن ثـــــم أخذه عن ميمون ابن أبى اسحاق . . ثم أخذه عن أبى اسحاق عيسى بن عمر ،ثـــم أخذه عن الخليل بن أحمد سيبويه" (١) . أما نصر بن عاصم الليثى فقد " قرأ القرآن أيضا على أبى الاسود ، وقرأ أبو الاسود على على (رض) ، فكان استاذه فـــــى القراءة والنحو" (٢) .

يقول الدكتور شوقى ضيف :" رأينا البصرة تضع على يد أبى الاسود الدؤلـى نقط الاعراب ،وقد مضى الناس يأخذونه عن تلاميذه" (٣)." وكان ذلك عملا خطيـــرا حقا ، فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه" (٤) . وذلك بجهـــود الشيعة .

أما أول من صنف فى النحو فهو أبو الاسود الدؤلى أيضا . يقول ابن قتيبة : " لانه أول من عمل فى النحو كتابا" (٥) . وهكذا كان المؤسس الاول لعلم النحـــو وواضع أصوله والمصنف فيه هم الشيعة .

وأخذت مدرسة البصرة تزدهر على أيدى الشيعة من تلاميذ أبى الاســـود ، ويعتبر عطاء بن أبى الاسود المكمل لمدرسة أبيه النحوية . يقول ابن قتيبة :"فولـد ـ أى أبو الاسود ـ عطاء ،وأبا حرب ،وكان " عطاء " و " يحيى بن يعمر العدوانـى" بعجا العربية بعد أبى الاسود" (٦) . الى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيـــدى الذى يعتبر من أعظم مفكرى الاسلام ،والتى تنتهى اليه امامة مدرسة البصرة، فهـــو الذى نقح ما وضعه أبو الاسود وتلاميذه وصنف فيه المصنفات الكثيرة . و " بمثل هـذه العناية والاهتمام ضبط النثر العربى وشعره وبلغت الحالة الى أن العالم الشيعـى خليل بن أحمد الفراهيدى البصرى ألف فى اللغة كتاب العين ووضع علم العـــروض لمعرفة الاوزان الشعرية" (٧) .

---

(١) ياقوت : معجم الادباء ـ مرجع سابق ـ جـ١٦ ـ ص١٤٧ .
(٢) الانبارى : نزهة الالباء ـ مرجع سابق ـ ص١٤ .
(٣) شوقى ضيف : المدارس النحوية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٨ ـ ص١٧ .
(٤) المصدر السابق : ص١٧ .
(٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط٢ ـ القاهـــرة دار التراث العربى ـ ١٩٧٧ ـ جـ ٢ ـ ص٧٣٣ .
(٦) ابن قتيبة : المعارف ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣٤ .
(٧) محمد حسين الطباطبائى : القرآن فى الاسلام ـ تعريب أحمد الحسينـــى بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ـ ص١١٦ .

يقول الرحالة عند قدومه البصرة :" غير أنى ما اصطفيت منهم لمحادثات الادب الا الخليل بن أحمد ، لانى وجدته أوسعهم عقلا وأحضرهم رواية ، لايساميه فى علو الخاطر الا صالح بن عبد القدوس الشاعر ، ولكنى تحاميت مجلسه لما يتهم به من الانحراف عن السنة ، وان كنت لا أبخس عقله حقه من التعظيم" (١) .

وللخليل كتاب فى الامامة ذكر فيه جملة من الادلة على امامة على عليه السلام ومن المنقول عنه فى الاستدلال على تقدم على عليه السلام فى الامامة قوله : استغناؤه عن الكل ، واحتياج الكل اليه دليل انه امام الكل . . (٢) وقد ذكر كارل بروكلمان كتاب الامامة هذا للخليل بن أحمد (٣) .

يقول الشيخ عباس القمى :" والخليل هو ابن أحمد بن عمر بن تميم الازدى البصرى اللغوى العروضى من علماء الامامية ، كان أفضل الناس فى الادب وقوله حجة فيه " (٤) . وكان من أصحاب الصادق وروى عنه (٥) .

ويعد الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ الواضع الحقيقى لعلم النحو فى صورته النهائية . . فالخليل هو المؤسس الحقيقى لصرح النحو العربى ، بل هو المقيم لقواعده والمشيد لبنيانه وأركانه ، ويظهر منه أنه كان يتقن المنطق ومايتصل به من أقيسه ، كما كان يتقن العلوم الرياضية وهو اتقان جعله يقف على مايصنعه أصحاب الحساب والرياضيات فى مسائلهم الفرضية لترسخ ملكة هذه العلوم فى عقول الناشئة (٦) . ولهذا يقول القفطى :" نحوى لغوى عروضى ، استنبط من العروض وعلله مالم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه الى علمه سابق من العلماء كلهم . " (٧) "واستنبط أيضا من علم النحو مالم يسبق اليه ، وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب "العين" (٨) .

---

(١) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - مرجع سابق - ص٣ .
(٢) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص٦٢-٦٣
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٣٤ .
(٤) الشيخ عباس القمى : الكنى والالقاب - مرجع سابق - جـ ١ - ص٤١٦ . وأيضا محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص٢٦ .
(٥) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص٦٢ .
(٦) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - ط٧ - القاهرة دار المعارف - ١٩٧٨ - ص . ص ١٢١ - ١٢٢ .
(٧)،(٨) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

ويقول الزبيدى مؤلف مختصر العين :" أوليس من العجيب ، والنادر الغريب أن يتوهم علينا من به مسكة من نظر ، أو رمق من فهم ، تخطئه الخليل فى شيىء من نظره ، والاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبه ، والخليل بن أحمد أوحد العصر ، وقريع الدهر ، وجهبذة الامة ، واستاذ اهل الفطنة ، الذى لم ير نظيره ، ولا عرف فى الدنيا عديله ، وهو الذى بسط النحو . " (١) .

وقد عقد الخليل حلقة تدريسه فى حياة أبى عمرو الذى أنفق خمسين عاما يدرس اللغة العربية والنحو ، فاتصل به النظام وأخذ عنه ، ولما ابتكر علم العروض اتسعت حلقته ، وجلس اليه الاصمعى ، وفى شيخوخته تردد على حلقته سيبويه ، وهكذا اتسعت حلقة الخليل لتدريس علوم العربية (٢) .

وقد اختص سيبويه بالخليل بن أحمد ، وأخذ منه كل ما عنده فى الدراسات النحوية والصرفية ، مستمليا ومدونا ، وقد اتبع فى ذلك طريقين : طريقة الاستملاء العادية ، وطريقة السوءال والاستفسار ، مع كتابة كل اجابة وكل رأى يدلى به وكل شاهد يرويه عن العرب ، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية (٣) .

وقد انجبت البصرة فحول النحو من علماء الشيعة ، منهم على سبيل المثال : سعيد بن أوس أبو زيد الانصارى ، قال أبو عثمان المازنى :" كنا عند أبى زيد ، فجاء الاصمعى ، فأكب على رأسه وجلس ، وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين " (٤) .

يقول القفطى :" وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان عالما بالنحو وكان أبو زيد أعلم من الاصمعى ، وأبى عبيده بالنحو ، وكان يقال له أبو زيد النحو ، وله كتاب فى " تحقيق الهمزة" على مذهب النحويين ، وفى كتبه المصنفة فى اللغة وشواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره" (٥). وكانت له أعظم حلقة تدريس فى البصرة من حلق علمائها (٦) .

ومن علماء الشيعة النحويين أبو عثمان المازنى بكر بن محمد . قال الزبيدى، قال الخشنى : المازنى مولى بنى سدوس ، نزل فى بنى مازن بن شيبان ، فنسب

(١) السيوطى : المزهر - مرجع سابق - جـ ١ - ص٠ ٨ ٠
(٢) أحمد كمال زكى : الحياة الادبية فى البصرة - مرجع سابق - ص٢ ٤ ٠
(٣) شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص ٥٧ ٠
(٤) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٣٢ ٠
(٥) المصدر السابق : ص ٣٣ ٠
(٦) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - مرجع سابق - ص٣ ٠

اليهم، وهو من أهل البصرة ،وهو استاذ المبرد . . . وكان اماميا يرى رأى ابن الميثم. . وكان لايناظره أحد الا قطعه ، لقدرته على الكلام. ." (١) .

هذه نبذة من علماء الشيعة النحويين ،على سبيل المثال لا الحصر في مدرسة البصرة النحوية ،حيث كان لهم فضل السبق في تأسيسها ووضع قواعدها ومناهجها ، حتى تخرج منها علماء النحو على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم.

٢ - مدرسة الكوفة النحوية :

" في الوقت الذى كانت البصرة قد قاربت فيه نهاية الطريق عندما وضع استاذها الاكبر الخليل بن أحمد" من سنة ١٠٠ هـ الى سنة ١٦٠ هـ" فكرة المعجم ،وعلم العروض ،وأصول النحو ، كانت الكوفة ماتزال تحبو خلف أستاذها الاول أبى جعفر الرواسى" (٢) .

وقد تأسست مدرسة الكوفة النحوية على يد كل من معاذ الهراء وأبى جعفر الرواسى ، " وقد تخرج الكسائى فى أول أمره فى مدرسة الكوفة ،حيث تلقى النحو عن الرواسى ، وعن معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ،وهو عم الرواسى ،وزميله فى الاستاذية الاولى لمدرسة الكوفة" (٣) . وفى ذلك يقول السيوطى :". .وأبوجعفر هذا هو أستاذ الكسائى وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو وكان رجلا صالحا ،وقيل : ان كل ما فى كتاب سيبويه" وقال الكوفى كذا" انما عنى به الرواسى هذا ،وكتابه يقال له الفيصل .وكان له عم يقال معاذ بن مسلم الهراء ،وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف" (٤) ." وكانوا هم الذين أخذ الناس عنهم . . . والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئمتهم فى وقتهم" (٥) .

وفى بغية الوعاة :" محمد بن سارة،أبو جعفر بن أخ معاذ الرواسى قيل لعظم رأسه ، وهو أول من وضع نحو الكوفيين . ." (٦) . وفى ذلك يقول ابن النديم:" وهو - أى الرواسى - أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو ، قال ثعلب:

---

(١) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٧ - ص. ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة - مرجع سابق - ص ٢٦٢ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٦٣ . وانظر ابن النديم: الفهرست - مرجع سابق ص ١٠٣ .
(٤) السيوطى : المزهر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٠٠ .
(٥) المصدر السابق : ص ٤٠٠ .
(٦) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٩ .

كان الرواسى أستاذ الكسائى والفراء " (١) . يقول بروكلمان :" . . . ان أبا جعفر . . الرواسى هو الذى أسس مدرسة النحو بالكوفة . . " (٢) .

يقول ابن الانبارى :" أخذ - الكسائى - عن أبى جعفر الرواسى ، ومعاذ الهراء ، وكان أحد أئمة القراء السبعة . . " (٣) . " وكان معاذ . . صديقا للكميت" (٤) " وكان معاذ شيعيا ، مات سنة سبع وثمانين ومائة " (٥) . وفى تذكرة البغوى :"معاذ بن مسلم . . روى عن جعفر الصادق ، وله كتب فى النحو . . وقد عاش مائة وخمسين سنة " (٦) . يقول ابن خلكان :" أما أبو مسلم معاذ . . الهراء ، النحوى الكوفى . . وكان يتشيع " (٧) .

وقد ألف الرواسى لتلاميذه كتابا فى النحو سماه الفيصل ، وعادة تذكر كتب التراجم أولية للنحو الكوفى مجسدة فى أبى جعفر الرواسى (٨) . وهكذا كان الشيعة هم نواة مدرسة الكوفة النحوية . وقد تخرج من هذه المدرسة وعلى يد موءسسيسها - معاذ بن مسلم الهراء ، وابن أخيه الرواسى - أعاظم علماء النحو من الشيعة ، كانوا الاساس فى استقرار علم النحو الكوفى ، يذكر الباحث نبذة منهم على سبيل المثال :

يقول الدكتور يوسف خليف :" وجاء بعد الرواسى تلميذاه المشهوران :الكسائى المتوفى سنة ١٨٢ . . والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ ، وهما اللذان دعما قواعد مدرسة الكوفة النحوية ، ورفعا من بنيانها" (٩) . وكل منهما كان من الشيعة (١٠) . والباحث سوف يتعرض للفراء لاهميته فى ارساء دعائم مدرسة الكوفة ، وما قام به من تدريس واملاء على تلاميذه .

---

(١) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ١٠٢ . وأيضا ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٨ - ص ١٢٢ .
(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص١٩٧ .
(٣) ابن الانبارى : نزهة الالباء - مرجع سابق - ص ٦٧ .
(٤) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٨٨ .
(٥) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٩١ .
(٦) المصدر السابق : ص ٢٩٢ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٣٠٥ .
(٨) شوقى ضيف : المدارس النحوية -مرجع سابق - ص ١٥٣ .
(٩) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة - مرجع سابق - ص١٠٣ .
(١٠) انظر السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق ص ٣٤٧ .

أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى الاصل الاسدى بالولاء ،المعروف بالفراء. " وكان - بلا شك - أعلم الكوفيين ،جمع الى علم الكوفيين علم البصريين . . . ثم هو كبير العقل بجانب سعة الاطلاع ، فهو بحر فى اللغة ،ونسيج وحده فى النحو، حتى يلقب بأمير المؤمنين فى النحو ،وفقيه عالم باختلاف الفقهاء ،وماهر فى علم النجوم ،وخبير بالطب ،وحاذق فى ايام العرب واخبارها وأشعارها وهو الى ذلك متكلم. . " (١) . وحكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال :" لولا الفراء لما كانت عربية ،لانه خلصها وضبطها ،ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب" (٢) .

وقد وصفه ثمامة بن أشرس فقال :" فرأيت أبهة أديب ، فجلست اليه فناقشته عن اللغة فوجدته بحرا ،وناقشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ،وعن الفقه فوجدته رجلا عارفا باختلاف القوم ،وبالنحو ماهرا ،وبالطب خبيرا ،وبأيام العرب وأشعارها حاذقا ،فقلت له :" من تكون ؟ وما أظنك الا الفراء. . " (٣) .

ومولد الفراء بالكوفة ،وانتقل الى بغداد ،وكان زياد والد الفراء أقطع، لانه حضر وقعة الحسين بن على رضى الله عنهما فقطعت يده فى ذلك (٤) يقول السيوطى :" وأبوه زياد الاقطع ،قطعت يده فى الحرب مع الحسين بن على . . " (٥).

قال المرزبانى :" وقيل ان الفراء أستاذ الكسائى ،وكان يتشيع" (٦). ويقول طاش كبرى زاده :" أملى الفراء فهو يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء. وكان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى. . . وكان يحب الكلام ولا يميل الى الاعتزال وكان متدينا متورعا على تيه وعجب وتعظم ،وكان يتفلسف فى تصانيفه ويسلك الفاظ الفلاسفة . . . وأبوه زياد هو الاقطع ،قطعت يده فى الحرب مع الحسين بن على رضى الله عنهما. . . " (٧) . وقد ذكره اغابزرك الطهرانى من مصنفى الشيعة فى كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة (٨) .

---

(١) أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٠٧ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٢٢٥ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٥٥ .
(٤) المصدر السابق : ص . ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٥) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٣٣ .
(٦) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٩٠ .
(٧) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٤٤ .
(٨) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ ص٣٩.

وكان الفراء يجلس للناس فى مسجده الى جانب منزله ، وكان يتفلسف فى تصانيفه حتى يسلك فى ألفاظه كلام الفلاسفة [١] . كما كان له أثر واسع فى التفسير وفى اللغة وفى النحو ، وكان له فضل تقريب النحو الى الاذهان حتى يستطيع أن يفهمه الصبيان ، كما انه جمع اللغة وضبطها ، كما كان له أثر فى تفسير القرآن [٢] .

ويروى ابن الانبارى فى طبقات الادباء : ان المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب . فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، وكل بها جوار وخدما للقيام بما يحتاج اليه ، حتى لايتعلق قلبه ، ولاتتشوق نفسه ، وصير له الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين ، فكانوا يكتبون حتى صنف الحدود [٣] . وبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ يملى كتاب المعانى . . قال أبو بريدة : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعانى فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به . . وقال للناس انى اريد أن أملى كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذى أمليت قبلا ، وجلس يملى فأملى فى الحمد مائة ورقة . . [٤] ولهذا كان الفراء من كبار المعلمين ، حيث أملى الكثير وصنف عددا كبيرا من الكتب . وقد أملى كتاب معانى القرآن ، ولهذا يعد أول من قعد لدرس تفسير القرآن ، كما كان يلقى غير ذلك من دروس اللغة والنحو [٥] .

٣ - مدرسة بغداد النحوية :

الظاهر المعروف - ان مدارس النحو تدور بين مدرستين ، هما مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة - ولكن هناك رأيا يذهب الى وجود مدرسة ثالثة جمعت مابين المدرستين ، وهى مدرسة بغداد . ويعتبر أبو على الفارسى المؤسس لهذه المدرسة . فهو " أول من خلط بين آراء المدرستين فى وضوح المدرسة الكوفية والبصرية . وهو بذلك بغدادى ينتخب من المدرستين ما يراه أولى بالاتباع" [٦] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص٢٢٨ .
(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٠٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ٦٥ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٢٠ - ص ٠ ص ١٢-١٣ .
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - ص.ص١٩٩-٢٠٠ .
(٦) شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص ٠ ص ٢٥٦-٢٥٧ .

وكان أبو على الفارسى شيعيا ، لغلبة التشيع - كما يقول الدكتور شوقى ضيف - على أهل العراق وفارس (١) . وقد ذكره اغابزرك الطهرانى من مصنفى الشيعة حيث يقول : " أبو على الفارسى المولود سنة ٢٨٨ والمتوفى سنة ٣٧٧ وكان معاصرا للمتنبى ومصاحبا لسيف الدولة بن حمدان بحلب ثم عضد الدولة بن بويه . . " (٢) .

وقد أثبت الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى تشيع أبى على الفارسى وتلميذه ابن جنى فى رسالته "الدكتوراه" (٣) . كما أورد عدة أدلة تؤكد تشيعه الى أن يقول: " هذه الادلة متظافرة على أن أبا على كان شيعيا ، وفيها أكثر من دليل يثبت تشيعه من غير شك أو مراء" (٤) . وفى ذلك يقول السيد حسن الصدر : " أبو على الفارسى اسمه الحسن بن على بن أحمد . . امام وقته فى علم النحو . " (٥) ويقول فيه ياقوت : " وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق الى مثلها ، واشتهر ذكره فى الافاق ، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جنى ، وعلى بن عيسى الربعى ، . . . . وتقدم عند عضد الدولة ، فكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبى على النحوى فى النحو . . " (٦) .

وقد جلس أبو على الفارسى للتدريس والاملاء فى مساجد بغداد مبكرا وكان فيه حب للرحلة ، فتنقل يملى ويدرس للطلاب فى معسكر " مكرم" وبعض مدن الشام ، ويدخل حلب فى سنة ٣٤١ ومعه تلميذه ابن جنى الذى شغف به حبا ، ويتحول الى بعض مدن الشام ، ويعود الى بغداد سنة ٣٤٦ وتطير شهرته فيستدعيه الى شيراز عضد الدولة البويهى (٧) . وكان أبو على يتكلم فى كثير من المسائل التى لا أصل لها فى اللغة لرياضة العقل وشحذ الذهن على مثال الفقهاء والفرضيين وأهل الحساب (٨) . وكان له فى كل بلد نزل فيها تلاميذ أخذوا عنه ، ومنهم من صحبه فى أسفاره للاستفادة منه ، حتى لايبقى له شيىء يحتاج أن يسأل عنه (٩) .

---

(١) المصدر السابق : ص٢٥٦ .
(٢) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ - ص٨٠ .
(٣) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى - رسالة دكتوراه مطبوعة القاهرة - مطبعة نهضة مصر - ١٣٧٧ هـ - ص ٨٢ الى ٨٥ .
(٤) المصدر السابق : ص٨٦ .
(٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص١٦٩ .
(٦) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٧ - ص٢٣٤ .
(٧) شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص ٢٥٦ .
(٨) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٤ .
(٩) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى - مرجع سابق - ص١٣٢ .

وقد تتلمذ على يد أبى على الفارسى كثير من الطلاب، أشهرهم ابن أختـــه محمد بن الحسين الفارسى النحوى ،وقد نزل نيسابور وأملى بها من الادب والنحو ماسارت به الركبان (١) . كما ان ابن جنى كان من أبرز تلامذة أبى على (٢) . وفـــى ذلك يقول ابن خلكان :" كان اماما فى علم العربية ،، قرأ الادب على الشيخ أبـــى على الفارسى . . وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان" (٣) .

يقول القفطى :" صحب ابن جنى أبا على الفارسى وتبعه فى أسفاره ،وخـــلا به فى مقامه ،واستملى منه ، وأخذ عنه ،وصنف فى زمانه ، ووقف أبو على علـــــى تصانيفه واستجادها . . واستوطن أبو الفتح دار السلام ودرس بها العلـــــم الى أن مات " (٤) . وقد قدم ابن جنى البيت البويهى : عضد الدولة وولده صمصـــام الدولة وولده شرف الدولة . . وكان يلازمهم فى دورهم وبيابيتهم (٥) . كما وانـــه لزم أبا على الفارسى مدة اربعين سنة يأخذ عنه ،ولما مات أبو على تصدر ابـــن جنى مكانه ببغداد (٦) . ولهذا كان يكثر من ذكر آراء استاذه فى كتابه" الخصائص" وغيره حتى ليبدو وكأنه كنز سائل بمسائل اللغة والنحو وما يجرى فيها من ضبـــط الاصول والعلل والاقيسة . . (٧)" وأتاحت له تلك الرفعة أيضا أن يحظى برعايـــة البويهيين وأن تعلو مكانته عندهم. وقد خلف أستاذه فى التدريس ببغداد حيـــن لبى نداء ربه وظل يوالى التصنيف والتأليف حتى توفى سنة ٣٩٢ للهجرة" (٨) . وقـــد صاحب ابن جنى السيد المرتضى وأخاه الرضى ، كما اهتم بقصائد الشريف الرضـــى فيؤلف كتابا خاصا بها سماه : تفسير العلويات (٩) .

وقد تتلمذ على ابن جنى كثير من النحاة ،منهم الثمانينى ،وعبد الســـــلام البصرى ، وأبو الحسن السمسمى . قال فى دمية القصر ،وليس لاحد من أئمـــــة الادب فى فتح المعضلات وشرح المشكلات ما لابن جنى سيما فى علم الاعـــــراب وقد صنف كتبا كثيرة فى علوم مختلفة خصوصا فى النحو والاعراب والتصريف ،كما ولـــه كتاب تفسير المراثى الثلاثة والقصيدة الرائية للشريف الرضى كما ذكرها ابن النديم (١٠)

(١) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ١ - ص١٤٢ .
(٢) المصدر السابق : ص١٣٩ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٢ - ص. ص٤١-٤٢ .
(٤) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٣٣٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٤٠ .
(٦) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ ١ - ص١١٤ .
(٧) شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص ٢٥٧ .
(٨) المصدر السابق : ص ٢٦٦ .
(٩) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى - مرجع سابق - ص٨٣ .
(١٠) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق ص١٤٢-١٤٣ .

وهكذا يتضح لنا جهد الشيعة فى تأسيس علم النحو وقوانينه كما يرجع اليهم الفضل فى تأسيس مدارسه ، وبهذا العمل أثروا الثقافة الاسلامية ، حتى قاموا بدرسه وتدريسه ، كما تخرج على أيديهم كبار النحاة واللغويين .

٣ - علم التصريف :

ومن العلوم التى ساعد الشيعة على ايجادها علم التصريف ، ويعتبر أبو مسلم معاذ بن مسلم بن أبى سارة الكوفى هو واضع هذا العلم(١) . قال السيوطى :" معاذ بن مسلم الهراء وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف" (٢) وقال فى بغية الوعاة :" ان أول من وضع التصريف معاذ . . وكان معاذ شيعيا . مات سنة سبع وثمانين ومائة " (٣) . وفى تذكرة البغوى : معاذ بن مسلم . . روى عن جعفر الصادق . . " (٤) .

يقول كارل بروكلمان :" . . معاذ بن مسلم الهراء ، معلم عبد الملك بن مروان هو الذى وضع علم الصرف . . " (٥) . وقد تتلمذ على يده على بن حمزة بن عبد الله الكسائى (٦) . وفى ذلك يقول ابن خلكان :" أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى الكوفى . . . قرأ عليه الكسائى . وروى عنه . . وصنف فى النحو كثيرا . . وكان يتشيع وله شعر كشعر النحاة . . " (٧) . ولهذا يقول السيد مهدى بحر العلوم عن آل أبى سارة ومنهم الرواسى معاذ بن أبى سارة :" وهم أهل بيت فضل وأدب من أجل بيوت الشيعة بالكوفة . . " (٨) .

ومن مشاهير علماء التصريف من الشيعة أبو عثمان المازنى ، والشيخ أبو على الفارسى ، وأبو عثمان بن جنى ، وابن خالويه ، وأبو جعفر بن محمد بن رستم الطبرى ، وأبو القاسم الحسين الوزير المغربى ، وغير هؤلاء كثيرون (٩) .

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص٢٦ .
(٢) السيوطى : المزهر - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٤٠ .
(٣) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٩١ .
(٤) المصدر السابق : ص ٢٩٣ .
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١٩٧ .
(٦) المصدر السابق : ص ١٩٧ .
(٧) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص. ١٤٠ .
(٨) المصدر السابق : ص ١٤١ .
(٩) انظر المصدر السابق من ص ١٤٠ الى ص ١٤٥ .

٤ - علم اللغة :

ان أول من أوجد علم اللغة وأسسه باعتراف الجميع هو أبو الاسود الدؤلى[١] ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدى المؤسس الحقيقى لهذا العلم بعد أبى الاسود الدؤلى . قال الازهرى فى أول تهذيبه ما نصه : ولم أر خلافا بين أهل المعرفة وحملة هذا العلم ان التأسيس المجمل فى أول كتاب العين انه لابى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وان ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقينه اياه عنه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه . يقول السيد حسن الصدر : قلت لا خلاف فى أن أول من رسم علم اللغة هو الخليل بن أحمد وانه أول من صنف فيه، وانما الخلاف فى المصنف الذى فى أيدى الناس المسمى بكتاب العين المنسوب الى الخليل بن أحمد فبين ناف للنسبة وبين مثبت لها . . قال شيخ الشيعة جمال الدين بن المطهر فى الخلاصة الخليل بن أحمد كان أفضل الناس فى الادب. . . . اخترع العروض وفضله أشهر من أن يذكر وكان امامى المذهب[٢] .

٥ - علم البيان والمعانى :

أما علم البيان والمعانى ، فان أول من وضعه وأسسه وصنف فيه هو الامام المرزبانى أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى الخراسانى البغدادى، صنف فيه كتابه المفصل فى علم البيان والفصاحة[٣] . قال ابن النديم: " المرزبانى أبو عبد الله . . أصله من خراسان آخر من راينا من الاخباريين . . ومولده فى جمادى الاخرة سنة سبع وتسعين ومائتين . . وتوفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة رحمه الله ، وله من الكتب . . كتاب المفصل فى البيان والفصاحه نحو ثلثمائة ورقة . . "[٤] . وقد ذكر اليافعى فى تاريخه عند ترجمته للمرزبانى المذكور انه أخذ عن أبى دريد وابن الانبارى العلوم الادبية . . صاحب التأليفات الكثيرة ثقة فى الحديث قائل بمذهب التشيع[٥] . وقال العتيقى : " وكان مذهبه التشيع والاعتزال وكان ثقة فى الحديث "[٦] .

---

(١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص. ص١١٦-١١٧ . وأيضا ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٦٩-٧٠ وانظر المدارس النحوية من هذا الفصل - مدرسة البصرة .

(٢) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص. ص١١٦-١١٧ . وأيضا ابن النديم : المصدر السابق - ص. ص. ٧٠-٧١ . وانظر مدرسة البصرة من هذا الفصل .

(٣) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص١٣٦ .

(٤) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص . ص ١٩٦-١٩٨ .

(٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص. ص١٣٦-١٣٧ .

(٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ٣ - ص١٣٦ .

يقول اغابزرك الطهرانى :". . وكتاب المفصل فى علم البيان . وهو أول من أسس البيان ودونه ، لان الشيخ عبد القاهرة الجرجانى الذى ظنه السيوطى موءسس هذا العلم توفى سنة ٤٤٤" (١) . كما تقدم على الشيخ عبد القاهر فى ذلك أيضا من الشيعة محمد بن أحمد . . العميدى المتوفى سنة ٤٢٣ ثلاث وعشرين واربعمائة صنف كتاب تنقيح البلاغة كما فى كشف الظنون ، وذكره منتجب الدين بن بابويه فى فهرستاسماء المصنفين من الشيعة الامامية ، وذكره ياقوت وقال نحوى لغوى وأديب مصنف . . وصنف تنقيح البلاغة وكتاب العروض والقوافى (٢) . ومن مشاهير علماء البيان من الشيعة أبو الاسود الدوءلى ، ويحيى بن يعمر العدوانى ، وابان بن تغلب التابعى ، وابان بن عثمان ، وأبو عبد الله الحسين بن يزيد النوفلى ، وأحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم ، وابن السكيت ، والصاحب بن عباد وغيرهم كثيرون (٣) .

٦ - علم العروض:

أما علم العروض ، فالواضع له هو الخليل بن أحمد الذى استنبط علم العروض وأخرجه الى الوجود ، وحصر أقسامه فى خمس دوائر . قال حمزة بن الحسن الاصفهانى فى حق الخليل بن أحمد فى كتابه الذى سماه" التنبيه على حدوث التصنيف " : وبعد ، فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وانما اخترعه من ممر له بالصفارين من وضع مطرقة على طست ليس فيهما حجة ولا بيان يوءديان الى غير حليتهما" (٤) .

أما أول من صنف فى علم العروض بعد الخليل ، " هو أبو عثمان المازنى بكر بن محمد بن حبيب النحوى الامامى الشيعى ، المتوفى سنة سبع وأربعين

(١) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ - ص٣١٥.
(٢) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص. ص١٣٦-١٣٧.
(٣) انظر السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق ص ١٤٨ الى ص ١٦٦.
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ٢ - ص١٦. وأيضا شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص ٣١. وأيضا طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٩٥. وأيضا حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٣ - ص٣٥٣. وأيضا أحمد أمين: ضحى الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص١٣.

ومائتين" [١] . ومن أئمة علم العروض عند الشيعة المصنفين فيه ، منهم كافى الكفاة الصاحب بن عباد ، صنف كتاب الاقناع فى العروض . والخالع النحوى الشاعر المشهور ، والشيخ ابن جنى ، والشريف أبو الحسن محمد بن أحمد . . . . وغير هؤلاء [٢] .

٧ - علم التفسير:

ومن العلوم النقلية التى اشتغل بها الشيعة لفهم معانى القرآن الكريم علم" التفسير" . حتى أنهم كانوا هم المؤسسين لمدرسته ، وأول المصنفين فيه ، وقد " أخذ بعض كبار الصحابة ، من أمثال على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، يفسرون القرآن اعتمادا على ما سمعوه من الرسول أو بحسب ما وصل اليه فهمهم . ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الاسلام وحذا حذوهم فى ذلك التابعون مثل سعيد بن جبير وغيره " [٣] . فهؤلاء كلهم كانوا من شيعة على ، فهم أساس مدرسة التفسير فى الاسلام عند الشيعة [٤] .

أما غير الشيعة من المسلمين ، فلم يظهر عندهم هذا العلم الا متأخرا عن ذلك بكثير يقول الدكتور أحمد شلبى : " فاذا جئنا الى تاريخ ظهور علم يسمى"علم التفسير" فاننا نرى انه ليس من علوم صدر الاسلام ، وانه لم يظهر الا فى مطلع القرن الهجرى الثالث ، ويحكى لنا ابن النديم قصة ذلك فيقول : ان عمر بن بكير كان منقطعا الى الحسن بن سهل "٢٣٦هـ" فكتب الى الفراء "٢٠٨" . . فبدأ الفراء يكتب تفسيرا متصلا متكاملا للقرآن الكريم . . " [٥] . وقد مر تشيع الفراء . . . . " . . حتى استطاع أخيرا أبو بكر الاصم المتوفى سنة ٢٣٢ أن يضع أول تفسير اعتزالى" [٦] .

أما الشيعة ، فقد أسسوا هذا العلم فى الصدر الاول من الاسلام ، وأول من قام بهذا العمل الجليل وصنف فيه سعيد بن جبير التابعى (رض) كان أعلم

(١) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص١٧٩ وانظر تشيع المازنى من كتاب معجم الادباء لياقوت - مرجع سابق - جـ٧ - ص. ص١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) انظر السيد حسن الصدر : المصدر السابق - من ص ١٧٨ الى ص١٨٢ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ١ - ص٥١٤
(٤) انظر محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص٦ ٢-٢٧ وأيضا أحمد صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص٢٦٨ . والقندوزى : ينابيع المودة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٧١ .
(٥) أحمد شلبى : تاريخ المناهج الاسلامية - مرجع سابق - ص. ص٥٩ - ٦٠ .
(٦) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - مرجع سابق - ص ١٢٩ .

التابعين بالتفسير كما حكاه السيوطى فى الاتقان عن قتادة وذكر تفسيره ، وذكره ابن النديم فى الفهرست عند ذكره للكتب المصنفة فى التفسير ولم ينقل تفسيرا لاحد قبله وكانت شهادته سنة أربع وتسعين من الهجرة . وكان ابن جبير من خلص الشيعة ، وما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر يعنى التشيع(١) . ثم ان جماعة من التابعين من الشيعة صنفوا فى تفسير القرآن بعد سعيد بن جبير منهم: سعيد بن المسيب أخذ عن على بن أبى طالب وابن عباس ، وكان رباه على بن أبى طالب وصحبه ولم يفارقه وشهد معه حروبه (٢) .

ومن علماء التفسير عند الشيعة وموءلفيهم أبو حمزة الثمالى . يقول ابن النديم: "كتاب تفسير أبى حمزة الثمالى واسمه ثابت بن دينار وكنيته دينار أبو صفية وكان أبو حمزة من أصحاب على عليه السلام من النجباء الثقات وصحب أبا جعفر (٣)" وفى ذلك يقول الزركلى :" أبو حمزة الثمالى المتوفى سنة مائة وخمسين هـ من رجال الحديث الثقات عند الامامية ، وروى عنه بعض السنة ، وهو من أهل الكوفة . . . له كتاب فى " تفسير القرآن " وكتاب " الزهد " وكتاب " النوادر" (٤) .

ومنهم محمد بن السائب الكلبى - يقول ابن قتيبة فى المعارف :" الكلبى صاحب التفسير وهو : محمد بن السائب بن بشر الكلبى . . وبنوه" السائب"و"عبيد " و " عبد الرحمن" شهدوا "الجمل" و "صفين" مع على بن أبى طالب" (٥) . وكان نسابا عالما بالتفسير ، وتوفى بـ " الكوفة" سنة ست واربعين ومائة" (٦) . وقد ذكر الذهبى كتاب التفسير هذا حيث يقول :" وقال أحمد بن زهير : قلت لاحمد بن حنبل : يحل النظر فى تفسير الكلبى ؟ قال : لا" (٧) ويقول طاش كبرى زاده :"الكلبى - صاحب التفسير والانساب كان اماما فى هذين العلمين" (٨) . ولهذا يقول بروكلمان :"محمد بن السائب الكلبى توفى سنة ١٤٦ هـ وقد ألف حقا كتابا فى تفسير القرآن" (٩) .

---

(١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص.ص٥٩ - ٦٠ - وأيضا ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص٥٧ .
(٢) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص ٦٣ .
(٣) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٥٦ .
(٤) خير الدين الزركلى : الاعلام - ط٣ - بيروت - ١٣٨٩ - ١٩٦٩ - جـ٢ ص٨١ .
(٥) ابن قتيبة : المعارف - مرجع سابق - ص ٥٣٥ .
(٦) المصدر السابق : ص ٥٣٦ .
(٧) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص.ص ٥٥٦-٥٥٨ .
(٨) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٤٠١-٤٠٢
(٩) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٠ .

يقول الدكتور شوقى ضيف :" وقد أخذ الشيعةيستقلون - منذ هذا العصر - بتفاسير للقرآن خاصة بهم ،لعل أهمها تفسير جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ . "(١) مع أنه لم يكن هناك تفسير يعرف حتى منتصف القرن الثالث الهجرى الا تفاسير الشيعة . حيث اعتبر الدكتور ان أول تفسير استطاع أن يصنفه أبو بكر الاصم المتوفى سنة ٢٣٢ ، وهو تصنيف اعتزالى .

وأول مفسر جمع كل علوم القرآن وهو محمد بن عمر الواقدى الذى ذكره ابن النديم وغيره ونص على تشيعه واسم تفسيره " الرغيب" (٢) . وقد توفى سنة سبع ومائتين للهجرة (٣) . بالاضافة الى تفسير كل من الامام محمد بن على بن الحسين الذى رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر ، وتفسير ابن عباس رواه مجاهد (٤) - وهكذا كان الشيعة واضعى علم التفسير فى الاسلام . يقول الدكتور محمد عبد الحميد عيسى :" . . ابن عباسوهو أول من وضع تفسيرا للقرآن الكريم ، مرتبا حسب السور والايات" (٥) .

٨ - علم غريب القرآن :

ومن العلوم التى صنفها الشيعة وكان لهم السبق فيها ،وفى اثراء الثقافة الاسلامية ،علم غريب القرآن . يقول الصدر :" فاعلم ان أول من صنف فى ذلك شيخ الشيعة أبان بن تغلب ، وقد نص على تصنيفه فى ذلك علماؤنا وكذلك نص عليه ياقوت الحموى فى معجم الادباء والجلال السيوطى فى بغية الوعاة ونصوا على وفاته فى سنة احدى وأربعين ومائة" (٦) . وقال السيوطى فى كتاب الاوائل :"أول من صنف غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى ونص على تاريخ وفاته هو وغيره أنها كانت سنة تسع وقيل ثمان وقيل عشرة ومائتين . . " (٧) .

ويرى الباحث ان أول من صنف فى غريب القرآن أبان بن تغلب الشيعى ، وكذلك صنف فيه جماعة من علماء الشيعة بعد أبان وقبل أبى عبيده معمر بن المثنى ،

---

(١) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - مرجع سابق ص١٢٩ .
(٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص.ص٢٦-٢٧. وأيضا ابن النديم: الفهرست - مرجع سابق - ص.ص.١٥٠-١٥١ .
(٣) ابن النديم : المصدر السابق - ص ١٥٠ .
(٤) المصدر السابق : ص٥٦ .
(٥) محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس - مرجع سابق -ص٢٨٤ .
(٦) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص٥٣ .
(٧) المصدر السابق : ص. ص ٥٣-٥٤ .

وذلك لما جاء فى كثير من المصادر التى تؤكد ذلك. كما ان السيوطى نفسه نقل عن ياقوت قوله :". . أبان بن تغلب بن رباح . . قال ياقوت: كان قارئا فقيها لغويا اماميا ثقة ،عظيم المنزلة ،جليل القدر ، روى عن على بن الحسين وأبى جعفر وأبى عبد الله عليهم السلام . وسمع من العرب ،وصنف غريب القرآن وغيره ، ومات سنة احدى واربعين ومائة" (١) .

وجاء فى معجم الادباء لياقوت:" وكان ـ أى أبان بن تغلب ـ قارئا فقيها ،لغويا نبيها ثبتا . . وصنف كتاب الغريب فى القرآن ـ فجاء فيما بعد ، عبد الرحمن الازدى الكوفى ،فجمع من كتاب أبان ،ومحمد بن السائب الكلبى وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتابا فيما اختلفوا فيه واتفقوا عليه . . " (٢) .

يقول الزركلى :ابان بن تغلب . . . من كتبه" غريب القرآن" ولعله أول من صنف فى هذا الموضوع . . " (٣) . وفى ذلك يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : " أول كتاب ألف بعد ذلك فى غريب القرآن هو كتاب أبى سعيد بن تغلب بن رباح الكوفى (ت١٤١ هـ) " (٤) .

وممن صنف فى غريب القرآن أيضا قبل أبى عبيدة على ما ذكره السيوطى وياقوت موءرج بن عمر بن منيع . . السدوسى وهو من تلاميذ أبى زيد الانصارى ومن أصحاب الخليل ،له تصانيف فى غريب القرآن وقد ذكر أنه مات سنة خمس وتسعين وقيل أربع و تسعين ومائة (٥) .

ومن الذين سبقوا فى التصنيف من الشيعة فى غريب القرآن بعد أبان أبو جعفر الرواسى وهو متقدم أيضا على أبى عبيدة ،ومنهم الفراء المتوفى سنة سبع ومائتين (٦) .

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول القفطى :". . وله من الكتب التى صنفها . . كتاب غريب القرآن" (٧) . ومات سنة احدى عشرة ومائتين . وقال غيره مات سنة

(١) السيوطى : بغية الوعاة ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص٤٠٤ .
(٢) ياقوت: معجم الادباء ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص١٠٨ .
(٣) خير الدين الزركلى : الاعلام ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص٢٠ .
(٤) عز الدين اسماعيل : المصادر الادبية واللغوية ـ مرجع سابق ـ ص٢٩٦ .
(٥) السيوطى : بغية الوعاة ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص٣٠٥ . وأيضا ياقوت: معجم الادباء ـ مرجع سابق ـ جـ ١٩ ـ ص. ص١٩٧-١٩٨ .
(٦) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص. ص٣٥٣-٥٤ .
(٧) القفطى : انباه الرواة ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص٢٨٥ .

عشر ، وقيل سنة تسع ،وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين [١] . وكان أبو عبيدة بن المثنى من الخوارج [٢] .

٩ - علم معاني القرآن :

ومن العلوم التى أسسها الشيعة أيضا ،علم معانى القرآن . فأول من صنف فيه من الشيعة هو أبان بن تغلب المتوفى سنة احدى واربعين ومائة ،واسمه كتاب معانى القرآن . نص على ذلك كل من ابن النديم فى الفهرست حيث يقول : " كتاب معانى القرآن لطيف " [٣] . وخير الدين الزركلى فى الاعلام [٤] .

أما ما ذهب اليه القفطى من أن أول من صنف فى معانى القرآن من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ،ثم الاخفش ، وهؤلاء من البصريين، ومن الكوفيين صنف فيه الكسائى ثم الفراء [٥] . فقد عرفنا أن أبان بن تغلب كان سابقا لهم فى ذلك . مع أن الكسائى ،والفراء سابقان على أبى عبيدة ، ثم قطرب ،وكلاهما من الشيعة [٦] . وكذلك قطرب من الشيعة أيضا وهو متقدم على أبى عبيدة حيث توفى سنة ٢٠٦هـ [٧] بالاضافة الى ذلك فقد سبق هؤلاء جميعا فى التصنيف فى معانى القرآن بعد أبان،الرواسى . يقول ابن الانبارى :"وصنف الرواسى تصانيف كثيرة منها : كتاب معانى القرآن" [٨] . والرواسى استاذ الكسائى والفراء ،وهو أسبق من الذين ذكرهم القفطى ،كما ان ياقوت ذكر كتاب الرواسى فى معجم الادباء حيث يقول :"وللرواسى من الكتب .. كتاب معانى القرآن" [٩] ويقول السيوطى "ومن تصانيف الرواسى .. معانى القرآن" [١٠] . هذا وقد ذكر ابن النديم كتاب

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٨٠ .
(٢) ابن الانبارى : نزهة الالباء - مرجع سابق - ص ١٠٥ .
(٣) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٣٢٢ .
(٤) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ١ - ص٢٠ .
(٥) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٠ ص١٤-١٥ .
(٦) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص٠ص٦٣-٦٤ .
(٧) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ١٩٣ .
(٨) ابن الانبارى : نزهة الالباء - مرجع سابق - ص ٥٥ .
(٩) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٨ - ص ١٢٥ .
(١٠) السيوطى : بغية الوعاة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٨٣-١٠٩ .

معانى القرآن للرواسى فى قوله :" . . وتوفى - أى الرواسى - وله من الكتب . . كتاب معانى القرآن يروى الى اليوم" (١) .

ومن الذين سبقوا معمر بن المثنى فى تصنيف معانى القرآن يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبى امام نحاة البصره كما يقول ياقوت ، ومن تصانيفه كتاب معانى القرآن الكبير ، كتاب معانى القرآن الصغير ، وكان مولده سنة ثمانين . ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وثنتين (٢) . مع أن معمر بن المثنى مات سنة ٢١٣ هـ على بعض الروايات، فاعتباره أول من صنف من البصريين اغفال عما قام به يونس بن حبيب أحد علماء البصرة . بالاضافة الى ذلك ، فان سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الانصارى ، المتوفى سنة ٢١٤ هـ قد صنف كتاب معانى القرآن (٣) وكان معاصرا لمعمر ولم يذكره فى طبقتهم ، مع أنه ذكر كتابه وسنة وفاته وقوله :" كان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان ثقة ، وكان عالما بالنحو . " (٤) .

١٠ - علم أحكام القرآن :

من العلوم التى اشتغل بها المسلمون علم أحكام القرآن ، يقول حاجى خليفة فى كشف الظنون :" أحكام القرآن ، للامام المجتهد محمد بن ادريس الشافعى المتوفى بمصر سنة ٢٠٤ أربع ومائتين ، وهو أول من صنف فيه " (٥) .

وقد تقدم على الامام الشافعى فى ذلك محمد بن السائب بن بشر الكلبى أحد علماء الشيعة المتوفى سنة ١٤٦ هـ . يقول اغابزرك الطهرانى :" آيات الاحكام" الموسوم بكتاب أحكام القرآن لابى النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبى من أصحاب ابى جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق عليهما السلام ، والمتوفى سنة ١٤٦ وهو والد هشام الكلبى النسابة الشهير وصاحب التفسير الكبير . . كما أذعن السيوطى فى الاتقان . قال ابن النديم فى الفهرست عند ذكره للكتب المؤلفة فى علم أحكام القرآن ما لفظه : كتاب أحكام القرآن للكلبى رواه عن ابن عباس . يقول الطهرانى : هو أول من صنف فى هذا الفن كما يظهر من تاريخه لا الامام الشافعى محمد بن ادريس المتوفى سنة ٢٠٤ كما ذكره العلامة السيوطى ، وكذا صرح به فى كشف

(١) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص١٠٢ .
(٢) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٢٠ - ص٦٧ .
(٣) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٢ - ص٣٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٣ .
(٥) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - بغداد - مكتبة المثنى - ١٩٤١ - جـ ١ - ص ٢٠ .

الظنون فى عنوان أحكام القرآن لانه ولد الامام الشافعى بعد وفاة الكلبى بتسع سنين لانه ولد سنة ١٥٥ هـ(١)

١١ - اعراب القرآن :

ان أول من قام باعراب القرآن أبو الاسود الدوءلى ، حيث قام بتنقيطه ووضع علامات الاعراب على الكلمات .فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك (٢) . يقول السيد حسن الصدر:" قيل ان يحيى بن يعمر العدوانى تلميذ أبى الاسود الدوءلى أول من نقط المصحف ،والاصح الاول وأيهما كان فالفضل للشيعة لانهما من الشيعة بالاتفاق" (٣) .

١٢ - علم القراءات:

أما أول من أوجد علم القراءات فى الثقافة الاسلامية ،أبان بن تغلب، وقد ذكر ابن النديم تصنيف أبان فى القراءة حيث يقول : وله من الكتب كتاب معانى القرآن لطيف ، كتاب القراءات ، كتاب من الاصول فى الرواية على مذهب الشيعة" (٤) . كما نص على ذلك أيضا خير الدين الزركلى فى كتاب " الاعلام" (٥) .

يقول الصدر :" ولم يعهد لاحد قبل أبان وحمزة تصنيف فى القراءات ، فان الذهبى وغيره ممن كتب فى طبقات القراء نصوا على أن أول من صنف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين ،ولا ريب فى تقدم أبان لان الذهبى فى الميزان والسيوطى فى الطبقات نصا على أنه توفى سنة ١٤١ احدى واربعين ومائة ،فهو مقدم على أبى عبيد بثلاث وثمانين سنة ، وكذلك حمزة بن حبيب - من أصحاب الصادق - فانهم نصوا أنه تولد سنة ثمانين ومات سنة ١٥٦ هـ وقيل سنة ١٥٤ وقيل سنة ١٥٨ وان الاخير وهم . وكيف كان فالشيعة أول من

---

(١) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ - ص. ٤٠ وأيضا ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص٦٣ - وأيضا السيد حسن الصدر: الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص.ص ٥١-٥٢ .

(٢) ابن الانبارى : نزهة الالباء - مرجع سابق - ص٩ . وأيضا ياقوت: معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٦ - ص ١٤٧ . وأيضا السيوطى : بغية الوعاة مرجع سابق - جـ ٢ - ص٢٢ . وأيضا أحمد أمين : ضحى الاسلام - مرجع سابق جـ ٢ - ص٢٨٧ . وأيضا شوقى ضيف : المدارس النحوية - مرجع سابق - ص١٧ .

(٣) السيد حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق -ص. ص١٤٠-١٤١.

(٤) ابن النديم: الفهرست - مرجع سابق - ص ٣٢٢ .

(٥) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ٢٠ .

صنف فى القراءة ، ولايخفى هذا على الحافظ الذهبى وحافظ الشام السيوطى، لكن انما أرادا أول من صنف فى القراءات من أهل السنة لا مطلقا" (١) .

١٣ - علم الحديث :

تدوين العلم بين الاثبات والنفي :

كان بين السلف من الصحابة اختلاف كبير فى كتابة العلم وتدوينه ، فكرهها كثير منهم وأباحها آخرون . ويظهر ان كتابة الحديث عند اهل السنة بدأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وفى ذلك يقول بروكلمان :" ذكر الغزالى فى كتاب "الاحياء" ، والذهبى عن ابن تغرى ، ان عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى ببغداد سنة ١٥٠هـ ، ٧٦٠ م أو سنة ١٥١ هـ ، وكان جده جريج عبدا روميا . . . كان أول من صنف أحاديث رسول الله (ص) . . " (٢) .

يقول العسقلانى :" وقد جمع فى ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل اليه اطلاع كل منهم ، فأول من عرفته صنف فى ذلك أبو عبد الله البخارى . . " (٣) .
ويقول جرجى زيدان :" ومالك أول من دون الحديث فى كتاب الموطأ ، رتبه على أبواب الفقه ، وقيل ان ابن جريج أول من ألف فيه" (٤) .

ويرى الباحث ان أول من صنف فى الحديث من السنة عبد الملك بن جريج ، وهذا ما نص عليه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (٥) . وغيره (٦) . ومات سنة احدى وخمسين ومائة (٧) . ولهذا " فلم يكن الحديث قد دون الى عهد متأخر من عصر الامويين . . وقد أمر عمر بن عبد العزيز بجمعه ، ثم لم يجمع الا فى عهد المأمون". كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل (٨) .

أما موقف الشيعة من تدوين العلم وكتابته ، وخصوصا علم الحديث ، فهو يختلف تماما عن موقف أهل السنة ، وهذا شيء محقق عند الشيعة ، كما يقول

---

(١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص.ص١٥١-٥٢ .
(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ٣ - ص١٥١ . وأيضا محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص٢٣٨ .
(٣) ابن حجر العسقلانى : الاصابة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١ .
(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ٣ - ص٧٥ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١٠- ص.٤٠٠ .
(٦) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص ٢٣٨ .
(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١٠ - ص ٤٠٧ .
(٨) محمد حسين هيكل : حياة محمد - القاهرة - ط٦ - دار المعارف - ١٩٨١ - ص ٦٦ .

الشيخ باقر القرشى ، فالاسلام منذ فجرتاريخه قد تبنى الدعوة الى تدوين العلوم ونقلها ، لما فى ذلك من أثر فى تطوير الحياة العلمية والثقافية ، فقد روى عن النبى (ص) انه قال ، "قيدوا العلم" . فانبرت اليه طائفة من أصحابه فقالوا له : " ما تقييده ؟ " كتابته" (١) وقال (ص) :"قيدوا العلم بالكتابة" (٢) . وقال على بن أبى طالب : لاتكتبوا المصاحف صغارا" (٣) .

وكان الحسن بن على يقول لبنيه وبنى أخيه :"يابنى وبنى أخى تعلموا العلم ،فمن لم يستطع منكم أن يحفظه ـ أو قال يرويه ـ فليكتبه وليضعه فى بيته" (٤).

ومن هذه الاحاديث وغيرها ، يستند الشيعة فى تدوين العلم وكتابته ، ولهذا كانوا أسرع من غيرهم فى التصنيف ، والاشتغال فى جميع العلوم ، حتى كانوا المؤسسين لها ، وواضعى أصولها وقواعدها . ومن جملتهاعلم الحديث ، حيث كان المتقدم فى ذلك على بن أبى طالب . فقد روى المسعودى عن أبى دعامة عن على بن محمد عن آبائه عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله (ص) :"اكتب يا على ، قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لى : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الايمان ما وقرته القلوب ، وصدقته الاعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان ، وحلت به المناكحة" (٥) .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل :" بدأت الاحاديث الموضوعة تكثر الى حد أنكره على بن أبى طالب ، حتى روىعنه انه قال :" ما عندنا كتابنقرؤه عليكم الا ما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة أخذتها من رسول الله فيها فرائض الصدقة" (٦) .

وحديث الصحيفة يرويه أكثر العلماء . يقول أبو رية :" هذا الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ مختلفة . أما البخارى فقد رواه عن أبى جحيفة فى كتاب العلم بلفظ قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟ قال :لا ، الا كتاب الله ، أو فهما أعطيه رجلا مسلما ، أو ما فى هذه الصحيفة . . " (٧) . كما

---

(١) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص٢٣٨ . وأيضا عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٠ .
(٢) الحرانى : تحف العقول ـ مرجع سابق ـ ص٥٠٢ . وأيضا السيوطى : المزهر مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص٣٠٣ .
(٣) المتقى الهندى : كنز العمال ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص٢٢١ .
(٤) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص٣٩٩ .
(٥) المسعودى : مروج الذهب ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٧١ .
(٦) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ .
(٧) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ .

جاء ذكر الصحيفة فى أبواب كثيرة من صحيح البخارى ، وكذلك مسلم وبقيـــــــة السنن [١] . وفى ذلك يقول بروكلمان : " والصحيفة الكاملة أو زبور آل محمد وانجيـــل أهل البيت ، وتنسب أيضا الى على بن أبى طالب" [٢] .

هذا وقد أباح كتابة العلم طائفة من المسلمين وفعلوها ، منهم على وابنـــه الحسن ، كما فى تدريب الراوى للسيوطى، وأملا رسول الله (ص) على على عليـــه السلام ما جمعه فى كتاب مدرج عظيم قد رآه الحكم بن عيينه عند الامام الباقـــر لما اختلفا فى شيىء فأخرجه وأخرج المسألة ، وقال للحكم هذا خط على وامـــلاء رسول الله (ص) وهو أول كتاب جمع فيه العلم على عهد رسول الله (ص) فعلمـــت الشيعة حسن تدوين العلم وترتيبه فبادروا الى ذلك اقتداء بامامهم . كما يقـــول السيد حسن الصدر [٣] .

وأول من جمع الحديث من الشيعة ورتبه على الابواب ، أبو رافع مولى رســول الله ، وله كتاب السنن والاحكام والقضايا [٤] . وفى ذلك يقول الشيخ محمد حسيـــن ال كاشف الغطاء : " مؤسس علم الحديث وهو أبو رافع مولى رسول الله (ص) صاحب كتاب الاحكام والسنن والقضايا . . ثم تلاه ولده على بن أبى رافع كاتب أميـــــر المؤمنين ، وهو أول من صنف فى الفقه بعد أبيه ثم أخوه عبيد الله بن أبـــــى رافع " [٥] .

وقد لزم أبو رافع على بن أبى طالب بعد وفاة النبى (ص) . وكان من خيـــار الشيعة ، وشهد معه حروبه ، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ، وكان ابناه عبيد اللـه وعلى كاتبى أمير المؤمنين ، وله كتاب السنن والاحكام والقضايا، وهو أول من جمـــع الحديث ورتبه بالابواب . كما يقول الشيخ عباس القمى [٦] . يقول ابن الاثيـــر "كان أبو رافع مولى رسول الله (ص) خازنا لعلى على بيت المال . . " [٧] .

---

(١) المصدر السابق : ص. ص٦٨-٦٩ .
(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ١ - ص١٨٣ .
(٣) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق -ص. ص٥٦ - ٦٦ .
(٤) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - مرجع سابق - ص ٢٤٥ .
(٥) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة — مرجع سابق - ص. ص٢٦-٢٧ .
(٦) عباس القمى : الكنى والالقاب - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٧٦ .
(٧) ابن الاثير : الكامل - مرجع سابق - جـ ٣ - ص. ٢٠ . وأيضا الخطيب البغدادى تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١٠ - ص ٣٠٤ .

وقال النجاشى فى كتاب فهرست أسماء المصنفين من الشيعة مالفظه : ولابى رافع مولى رسول الله (ص) كتاب السنن والاحكام . . ومات أبو رافع سنة خمس وثلاثين بنص ابن حجر فى التقريب [١] . ولهذا يرى محمد أبو زهرة : " ان الشيعة أول من دون الحديث عن النبى ، وينسب الى على انه أول من دونه ، فيقال انه صنف أحاديث رسول الله (ص) فى عهده" [٢] .

ومن الذين صنفوا فى الحديث من الشيعة ، ميثم بن يحى التمار ، من خواص على بن أبى طالب ، وصاحب سره ، له كتاب فى الحديث جليل . . ومات بالكوفة قتله عبيد الله بن زياد على التشيع [٣] . لهذا نص الحافظ الذهبى فى ترجمة أبان بن تغلب ، على أن التشيع فى التابعين وتابعيهم كثير مع الدين والورع والصدق ثم قال : فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الاثار النبوية وهذا مفسدة بينة [٤] .

يقول السيد محمد باقر الصدر : " ومن أهم الانجازات التى حققها جعفر الصادق هو أنه وضع أساس التأليف فى الاسلام . . يحرض على التدوين والتأليف ويكون هو البادئ بذلك ، ثم يتداعى طلابه الى التدوين والتأليف حتى يبلغ عدد ما ألفوه أربعمائة كتاب لاربعمائة مؤلف ، وتبرز دعوته الى التدوين بمثل قوله لتلاميذه : اكتبوا فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا ، ومثل قوله للمفضل بن عمر : أكتب وبث علمك فى اخوانك فان مت فورث كتبك بنيك" [٥] . ولهذا "فقد أخذت الجوامع المذهبية للشيعة من هذه الاصول الاربعمائة" [٦] . "وقد اثر عن اصحاب الائمة كتب كثيرة فى السنن سميت بالاصول عرف منها أربعمائة أصل ، جمعت ونقحت بعد ذلك فى أربعة كتب " [٧] كما يقول الدكتور رشدى عليان .

وهكذا كان فضل الشيعة فى التأليف والتدوين لشتى علوم الاسلام ، ومنها علم الحديث ، والذين جاءوا بعدهم ، سلكوا طريقتهم فى التأليف والتصنيف ، فكان لهم الاثر العميق فى الحركة العلمية فى الاسلام . يقول بروكلمان :" وقد رأينا

---

(١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص٦٦ .
(٢) محمد أبو زهرة : محاضرات فى أصول الفقه الجعفرى - القاهرة - معهد الدراسات العربية - ١٩٥٥ - ص ١٦١ .
(٣) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص.ص٦٨-٦٩ .
(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ١ - ص٤ .
(٥) محمد باقر الصدر : جعفر الصادق - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق جـ ٢ - ص ٨١ .
(٦) حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية - مرجع سابق - ص ٢٣٦ .
(٧) رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة - مرجع سابق - ص٦١ - هامش٤٦.

فى كتاب الموطأ لمالك بن أنس ،وفى مجموعة زيد بن على ،نموذجا لاسلـــــــوب التصنيف الذى كان يحتذيه من صنف قبلهما" (١) ومن هنا يظهر عدم صحة ما ذهب اليه الدكتور رشدى عليان فى قوله :" وهذا ما يفسر لنا نضج الدراسات الفقهيـــة والاصولية ،وبدء مرحلة التصنيف عند أهل السنة قبل الامامية بمايقرب من قرنيـــن من الزمان" (٢) . والعكس هو الصحيح . مع ان نضج الدراسات الفقهية والاصوليـــة بدأت على أيدى الشيعة أيضا كما سيوضحه الباحث .

١٤ - علم غريب الحديث :

من العلوم التى اشتغل بها المسلمون علم غريب الحديث . يقول ابن الاثير فى مقدمة كتابه النهاية :" فقيل ان أول من جمع فى هذا الفن شيئا وألف ،أبوعبيدة معمر بن المثنى التميمى ،فجمع من ألفاظ غريب الحديث والاثر كتابا صغيـــــرا ذا أوراق معدودات ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ،وانما كان ذلـك لامرين : أحدهما ان كل مبدىء لشيىء لم يسبق اليه ، ومبتدع لامر لم يتقدم فيـــه عليه ، فانه يكون قليلا ثم يكثر ، وصغيرا ثم يكبر . والثانى ان الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة ،فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم" (٣) . ثم يستطرد فى القول :" ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازنى بعده كتابا فى غريـــــب الحديث أكبر من كتاب أبى عبيدة . . وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه . ." (٤) وفى ذلك يقول ياقوت :" معمر بن المثنى . . وهو أول من صنف غريب الحديـــث ، أخذ عن يونس بن حبيب . . . الا أنه يتهم بشيىء من رأى الخوارج" (٥) .

والغريب من ابن الاثير أن يعتبر أبا عبيدة معمر أول من ألف فى غريـــــب الحديث مع أنه توفى على أقل الروايات سنة تسع ومائتين (٦) . مع أن النضر بن شميل المازنى ، وله من التصانيف كمايقول ياقوت " كتاب غريب الحديث" مات سنة أربـــــع ومائتين (٧) . وفى ذلك يقول ابن الانبارى :" صنف - أى النضر - . . كتبا ، منها كتاب

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٣٣ .
(٢) رشدى محمد عرسان عليان : العقل عند الشيعة - مرجع سابق - ص ٦٠ .
(٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير : النهايـــة فى غريب الحديث والاثر - تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحى بيروت - دار احياء التراث العربى - بدون تاريخ - جـ ١ - ص ٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ٥ .
(٥) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٩ - ص ١٥٥ .
(٦) القفطى : انباه الرواة - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٨٠ .
(٧) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٩ - ص ٢٤٣ .

" غريب الحديث" . . . وتوفى النضر سنة ثلاث أو أربع ومائتين فى خلافة المأمون" (١).

ومن الذين صنفوا فى غريب الحديث قبل أبى عبيدة ـ اسحاق بن مرار أبو عمرو ـ الكوفى ـ قال الخطيب البغدادى : كان أبو عمرو راوية أهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر ،ثقة فى الحديث . . .وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية ،مشهور معروف ،والذى قصر به عند العامة من أهل العلم انه كان مستهترا وصنف : . .غريب الحديث . . مات أبو عمرو سنة ست ـ أو خمس ومائتين . . . وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين ،وقيل ثمان عشرة" (٢) .

١٥ ـ علم الفقه :

" ان أثمن ثمرات الفكر الاسلامى . . هى التى نبتتفى أرض الفقه ،لانها كانت تحمل خصائص العقلية العربية وسمات الاتجاه الاسلامى ،وما استطاع الفكر الاسلامى أن يثرى الثقافة بانتاجه الا عندما وجد فقهاء فهموا هذا المنهج فهما سليما" (٣) .

وكان للشيعة فى العصر الاول من الاسلام نشاط مستقل فى هذا الفن ، اذ ينسب اليهم تأسيس علم الفقه . يقول ابن النديم:" من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالى ، وكان هاربا من الحجاج لانه طلبه ليقتله فلجأ الى أبان بن أبى عياش . . وأعطاه كتابا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالى المشهور . . وقال أبان فى حديثه : وكان قيس شيخا له نور يعلوه ،وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالى . ." (٤) . وهو مطبوع (٥) .

ويقول بروكلمان :" . . ان أول كتب الشيعة كان : كتاب الاصل لسليم بن قيس الهلالى الذى هرب من الحجاج . ." (٦) . وهو أصل من أصول الشيعة ،واقدم كتاب فى الاسلام فى عصر التابعين بعد كتاب السنن لابن أبى رافع،وبهذا حاز مؤلفه قصب السبق على من بعده ، وكان ذلك الكتاب فى جميع الاعصار أصلا ترجع الشيعة اليه وتعول عليه (٧) .

---

(١) ابن الانبارى : نزهة الالباء ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٨٥-٨٨ .
(٢) السيوطى : بغية الوعاة ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٠ .
(٣) سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ .
(٤) ابن النديم: الفهرست ـ مرجع سابق ـ ص . ص ٣٢١-٣٢٢ .
(٥) انظر كتاب سليم بن قيس الكوفى الهلالى العامرى صاحب الامام أمير المؤمنين المتوفى فى حدود سنة ٩٠ ـ بيروت ـ منشورات دار الفنون للطباعة والنشر ١٩٨٠ م - ١٤٠٠ هـ .
(٦) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣٥ .
(٧) انظر ترجمة سليم بن قيس من كتاب بحار الانوار للمجلسى ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص. ص ١٥٦-١٥٧

وقد تقدم على سليم بن قيس الهلالى فى تصنيف علم الفقه على بن أبى رافع مولى رسول الله (ص) . ولهذا قال النجاشى فى ذكر الطبقة الاولى من المصنفين من الشيعة : على بن أبى رافع . هو تابعى من خيار الشيعة . . وجمع كتابا فى فنون الفقه ، فى الوضوء والصلاة ، وساير الابواب ، وتفقه على أمير المؤمنين (ع) وجمعه فى أيامه ، أوله باب الوضوء . . قال : وكانوا يعظمون هذا الكتاب فهو أول من صنف فيه من الشيعة . . وذكر الجلال السيوطى ان أول من صنف يعنى من أهل السنة فى الفقه الامام أبو حنيفة ، لان تصنيف على بن أبى رافع فى ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولد الامام أبى حنيفة بزمان طويل . . (١) .

ولما نشطت الحركة الفكرية فى عصر الصادق ، نشطت كذلك حركة الفقه ، وكان للشيعة فى هذا العصر نشاط كبير فيه ، وقد صنف الامام جعفر كتبا مختلفة مثل كتاب " مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة " المطبوع فى طهران ، ومثل كتاب " فقه الرضا" لعلى الرضا حفيده وهو كسابقه مطبوع بطهران (٢) .

وأما غير الشيعة من المسلمين ، فقد تأخر تصنيفهم فى هذا الفن ، يقول بروكلمان : " وقد روى ان معاوية بن عبيد الله بن يسار ، كاتب المهدى ، المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، ٧٨٠م ، كان أول من صنف كتابا فى الخراج " (٣) . ومهما يكن ، فهذه الاعمال الفقهية العلمية التى ازدهرت فى أثناء القرن الثانى الهجرى ، اضافت الى الثقافة العقلية الاسلامية مادة جديدة هى " علم الفقه" (٤) وذلك بفضل الجهود التى قام بها الشيعة فى اضافة هذا العلم الى الفكر والثقافة الاسلامية .

١٦ - علم أصول الفقه :

ومن العلوم التى أضافها الفكر الشيعى الى الثقافة الاسلامية ، علم أصول الفقه ، وأول من فتح بابه ، وفتق مسائله الامام محمد بن على الباقر ، وبعده ابنه جعفر الصادق ، فقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله (٥). وأقام الامام الصادق بالمدينة لايبرحها ، يعلم الناس ويفقههم "ويواصل وضع أصول الفقه

---

(١) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص.ص٧٩-٨٠ .
(٢) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - مرجع سابق ص ١٣٢ .
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٢٣٣ .
(٤) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٤٧ .
(٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص ٩٥ .

ويشرع للفقهاء كيف يستنبطون الاحكام عند ما لا يجدون الحكم فى الكتاب والسنة" (١) .
وقد برز من تلامذته هشام بن الحكم ، ويونس بن عبد الله ، وكانا أول من صنفا فى هذا العلم من الشيعة وفى ذلك يقول أبو زهرة : " وكلام العالمين "هشام ، ويونس" من علماء النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى الذين عاصروا أصحاب أبى حنيفة ، واذن فقد تصدى من فقهاء الشيعة من فكروا فى أصول الاستنباط ، بل قد دونوا بعضها ، وان أصول الفقه فى هذا الزمان الذى ظهر فيه هذان العالمان كانت تنمو فى اتجاه وضع مناهج الاستنباط ووضع المقاييس الضابطة من غير دفاع عن مذهب معين . . " (٢) .

ويقول أيضا : " ولنعرض لسبق تلاميذ الامام الصادق للامام الشافعى فى تدوين علم أصول الفقه ، لقد ذكر الكاتب الفاضل - السيد حسن الصدر - ان هشام بن الحكم قد سبق الشافعى بكتابه الذى كتب فى الالفاظ ، وان يونس بن عبد الرحمن قد سبقه بكتاب الحديث ، وهذان الموضوعان بلاريب جزءان من علم أصول الفقه ، ولكنهما ليسا هذا العلم ، والكتابة فيهما لاتعد تصنيفا كاملا فى هذا العلم . . ثم يستطرد فى القول : وبهذا ننتهى الى أن الامامين العظيمين" محمد الباقر - وجعفر الصادق" لم يسبقا الامام الشافعى بالتصنيف ، ولايغض ذلك من مقامهما ، فلم يعكفا على التأليف ، بل عكفا على البحث والتوجيه والتلقين والارشاد ، ولم يكن التأليف والتصنيف قد بلغ الشأو فى عهدهما ، نعم كان هناك تدوين ، ولكن لايعد تأليفا ، وان تدوين المذكرات والاقوال كان فى آخر عهد الصاحبة رضوان الله عنهم" (٣) .

والذى ذهب اليه أبو زهرة ، من أن التأليف لم يكمل حتى جاء الامام الشافعى مخالف لما ذكره صاحب الفهرست ان لعيسى بن عمر أحد قراء البصريين كتاب الجامع وكتاب المكمل وقد مات سنة تسع وأربعين ومائة (٤) . وان لأبان بن تغلب المتوفى سنة مائة واحدى واربعين للهجرة ، كتابا فى القراءات وكتابا فى معانى القرآن وكتابا فى أصول الحديث على مذهب الشيعة (٥) . وقوله أيضا ان " يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام من موالى آل يقطين ، علامة زمانه ، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة ، وله من الكتب : كتاب علل الاحاديث ، كتاب

(١) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٥١ .
(٢) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٧٥ .
(٣) المصدر السابق : ص ٢٦٩ .
(٤) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٢٢ .

الصلاة ، كتاب الصيام ،كتاب الزكاة ،كتاب الوصايا والفرائض. " [١] . وقول الاشعرى فى مقالاته :" رجال الرافضة ومؤلفو كتبهم ،هشام بن الحكم . . وعلى بن منصور ، ويونس بن عبد الرحمن القمى . . " [٢] وقول الشهرستانى :" ومن مولفى كتبهم - أى الشيعة - هشام بن الحكم . . ويونس بن عبد الرحمن" [٣] . وقول الزركلى :" أبو حمزة الثمالى المتوفى سنة مائةوخمسين ومن رجال الحديث الثقات عند الامامية .. **وله كتاب** فى تفسير القرآن ، وكتاب الزهد ، وكتاب النوادر" [٤] . كما ان للخليل من الكتب كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط، وكتاب فائت العين وكتاب الاقناع " [٥] . وفى ذلك يقول بروكلمان :" ونسبت كتب أيضا الى حفيد على زين العابدين على بن الحسين السجاد المتوفى سنة ٩٢ هـ ٧١٠ م. الزاهد والوصية طبع فى مجموعة بالقاهرة ١٣٤٤ هـ مطبعة عيسى البابى الحلبى" [٦] . كماان الامام الصادق ألف فى الفقه كتاب " مصباح الشريعة" ، وكتاب " فقه الرضا" لعلى الرضا وكل منهما مطبوع كما مر . وغير هؤلاء كثيرون ذكرهم أصحاب الفهارس من مصنفى الشيعة - فما ذهب اليه أبو زهرة من أن التأليف لم يكن فى زمان هشام بن الحكم لا دليل عليه ،وانما الدليل خلافه ، بالاضافة الى ما ذكره الباحث من أن التصنيف كان فى القرن الاول للهجرة ،كما سوف يتضح أيضا عند الكلام فى علم التاريخ والسير.

أما أول من أفرد بعض مباحث علم الاصول بالتصنيف من الشيعة ،هشام بن الحكم تلميذ جعفر الصادق ، صنف كتاب الالفاظ ومباحثها ،وهو من أهم مباحث هذا العلم [٧] . ثم يونس بن عبد الرحمن تلميذ الامام موسى بن جعفر ،صنف كتاب اختلاف الحديث وهو مبحث تعارض الدليلين ، والتعارض والترجيح بينهما [٨] أما قول السيوطى فى كتاب الاوائل ،ان أول من صنف فى أصول الفقه الشافعى بالاجماع يعنى من الائمة الاربعة من أهل السنة [٩] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٢٣ .
(٢) الاشعرى : مقالات الاسلاميين - مرجع سابق - جـ ١ - ص . ص ١٣٤-١٣٥ .
(٣) الشهرستانى : الملل والنحل - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٠ .
(٤) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٨١ .
(٥) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٧١ .
(٦) بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ١ - ص١٨٣ .
(٧) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق- ص ٢٦٤ .
(٨) المصدر السابق : ص ٣٣٢ . وأيضا السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص ٩٤ .
(٩) السيد حسن الصدر : المصدر السابق - ص ٩٥ .

وعند ما نشطت الحركة العلمية الفقهيةوالاصولية ، جمع علماء الشيعة بين الفقه وأصوله ، وكانوا السابقين فى هذا الجمع . يقول أبو زهرة :" كما يلاحظ أن الذين كتبوا فى الفقه عند اخواننا الاثنا عشرية كانوا يجمعون بين الفقه وأصوله ، وبين علوم أخرى ، فالطوسى مثلا كان له نشاط فى الفقه وأصوله ، كما كان له نشاط واضح فى علم التفسير وعلم الكلام ، والشريف المرتضى كان كذلك ، واذا يممنا جانب السنة نجد العلماء الذين جمعوا بين الفقه وأصوله وعلم الكلام والتفسير ، فنجد حجة الاسلام الغزالى ، ونجد فخر الدين الرازى ، ونجد الامدى . . . وغيرهم من علماء الفقه والاصول والكلام ، مهما تختلف مناهجهم فى علم الكلام" (١) . ومن الواضح ان السيد المرتضى والشيخ الطوسى ، قد سبقا الغزالى وغيره فى هذا الفن ، حيث ولد السيد المرتضى سنة ٣٥٥ هـ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، وولد تلميذه الشيخ الطوسى سنة ٣٨٥ هـ (٢) . أما الغزالى فكان مولده سنة ٤٥٠ هـ (٣) . وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة الاسلامية بفن جديد وهو علم الفقه وأصوله .

١٧ - الفقه المقارن ، أو الخلافى :

لقد أدى تعمق الشيعة فى علم الفقه وأصوله الى ظهور" الفقه المقارن "أو - "الخلافى" فى الثقافة الاسلامية . فحينما تمركزت المدرسة الشيعية فى الفقه فى بغداد ، وفرضت وجودها على الاجواء العلمية فى حاضرة العالم الاسلامى ، أثار ذلك أصحاب المذاهب الفقهية الاخرى ، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرسة بصورة صريحة ، وأثاروا المسائل الخلافية بصورة حادة وأدى ذلك الى اصطدام فقهاء الشيعة بفقهاء المذاهب الاخرى فى الندوات والمجالس العامة فى المسائل الفقهية الخلافية (٤) .

ومهما يكن من أمر ، ومهما كانت الدوافع السياسية التى كانت تثير هذه المسائل فقد أدى ذلك الى خصوبة البحث الفقهى ، فالخلاف والانشقاق دائما يؤدى الى الخصوبة لا العقم كما يدل على الخصوبة الذهنية لاعقمها .

وكان من أثر ظهور الخلاف بين " الفقه الامامى" والمذاهب الفقهية الاخرى ، أن تفرغ فقهاء الشيعة لبحث المسائل الخلافية بصورة موضوعية وبشكل مسهب ، "ومن

(١) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٨٣ .
(٢) انظر الشيخ الطوسى من الفصل الخامس من هذا البحث .
(٣) محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - مرجع سابق - ص٢٣٧ .
(٤) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٣ .

الذين كتبوا فى علم الاصول فى المائة الثالثة . . الفقيه الشيعى العظيم محمد بن الجنيد ، وكان فقيها . . . وكان على علم بالفقه المقارن ، فكان يقارن بين فقه الامامية وفقه الجمهور ، وكان منهاجه فى الدراسة الفقهية أن يجمع بين النظائر المتشابهة فى عقد واحد ، ولعله بهذا أول من ألف فى الاشباه والنظائر فى الفقه الاسلامى" (١) . ولاشك أن محمد بن الجنيد كان متقدما فى التصنيف فى الفقه المقارن على كل من الشيخ الطوسى والسيد المرتضى بحوالى قرن من الزمن .

وقد تقدم على ابن الجنيد من علماء الشيعة فى علم الخلاف أو الفقه المقارن محمد بن عمر الواقدى المولود سنة مائة وثلاثين للهجرة ، والمتوفى سنة سبع ومائتين وله كتاب الاختلاف . يقول ابن النديم: " أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى . . وكان يتشيع حسن المذهب . . . وله من الكتب . . كتاب الاختلاف ويحتوى على اختلاف أهل المدينة والكوفة فى الشفعة والصدقة ، والعمرة ، والرقبى والوديعة والعارية والبضاعة والمضاربة والغصب والسرقة والحدود والشهادات وعلى نسق كتب الفقه ما يبقى " (٢) . كما وأن لابى محمد الحسن بن موسى النوبختى أشهر متكلمى الشيعة ببغداد والمتوفى سنة ٣٠٠ هـ ، ٩١٢ م رسالة فى بيان مذاهب الفرق موجود فى مكتب النجف أبادى (٣) . وكتاب أوائل المقالات فى المذاهب المختارات لابى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد وابن المعلم والمتوفى سنة ٤١٣ هـ (٤) . وقد ذكر ياقوت تصانيف السيد المرتضى ، وذكر منها" كتاب مسائل الخلاف فى الفقه . . " (٥) .

وقد صنف فى الفقه المقارن القاضى أبو حنيفة نعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور قاضى مصر ، والمتوفى سنة ٣٦٣ هـ نقله ابن خلكان ، واسمه " اختلاف الفقهاء" (٦) . وكتاب " اختلاف أصول المذاهب " المطبوع بدار الاندلس ، ببيروت سنة ١٩٧٣ . وفيه يقول : " وقد سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد ، عن علة اختلاف الناس بعد رسول الله ، وكيف يختلفون بعد رسول الله؟ . . " (٧) . بالاضافة

(١) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٧٦ .
(٢) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص. ص. ١٥٠-١٥١ . وأيضا اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص. ٣٦ .
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٣٣٨ .
(٤) المصدر السابق : ص . ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٥) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٣ - ص ١٤٨ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص ٤٨ . وأيضا اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٣٦١ .
(٧) القاضى النعمان : اختلاف أصول المذاهب - مرجع سابق - ص ٣٢ .

الى كتاب الانتصار للسيد المرتضى (١) ،وكتاب الاعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الاحكام مما اتفقت العامة على خلافهم فيه . للشيخ المفيد (٢) . وكتاب "الخلاف" لشيخ الطائفة الطوسى ،الذى يعتبر فى حقيقته موسوعة فقهية عظيمة فى الفقه المقارن . مطبوع (٣) . يقول أبو زهرة ان الشيخ الطوسى :" مع علمه بفقه الامامية ، وكونه من أكبر رواته كان على علم بفقه السنة ،وله فى هذا دراسات مقارنة ،وكان عالما فى الاصول على المنهاجين : الامامى والسنى" (٤) .

وأما ما يقوله طاش كبرى زاده :" ان أول من أخرج علم الخلاف فى الدنيا أبو زيد الدبوسى بتخفيف الباء الموحدة الحنفى وهو عبيد الله بن عمر بن عيسى له كتاب " الاسرار " وكتاب " تقويم الادلة" كلاهما من أصول الفقه . . . توفى ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة وقيل يوم الخميس منتصف جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة" (٥) . فقد عرف مما تقدم أن الشيعة هم الذين أوجدوا هذا العلم وصنفوا فيه قبل غيرهم بأكثر من قرنين ونصف من الزمن .

"هذا هو علم أصول الفقه عند الامامية فى القرن الثالث الهجرى ،وقد جاء القرن الرابع ،وفيه نما علم أصول الفقه عند الامامية نموا عظيما" (٦) . والسبب فى ذلك " ان باب الاجتهاد مفتوح عند أكثرهم ،وهم الذين لايقفون عند أقوال الائمة ان لم يعرف نص لهم فى المسألة التى تعرض من بعدهم ،بل يستنبطون فى غير قياس . . ولان باب الاجتهاد مفتوح كان لابد أن يعنوا بقواعد الاستنباط لكيلا يكون الامر فرطا من غير ضابط يضبطه ،فكانت من أجل ذلك العناية بهذا العلم ودراسته " (٧) .

ولقد نمى هذه الدراسة وجود علماء من بعد القرن الثالث عكفوا على الفقه وأصوله ، فدونوه ورتبوا أبوابه ، وفتحوا عيونه ،وأجروا جداوله ، وكان فى كل قرن من القرون التالية علماء أجلاء كتبوا فى الفقه ،فى فروعه وأصوله ، وكان اكثر الذين

(١) الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦٣ .
(٢) المصدر السابق : ص ٦٤ .
(٣) حسن عيسى الحكيم : الشيخ الطوسى - مرجع سابق - ص ٤٦٤ .
(٤) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٦٠ .
(٥) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٥٤ .
(٦) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٨٠ .
(٧) المصدر السابق : ص . ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

كتبوا هذه الاصول من المتكلمين الذين جمعوا بين الدراسات الفقهية العملية المقتبسة من المأثور عن الائمة والدراسات النظرية المجردة التى استمدوها من دراساتهم الفلسفية (١) .

١٨ - علم التاريخ والمغازى والسير:

" كان التاريخ ثمرة ناضجة فى بستان الثقافة الاسلامية ، وموضع الدرس والاقبال من الطلاب فى مختلف جوانبه ، بدءا بأيام العرب القديمة وظلت تروى شفاها بالطريقة التقليدية أو المدونات التى تسجل الاحداث شهرا فشهرا ، وعاما فعاما . . . " (٢) .

وكان للشيعة أثر كبير فى اخراج هذا العلم الى الوجود فى تاريخ الاسلام. وأول من صنف فى ذلك من علماء الاسلام أبان بن عثمان الاحمر التابعى المتوفى سنة ١٤٠ هـ من أصحاب الصادق . ثم محمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام ، ومحمد بن اسحاق المطلبى ، وأبو مخنف الازدى ، وتأثر من كتب فى هذا الفن بهم ، واعتمد عليهم ، والجميع من أعلام الشيعة ، ثم تلاهم أكابر المؤرخين وكلهم من الشيعة أيضا كأحمد بن خالد البرقى صاحب كتاب المحاسن ، ونصر بن مزاحم المنقرى ، واليعقوبى أحمد بن يعقوب المطبوع تاريخه فى أوربا وفى النجف ، ومحمد بن طباطبا صاحب الاداب السلطانية (٣) .

" ويعتبر هشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأبوه محمد أول من كتب من العرب فى علم التاريخ ، كما اشتهر كل منهما بتحرى الدقة فى روايته " (٤). كما يعتبر هشام أول من صنف فى كل أنواع التاريخ بالاستقصاء (٥) . ولهذا كان من أعلم الناس بعلم الانساب ، وله كتاب "الجمهرة" فى النسب وهو من محاسن الكتب فى هذا الفن . . كما يقول ابن خلكان (٦) . وله من التصانيف فى علم التاريخ وغيره

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٨١ - ٢٨٢ . وأنظر أيضا السيد على نقى الحيدرى : أصول الاستنباط - ط ٢ - بغداد - مطبعة الرابطة - ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م - ص . ص ٣٣-٣٤ .

(٢) خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس - مرجع سابق - ص ٧٩ .

(٣) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة - مرجع سابق - ص ٢٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٢ - ص٣٤٩ .

(٥) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ١٤٦ الى ص ١٤٩ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ٥ - ص.ص ١٣١ - ١٣٢ .

شيىء كثير ، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفا ، وأحسنها كتابه المعـــــروف " بالجمهرة" فى معرفة الانساب ولم يصنف فى بابه مثله ، وتوفى سنة أربع ومائتين (١).

يقول بروكلمان : " لما قويت عناية علماء العراق بجمع أشعار الجاهلية وشرحها نشأت الحاجة الى البحث والتنقيب عن أيام العرب وملوكهم وأحوالهم فى الزمـــــن القديم ، وكان أعظم الفضل فى حفظ هذه الاخبار والاثار يعود الى الكلبيين محمد بن السائب، وابنه أبى المنذر هشام بن محمد ، وعنهما أخذ المتأخرون . فالاول : محمد بن السائب الكلبى . . توفى سنة ١٤٦ هـ ، ٧٦٣م. " (٢) . ولهذا حـاول محمد بن السائب الكلبى قراءة النقوش المكتوبة على قبور اللخميين للتحقق من تواريخها الا أن طريقته هذه بقيت زمنا طويلا لا تجد من يسير على غرارها ، حتى جـــــاء الجهشيارى فاستفاد منها فى كتاب الوزراء ، حيث اعتمد على النقوش التى وجدهـا فى ثغرى " صور" ، و " عكا" (٣) . ومن هنا يبدو ان محمد الكلبى أول من استخدم المنهج العلمى فى معرفة الوقائع التاريخية فى العالم الاسلامى .

وسار هشام على خطوات أبيه ، وحاول أن يتم ما جمعه بالبحث والتنقيب فـــى الاثار التى لا تزال باقية فى كنائس الحيرة ، ليستكمل بذلك تاريخ اللخميـيـــــن ومشاهدهم ، وصنف ما وصل اليه من ذلك ، وكان هذا المنهج الذى اتبعه هشـــام بن محمد غير مألـوف فى ذلك العصر فى البحث ، مما سبب اثارة التهم وتوجيـــــه المطاعن اليه من قبل معاصريه ، ولكن البحث الحديث قد أكد كثيرا من أقوال هشام التى وجه اليها معاصروه التشكك فيها (٤) .

وفى البيان والتبيين للجاحظ : " كان هشام بن محمد علامة نسابة . . . فـاذا رأى الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص فى النار ، وكان على بن الهيثم صاحب تفقيع وتقصير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، ولا يحفل بشاعر ولا بخطيب. . " (٥). يقول الجاحظ : " وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشيىء هو خـــلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى" (٦) . وكان الهيثم من علماء الشيعة أيضا(٧)

---

(١) المصدر السابق : ص ٠ ص ١٣٢ - ١٣٣ ٠
(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٠ ٠
(٣) المصدر السابق : ص ٨ ٠
(٤) المصدر السابق : ص ٣١ ٠
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٠ ص ١٣١ - ١٣٢ ٠
(٦) المصدر السابق : ص ٣٣٥ ٠
(٧) المصدر السابق : جـ ٢ - ص ١٥ هامش ٦ ٠

وقد مات سنة سبع ومائتين للهجرة . وله من الكتب طبقات الفقهاء والمحدثين ، وهى من أوائل كتب الطبقات التى صنفها الشيعة (١) . كما أنها أسبق من كتاب طبقات الصحابة لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والذى يعتبر أقدم كتب الطبقات التى وصلت الينا كما يقول جرجى زيدان ، وهو كتاب كبير ، وربما دخل فى بضعة عشر مجلدا" (٢) ." وللهيثم هذا فضل السبق الى ترتيب الحوادث حسب السنين ، وقد استقى الطبرى من كتب هؤلاء واعتمد عليها" (٣).

وقد تقدم على هشام بن محمد والهيثم بن عدى ، أبو مخنف الازدى ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد ، وكان صاحب أخبار ، ويكنى أبا مخنف ، ومخنف بن سليمان من أصحاب على بن أبى طالب . . مات لوط سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان راوية اخباريا صاحب تصانيف فى الفتوح وحروب الاسلام (٤) . قال ياقوت :" وجدت بخط أحمد بن الحارث الخزار قال : العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها ، واخبارها يزيد على غيره . . " (٥) . وله كتب كثيرة صنفها فى التاريخ ذكرها ياقوت فى معجمه (٦)

يقول بروكلمان :" أبو مخنف لوط بن يحيى الازدى . أول من صنف فى أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة . وله كتاب ذكر مقتل . . . الحسين بن على ، أو المصرع الشين فى قتل الحسين ، مخطوط فى : أمبروزيانا ، جوتنجن ١٨٢٨ ، ليدن ، . . وله ٣٥ كتابا من مصنفاته " (٧) . " . . وذهب كثير من المتأخرين فى عصر العباسيين مذهب أبى مخنف" (٨) .

أما المغازى والسير ، فان أول من صنف فيها محمد بن اسحاق ، قال المرزبانى " ومحمد بن اسحاق أول من جمع مغازى رسول الله (ص) وألفها" (٩) . وكان ابن اسحاق من الشيعة (١٠) . وفى ذلك يقول آدم متز :" يذكر أن ابن اسحاق صاحب

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ١١٠٥ .
(٢) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٠١ .
(٣) أحمد الحوفى : تيارات ثقافية - مرجع سابق - ص ٢٤٧ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٧ - ص ٤١ . وأيضا ابن قتيبة : المعارف - مرجع سابق - ص ٥٣٧ . وأيضا السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص ٢٣٥ .
(٥) ياقوت : المصدر السابق - ص ٤١ .
(٦) المصدر السابق : ص . ص ٢٣ - ٧٢ .
(٧) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٥٣ .
(٨) المصدر السابق : جـ ٣ - ص ٣٦ .
(٩) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٨ - ص ٥ .
(١٠) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص. ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

السيرة النبوية كان يتشيع . . وكان يدخل فى كتابه أشعارا للشيعة . . " (١) . وله من الكتب : كتاب الخلفاء ، كتاب السير والمغازى . . وقد مات سنة خمسين أو احدى أو اثنتين وخمسين ومائة (٢) . وفى ذلك يقول بروكلمان :" وبهذا الكتاب - أى سيرة النبى - لقى ابن اسحاق معارضة مالك بن أنس ، لعنايته بغير حديث الفقه والكلام كما رماه مالك بالقدر والتشيع . ولهذا اضطر ابن اسحاق أن يهاجر الى العراق سنة ١٣٢ هـ . . " (٣) . يقول الشاذكانى :" كان محمد بن اسحاق بن يسار يتشيع . . " (٤) . ويقول الخطيب البغدادى :" وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لاسباب منها : أنه كان يتشيع" (٥) . ولهذا قال أحمد بن يونس:" أصحاب المغازى يتشيعون ، كابن اسحاق وأبى معشر ويحيى بن سعيد " (٦) .

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن :" ومن مصادر السيرة النبوية أيضا كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ . . وكان كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢١٨ هـ . ويعد هذا الكتاب من المصادر الموثوق بصحتها ، على الرغم من أن مؤلفه عرف بالميل الى الشيعة" (٧) . مع ان ابن النديم يذكر سنة ولادته ووفاته فى قوله :" قال محمد بن سعد كاتبه أخبرنى أبو عبد الله الواقدى أنه ولد سنة ثلاثين ومائة ومات . . سنة سبع ومائتين وله ثمان وسبعون سنة . . " (٨) وفى ذلك يقول الدكتور أحمد شلبى :" ومن أشهر من صنفوا فيه فى عصرنا محمد بن عمر الواقدى (٢٠٧هـ) . فقد ألف كتاب التاريخ الكبير الذى اعتمد عليه الطبرى كثيرا حتى حوادث سنة" ١٧٩هـ" وهو بين أيدينا" (٩) .

وقد تقدم على ابن اسحاق والواقدى فى علم المغازى والسير من علماء الشيعة أيضا جابر بن يزيد الجعفى ، المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة ، صنف كتاب صفين ،

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠٩ .
(٢) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٨ - ص ٥٠ - ٨ .
(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٠-١١ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٨ - ص ٠ ص ٦-٨ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٢٤ .
(٦) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ١٨ - ص ٠ ص ٦ - ٨ .
(٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٥٠ .
(٨) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ١٥٠ . وأيضا الذهبى : ميزان الاعتدال - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٦٦٦ .
(٩) أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى - مرجع سابق - ط٦ - ١٩٧٨ - جـ ٣ - ص ٢٤٥ .

وكتاب النهروان ، وكتاب مقتل الامام على ، وكتاب مقتل الحسين [١] .

أما ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ان : " أقدم مصادر السيرة النبوية سيرة ابن هشام المتوفى بمصر سنة ٢١٨ هـ . وتعرف باسم سيرة رسول الله ، وقد استمد معلوماته التاريخية عن أستاذه ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وهى تعطينا صورة صحيحة لحياة النبى (ص) . . " [٢] . فيعرف مما تقدم ، حيث سبقه فى ذلك ابن اسحاق ، كما تقدم عليه الواقدى وغيره من علماء الشيعة . يقول الرحالة " وأول من سبق الى تدوين التاريخ محمد ابن اسحاق فى كتابه عن المغازى والسير ثم أخذ أهل العلم فى تدوينه بعد ذلك ، ووضع محمد المعروف بالواقدى كتابا فى فتوح الشام ضمنه كثيرا من سير الخلفاء الراشدين" [٣] . كما ان أول من دون السيرة النبوية - كما يقول جرجى زيدان - محمد ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ [٤] .

وقد استمد المؤرخون من غير الشيعة معلوماتهم التاريخية مما صنفه علماء الشيعة ، ولهذا يقول محمد بن ادريس الشافعى: " من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد ابن اسحاق" [٥] . كما ان ابن قتيبة استمد معلوماته عن ابن الكلبى ، وعن أبيه فى كتابه عيون الاخبار [٦] . وكذلك فى كتابه الشعر والشعراء [٧] . كما اعتمد الطبرى فى تاريخه على هشام بن محمد وأبى مخنف [٨] وكل من كتب فى التاريخ اعتمد على هؤلاء العلماء من الشيعة . وفى ذلك يقول اغابزرك الطهرانى: " ومع اشتهار تشيعه - أى لوط بن يحيى - اعتمد عليه علماء السنة فى النقل عن كتبه كالطبرى وابن الاثير ، بل التاريخ الكبير لابن جرير مشحون من كتب أبى مخنف" [٩] . وهكذا أمد علماء الشيعة الثقافة الاسلامية بفن جديد هو علم التاريخ والمغازى والسير .

١٩ - علم الجغرافية :

ومن العلوم التى اشتغل بها الشيعة كذلك ، علم الجغرافية، وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة ، وأول من صنف فيه من المسلمين هشام بن محمد الكلبى من أصحاب الامام

(١) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص٢٣٤ .
(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى - مرجع سابق - جـ٢ ص٣٥٠ .
(٣) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام - مرجع سابق - ص٢٠٧-٢٠٨ .
(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٩٩ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق - جـ ١ - ص٢١٩ .
(٦) انظر ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ١٤٧ .
(٧) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء - مرجع سابق - الجزء الاول .
(٨) انظر تاريخ الطبرى .
(٩) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ ص٣١٢ .

محمد الباقر بن على بن الحسين ، صنف كتاب " الاقاليم" وكتاب "البلدان الكبير " وكتاب " البلدان الصغير" وكتاب " تسمية الارضين" وكتاب " الانهار" وكتاب " الحيرة" وكتاب " منازل اليمن" الى غير ذلك كما نص على ذلك ابن النديم فى الفهرست (١) .

يقول الدكتور أحمد سوسة :" ففى الجغرافية الوصفية وهى التى أطلق عليها اسم البلدان والمسالك والممالك ظهر عدد من الجغرافيين العرب مثل الكلبى واليعقوبى والبلاذرى . . " (٢) . كما ان لابى جعفر محمد بن خالد البرقى من أصحاب الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق كتابا فى الجغرافية ، وقد ذكر ابن النديم أن لأبنه أحمد بن محمد بن خالد كتاب البلدان قال أكبر من كتاب أبيه (٣) وفى ذلك يقول الزركلى :" أحمد بن خالد البرقى : باحث امامى ، له نحو مائة كتاب منها . . البلدان" (٤) . وكتاب البلدان لليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨هـ وقد طبع فى ليدن (٥) . يقول الزركلى :" ولاحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى : مؤرخ جغرافى كثير الاسفار ، له كتاب البلدان وتاريخه يسمى بتاريخ اليعقوبى . . وسمى كتابه البلدان الممالك والمسالك" (٦) . وفى ذلك يقول آدم متز :" وكان اليعقوبى" حوالى آخر القرن الثالث الهجرى " أول جغرافى بين العرب وصف الممالك معتمدا على ملاحظاته الخاصة ، ومتكلما عن البلدان من حيث خصائصها الحقيقية وما تمتاز به " (٧) .

ويرى جرجى زيدان ان" أول من دون الجغرافية منهم على نحو ما عند اليونان الشيخ أبو زيد البلخى ، ألف فى أول القرن الرابع كتابا فى الجغرافية سماه" صور الاقاليم " ذكر فيه أمثلة منها بعد أن قسمها الى عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال . . " (٨) . يقول ياقوت :" اعلم أن أبا زيد فى أول أمره كان خرج فى طلب الامام الى العراق ، اذ كان قد تقلد مذهب الامامية" (٩) . مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة (١٠).

---

(١) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ١٤٨ .
(٢) أحمد سوسة : الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية - الثقافة العربية - مرجع سابق - ص ٦٠ .
(٣) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ١٠٤ .
(٤) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٥ .
(٥) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص. ص١٠٤-١٠٥.
(٦) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ١ - ص ٩١ .
(٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣ .
(٨) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص١١٣ .
(٩) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٣ - ص٧٤ . وأيضا عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - مرجع سابق - ص ٣١ - ١٠٦ .
(١٠) ياقوت : المصدر السابق - ص ٦٥ .

وأعظم جغرافى شيعى ظهر فى ذلك الوقت الشريف الادريسى . ولقب بالشريف ، لانه من الادارسة المنتسبين الى الحسن بن على بن أبى طالب(١) ألف كتابه المشهور " نزهة المشتاق" فى ذكر الامصار والجزروالمدائن والافاق ، وشحنه بالخرائط اللازمة التى زادت على الاربعين ، وكان هذا الكتاب أعظم كتاب للجغرافية فى زمنه ، ترجم من أجل هذا الى اللغة اللاتينية ، وطبع ، وجاءت خريطته مطابقة لمواقع البلدان ، ولم يخطىء الادريسى فى غير القليل منها (٢) .

وقد قال الكاتب الفرنسى جوتيه : " ان الشريف الادريسى الجغرافى كان الاستاذ الذى علم أوربا هذا العلم لا بطليموس الاسكندرى ، وقد ظل الادريسى معلما لاوربا ثلاثة قرون ، ولم يكن لاوربا مصدر للعالم الا ما رسمه الادريسى ، وهو خلاصة معارف العرب فى هذا الفن - ولم يقع الادريسى فى الاخطاء التى وقع فيها بطليموس " (٣) . ولهذا استأثر كتاب الادريسى باهتمام العلماء من مستشرقين ومستغربين وباحثين فى الغرب والشرق ، ونالت هذه الدراسة من تقييم وتقدير العلماء مالم ينله أى كتاب جغرافى عربى آخر قبله (٤) . " اذ كان الادريسى أول - جغرافى عربى اعتبر الجغرافية علما مستقلا يشمل جميع أقطار العالم من ضمنها أوربا المسيحية" (٥) . " وحسبه هذه الشهادة التى تشيد بفضله : ومن كتب الادريسى التى ترجمت الى اللاتينية تعلمت أوربا الجغرافية فى القرون الوسطى " (٦) .

٢٠ - علم الاخلاق :

اهتم الشيعة بالتربية اهتماما كبيرا ، حتى صنفوا فيها كتبا كثيرة ، تتعلق بالاخلاق والسلوك ، وأول من صنف فى ذلك على بن أبى طالب ، كتب كتابا فيه عند منصرفه من صفين وأرسله الى ولده الحسن أو محمد بن الحنفية ، وهو كتاب طويل جمع فيه أبواب علم الاخلاق ، وطرق سلوكه وأحكام الملكات وكل المنجيات والمهلكات وطرق التخلص من تلك المهلكات ، رواه علماء الفريقين وأثنوا عليه ، ورواه الامام أبو محمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى وأخرجه بتمامه فى كتاب الزواجر والمواعظ وقال : ولو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه . . " (٧) .

(١) أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - ص١٩٦ وايضا أحمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس - مرجع سابق - ص٢٤٨ .
(٢) أحمد مجاهد مصباح : المصدر السابق - ص ١٩٧ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٩٨ .
(٤) أحمد سوسة : الشريف الادريسى - الثقافة العربية - مرجع سابق - ص٥٦ .
(٥) المصدر السابق : ص ٥٦ .
(٦) أحمد الحوفى : تيارات ثقافية - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .
(٧) السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق - ص٩٧ .

وقد صنف علماء الشيعة فى الاخلاق ، وفى المصطلح الحديث فى التربية كثيرا من التصانيف يذكر منهم الباحث على سبيل المثال :

أول من صنف فيه من الشيعة ، اسماعيل بن مهران بن أبى نصر السكونى وسماه كتاب صفة المؤمن والفاجر ، وهو من علماء المائة الثانية (١) .

كتاب الاداب للقاضى أبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة سبع ومائتين (٢) .

اداب المعاشرة لابى جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقى المتوفى سنة اربع وسبعين ومائتين (٣). ولهأيضا كتاب المحاسن ، كتاب التراحم والتعاطف ، كتاب أدب النفس ، كتاب أدب المعاشرة، كتاب التهذيب ، كتاب مذام الاخلاق ، كتاب الزهد والموعظة ، كتاب مكارم الاخلاق ، وغيرها كثير . وكان جده قد حبسه يوسف بن عمر الثقفى . والى العراق من قبل هشام بن عبد الملك ، بعد قتل زيد بن على، ثم قتله عبد الملك (٤) .

كتاب تحف العقول لابى محمد الحسن على بن الحسين بن شعبة الحرانى من علماء القرن الثالث الهجرى . صنف كتاب تحف العقول فيما جاء فى الحكم والمواعظ ومكارم الاخلاق . مطبوع (٥) . كتاب الادب لابى العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة الزيدى المتوفى سنة ٣٣٣هـ (٦) .

كتاب العالم والمتعلم ، كتاب القضايا وآداب الحكام ، كتاب فرض طاعة العلماء ، كتاب محاسن الاخلاق ، الى غير ذلك ، لمحمد بن مسعود العياشى من علماء القرن الثالث (٧) .

كتاب تلقيح العقول أكثر من مائة باب أوله باب العقل ثم باب الادب ، ثم باب العلم وما جانس ذلك ، لابى عبد الله المرزبانى المتوفى سنة ٣٧٨هـ (٨) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٨ .
(٢) اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ١ ص١٠.
(٣) المصدر السابق : ص ٢٩ .
(٤) ياقوت : معجم الادباء - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ١٣٢ .
(٥) انظر الحرانى : تحف العقول - مرجع سابق
(٦) اغابزرك الطهرانى : الذريعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٠ .
(٧) ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٢٨ الى ص ٢٩١ .
(٨) المصدر السابق : ص ١٩٧ .

اداب الحكماء فى الاخلاق للشيخ ابن عبدون المعروف فى عصره بابن الحاشر المتوفى سنة ٤٢٣هـ [١] . الى غير ذلك مما صنفه علماء الشيعة فى الاخلاق وهى فى الحقيقة كتب تربية فى الدرجة الاولى ، لان التربية كانت تعتمد أولا على تغيير السلوك الخلقى .

٢١ - الشعر التعليمي :

ومن الفنون التى استحدثها الشيعة ، ولم تكن لها أى اصول قديمة ، فن الشعر التعليمى ، الذى دفع اليه رقى الحياة العقلية فى هذا العصر ، فاذا نفر من الشيعة ينظمون القصص وبعض المعارف والسير والاخبار . وكان ابان بن عبد الحميد هو أول من عمل على اشاعة هذا الفن الشعرى الجديد ، فقد نظم فيه تاريخا وفقها وقصصا كثيرا . ففى التاريخ ، نظم سيرتى أردشير وأنوشروان، وفى الفقه نظم الاحكام المتعلقة ببابى الصوم والزكاة ، كما صنع قصيدة فى مبدأ الخلق وضمنها شيئا من المنطق ، وأهم من ذلك كله أنه نظم فى القصص ككتاب كليلة ودمنة فى اربعة عشر ألف بيت ، وقد تأثر بهذا المنحى من الشعر التعليمى ابنه حمدان فينظم مزدوجة طويلة مسرفة فى الطول [٢] . وكان أبان بن عبد الحميد يتشيع للعلويين [٣] .

يقول بروكلمان : " . . وقد عنى هذا الشاعر بنظم المواد الثقافية . . فانتشر أدب العجم بهذه المنظومات بين العرب . . ولأبان اللاحقى أيضا قصيدة كونية فى أحوال الدنيا تسمى : ذات الحلل ، كما نظم فى فرائض الصيام ، وصنف كتبا فى : حكم الهند . . وتوفى أبان فى حدود سنة ٢٠٠ هـ - ٨١٥م . . وكان ابنه حمدان بن أبان ، وحفيده الحسن شاعرين موهوبين أيضا . . " [٤] . وهكذا ظهر الشعر التعليمى لاول مرة على يد أبان بن عبد الحميد اللاحقى [٥] .

---

(١) اغابزرك الطهرانى : الذريعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٧ .
(٢) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - مرجع سابق ص . ص ١٩٠-١٩١ . وأيضا ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٣٨ - ١٧٨ . وأيضا الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - مرجع سابق جـ ٧ - ص ٤٤ - ٤٥ .
(٣) شوقى ضيف : المصدر السابق : ص ٣٣٢ .
(٤) بروكلمان : تاريخ الادب العربى - مرجع سابق - جـ ٣ - ص . ص ١٠٤-١٠٥ .
(٥) عز الدين اسماعيل : فى الشعر العباسى - مرجع سابق - ص ٤٠٥ .

ودخلت شعاعات من هذا الفن التعليمي الجديد الى بيئات الاخباريين فاذا الاصمعي ينظم قصيدة طويلة في ذكر الملوك والجبابرة الهالكين ،كما دخلت في بيئات المتكلمين ،فاذا معدان الاعمى الشيعي الشميطي أحد متكلمي الشيعة الامامية ينظم قصيدة طويلة في أصناف الشيعة وعقائدهم ، كما يقول الدكتور شوقي ضيف (١) . وهكذا وجد الشعر التعليمي في الثقافة الاسلامية .

٢٢ - الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية :

اختلف المسلمون في جواز الخوض في العلوم الطبيعية ودراستها ، فذهب البعض الى تحريم دراسة العلوم الطبيعية والكونية . ويذكر الدكتور الاهواني العلة التي من أجلها حرم هؤلاء الخوض في هذه العلوم بقوله :" . . ولكن المسلمين لشدة غيرتهم على الدين وخوفهم من التحول عنه ،وجدوا من السلام الابتعاد عن البحث في الطبيعة حتى لايصرفهم ذلك عن الايمان والعبادة . . يضاف الى ذلك ان الفقهاء كانوا ينظرون بعين الريبة الى العلوم الطبيعية . والجمهور على هذا الرأي أيضا" (٢) . ويستطرد الدكتور الاهواني في قوله :" ومن الذين هاجموا العلوم الطبيعية هجوما عنيفا ، وصرفوا الناس عن دراستها الغزالي للعلةالتي ذكرناها ، قال : الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم . وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء ،وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها . فاذن الكلام كان من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية ، حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ،وانما حدث ذلك بحدوث البدع" (٣) .

أما الشيعة فقد كان لهم موقف اخر من العلوم الطبيعية ،ودراستها وبحثها فقد اعتبروا أن الخوض في هذه العلوم من الامور اللازمة التي تؤدي الى قوةالايمان بالله سبحانه وقدرته . ولهذا كان لهم فضل كبير في العلوم الطبيعية بكل فروعها حتى ليعدوا من المؤسسين لها وواضعي قواعدها ، كما دعوا تلاميذهم الى الاشتغال بها ،لاثراء الثقافة الاسلامية والفكر الانساني على السواء .

---

(١) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي - مرجع سابق - ص١٩٢ .
(٢) أحمد فؤاد الاهواني : التربية في الاسلام - مرجع سابق - ص١٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ص١٥٥ . وأيضاالغزالي : المنقذ من الضلال - مرجع سابق - ص . ص١١٦-١١٧ .

ويبدو ان أول من دعا الى دراسة العلوم الكونية من المسلمين ، الامام على بن أبى طالب ، وفى كلامه لتلميذه كميل حين ذكر حجج الله فى الارض دليل على ذلك ، فقال : " هجم بهم العلم على حقائق الامور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون ، **وأنسوا** بما استوحش منه الجاهلون " (١) ومن كلامه فى الكون : " . . . ثم زينها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب ، وأجرى فيها سراجا مستطيرا ، وقمرا منيرا . فى فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ، ثم فتق ما بين السموات العلا . . " الى آخر كلامه (٢) .

وقد سار أئمة الشيعة على نهج الامام على بن أبى طالب فى دراسة العلوم الكونية والطبيعية ، منهم الامام جعفر الصادق . وفى ذلك يقول أبو زهرة : " . . . ان الامام جعفر (رض) كان له علم بالكونيات ، وعنى بدراستها ، فقد كان عنده من القوى العقلية والنفسية والفراغ ما يجعله يتجه الى طلب المعرفة من أى نوع كانت المعرفة ، وعندنا الكثير من الادلة المقربة التى تدل على أنه كان له علم بالكونيات ، وقد طلب ذلك ليتخذ منه ذريعة لبيان وحدانية الله تعالى " (٣) ولذلك عكف الصادق على دراسة الكون ، وما اشتمل عليه ، وحث تلاميذه أن يسلكوا مسلكه فى هذه الدراسة ، حتى تخرج من مدرسته جابر بن حيان واضع علم الكيمياء . وقد ذكر ابن خلكان ذلك ، فقد قال : " أبو عبد الله جعفر الصادق . . . أحد الائمة الاثنى عشر ، على مذهب الامامية . . ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام فى صنعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة " (٤) .

يقول السيد أمير على : " ولانزاع فى أن الكيمياء " بوصفها علما " من اختراع المسلمين ويعد أبو موسى جابر بن حيان أبا الكيمياء الحديثة بحق ، ويعد اسمه عنوانا على عصر جديد فى علم الكيمياء يقارع فى الاهمية اسم " برستلى " و " لافوازييه " (٥) . ويعرفه الاوربيون باسم " Geber " وقد ألف جابر كتبا كثيرة فى الكيمياء والمعادن والاحجار انتفع بها الاوربيون (٦) . كما ترجمت منها طائفة كبيرة الى اللاتينية وأفاد

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٣٥٥ .
(٢) محمد عبده : نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٨ . المائر : المتحرك .
(٣) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٣٠ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٢٩١ .
(٥) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٧١ .
(٦) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - مرجع سابق ص ٣٥٢ .

منها الاوربيون فوائد كبرى مما كان له أكبر الاثر فى نهضة الابحاث الكيميائية بديارهم، وهو ،دون نزاع ،المؤسس الاول لعلم الكيمياء عند العرب. كما يقول الدكتور شوقى ضيف[1] . وفى ذلك يقول الرحالة :". . حتى قام جابر بن حيان . . وهو تلميذ جعفر الصادق (رض) فكتب سفرا جليلا فى علل المعادن ودون الكيمياء فى سبعين رسالة ربطها بأصول العلم ونبذ من مذاهب المتقدمين مالم يؤيده التحقيق فى مجرباته ،وقد قسم هذه الصناعة الى قسمين منها القوة النفسية وهى السيمياء ،ومنها القوة العلمية وهى الكيمياء . .وقد وضع القواعد على منهاج لم يشركه فيها أحد ولا قدر على مثله حكماء اليونان أنفسهم ،ولذلك نسب اليه هذا العلم وصار علم الكيمياء يسمى بعلم جابر"[2] .

وقد تتلمذ جابر على يد الامام جعفر الصادق فى الاعتقاد وأصول الايمان، واقتباسه منه جميع العلوم الانسانية والكونية ،وقد تضافرت أقوال المؤرخين أيضا كما يقول أبو زهرة ـ على أنه تحدث اليه فى طبائع الاشياء وخواص المعادن ،ومزج الاشياء بعضها ببعض[3] . وفى ذلك يقول السيد محمد باقر الصدر :" ولم يكن لجابر هذا أستاذ غير الامام الصادق عليه السلام وقد كرر جابر ذكر اسم أستاذه فى أكثر كتبه وبتعابير مختلفة . ويقول الاستاذ "هو لميارد" فى بحثه عن جابر بن حيان :" ان جابرا هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه ،وقد وجد فى امامه الفذ سندا ومعينا وراشدا أمينا وموجها لايستغنى عنه . وقد سعى جابر لان يحرر الكيمياء بارشاد أستاذه من أساطير الاولين التى علقت بها من الاسكندرية ، فنجح فى هذا السبيل الى حد بعيد" ـ حتى قال عنه الاستاذ " برتلو" فى كتابه الذى نشره بباريس عن الكيمياء عند العرب قال ما نصه : ان اسم جابر ينزل فى تاريخ الكيمياء منزلة اسم أرسطو فى تاريخ المنطق"[4] .

وهكذا سجل المسلمون انتصارات واسعة فى دراسة العلوم الطبيعية وعلى رأسهم علماء الشيعة ،وابتكروا فيها فكرة التجربة العلمية ،وقد دون اخوان الصفاء الشيعية تسعة عشر فصلا فى الدراسات الكيمياوية من مجموع فصول رسائلهم ،وكان الفضل فى ذلك لجابر ، يقول الاستاذ ساريف :" وأول باحث عظيم فى علم الكيمياء،

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ١١٦ - ١١٧ .
(٢) جميل نخلة المدور : حضارة الاسلام فى دار السلام ـ مرجع سابق ـ ص١٩٧ .
(٣) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩٦ .
(٤) محمد باقر الصدر : جعفر الصادق ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق جـ ٢ ـ ص ٧٥ .

هو جابر بن حيان (٧٦٦م) ،وقد أصبحت كتبه عند ظهورها فى القمة ،وصارت بعد القرن الرابع عشر أهم مصادر هذه الدراسات وأكثرها فى التأثير وقيادة التفكير العلمى فى الشرق والغرب ،مما سجل بحق اسم جابر فى مقدمة من أفادوا علم الكيمياء وطوروه من الناحيتين النظرية والعلمية" (١) . ولهذا يقول كويلر يونج : " وفى ميدان العلوم الطبيعية ظهرت جهود الاسلام فى الطبيعة والكيمياء ، والمعروف أن مؤسس هذا العلم هو جابر بن حيان الكوفى . . " (٢) .

هذا وقد قسم جابر العلوم الى دينية ودنيوية : فالدينية عنده تنقسم الى شرعية وعقلية ،والشرعية منها ظاهرة وباطنة ، والعقلية تنقسم الى علوم معان وعلوم حرف ،وعلوم الحرف تنقسم الى علوم طبيعية وروحانية . . أما علوم المعانى فهى فلسفية والهية ،وبذلك تكون العلوم الدينية فى رأيه أسبق فى الذكر من العلوم الدنيوية ، وان زمن الانتفاع هنا هو الاساس فى التفرقة بين العلوم الدينية والدنيوية (٣) .

وقد اشتغل الشيعة بهذه العلوم فى فترة مبكرة من الاسلام ،فقد نقل عباس محمود العقاد عن ابن بابويه القمى أحد علماء الشيعة قوله :" وهذه الرواية رواها ابن بابويه الصدوق فى الخصال عن جابر بطريقين بينهما اختلاف يسير ،ورواها الحافظ القمى عن جابر فى تفسير قوله تعالى :" انى رأيت أحد عشر كوكبا . . " ثم سمى تلك النجوم بتغيير يسير " . . يقول العقاد :" . . ولا نحرص على روايته الا لان - الصواب والخطأ فى هذه التأويلات يدلان معا على موقف القرآن الكريم عند المسلمين فلا حرج عندهم فى دراسة النظريات العلمية ،ولا مانع فى دينهم يمنعهم أن يتقبلوها كأنها مطابقة لايات التنزيل " (٤) . وهذا يتفق مع رأى الشيعة .

وننتهى من هذا الى أن مؤرخى المسلمين يتفقون على حقيقتين كما يقول أبو زهرة : اشتغال جابر بالكيمياء والطبيعة ،والثانية صلته بالامام الصادق وانه كان تلميذه ومتشيعا لآل البيت (٥) . ويقول أيضا :" يذكر العلماء ان الصادق (رض)

---

(١) M.M. Saarif : الفكر الاسلامى منابعه وآثاره - ترجمة الدكتور أحمد شلبى - ط٦ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ - ص ١٣٧ .

(٢) كويلريونج : أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية - الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث اسلامية - جمع محمد خلف الله - ط٢ - القاهرة - النهضة المصرية ١٩٦٢ - ص ٢٤٨ .

(٣) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية - القاهرة النهضة المصرية - ١٩٧٩ - ص ١٩٢ .

(٤) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص٥٨-٥٩ .

(٥) محمد أبو زهرة : الامام الصادق - مرجع سابق - ص ٢٤٧ .

تكلم فى كثير من العلوم ، ولم يكن كلامه مقصورا على علوم الاسلام وما يتصل بها ، بل تصدى للكلام فى الطب وعلوم الطبيعة وكتب اخواننا الامامية كتبا فى طبه ، وفى علومه وليس عندنا ما نرد به كلامهم ، ولا يسوغ لنا أن نتصدى لرد هذا" (١) . كما ان هشام بن الحكم تلميذ جعفر الصادق له نظريات خاصة فى علم الطبيعة وطبقات الارض ، حيث ذهب الى القول بأن الله خلق الارض من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضا ، فاذا ضعفت طبيعة منها غلبت الاخرى فكانت الزلزلة ، وان ضعفت أشد من ذلك كان الخسف (٢) . كما له نظريات أخرى فى تكوين المطر (٣) . وهكذا أثرى الشيعة الثقافة الاسلامية بهذه العلوم.

٢٣ - المنهج العلمي التجريبي :

من الواضح ان المنهج طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده وتقوده الى الحقيقة . كما ان المنهج العلمى ، هو حصيلة التأمل الدقيق ، والعقل المبدع الذى يحدد القواعد ، ويميز الصحيح من الفاسد ، ويخلص الى القوانين، وان الفيلسوف المنهجى ، هو الذى يتجاوز حدود التخصص المعين ، ويستقرىء المناهج المختلفة للعلوم ، محاولا الاتجاه نحو التعميم، حتى يقدم صورة واضحة للمناهج التى يسلكها العقل الانسانى للكشف عن الحقيقة فى العلوم(٤) ." فالمنهج اذن هو: طريق البحث عن الحقيقة فى أى علم من العلوم أو فى أى نطاق من نطاقات المعرفة الانسانية" (٥) .

واذا فهمنا المنهج بهذا الشكل ، يتضح أنه لم يكن لليونان وحدهم مناهج ساروا عليها ، بل كان لمن قبلهم من أمم الشرق أيضا - وقد وصلت الى بحوث عميقة فى العلم التجريبى والعلم الرياضى - مناهج ومواقف نحو البحث العلمى ، و"لم تضع أمة من الامم أو مفكرو وعلماء أمة من الامم قبل العرب المنهج التجريبى أو الاستقرائى كمنهج " (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٦ .
(٢) الاشعرى : مقالات الاسلاميين - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٣٤ . وأيضا البغدادى : الفرق بين الفرق - مرجع سابق - ص ٦٨ .
(٣) الاشعرى : المصدر السابق : ص ١٣٤ .
(٤) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق ص ١٩١ .
(٥) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفي - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٦ .
(٦) المصدر السابق : ص ٣٦ .

ثم ان منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لامة من الامم ، ومدى اصالتها فحيث توجد حضارة ، يوجد منهج ، فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلى القياسى ، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب ، حيث أعلن "النظر للسادة ، والتجربة للعبيد" والمنهج المعبر عن روح الحضارة الاوربية هو المنهج التجريبى . ولن نستقصى هنا تاريخ الحضارات المختلفة ، لكى نتبين منهج كل حضارة وانما نحاول أن نعرض لمنهج الحضارة الاسلامية ، والمنهج الذى وضعه أصحابها ، وهو المنهج المعبر عن روحها الحقيقية ، والذى صبغ حضارتها وثقافتها معا (١) . وان "من شروط قيام العلم أن تكون هناك طريقة تجمع شتات الوقائع المتفرقة المبعثرة لتفسر ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين ثابتة وهذا هو المنهج التجريبى" (٢) .

ويبد و ان الشيعة من أقدم الفرق الاسلامية التى آمنت بالمنهج العلمى بقسميه النظرى والعملى ، كما ساهمت فى وضعه وتطوير نظرياته ، ولهذا بنى علماء الشيعة بعض العلوم على التجربة والاختبار (٣) . فالامام الصادق : " آمن بالتجربة والنظر العقلى والجدل طريقا الى الايمان ، وسلحته معرفته الواسعة العميقة بالعلوم فى الاستدلال والاقناع وجذب أصحاب العقول المبتكرة الى الدين" (٤) .

أما أول من استخدم المنهج العلمى فى مختلف العلوم بعد الامام الصادق ، فتلميذه جابر بن حيان . يقول الدكتور زكى نجيب محمود : " ان مذهب جابر فى خطوات السير فى البحث العلمى ، خطوات تطابق ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمى اليوم. وتتلخص فى ثلاث خطوات رئيسية :الاولى أن يستوحى العالم مشاهداته فرضا يفرضه ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها . والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرف . والثالثة أن يعود بهذه النتائج الى الطبيعة ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة ، فان صدقت تحول الفرض الى قانون علمى يركن الى صوابه فى التنبؤ بما عساه أن يحدث لو أن ظروفا بعينها توافرت . ومنهاج جابر هذا لو فصل القول فيه قليلا لجاء من نتاج العصر الحديث " (٥) .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٦ .
(٢) علاء الدين القزوينى : المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم - مرجع سابق - ص ٣٠١ .
(٣) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - مرجع سابق - ص . ص ٦٢-٦٣ .
(٤) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٤١ .
(٥) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث - القاهرة مطبعة مخيمر - ١٩٦٩ - ص ٧٢ .

أما المنهج التجريبى ، فيرجع أصله فى الثقافة الاسلامية الى الشيعة أيضا . يقول الاستاذ جلال مظهر: " والحق ان جابر بن حيان عبقرية نسيج وحدها ، وهو للشرق مفخرة ، بل انه من مفاخر الانسانية كلها ، ويكفيه فخرا أن يكون النبى الذى بشر بالمنهج التجريبى ، فالتدريب الذى يحدثنا عنه جابر هو ما نسميه اليوم تجربة يقول جابر " فمن كان دربا متمرنا حاذقا ، كان عالما حقا ، ومن لم يكن دربا لم يكن عالما ، وحسبك بالدربة فى جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل" (١) .

ولجابر شهرة كبيرة عند الافرنج بما نقلوه من كتبه ، فى بدء يقظتهم العلمية . قال برتلو: "لجابر فى الكيمياء ما لارسطوطاليس قبله فى المنطق ، وهو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من استحضر ماء الذهب ، وينسب اليه استحضار مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم . . وقال لوبون : تتألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوى على خلاصة ما وصل اليه علم الكيمياء ، عند العرب فى عصره . . " (٢) . " فان طرق التحسين فى عمليات التبخر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير والتبلور ترتبط كلها باسم "جابر" وكذلك ينسب اليه أنه وصف عمليتى التكليس والتحويل وصفا علميا ، وأنه جهز مواد كيماوية كثيرة منها سلفيد الزئبق ، أوكسيد الزرنيخ ، الماء الملكى ، الزاج النقى . . . وقد ظلت الاعمال التى تحمل اسمه كبيرة التأثير فى هذا العلم فى أوربا وآسيا من القرن الرابع عشر الى الثامن عشر" (٣) .

وكان لجابر معمل فى بغداد يجرى فيه تجاربه وبحوثه ، وله بحوث قيمة فى التكليس وفى ارجاع المعدن الى أصله بالاوكسجين ، وفى تحسين طرق التبخير والتصعيد والصهر والتبلور (٤) . وقد زود الامام الصادق تلميذه بكل ما يحتاجه من أدوات للقيام بتجاربه (٥) . " وقد ترجم عددا من كتبه الكثير الى اللغة اللاتينية فدل هذا على دوام نفوذه العلمى مدة طويلة فى أوربا" (٦) .

---

(١) المصدر السابق : ص . ص ٧١-٧٢ .
(٢) خير الدين الزركلى : الاعلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٩١ . وأيضا أحمد الحوفى تيارات ثقافية - مرجع سابق - ص ٢٥٢ .
(٣) كويلريونج : أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية - مرجع سابق - ص ٢٤٨ .
(٤) أحمد الحوفى : تيارات ثقافية - مرجع سابق - ص ٢٥٢ . وانظر ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص . ص ٥١٣ - ٥١٤ .
(٥) عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - مرجع سابق - ص ٤١ .
(٦) أحمد الحوفى : تيارات ثقافية - مرجع سابق - ص ٢٥٢ .

وكان جابر أول من حضر الحوامض ، لذلك كان أبا الكيمياء ، اذ لايمكن أن يتصور علم الكيمياء بغير حوامض، ولم يكن يعرف قبله حامض أقوى من الخل المركز كما كان أول من وصف طريقة تحضير حامض النتريك فى كتابه صندوق الحكمة ، كذلك حضر الحامض الليمونى ، وكان يعرف ان اضافة ملح النشادر وهوكلوريد الامونيا الى حامض النتريك انما يكون الماء الملكى ، وهو محلول يذيب الذهب، وهذه حقيقة لها أهمية تعدينية كبرى وبذلك أوجد جابر فعلا الحل للمشكلة الكيماوية الكبرى فى الحصول على الذهب على شكل سائل (١) .

وقد استخدم جابر بن حيان فى تجاربه ، قياس الغائب على الشاهد ، فى مجال أبحاثه الكيمياوية ، وهو بهذا يلتقى مع المنهج التجريبى الحديث فى فكرة الاحتمال ، اذ أنه لايجوز الحكم على مالم يشاهد الا على سبيل الاحتمال (٢). ولهذا استطاع جابر أن ينجح فى العبور من الكيمياء السحرية الخرافية الى الكيمياء العلمية التجريبية ، ودعا الى الاعتماد على الملاحظة والتجربة (٣) .

فالمنهج التجريبى اذن نشأ على يد الشيعة. وكان أولهم جابر بن حيان تلميذ الامام الصادق ، وبالرغم من أنه " أحد العباقرة الذين اشتغلوا بالفلسفة والمنطق والطب والرصد والرياضيات والكيمياء ، والميكانيك ، والفلك وسواها من المعرفة الانسانية ، الا أنه طغت عليه شهرته بالكيمياء ، وعرف بها، وبأنه امام هذا الفن من غير منازع" (٤) . " ثم جاء من بعده الكندى المتوفى سنة ٢٦٠ فقد قسم علوم الفلسفة الى ثلاثة : " العلم الرياضى ، والعلم الطبيعى ، وعلم الربوبية ، وهو أعلاها فى الطبع. ثم يأتى من بعده أبو نصر الفارابى المتوفى ٣٣٩هـ فى مقدمة احصاء العلوم ، ومن بعده ابن سينا فانه يبدأ التصنيف ببيان ماهية الحكمة المنضمة لنوعين من المعرفة النظرية والعملية " (٥) .

وكل هؤلاء من مفكرى الشيعة وفلاسفتهم (٦) . وقد توفى جابر بن حيان سنة

---

(١) جلال مظهر : الحضارة الاسلامية - مرجع سابق - ص ٧٢ .
(٢) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق ص. ٢٠٠ .
(٣) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٨٠ .
(٤) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - مرجع سابق - ص ١٨٥ .
(٥) عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية - مرجع سابق ص .ص ١٩٣-١٩٤ .
(٦) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - مرجع سابق - ص٣١ . وأيضا عبد الله فياض تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص ٢٢٠ . وأيضا اغابزرك الطهرانى: الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص٣٧٧ . وجـ٧- ص١٢ . وأيضا السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - مرجع سابق ص٩١-٩٢ . وانظر الدراسات الفلسفية عند الشيعة من هذا الفصل .

١٦٠ هـ وكان له أول تصنيف عربى واسلامى فى هذا العلم[١] . وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة فى العالم الاسلامى بهذا المنهج العلمى والتجريبى .

٢٤ - الدراسات الفلسفية عند الشيعة :

أما الدراسات الفلسفية ، فانها كانت فى طليعة المسائل التى اشتغل بها الشيعة ." ومن أفواه الشيعة تلقى أساطين الفلسفة كلامهم فى العقل والنفس وفى مذهب الافلوطونية الحديثة ، ومذهب افلوطين منها على التخصيص" [٢] . وأول من وضع الاصول الفلسفية فى الاسلام ، وتكلم فى قضاياها المختلفة ، قبل عصر الترجمة والاختلاط ، هو على بن أبى طالب ، ولهذا جاءت الفلسفة عند الشيعة فلسفة اسلامية بحتة ، واذا كان فيها بعض القضايا المذكورة من فلاسفة غير اسلاميين ، انما هى لاجل المقارنة والمناظرة . أو أنها ترجمة لبعض كتب الفلاسفة ، كما هو موجود مثلا فى بعض كتب أبى نصر الفارابى . يقول السيد حسن الصدر :" ان بعض العلماء تسرع فى تفكير الفارابى ، حيث وجد فى كتبه ما يدل على قدم العالم وانكار المعاد وأمثال ذلك ، ولم يلتفت ان هذا كله ترجمة بالعربى لكتب بعض الفلاسفة ، لأنه كتاب عقيدة لابى نصر الفارابى ، أو ليس فى رسالة النصوص المنسوبة اليه خلاف هذه الكلمات . . " [٣] . ولهذا يقول العقاد :" والذى اتفق عليه جلة الثقات ان فلسفة الفارابى فلسفة اسلامية لاغبار عليها ، فلم ير فيها جمهرة المسلمين المعنيين بالبحث الفكرى حرجا ولا موضع ريبة ، ولا نخالها تغضب متدينا بالاسلام أو بغيره من الاديان . . " [٤] .

ومهما يكن من أمر ، فالامام على يعتبر أول من تكلم فى الفلسفة من المسلمين. يقول الدكتور زكى نجيب محمود :" فلنقرأ للامام على هذه العبارات لنرى كيف صبغت الاحكام الفلسفية العامة فى لفظ اخاذ :" من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق"، "كفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره" ،" لسان الصدق خير من المال الموروث" [٥]. وفى عباراته أيضا : " ان الله تعالى خلق العرش اظهارا لقدرته لا مكانا لذاته ، وقال أيضا :" قد كان ولا مكان ، وهو الان على ما كان" [٦] . ومن آرائه فى الفلسفة قوله :

(١) عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمى - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٩ ص ٣١ .
(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص. ٤٠ .
(٣) السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - مرجع سابق - ص٣٨ .
(٤) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص.ص٤٧-٤٨ .
(٥) زكى نجيب محمود : المعقول واللامعقول - مرجع سابق - ص ٥٥ .
(٦) البغدادى : الفرق بين الفرق - مرجع سابق - ص ٣٣٣ .

"كائن لاعن حدث ،موجود لا عن عدم . مع كل شيء لا بمقارنة . أنشأ الخلق انشاء ، وابتدأه ابتداء ، بلا روية أجالها ، ولاتجربة استفادها . عالما بها قبل ابتدائها ، محيطا بحدودها وانتهائها . " (١) . الى غير ذلك من كلامه فى الفلسفة . ولهذا يقول الدكتور زكى نجيب محمود :" وماذا نقول فى موقف امتزج فيه أدب وفلسفة وفروسية وسياسة . . . والاديب هنا يصوغ العبارة بحكمة الفيلسوف ، والفيلسوف هنا ينتزع الحكمة ببديهيته . . فهو الاديب الذى جادت عبارته ان شئت وهو الفيلسوف الذى نفذت بصيرته ان شئت" (٢) ." فاذا حاولنا أن نصنف هذه الاقوال تحت رؤس عامة تجمعها ، وجدناها تدور - على الاغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة ، هى نفسها الموضوعات الرئيسية التى ترد اليها محاولات الفلاسفة قديمها وحديثها على السواء ، الا وهى : الله ،والعالم ،والانسان ،واذن فالرجل فيلسوف بمادته وان خالف الفلاسفة" (٣) .

وهكذا وضع الامام على الاصول العامة للفلسفة الاسلامية . يقول أحد المؤرخين الفرنسيين :" لولا اغتيال على ،لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامى تحقيق التعاليم النبوية ،وذلك بالتوفيق بين العقل والشرع ووضع المبادىء الاولى للفلسفة الحقة موضع التنفيذ" (٤) . ويرى السيد أمير على : ان أول من تكلم بالفلسفة الاسلامية هو الامام على بن أبى طالب (٥) . ولهذا لم تكن الحكمة والبحث فى الامور الالهية من فن أحد من العرب ،وأول من خاض فيها من العرب على عليه السلام (٦) . ثم نمت هذه الاصول على أيدى أبنائه وشيعته أمثال محمد بن الحنفية وأبنائه ،وعلى بن الحسين ،وولده محمد الباقر وحفيده جعفر الصادق الذى استقرت الفلسفة الاسلامية فى عهده ،حتى كان هو الاصل فى انتشار الفلسفة الاسلامية . ولهذا كانت مدرسة الباقر والصادق من الاسباب التى أدت الى ظهور الاتجاهات الفلسفية بين العرب (٧) . وعلى هذا فان نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ،انما كان فى المدينة

---

(١) محمد عبده : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٦ .
(٢)،(٣) زكى نجيب محمود : المعقول واللا معقول - مرجع سابق - ص. ص٢٩ - ٣٠ .
(٤) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص. ص٢٤٨-٢٤٩ .
(٥) المصدر السابق : ص ٣٠٥ .
(٦) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦ . وأيضا أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٢٦٨ .
(٧) السيد أمير على : روح الاسلام - مرجع سابق - جـ ٢ - ص . ص. ٢٥٠-٢٥١ .

ومن البيت العلوى [١] . ولهذا نشأ الفكر الفلسفى فى الاسلام على أيدى الشيعة وأئمتهم . وفى ذلك يقول الدكتور ابراهيم مدكور :" ففى حين أن الشيعة يتقبلون بقبول حسن كثيرا من الاراء الفلسفية ،نرى أهل السنة يقفون من هذه الاراء موقف الحذر والحيطة" [٢] . ويقول أحمد أمين :"ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن" [٣] . والى مثل هذا الرأى ذهب "كارادى فو" من أن التشيع متسم بأنه فكر حر طليق [٤] . ومن هنا نجد ان أول نقد ظهر فى الاسلام لفلسفةارسطاليس كان من مفكرى الشيعة . يقول الدكتور النشار :" بل اننا نرى لهشام بن الحكم ، هذا المتكلم الشيعى الاول وفى زمن مبكر، كتابا فى نقد أرسطاليس" [٥] .

وقد انتجت هذه الدراسات الفلسفية أكبر فلاسفة المسلمين من الشيعة ، يقول عبد الله نعمة :" وهنا تبرز شخصية الفكر الشيعى بوضوح وجلاء ،أكثر من أى موضوع آخر ، ويكفى دلالة على هذا ان المع الشخصيات الفلسفية والرجالات الفكرية كانوا من الشيعة ، وعرفوا بميولهم الشيعية فى آرائهم ونظرياتهم. ومن هؤلاء هشام بن الحكم ،وجابر بن حيان ،وأبو يوسف الكندى ،وبنو نوبخت. .والفارابى ، وأبو زيد البلخى ، وأبو بكر الرازى ،وابن سينا . . وابن مسكويه ،والبيرونى . . . ." [٦] "والفارابى أستاذ ابن سينا بالاطلاع والقدوة . . ورعى أقوال الشيعة الامامية فى شروط الامامة . . وكان اخوان الصفاء يدينون بمذهب فى الامامة كهذاالمذهب ويؤلفون الرسائل مع هذا فى المنطق وفى علوم الرياضة والفلك وما اليها من علومهم العقلية " [٧] .

يقول الدكتور أحمد صبحى :"لايختلف ابن سينا عن الفارابى فيما خلعه على رئيس المدينة من صفات الهية ،ولا يختلف الاثنان فى رايهما فى حاكم المدينة عن راى الشيعة فى الامام" [٨] . مع أن "النزعة الشيعية فى التفكير السياسى عند الفارابى لاتحتاج الى سرد مطول للادلة، لانها واردة بكل وضوح فى مختلفالنصوص" [٩] .

---

(١) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى - مرجع سابق - جـ ١ - ص٢٢٩ .
(٢) ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية - منهج وتطبيقه - ط٣ - القاهرة دار المعارف - ١٩٧٧ - جـ ١ - ص ١٠٩ .
(٣) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٠ .
(٤) جولد تسهير : العقيدة والشريعة فى الاسلام - مرجع سابق - ص ٢٠٥ .
(٥) على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى - مرجع سابق - جـ ١- ص١٠٨ . وأيضا ابن النديم : الفهرست - مرجع سابق - ص ٢٦٤ .
(٦) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - مرجع سابق - ص ٣١ .
(٧) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - مرجع سابق - ص. ٤ .
(٨) أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة - مرجع سابق - ص ٤٩٣ .
(٩) عبد المجيد مزيان : حدود الخيال السياسى عند الفارابى - دراسات فلسفية مرجع سابق - ص ١١٦ .

ولم يقتصر الشيعة على الدراسات الفلسفية فقط ، وانما قاموا بدرسها وتدريسها ، يقول الدكتور عبد الله فياض:" ويقوم بروز معلمين كفاة فى حقول العلوم غير الشرعية بين الامامية دليلا على اهتمامهم بالغاية الدنيوية من التعليم. . وفى حقل الفلسفة برز بينهم ،الكندى ،وابن سينا ،والفارابى" (١).

وصفوة القول ،ان الفكر الشيعى حقق تقدما رائعا خلال الفترة الواقعة بين القرن الاول والخامس الهجرى ،وكيف تلقى الفكر والثقافة الاسلامية ما دونه الباحثون من الشيعة فى مختلف العلوم ،وكيف طوروها وزادوا عليها ؟ كما ظهر لنا ما ابتكره الشيعة من أبحاث علمية وفلسفية - بالاضافة الى تأسيسهم لعلوم الاسلام ،وأخيرا شاهدنا هذا النتاج يقدمه الشيعة زادا ناضجا لمفكرى الاسلام بصورة خاصة ، وللعالم على وجه العموم ، فكان هذا الزاد أساسا شيدت عليه النهضة الاوربية .

يقول ساريف :" ولكن الفكر الاسلامى انحدر بعد القرن الثالث عشر ، فكان فى خلال الفترة من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ضعيفا هزيلا . . وذلك لان المبالغة التى أدخلها الغزالى فى الشرق الاسلامى وابن رشد فى الغرب الاسلامى على الفلسفة الاسلامية ،فأما الاول فقد اتجه بالفلسفة الاسلامية الى الجانب الروحانى حتى انماعت فى سحب التصوف ،وأما الثانى فاتجه اتجاها مضادا لاتجاه الغزالى فانحدر بها الى هوة المادة. . " (٢) .

على ان الفكر الاسلامى لم يمت عند الشيعة ،بل استمر هذا النشاط أكثر فأكثر على أيدى مفكريهم من الفلاسفة ،أمثال الخاجة نصير الدين الطوسى ،والعلامة الحلى ، وعلى بن ميثم البحرانى ، وصدر الدين الشيرازى الملقب بصدر المتألهين صاحب كتاب الاسفار فى الفلسفة وغير هوءلاء من فلاسفة الشيعة . يقول ابن كثير فى تاريخه :" بعد أن أخذ التتار بغداد ، عمل الخواجا نصير - الدين - الطوسى الرصد ، وعمل دار حكمة فيها فلاسفة لكل واحد فى اليوم ثلاثة دراهم ،ودار طب فيها للحكيم درهمان وصرف لاهل دار الحديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم ،ومن ثم فشا الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهر" (٣) . ولهذا كانت الفلسفة من خواص الشيعة كما يراه أحمد أمين ،"وعتى فى العصور الاخيرة كانت فارس أكثر الاقطار عناية بدراسة الفلسفة الاسلامية ونشر كتبها" (٤) . وهكذا ازدهرت ونمت الدراسات الفلسفية على أيدى الشيعة . حتى الوقت الحاضر.

(١) عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية - مرجع سابق - ص. ٢٢ . وأيضا اغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٣٧٧- ٣٣ - ٢٨٩ . وجـ ٧ - ص١٢ .

(٢) ساريف:الفكر الاسلامى - مرجع سابق - ص ٢٠٣ .

(٣) عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠ - ص٧٩ .

(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام - مرجع سابق - جـ ١ - ص ١٩٠ .

خاتمـــــــة

تناولت هذه الرسالة الفكر التربوى عند الشيعة منذ نشأتهم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة . ولما كان الفكر التربوى لاى فيلسوف أو جماعة من الفلاسفـــــة والمفكرين ، يتأثر بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ،فمن الممكن القول بـــأن الشيعة قد عاشوا فى مجتمعهم ،ولاحظوا فيه من صور الفساد والانحراف الذى منى بها ،ولهذا حاول الائمة وشيعتهم أن يجدوا حلا يخلصهم من هذه الانحرافـــات التى دفعتهم الى رفض الكثير من الامور والاوضاع التى عاشوا بينها ، محاوليـــن اصلاحها أو تعديلها وارجاعها الى الصورة التى كانت عليها فى حياة النبى (ص) - ولاجل ذلك اتخذ الشيعة مختلف الوسائل لتحقيق هذا الهدف .

وقد تعرضت هذه الرسالة أيضا الى النشأة الاولى للشيعة ،حيث ذهـــب البحث الى أن التشيع هو الاطروحة التى بذرها الرسول (ص) لاستمرار المسيـــرة الاسلامية ،وان الائمة من أهل البيت هم الممثلون لهذه الاطروحة بحيث أوجبـــت تلازما وارتباطا بين الاسلام ،وبين الائمة بمقتضى أحاديث رويت عن النبى (ص)، ولهذا يعتقد الشيعة ان الائمة من أهل البيت محيطون بالعلوم الالهية ، تعليما عـــن النبى (ص) ، وان النبى كلفهم بتبليغ تلك العلوم ،وان مسئوليتهم هى تعليم الناس وتربيتهم ،والمحافظة على روح الاسلام وجوهره .

ونتيجة الضغوط التى تعرض لها الائمة وشيعتهم من قبل الحكام السياسييـــن فى الفترة موضوع البحث ،وما قام به الائمة من محاولة التغيير واصلاح المجتمـــع، واتخاذهم العلم وسيلة لهذا التغيير ،واتساع قاعدتهم الشعبية ، كل ذلك أدى الى اضطهادهم واختفاء بعضهم ، كما أدى بالبعض الاخر الى الخروج واعلان الثورات.

ومما لاشك فيه ان الشيعة وأئمتهم كانوا من أوائل الذين اشتغلوا بالفلسفـــة وعلم الكلام ، وكونوا لهم نسقا خاصا عن الكون والانسان والحياة ،وصاغوا آراءهـــم العقائدية صياغة فلسفية متمشية مع القرآن الكريم والسنة النبوية وما أخذوه عن أئمتهـــم، وهذا النسق لم يكن معروفا من قبل ،فأرادوا له الذيوع والانتشار بين المسلمين ،ومن هنا استحدثوا طرقا خاصة لاذاعته . كما انهم كانوا من أوائل المعبرين عن المذهـب العقلى فى الاسلام ،وهذا المذهب لايخضع للتقليد ، وانما يدعو الى التجديـــد باستمرار، ولهذا كانت آراؤهم نابعة من فكر حر وعن اصالة ذاتية ،جعلتهم يبتكـرون ويؤصلون علوما لم تكن معروفة ولا متداولة من قبل ،وعلى هذا يظهر ان التجديـــد فى الاراء والافكار كان شائعا بين صفوف الشيعة وأئمتهم.

وقد حاول البحث أن يرسم المعالم العامة للنسق الفكرى الفلسفى لديهم، والذى يبرز فيه أساسا موقفهم من الاصول العامة للعقيدة الاسلامية وصياغتها صياغة فلسفية ،وأخذهم منها ما يوافق الشرع وحكومةالعقل .

رأى الشيعة ان الله سبحانه واحد لاشريك له أوجد العالم من العدم وابدعه بعد أن لم يكن ،وان صفاته عين ذاته ،وانه عادل لايجور فى حكمه ،وبالتالى ينعكس عدله سبحانه على أفعال العباد ، ولهذا رأوا أن الانسان مخير وليس مسيرا أى انه حر الارادة فى تصرفاته الاختيارية ، فهو يثاب ويعاقب عليها . وانه مكون من مادة وروح ، وان وظيفة الانبياء والائمة هى تهذيب الروح واشباع المادة ،وقد امتدت هذه الوظيفة الى ولاية الفقيه ، حيث يقوم بمهمة التعليم وتهذيب النفوس بعد الامام.فالفقيه ليس حاكما عند الشيعة فحسب ، بل يقوم بالمهمة التعليمية والتربوية أيضا ، وهذهالصفة للحاكم من خواص الشيعة .

وقد اهتم الشيعة وأئمتهم بالعلم والحض على طلبه وتعليمه وتعلمه ، وجعله فريضة على كل مسلم تبعا لتعاليم الاسلام ، كما ربطوا العلم بالعمل ،ولهذا تعددت عندهم مراكز العلم حتى شملت كل مكان وجدوا فيه ، لانهم يرون أن تعليم الاخرين علوم آل البيت فرض واجب عليهم ،ولهذا نشطوا نشاطا ملحوظا فى نشر العلم وتعليمه وبذله لمن طلبه من دون أجر عليه ،لانه عندهم من الوسائل التى تقربهم الى الله سبحانه به . وقد اتخذوا من المساجد ومنازل العلماء والامراء، ودور العلم والمكتبات أماكن خاصة لتعليم العلم، ولعبت منازل العلماء عند الشيعة دورا مهما فى التعليم ،نظرا لعدم توفر الحرية الفكرية لهم فى المساجد العامة ، ومع ذلك كانت هناك مساجد خاصة بهم يعلمون بها علوم أهل البيت .

ومن المطالب التربوية التى توصل اليها البحث والتى تعكس معالم فلسفتهم التربوية ما يلى :

- ان طبيعة الانسان صفحة بيضاء قابلة لكل ما ينقش عليها من علوم ومعارف ، وان الطفل يكتسب معارفه من البيئة التى يعيش فيها ،وذلك عن طريق حواسه، ثم يتدرج فى التعليم عن طريق هذه الحواس الى تحصيل المعارف العقلية الضرورية والكسبية.
- ان وسائل اكتساب المعارف الانسانية هى الحواس والعقل بالاضافة لما ورد به الشرع وأقوال الائمة . ولهذا فالتعليم عندهم يبدأ من الحواس .

- طـــلب العلم فريضة ، فبالعلم يعرف الله ويعبد ، وانه يقربه الى الله سبحانه ، وان تعلم العلم مقرون بالعمل ، كما ان العالم عليه أن يعلم غيره. وطلـــــب العلم مستمر طوال حياة الانسان مادام مكلفا .
- تعظيم العلم والعلماء ، وملازمة المتعلم للمعلم ، وطاعته واحترامه ، لانه الاب - الروحى له .
- التدرج فى التعليم ، والابتداء بالعلوم الدينية ، وأن لايترك فنا من الفنـــون الا وأخذ منه .
- العطف على المتعلمين ورعايتهم وانزالهم منزلة الولد ، والاهتمام بتعليمهم لانه حق من الحقوق الدينية والاجتماعية .

وبالرغم من أن النظام التربوى عند الشيعة فرع من نظام تربوى اسلامى عام ، فان له ميزاته التى تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الاخرى ، فالشيعة رغم اعتقادهـم ان القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وان السنـــة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكوريـــن من منابعهما الحقيقية . ويعتقد الشيعة ان حملة الشريعة الاسلامية الذين أنـاط بهم النبى (ص) توضيحها بأمر من ربه هم الائمة المعصومون . وترتب على ذلـــك الاعتقاد ان تفاسير القرآن والسنة الموجودة عند المسلمين من غير الامامية عرضـــة للخطأ والاضافة والنقص ، لان نقلتها كانوا غير معصومين . ونتج عن هذا الاختـلاف فى الاعتقاد بين الشيعة وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شـــأن. فالرحلة فى طلب العلم ، خاصة فى عصر الائمة ، اتخذت عند الشيعة طابعا يميزهـــا عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين ، فهى عند الشيعة تحقق غرضا دينيا اماميا فـى طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمى . فالطالب الامامى يرحل للقاء الامام ليأخـذ الحديث من مصدره الذى لاشك فى قوله ، فى حين أن الطالب غير الامامى يرحـــل لتلقى الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة .

هذه خلاصة تمثل طرفا من فلسفة التربية عند الشيعة ، والتى لم تنفصل فـــى مجالها التطبيقى فى تربية الانسان .

مقترحات ببحوث أخرى قادمة :

وأخيرا فانى لا أظن بهذه الرسالة قد أتيت على كل آراء الشيعة التربوية فـى الفترة موضوع البحث ، وربما فاتنى الكثير منها ، وهذه الدراسة لاتمثل كل النظـــام

التربوى لديهم ،بل تمثل جزءا من آرائهم فى التربية ، وهناك دراسات كثيرة يجب الكشف عنها وتقديمها للدرس والبحث ،لعلها تكشف عن أصالة الفكر التربوى فى الاسلام وطراوته وجدته . ومن هذه الدراسات:

١ - دراسة لائمة الشيعة كل على حدة ،واستقراء آرائهم الفلسفية والتربوية فى مجالى النظر والتطبيق ،لكى تكتمل حلقة هذه الدراسة التربوية من تراثنا الاسلامى. خصوصا وان الائمة من أهل البيت قد مارسوا الحياة الفكرية والثقافيةوالاجتماعية ، وكان لهم تلاميذ ومريدون لازموهم وتتلمذوا عليهم ونشروا علومهم تعليما وتعلما.

٢ - دراسة علماء وشيوخ الشيعة الذين قاموا بعملية التعليم ،من حيث حياتهم الاجتماعية والظروف التى عاشوا فيها والاراء الفلسفية والتربية التى نادوا بها ،ومدى أثرهم فى الفكروالثقافة الاسلامية ،أمثال هشام بن الحكم،والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسى ،والعلامة الحلى وغير هؤلاء من علماء وشيوخ الشيعة .

٣ - دراسة المراكز العلمية لدى الشيعة ،كل مركز مستقل عن الاخر، والكشف عن مدى تأثير هذه المراكز على الفكر والتطبيق التربوى فى العالم الاسلامى ففى هذه الدراسة اثراء لثقافتنا الاسلامية .

٤ - دراسة المنهج النظرى والمنهج العلمى التجريبى عند جابر بن حيان ،ومدى صلته بالامام جعفر الصادق ، بالاضافة الى أهم الاراء التربوية التى أدلى بها ومقارنتها بمناهج مفكرى الاسلام .

٥ - تعتبر جامعة النجف من أكبر وأعظم جامعاتالعالم الاسلامى ،وقد تخرج منها الاف العلماء أثروا الفكر والثقافة الاسلامية بمختلف العلوم والفنون منذ نشأتها حتى اليوم. ولهذا فالباحث يضع هذه الجامعة أمام الباحثين لدراستها دراسة موضوعية ،لعلنا نضفى الى ثقافتنا ثقافة جديدة لما أوتيت هذه الجامعة من ضروب العرفان خصوصا وقد انتجت كثيرا من المفكرين . ولعل أهم مفكر جدير بالانتباه - السيد محمد باقر الصدر - فدراسة حياته وآرائه الفلسفية والفكرية والتربوية لها أثر كبير فى اثراء الفكر التربوى الاسلامى .

وكل ما أرجوه ، هو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة ،وفيما قدمته من آراء وأفكار فلسفية وتربوية للشيعة ، والله ولى التوفيق ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه المخلصين .

المراجع العربيـــة

١ - القرآن الكريـم.

٢ - ابراهيم مدكور : في الفلسفة الاسلامية - منهج وتطبيقه - ط٣ - القاهـــرة دار المعارف - ١٩٧٧.

٣ - ابن الاثير "أبو الحسن على بن أبى الكرم" : الكامل في التاريخ - ط٣ - بيروت دار الكتاب العربى - ١٩٨٠.

٤ - ابن النديم : الفهرست - القاهرة - مطبعة الاستقامة بدون تاريخ.

٥ - ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة - القاهرة - دار نهضـــة مصر - ١٩٧١.

٦ - ابن خلدون : المقدمة - مطبعة مصطفى محمد بمصر - بدون تاريخ.

٧ - ابن خلكان" أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى الكرم" : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق محمد محى الدين عبـــد الحميد - ط ١ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٤٨.

٨ - ابن منظور : لسان العرب.

٩ - أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى : نزهة الالباء فـــى طبقات الادباء - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهـــرة دار نهضة مصر - بدون تاريخ.

١٠- أبو الحسن الاشعرى على بن اسماعيل : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط٢ - القاهـــرة النهضة المصرية - ١٩٦٩.

١١- أبو الحسن بن موسى النوبختى : فرق الشيعة - ط٣ - النجف - ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م

١٢- أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : مروج الذهب ومعـــادن الجوهر - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - ط٣- مطبعة السعادة بمصر - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨.

١٣- أبو الحسين ورام بن أبى الفوارس الاشترى : تنبيه الخواطر ونزهة النواظـــر المعروف بمجموعة ورام - ط٣ - المطبعة الحيدرية فى النجـــف الاشرف - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٤- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر احمد الشهرستانى : الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلانى - مطبعة مصطفى البابى بمصر-١٩٦١.

١٥- أبو المظفر الاسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفـــرق الهالكين - مكتبة الخانجى بمصر - ١٩٥٥.

١٦- أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد - المدينة - المكتبة السلفية - بدون تاريخ.

١٧- أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشـــرة ط ١ - محل السادات محمد أمين الخانجى بالاستانة ومصـــر- بدون تاريخ.

١٨ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن ط٢ - مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر - بدون تاريخ .

١٩ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٢ .

٢٠ - أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى : الخصال - بيروت دار التعارف - ١٣٨٩ هـ.

٢١ - أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى : أصول الكافى - ايران مطبعة حيدرى - بدون تاريخ .

٢٢ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : المنقذ من الضلال - تحقيق عبد الحليم محمود - القاهرة - مطبعة حسان - بدون تاريخ .

٢٣ - أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - بيروت - مكتبة الحياة - بدون تاريخ.

٢٤ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - تحقيق على محمد البجاوى - ط١ - دار احياء الكتب العربية - ١٩٦٣ .

٢٥ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام محمد هارون - ط٤ - مكتبة الخانجى بمصر - ١٩٧٥ .

٢٦ - أبو محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحرانى : تحف العقول عن آل الرسول - النجف الاشرف - المطبعة الحيدرية - ١٣٨٥ .

٢٧ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الامامة والسياسة - ط٣ - مطبعة مصطفى البابى بمصر - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

٢٨ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : الشعر والشعراء - تحقيق أحمد محمد شاكر - ط ٢ - القاهرة - دار التراث العربى - ١٩٧٧ .

٢٩ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : عيون الاخبار - القاهرة - دار الكتب ١٩٢٨.

٣٠ - أبو محمد على بن حزم الاندلسى : الفصل فى الملل والاهواء والنحل بغداد - مكتبة مثنى - بدون تاريخ .

٣١ - أحمد أمين : فجر الاسلام - ط٢ - القاهرة - دار الشباب للطباعة - ١٩٧٨ .

٣٢ - أحمد أمين : ضحى الاسلام - ط٩ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ .

٣٣ - أحمد أمين : ظهر الاسلام - ط٤ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٦٦ .

٣٤ - أحمد أمين : يوم الاسلام - دار المعارف بمصر - ١٩٥٢ .

٣٥ - أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : تاريخ اليعقوبى - ط٤ - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ .

٣٦ - أحمد بن حجر الهيتمى المكى : الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة - ط ٢ - القاهرة - شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م.

٣٧ - أحمد بن عبد الله القلقشندى : مآثر الانافة في معالم الخلافة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٢ .

٣٨ - أحمد بن يحيى البلاذرى : أنساب الاشراف - تحقيق الدكتور محمد حميد الله - دار المعارف بمصر - ١٩٥٩ .

٣٩ - أحمد بهجت : الله في العقيدة الاسلامية - ط٢ - القاهرة - المختار الاسلامى - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤٠ - أحمد شلبى : التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية - ط٥ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ .

٤١ - أحمد شلبى : التربية الاسلامية - ط٦ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ .

٤٢ - أحمد شلبى : تاريخ المناهج الاسلامية - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨ .

٤٣ - أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الجاحد : الاتجاه الاسلامي عند بعض مفكرى التربية في مصر وأثره في التطبيق التربوى من ١٨٠٥ - ١٩٥٢ رسالة دكتوراه الفلسفة فى التربية - رسالة غير مطبوعة - قسم اصول التربية - جامعة المنوفية - ١٩٨٣ .

٤٤ - أحمد فؤاد الاهوانى : التربية في الاسلام - القاهرة - دار المعارف - بدون تاريخ .

٤٥ - أحمد كمال زكى : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثالث الهجرى القاهرة - دار المعارف - ١٩٧١ .

٤٦ - أحمد مجاهد مصباح : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي - ط٢ - دار الطباعة المحمدية بالازهر - ١٩٧٨ .

٤٧ - أحمد محمد الحوفى : أبو حيان التوحيدى - ط٢ - القاهرة - مطبعة نهضة مصر - بدون تاريخ .

٤٨ - أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة في العصر الاموى - ط٥ - القاهرة دار نهضة مصر - ١٩٧٩ .

٤٩ - أحمد محمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس - ط٣ - القاهرة دار نهضة مصر - ١٩٧٨ .

٥٠ - أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام - المعتزلة ، الاشاعرة - الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية - ١٩٧٨ .

٥١ - أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية - القاهرة دار المعارف بمصر - ١٩٦٩ .

٥٢ - آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى - ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة - ط٣ - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ .

٥٣ - آغابزرك الطهرانى : الذريعة الى تصانيف الشيعة - ط٢ - طهران - ١٩٦٨ .

٥٤ - السيد الشريف الرضى : حقائق التأويل في متشابه التنزيل - ترجمة عبد الحسين العلى - دار المهاجر - بيروت - بدون تاريخ .

٥٥ - السيد أمير على : روح الاسلام - ترجمة أمين محمود الشريف - المطبعة النموذجية بالجاميز - ١٩٦٣ .

٥٦ - السيد حسن الصدر : الشيعة وفنون الاسلام - صيدا - مطبعة العرفان - ١٣٣١هـ

٥٧ - السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام - شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بدون تاريخ .

٥٨ - السيد على نقى الحيدرى : أصول الاستنباط - ط ٢ - بغداد - مطبعة الرابطة - ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩م.

٥٩ - السيد محمد الحسينى الشيرازى : شرح منظومة السبزوارى - قم - ايران مطبعة مهر - بدون تاريخ .

٦٠ - السيد محمد العيناثى : آداب النفس - طهران - المكتبة المرتضوية - ١٣٨٠هـ

٦١ - السيد مرتضى العسكرى : عبد الله بن سبأ - ط٤ - بيروت - مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ .

٦٢ - الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى : تاريخ الجهمية والمعتزلة - ط ١ - بيروت - موءسسة الرسالة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٦٣ - الشيخ علاء الدين المتقى الهندى : كنز العمال من سنن الاقوال والافعال ط ٢ - حيدر آباد - مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية - ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م.

٦٤ - الشيخ مرعى الامين الانطاكى : لماذا اخترت مذهب الشيعة - ط٣ - حلب موءسسة العرفان - بدون تاريخ .

٦٥ - القاضى النعمان بن محمد : اختلاف أصول المذاهب - تحقيق مصطفى غالب بيروت - دار الاندلس - ١٩٧٣ .

٦٦ - ألكسيس كاريل : الانسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد - بيروت موءسسة المعارف - ١٩٧٧ .

٦٧ - أمالى الصادق : تحقيق محمد الخليلى - النجف الاشرف - مطبعة النعمان ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م.

٦٨ - أمير محمد الكاظمى القزوينى : رد على رد السقيفة - صيدا - مطبعة العرفان بدون تاريخ .

٦٩ - أمير محمد الكاظمى القزوينى : مع النشاشيبى فى كتابه الاسلام الصحيح مطابع اليقظة - بدون تاريخ .

٧٠ - أمير محمد الموسوى القزوينى : أصول المعارف - ط١ - صيدا - مطبعة العرفان - بدون تاريخ .

٧١ - اميل فهمى حنا : المذاهب والآراء التربوية - دار العلم للطباعة - ١٩٧٧ .

٧٢ - باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام - بيروت - دار التعارف - ١٩٧٩.

٧٣ - برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية - الفلسفة الحديثة - ترجمة محمد فتحى الشنيطى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧ .

٧٤ - بول وود رنج : نحو فلسفة التربية - ترجمة د /سعد مرسى أحمد ،فكرى حسن ريان - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٦٦.

٧٥ - تقى الدين أحمد بن على المقريزى : الخطط - طبعة بولاق - ١٢٧٠ هـ.

٧٦ - توفيق الطويل : أسس الفلسفة - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٥٨.

٧٧ - جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي - دار الهلال - ١٩٥٨.

٧٨ - جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها - ط٢ - مطبعة الاداب - ١٩٥٨.

٧٩ - جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط ٣ - القاهرة - مطبعة المدنى - ١٩٦٤.

٨٠ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : الدر المنثور في التفسير بالمأثور - الكاظمية - دار الكتب العراقية - بدون تاريخ.

٨١ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى البابى الحلبى - ١٩٦٥.

٨٢ - جلال مظهر : الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمي الحديث - القاهرة مطبعة مخيمر - ١٩٦٩.

٨٣ - جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى : انباه الرواة على أنباء النحاه تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - - ط١ - القاهرة - دار الكتب المصرية - ١٩٥٠.

٨٤ - جمال الدين أبو منصور الشهيد الثانى : معالم الدين وملاذ المجتهدين طهران - المكتبة العلمية الاسلامية - ١٣٧٨ هـ.

٨٥ - جمال الدين الحسن بن يوسف بن على بن المطهر العلامة الحلى : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - ط١ - بيروت - موءسسة الاعلمى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٨٦ - جميل نخله المدور : حضارة الاسلام في دار السلام - القاهرة - المطبعة الاميرية ببولاق - ١٩٣٥.

٨٧ - جورج - ف - نيلر : مقدمة الى فلسفة التربية - ترجمة نظمى لوقا - القاهرة الانجلو مصرية - ١٩٧٧.

٨٨ - جوستاف جرونيباوم : الحضارة الاسلامية - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة مصر - بدون تاريخ.

٨٩ - جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام - ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون - القاهرة - دار الكاتب المصرى - ١٩٤٦.

٩٠ - جون ديوى : الديمقراطية والتربية - ترجمة نظمى لوقا - الانجلو مصرية - ١٩٧٨.

٩١ - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - بغداد - مكتبة المثنى - ١٩٤١.

٩٢ - حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو - ط٤ - القاهرة - عالم الكتب -١٩٧٧

٩٣ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط ٢ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٤٨.

٩٤ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - ط٢ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٥٨.

٩٥ - حسن عباس حسن : الصياغة المنطقية للفكر السياسى الاسلامى - رسالة دكتوراه غير مطبوعة - جامعة القاهرة - قسم العلوم السياسية ١٩٨٠.

٩٦ - حسن عبد العال : التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى - رسالة ماجستير مطبوعة - دار الفكر العربى - ١٩٧٨.

٩٧ - حسن عيسى الحكيم: الشيخ الطوسى أبو جعفر محمد بن الحسن - رسالة ماجستير مطبوعة فى التاريخ الاسلامى - جامعة بغداد - النجف الاشرف - مطبعة الاداب - ١٩٧٥.

٩٨ - حسون ملارجى الدلفى : فضائل آل الرسول فى المعقول والمنقول - بيروت مؤسسة الاعلمى - ١٩٧٣.

٩٩ - حسين أحمد البراقى النجفى : تاريخ الكوفة - النجف - المكتبة المرتضوية ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م.

١٠٠ - حميد الدين أحمدبن عبد الله الكرمانى : الاقوال الذهبية فى الطب النفسانى تحقيق عبد اللطيف العبد - القاهرة - النهضة المصرية-١٩٧٨.

١٠١ - خوليان ريبيرا : التربية الاسلامية فى الاندلس - ترجمة الطاهر أحمد مكى - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧.

١٠٢ - خير الدين الزركلى : الاعلام - ط٣ - بيروت - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م.

١٠٣ - دائرة المعارف الاسلامية الشيعية : بيروت - دار التعارف - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٠٤ - دوايت م. دونلدسن : عقيدة الشيعة - تعريب ع - م - مصر - مطبعة السعادة - ١٩٤٦.

١٠٥ - رشدى محمد عرسان عليان :العقل عند الشيعة - رسالة دكتوراه مطبوعة- جامعة الازهر - كلية الشريعة والقانون - بغداد - مطبعة دار السلام - ١٩٧٣.

١٠٦ - رضى الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسى : مكارم الاخلاق - ط٦ - بيروت - ١٣٩٢ - ١٩٧٢.

١٠٧ - روث م - بيرد : جان بياجيه وسيكولوجية نمو الاطفال - ترجمة د /فيولا فارس البلاوى - الانجلو مصرية - ١٩٧٧.

١٠٨ - روكس بن زائد العزيزى :الامام على - النجف - مطبعة النعمان-١٣٨٧هـ -١٩٦٧.

١٠٩ - زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية - ط٣ - القاهرة - دار مصر للطباعة- ١٩٨٠.

١١٠- زكى نجيب محمود : المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى - ط٢ - بيروت دار الشروق - ١٩٧٨.

١١١- زكى نجيب محمود : نظرية المعرفة - مطبعة وزارة الارشاد القومى -١٩٥٦.

١١٢- ساريف : الفكر الاسلامى منابعه وآثاره - ترجمة د /أحمد شلبى - ط٦ - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٨.

١١٣- سامى نصر لطف : الحرية المسئولة فى الفكر الفلسفى الاسلامى - مكتبة الحرية الحديثة - ١٩٧٧.

١١٤- سبط بن الجوزى يوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى : تذكرة الخواص طهران - مكتبة نينوى الحديثة - بدون تاريخ .

١١٥- سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى - ط٣ - القاهرة - عالم الكتب -١٩٧٥.

١١٦- سعيد اسماعيل على : العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال دراسات فلسفية- تصدير ابراهيم مدكور - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٦.

١١٧- سعيد اسماعيل على : النزعة العقلية في الفكر التربوى العربى - الثقافة العربية - تصدر عن المنظمة العربية والثقافة والعلوم - العدد الخامس - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧.

١١٨- سعيد اسماعيل على : أوضاع المربين العرب - دار الثقافة - ١٩٧٩.

١١٩- سعيد اسماعيل على : ديمقراطية التربية الاسلامية - القاهرة - دار الثقافة ١٩٧٤.

١٢٠- سعيد اسماعيل على : فلسفة التربية الاسلامية - دراسات فى فلسفة التربية القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨١.

١٢١- سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى - القاهرة - دار الثقافة للطباعة والنشر - ١٩٧٨.

١٢٢- سعيد اسماعيل على : مكانة العمل فى الفكر التربوى - الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس - المجلد السادس - القاهرة - دار الثقافة ١٩٧٩.

١٢٣- سعيد اسماعيل على : نشأة التربية الاسلامية - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٨.

١٢٤- سليم بن قيس الكوفى الهلالى العامرى : كتاب الاصل - بيروت - منشورات دار الفنون للطباعة والنشر - ١٩٨٠م- ١٤٠٠ هـ .

١٢٥- سنية قراعة : تاريخ الازهر فى ألف عام - القاهرة - مكتبة الصحافةالدولى ١٩٦٨.

١٢٦- سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى - القاهرة - دار غريب ١٩٧٧.

١٢٧- سيد أحمد عثمان : التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجى - الانجلو مصرية ١٩٧٨.

١٢٨- سيف الدين الآمدى : غاية المرام فى علم الكلام - تحقيق محمد عبد اللطيف القاهرة - مطابع الاهرام التجارية - ١٩٧١.

١٢٩- شوقى ضيف : التطور والتجديد فى الشعر الاموى - ط ٥ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٣.

١٣٠- شوقى ضيف : المدارس النحوية - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٨.

١٣١- شوقى ضيف :: تاريخ الادب العربى - العصر العباسى الاول - ط٧ - القاهرة دار المعارف - ١٩٧٨.

١٣٢- شيخ سليمان البلخى القندوزى : ينابيع المودة - ط ٢ - صيدا - مطبعة العرفان - بدون تاريخ .

١٣٣- صبحى الصالح : معالم الشريعة الاسلامية - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٧٥.

١٣٤- طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة - مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد دكن الهند - ١٣٢٨هـ.

١٣٥- طه حسين : الفتنة الكبرى - عثمان - ط٦ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٦.

١٣٦- طه حسين : الفتنة الكبرى - على وبنوه - ط٩ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٨.

١٣٧- عباس القمى : الكنى والالقاب - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٩٥٦.

١٣٨- عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية - ط ٦ - القاهرة - دار نهضة مصر - بدون تاريخ .

١٣٩- عبد الحسين شرف الدين : المراجعات - بيروت - مؤسسة الاعلمى - بدون تاريخ

١٤٠- عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى - ط٢ - القاهرة - دار نهضة مصر - ١٩٦٩ .

١٤١- عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠.

١٤٢- عبد الرحمن الشرقاوى : شخصيات اسلامية - أئمة الفقه التسعة - بيروت - دار اقرأ - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

١٤٣- عبد الرحمن جلال الدين السيوطى : المزهر - مطبعة عيسى البابى بمصر بدون تاريخ .

١٤٤- عبد الصاحب الحسينى العاملى : الاخلاق عند الرسول وأصحابه - بيروت مؤسسة الاعلمى للمطبوعات - ١٩٦٩.

١٤٥- عبد الصاحب المظفر : الاخلاق فى حديث واحد - النجف الاشرف - العراق مطبعة النعمان - ١٩٧٦.

١٤٦- عبد الغنى عبود : فى التربية الاسلامية - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٧.

١٤٧- عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى - رسالة دكتوراه مطبوعة القاهرة - مطبعة نهضة مصر - ١٣٧٧ هـ.

١٤٨- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة - مطبعة المدنى - بدون تاريخ.

١٤٩- عبد الكريم الخطيب : القضاء والقدر بين الفلسفة والدين - ط٢ - القاهرة الفكر العربى - ١٩٧٩.

١٥٠- عبد اللطيف محمد العبد : دراسات فى الفلسفة الاسلامية - النهضة المصرية القاهرة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٥١- عبد اللطيف محمد العبد : مناهج البحث العلمى - النهضة المصرية - ١٩٧٩.

١٥٢- عبد الله شبر : حق اليقين فى معرفة أصول الدين - ط٢ - النجف - المطبعة الحيدرية - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م.

١٥٣- عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ - بيروت - دار العلم للملايين ١٩٧٣.

١٥٤- عبد الله فياض: تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى - رسالة دكتوراه مطبوعة - بغداد - مطبعة أسعد - ١٩٧٢.

١٥٥- عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة - حياتهم وآراؤهم - بيروت - دار مكتبة الحياة بدون تاريخ .

١٥٦- عبد الهادى الفضلى : دليل النجف الاشرف - مطبعة الاداب فى النجف بدون تاريخ .

١٥٧- عبده فراج : معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى - ط١ - القاهرة الانجلو مصرية - ١٩٦٩.

١٥٨- عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابورى : شواهد التنزيل لقواعد التفصيل - ط١ - بيروت مؤسسة الاعلمى - ١٣٩٣ هـ ١٩٧٤م.

١٥٩- عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد شرح نهج البلاغة - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر - بدون تاريخ .

١٦٠- عز الدين اسماعيل : المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربى - بيروت دار النهضة العربية - ١٩٧٦.

١٦١- عز الدين اسماعيل : فى الشعر العباسى - الرؤية والفن - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠.

١٦٢- علاء الدين أمير محمد القزوينى : المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم - رسالة ماجستير غير مطبوعة - كلية التربية - عين شمس أصول التربية - ١٩٨١.

١٦٣- على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام - القاهرة - النهضة المصرية بدون تاريخ .

١٦٤- على القاضى : أضواء على التربية فى الاسلام - القاهرة - دار الطباعة الحديثة ١٩٧٩.

١٦٥- على بن أبى طالب: الصحيفة العلوية المباركة - ط٣ - بيروت - دار التعارف للمطبوعات - بدون تاريخ .

١٦٦- على بن على بن محمد الحنفى : مختصر شرح العقيدة الطحاوية - دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية - بدون تاريخ .

١٦٧- على حسنى الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى - رسالة دكتوراه مطبوعة - كلية الاداب - جامعة القاهرة - القاهرة دار المعارف - ١٩٥٩.

١٦٨- على خليل أبو العينين : فلسفة التربية فى القرآن - رسالة ماجستير مطبوعة دار الفكر العربى - ١٩٨٠.

١٦٩- على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام - ط٧ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧.

١٧٠- على محمد الحسين الاديب: منهج التربية عند الامام على - المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٧١- غانم سعيد العبيدى : التعليم الاهلى فى العراق - تطوره ، ومشكلاته بغداد - مطبعة الجمهورية - ١٩٧٠.

١٧٢- فوءاد زكريا : آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥.

١٧٣- فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه - مكتبة الحرية الحديثة - عين شمس ١٩٨٢.

١٧٤- كارل بروكلمان : تاريخ الادب العربى - ترجمة د /عبد الحليم النجار - ط٢ القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٩.

١٧٥- كمال الدين هيثم بن على بن ميثم البحرانى : شرح نهج البلاغة - طهران- موءسسة النصر - ١٣٧٨ هـ.

١٧٦- كويلر يونج : أثر الاسلام الثقافي فى المسيحية - الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث اسلامية - جمع محمد خلف الله - ط٢ - القاهرة النهضة المصرية - ١٩٦٢.

١٧٧- لجنة التأليف فى دار التوحيد : الامام الباقر - الكويت - دار التوحيد - ١٩٨٢.

١٧٨- لويس معلوف : المنجد .

١٧٩- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والاثر - تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى - بيروت - دار احياء التراث العربى - بدون تاريخ

١٨٠- مجد الدين الفيروز أبادى : القاموس المحيط .

١٨١- محمد أبو الفيض ابراهيم: مقدمة كتاب أمالى الشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى - دار احياء الكتب العربية - ١٩٥٤.

١٨٢- محمد أبو زهرة : أبو حنيفة - حياته وعصره - آراوءه وفقهه - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٧

١٨٣- محمد أبو زهرة : الامام الصادق - حياته وعصره - آراوءه وفقهه - القاهرة - دار الفكر العربى - بدون تاريخ .

١٨٤- محمد أبو زهرة : الامام زيد - حياته وعصره - آراوءه وفقهه - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٤.

١٨٥- محمد أبو زهرة : مالك - حياته وعصره - آراؤه وفقهه - ط٢ - القاهرة - الانجلو مصرية - ١٩٥٢.

١٨٦- محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية - القاهرة - دار الفكر العربي بدون تاريخ.

١٨٧- محمد أبو زهرة : محاضرات في أصول الفقه الجعفري - القاهرة - معهد الدراسات العربية - ١٩٥٥.

١٨٨- محمد الصادقي : علي والحاكمون - بيروت - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٩م.

١٨٩- محمد الهادي عفيفي : الاصول الثقافية للتربية - القاهرة - الانجلو مصرية ١٩٧٨.

١٩٠- محمد الهادي عفيفي : الاصول الفلسفية للتربية - القاهرة - الانجلومصرية ١٩٧٨.

١٩١- محمد باقر الصدر : الصحيفة السجادية - دار التبليغ الاسلامية - بدون تاريخ

١٩٢- محمد باقر الصدر : المدرسة الاسلامية - ط٣ - بيروت - دار الزهراء للطباعة والنشر - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٩٣- محمد باقر الصدر : المعالم الجديدة للاصول - النجف - مطبعة النعمان ١٣٨٥هـ.

١٩٤- محمد باقر الصدر : بحث حول الولاية - ط٢ - دار التعارف -١٣٩٩هـ -١٩٧٩م

١٩٥- محمد باقر الصدر : خلافة الانسان وشهادة الانبياء - قم - ايران - مطبعة الخيام - ١٣٩٩ هـ.

١٩٦- محمد باقر الصدر : فلسفتنا - ط٣ - بيروت - دار الفكر - ١٩٧٠.

١٩٧- محمد باقر الصدر : لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الاسلامية ط ٢ - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ.

١٩٨- محمد باقر الصدر : منابع القدرة في الدولة الاسلامية - مجلة صوت الامة العدد الرابع - السنة الاولى - رجب - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - وزارة الارشاد في جمهورية ايران الاسلامية.

١٩٩- محمد باقر الصدر : موجز في أصول الدين - مطابع صوت الخليج - بدون تاريخ.

٢٠٠- محمد باقر المجلسي : بحار الانوار - طهران - شركة طبع بحار الانوار-١٣٧٦هـ.

٢٠١- محمد بحر العلوم : موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف - مقالة بعنوان: الدراسة وتاريخها في النجف - بيروت - دار الكتب - ١٩٦٥.

٢٠٢- محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن - بيروت - دارالاندلس-١٩٦٣.

٢٠٣- محمد تقي فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية - ترجمه عن الفارسية فاضل الحسيني الميلاني - ط٢ - مطبعة الاداب في النجف الاشرف ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٢٠٤- محمد جعفر شمس الدين : دراسات في العقيدة الاسلامية - بيروت - دار التعارف - ١٩٧٩.

٢٠٥- محمد جواد فضل الله : الامام الرضا تاريخ ودراسة - بيروت - دار الزهـراء ١٩٧٣.

٢٠٦- محمد جواد فضل الله : حجر بن عدى الكندى - بيروت - دار التراث الاسلامى ١٩٧٤.

٢٠٧- محمد جواد مغنية : دول الشيعة فى التاريخ - ط٢ - النجف - مطابـع النعمان - ١٩٦٥.

٢٠٨- محمد جواد مغنية : فى ظلال الصحيفة السجادية - بيروت - دار التعارف - ١٩٧٩.

٢٠٩- محمد جواد مغنية : معالم الفلسفة الاسلامية - ط٢ - بيروت - دار القلم ١٩٧٣ ..

٢١٠- محمد حسن المظفر : دلائل الصدق - المطبعة الحيدرية فى النجف - ١٩٧٩.

٢١١- محمد حسين الزين : الشيعة فى التاريخ - ط٢ - بيروت - دار الاثار - ١٩٧٩.

٢١٢- محمد حسين الطالقانى : مفتاح الجنان في الادعية والزيارات والاذكـار النجف الاشرف - مكتبة دار المعارف - ١٣٨٩هـ .

٢١٣- محمد حسين الطباطبائى : القرآن في الاسلام - تعريب أحمد الحسينـى - بيروت - دار الزهراء - ١٩٧٣.

٢١٤- محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها - بيروت - موءسسـة الاعلمى للمطبوعات - بدون تاريخ .

٢١٥- محمد حسين آل كاشف الغطاء : التثبت قبل الحكم - دعوة التقريب مـن خلال رسالة الاسلام - جمع محمد محمد المدنى - القاهـرة دار التحرير - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

٢١٦- محمد حسين فضل الله : خطوات على طريق الاسلام - ط ٢ - بيروت - دار التعارف - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢١٧- محمد حسين هيكل : حياة محمد - القاهرة - ط٦ - دار المعارف - ١٩٨١.

٢١٨- محمد رضا المظفر : عقائد الامامية - بدون معلومات .

٢١٩- محمد عاطف العراقى : ثورة العقل في الفلسفة العربية - ط٤ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٨.

٢٢٠- محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الاندلس - رسالة دكتوراه مطبوعة القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٢.

٢٢١- محمد عبد المنعم خفاجى : أعلام الادب في عصر بني أمية - دار العهـد الجديد للطباعة - ١٩٥٤.

٢٢٢- محمد عبده : شرح نهج البلاغة - بيروت - دار المعرفة - بدون تاريخ .

٢٢٣- محمد عطية الابراشى : التربية الاسلامية وفلاسفتها - ط٣ - مطبعة عيسـى البابى الحلبى بمصر - ١٩٧٥.

٢٢٤- محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام - الاسكندرية- دار الجامعات المصرية - ١٩٧٤ .

٢٢٥- محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم - ط٢ - بيروت - المؤسسة العربية-١٩٧٩.

٢٢٦- محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية - ط١ - بيروت - المؤسسة العربية - ١٩٧٢ .

٢٢٧- محمد فوزى العنتيل : التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها - دارالفكر العربى - ١٩٧٧ .

٢٢٨- محمد قطب : منهج التربية الاسلامية - ط٤ - بيروت - دار الشروق -١٩٨٠.

٢٢٩- محمد كامل الفقى : الازهر وأثره فى النهضة الادبية الحديثة - القاهرة المطبعة المنيرية - ١٩٥٦ .

٢٣٠- محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام - بدون معلومات .

٢٣١- محمد مهدى الاصفى : مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية لمحمد بن جمال الدين العاملى - ط١ - منشورات جامعة النجف - ١٣٨٦ هـ.

٢٣٢- محمد مهدى النراقى : جامع السعادات - ط٤ - العراق - مطبعة الاداب فى النجف الاشرف - ١٩٦٧ .

٢٣٣- محمد نبيل نوفل : أبو حامد الغزالى ،فلسفته وآراؤه فى التربية والتعليم رسالة ماجستير غير مطبوعة - تربية عين شمس - قسم أصول التربية ١٩٦٧ .

٢٣٤- محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية - القاهرة -دار المعارف - ١٩٨٠.

٢٣٥- محمود حب الله : موقف الاسلام من المعرفة - الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة - بحوث ودراسات اسلامية - جمع وتقديم محمد خلف الله - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٦٢ .

٢٣٦- محمود شكرى الالوسى : مختصر التحفةالاثنى عشرية - استانبول - مكتبة ايشيق - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م.

٢٣٧- مصطفى عبد القادر: مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية فى التعليم الثانوى العام فى المجتمع المصرى المعاصر - رسالة ماجستير غير مطبوعة كلية التربية - عين شمس - أصول التربية - ١٩٦٩ .

٢٣٨- ناديةجمال الدين : فلسفةالتربية عند اخوان الصفاء - رسالة ماجستير غير مطبوعة - تربية عين شمس - قسم أصول التربية - ١٩٧٣ .

٢٣٩- نافع الخفاجى : فى رحاب الامام زين العابدين - بغداد - دارالانوار١٩٧٨.

٢٤٠- نور الله الحسينى المرعشى التسترى : احقاق الحق وازهاق الباطل طهران - المطبعة الاسلامية - ١٣٧٧ هـ .

٢٤١- هاشم معروف الحسنى : الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة - ط١ - بيروت - دار التلم - ١٩٧٨ .

٢٤٢- هاشم معروف الحسنى : سيرة الائمة الاثنى عشر - بيروت - دار التعارف للمطبوعات - ١٣٩٧ - ١٩٧٧م.

٢٤٣- ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم الادباء - الطبعة الاخيرة - مطبعة المأمون - بدون تاريخ .

٢٤٤- ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان - بيروت دار صادر - ١٩٥٧.

٢٤٥- يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى للهجرة القاهرة - دار الكتاب العربى - ١٩٦٨.

٢٤٦- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية - القاهرة - مطابع الدجوى - ١٩٧٦.

المراجع الاجنبية :

٢٤٧- Gibb and Kramers. "Shorter Encyclopaedia of Islam". (Leiden, 1953).

٢٤٨- Gustave E Von Grunebaum, "Medival Islam". (Chicago, The University of Chicago press,) 1953.

٢٤٩- James H. Tujts, "Ethics" in Twenteeth century philosophy (Dagobert and Drunes (ed); New York: Philosophy Library, Inc. 1943.

٢٥٠- Kennedy F. Roche, Rousseau stoic and Romantic, London Methuen X Co. Ltd. 1974.

٢٥١- Mafizullah, Kabir: "The Buwayhid dynasty of Baghdad" (Calcutta,1964).

٢٥٢- Ramyont. T, "The principles of Education", Longmans, green and Co. London 1922.

٢٥٣- R.L. Akcher: Roussau on Education,, (London, Arnold, Co. 1928.

٢٥٤- Wellhausen: "The Arab Kingdom and its Fall" Translated from German by Margaret weir. M.A. (Calcutta 1971).

٢٥٥- William, Muir, "The Caliphatt its rise decline and Fall" (Beirut, 1963).